

الأعمال التاريخية للسان الدين بن الخطيب

الإحياء في أخبار غرناطة

تقديم مراجعة وتعليق:
بوزياني الدراجي

القسم الأول

دار
الأمل
للدراسات

الإحالة

في أخبار خرفانة

للسان اليرين
أبي عبد الله محمد بن الخطيب

القسم الأول

مراجعة وتقديم وتعليق بوزياني الدراجي



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني
لترقية الفنون والآداب

Cet ouvrage a été publié avec le soutien du Ministère de la
Culture, dans le cadre du Fonds National pour la Promotion
et le Développement des Arts et des Lettres.

دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع
شارع بلخوني يوسف السحاولة (16305) الجزائر
هاتف وفاكس: 0 21 35 78 29

الإيداع القانوني: 2349 – 2009
ردمك: 6 – 35 – 858 – 9961 – 978



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

بقلم: بوزياني الدراجي

﴿وَأَتَا مِنْ آتٍ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَى
وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾¹.

هذا العمل الثمين - الذي يشتمل على ألوان شتى من
ثمرات الفكر والإبداع ؛ في ميادين متنوعة من : تاريخ ،
وجغرافيا ، وأدب ، وتراجم ، وعلوم - يستحق منا عناية
جادة ، والتفاتة صادقة ؛ لأنه يسلط الضوء على تاريخنا

¹ سورة الكهف؛ الآية: 88.

المجيد، وماضينا التليد؛ الذي - مع الأسف الشديد - تعرض للإهمال وعدم الاكتراث من قبل هذا الجيل، وجيل مضى؛ خلال فترة عتماء؛ أظلتنا فيها سحابة دكناء جافة؛ عنوانها الاستعمار الظالم والمظلم.

وقد تفضلت وزارة الثقافة الجزائرية - مشكورة - بتبني وإبراز هذا العمل، ووضع بين أيدي القراء؛ لكي يتعرفوا على ماضيٍ ذهبيٍّ مشرقٍ؛ صنعه الآباء والأجداد. لعل الاطلاع عليه؛ يشحذ النفوس، ويحرك الهمم؛ للسعي نحو مسك رأس جبل النجاة، والتسلق في اتجاه تلك القمم الشّماء. إذ لا سبيل أمام هذا الجيل سوى التسلق في شعاب العلم المتشعبة، والمتشعبة بالحكمة المنيرة، والمعرفة المفيدة، والفضيلة الرفيعة.

فمحتوى هذا العمل؛ سيساعد - حتماً - على الاستنارة بالعلم، والاستفادة من تجارب الغير، والاستثمار بالفكرة والعبرة؛ والتحفز والاستعداد لشحذ الهمم، وصقل العقول في سبيل استكمال ما وقفت عنده قاطرة التراث المغربي الزاهر.

وفائدة الاطلاع على هذا العمل ؛ الذي خطه يراع
لسان الدين محمد بن الخطيب ؛ لا تكمن في الاقتصار على
التعرف على إنتاجه الأدبي والتاريخي الخاص به فحسب ؛
بل يتجاوز الأمر ذلك كله ؛ إلى معرفة ما أنتجه عدد كبير
من علماء وأدباء المغرب والأندلس.

لقد اشتمل كتاب الإحاطة - مثلاً - على تراجم جمّة ؛
وصلت إلى خمسمائة ترجمة ؛ تخص علماء وأدباء
أندلسيين ومغاربة. إذ تولى لسان الدين بن الخطيب
التعريف بهم ؛ وتسليط الضوء على إنتاجهم الأدبي
والفكري ؛ حيث سجل في كتابه هذا عينات ومختارات
وافية من إنتاجهم الأدبي : الشعري والثري.

وهذا الأمر سيثري - لا محالة - الحصيلة الفكرية
والعلمية للأسرة الثقافية الجزائرية - خصوصاً ، والمغربية
عموماً - وذلك بإضافة فيض من المنتخبات والمختارات
الأدبية ، والعينات الفكرية التي يمكن أن تفيد الأجيال
الحالية والقادمة.

وعندها ؛ سيكتشف الساهرون على تنمية المنظومة التربوية والتعليمية - في بلادنا - كنزاً ثرياً يمكنهم من الخوض في أمواجه، واستخراج ما فيه من الدر والمرجان. لأن منظومتنا التربوية في حاجة ماسة إلى صقل وبلورة التراث المغربي، وتقديمه ضمن الموائد الشهية لأبنائنا ؛ كي يتعرفوا على عظماء وطنهم ؛ وعلماء بلادهم.

إذ أن المنظومة التربوية في وطننا - للأسف - تعاني حالياً من عقدة مزمنة ؛ تنقص من حقيقة الذات، وتهول من أوهام الغير.

فالذي يلاحظ المناهج التعليمية في بلادنا ؛ سيكتشف أنها مصابة بحمى التيه والاغتراب ؛ إذ تدرس آداب الأمم كلها ؛ ما عدا آداب وتراث بلدنا المغربي والأندلسي. وقد يكون للساهرين على المنظومة التربوية عذرهم ؛ إذا ما علمنا صعوبة الوصول إلى منابع الفكر المغربي.

وهذه العقدة ليست وليدة اليوم ؛ بل ترجع بوادرها إلى أزمنة قديمة ؛ حيث بالغ بعض أجدادنا في العناية بآداب وفنون المشرق، على حساب متوجههم المغربي.

وحكاية الصاحب بن عباد ؛ بخصوص كتاب العقد
الفريد - لابن عبد ربه - معروفة وشهيرة. إذ يقال أنه سعى
إلى التعرف على الأدب المغربي ؛ ولما وصله كتاب العقد
الفريد وقرأه ؛ قال : (هَذِهِ بَضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا)¹.
ضننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار
بلادهم ؛ وإنما هو يشتمل على أخبار بلادنا ؛ لا حاجة لنا
فيه)).

علماً بأن أهل المشرق ؛ كانوا وما زالوا ؛ أكثر اعتناء
بالتراث المغربي من المغاربة أنفسهم. كما أن معظم العلماء
والأدباء المغاربة هاجروا للمشرق ؛ حيث أثروا التراث
الفكري المشرقي بما أنتجوه في ميادين علمية عديدة ؛ مثل :
اللغة ، والنحو ، والأدب ، والفلسفة ، والهندسة ، والطب ،
والفلك..إلخ.

¹ إشارة وتمثيلاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ
إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بَضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَحَانَا وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾. سورة يوسف؛ الآية: 65.

وقد أشار المقرئ - في كتابه نفح الطيب - إلى تلك
العقدة المغربية؛ فقال عند حديثه عن كتاب الإحاطة:
((وأما كتاب الإحاطة؛ فهو الطائر الصيت بالمشرق
والمغرب؛ والمشاركة أشد إعجاباً به من المغاربة، وأكثر
لهجاً بذكره؛ مع قلته في هذه البلاد المشرقية. وقد اعتنى
باختصاره الأديب الشهير البدر البشتكي¹؛ وسماه:
((مركز الإحاطة في أدباء غرناطة)). وهو في مجلدين بخطه.
رأيت الأخير منها بمصر²)).

وبتقديم عمل كهذا؛ ووضعه بين أيدي القراء؛
سوف يمكن المهتمين، والخيرين من إبراز شخصيات مغربية
شبه مغمورة، والتعريف بما أنتجه علماء وأدباء مغاربة في
مجالات عديدة: شعراً ونثراً. كما يتسنى لهم تحقيق
الأهداف التربوية والتعليمية بكل سهولة ويسر. حيث

¹ هو أبو البقاء محمد بن إبراهيم بن محمد بدر الدين الأنصاري
البشتكي؛ ولد في القاهرة سنة 748هـ/1347م وتوفي بها سنة
830هـ/1427م، شاعر وأديب؛ من المتصوفة؛ دمشقي الجذور؛ قاهري
المنشأ والممات؛ من مؤلفاته: كتاب طبقات الشعراء؛ وهو ضخمة، ثم ديوان
شعر، وكتاب مركز الإحاطة؛ الذي اختصر به الإحاطة في مجلدين اثنين.
² نفح الطيب؛ ج: 7، ص: 102.

سيتمكن المربون من إدماج التراث المغربي في المنظومة التربوية بشكل سهل وسلس.

- محتوى هذا العمل :

تتضمن هذه المجموعة المسماة بأعمال لسان الدين ابن الخطيب ؛ معظم أعماله التاريخية والأدبية المتوفرة إلى الآن. وأهمها :

- كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة : وهو كتاب في غاية الأهمية ؛ إذ يشتمل - ضمن عدد من المجلدات - على معلومات تاريخية، وجغرافية، وشعرية، ونثرية ؛ تخص علماء وكتاب وشعراء أندلسيين ومغاربة.

- وكتاب إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام : بأجزائه كلها. الجزء الخاص بتاريخ المشرق ؛ بدءاً بالسيرة النبوية الشريفة. ثم الأجزاء الخاصة بتاريخ الأندلس، وتاريخ بلدان شمال إفريقيا المغربية.

- كتاب اللوحة البدرية في الدولة النصرية: وهو خاص بمعالجة تاريخ دولة بني نصر؛ ملوك غرناطة بالأندلس؛ المعروفين أيضاً ببني الأحمر.

- كتاب رقم الحلل في نظم الدول: وهو تاريخ عام؛ تناول فيه ابن الخطيب تاريخ الدول الإسلامية - كلها - المعروفة في وقته؛ وقد نظمها في بحر الرجز.

- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: وهي مذكرات تخصه؛ يتناول فيها الأحداث التي عايشها في المغرب؛ أثناء إقامته فيه. كتبه في ثلاثة أجزاء. لم يبرز للوجود منها سوى الجزء الثاني.

- خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف: يتناول ابن الخطيب في هذا الكتيب وصف رحلة قام بها سنة 748هـ/1347م؛ مرافقاً للسلطان أبي الحجاج؛ في ديار الأندلس التابعة لمملكة غرناطة؛ بغرض التفقد والاطمئنان على المدن والثغور.

- ربحانة الكتاب ونجعة المتاب: ويشتمل على نصوص نثرية وشعرية رائعة في مخاطبات الملوك والرؤساء.

- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: ألف ابن الخطيب هذا الكتاب؛ أثناء إقامته بتلمسان؛ تحت رعاية السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز؛ الذي احتل المدينة آنئذ. وكان ابن الخطيب حينها لاجئاً لدى المرينيين؛ بعد الجفوة الحاصلة بينه وبين سلطان غرناطة النصري.

- الصيب والجهام والماضي والكهام: الذي يشتمل على زبدة الإنتاج الشعري الخاص بابن الخطيب؛ إذ هو ديوانه الرئيس.

- روضة التعريف بالحب الشريف: في التصوف والحب الإلهي. عارض ابن الخطيب في هذا الكتاب ديوان الصبابة لأبي العباس أحمد بن يحيى التلمساني المعروف بابن أبي حجلة التلمساني.

- مجموعة رسائل لابن الخطيب: وهي أعمال متفرقة؛ ألفها ابن الخطيب في أغراض عديدة، إذ هي رسائل ومؤلفات متنوعة؛ وجهت للملوك والأعيان في زمنه.

- ابن الخطيب :

يسمى : لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله
ابن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد
السلماني ؛ نسبة إلى سلمان أحد أحياء مراد القحطانيين.
دخل جده إلى الأندلس بعد الفتح ضمن عرب الشام.
استقر أسلافه - في البداية - بقرطبة ؛ حيث عرفوا باسم بني
الوزير ؛ ولكنهم اضطروا إلى الهجرة عنها إلى طليطلة ؛ بعد
حادثة الریض الشهيرة ؛ التي ثار فيها سكان تلك الضاحية
على الأمير الأموي الحكم بن هشام سنة 202هـ/817م.
فنكل بهم ، وشردهم في مختلف الأصقاع والبلدان.
فمنهم من اختار الابتعاد إلى بلاد المغرب ؛ حيث
استقروا في فاس ؛ بينما اكتفى بعضهم الآخر بآماكن آمنة
في الأندلس ؛ ومن هؤلاء أسرة ابن الخطيب.
ولما اشتدت الأخطار المحدقة بالمسلمين في طليطلة ؛
بعد زهاء القرن والنصف تقريباً ؛ وذلك نتيجة لتحركات
النصارى ، وضغوطاتهم المتكررة على تلك المدينة ؛ عمل
أسلاف ابن الخطيب - للمرة الثانية - على الهجرة من جديد

نحو جنوب الأندلس؛ حيث استقر جده الأعلى الفقيه العالم والأديب سعيد بن علي بن أحمد السلماني في مدينة لوشة القريبة من غرناطة؛ والتي تبعد عنها بنحو خمسين كلم؛ في اتجاه الغرب منها، وعلى الطريق الرابط بينها وبين مدينة إشبيلية. وتولى جده سعيد هذا في مدينة لوشة خطة القضاء والخطابة؛ وإليه نسبت العائلة؛ فأضحوا يسمون أبناء الخطيب.

ومدينة لوشة هي مسقط رأس لسان الدين محمد بن الخطيب، ومرتع صباه، ومهد تربيته، ومنهل وتعليمه؛ إذ كانت تلك المدينة - آنذاك - تحتل مركزاً حضارياً وثقافياً ممتازاً في الأندلس. وبقيت على في ازدهارها المعهود حتى سقوطها هي الأخرى في قبضة القشتاليين سنة 891هـ/1486م؛ أثنا الحرب المسلطة على غرناطة.

ويقول عنان أنه زار لوشة Loja؛ التي تقلص عمرانها عما كانت عليه في العهد الإسلامي؛ بحيث كان سكانها - زمن المسلمين - أضعاف ما هم عليه الآن؛ إذ لا يتجاوز عددهم اليوم عن العشرين ألف نسمة؛ بينما

غدت في عمرانها متوسطة الحال. وقال: ((وكان شبح ابن
لوشة العظيم؛ وزيرها العبقري ابن الخطيب؛ يتراءى لي
وأنا أجوس خلال دروبها الساحرة؛ ولكن لم أستطع - مع
الأسف - أن أظفر بأية آثار أو معلومات تتعلق بحياته، أو
موقع بيته القديم؛ وقد كان استقصاء هذه الآثار
والذكريات جل مقصدي))¹.

وفي مدينة لوشة هذه ولد محمد بن عبد الله بن سعيد
المعروف بابن الخطيب السلماي؛ وذلك في الخامس
والعشرين من رجب سنة 713 هجرية الموافق لـ 16 نوفمبر
سنة 1313 ميلادية. نشأ في بيت علم وأدب وجاء؛ إذ كان
والده عبد الله من أكابر علماء لوشة؛ وقد وردت له
ترجمة في الإحاطة. وهو الذي انتقل إلى غرناطة؛ بعد أن
حاول القدوم إليها لفترة في البداية؛ ثم عاد إلى منزل
العائلة في لوشة؛ ولكنه قرر الاستقرار نهائياً في غرناطة بعد
ذلك؛ حيث التحق بخدمة السلطان أبي الوليد إسماعيل؛
الذي تربع على عرش غرناطة سنة 713 هـ/1313 م؛ وهي

¹ الإحاطة، ج: 1، ص: 20.

السنة التي ولد فيها لسان الدين محمد بن الخطيب. ودام حكمه إلى سنة 725هـ/1325م؛ أين مات قتيلاً.

غير أن والد لسان الدين بقي في خدمة من خلفه من سلاطين بني نصر؛ إلى أن أصبح وزيراً في عهد أبي الحجاج يوسف المتولي سنة 733هـ/1332م. تولى عبد الله والد لسان الدين - آنئذ - خطة ديوان الإنشاء؛ إلى جانب الشاعر والكاتب الفذ الرئيس أبي الحسن بن الجياب.

وانتهت حياة عبد الله والد لسان الدين وابنه الأكبر أخي لسان الدين؛ خلال موقعة طريف؛ التي حدثت بين جيش قشتالة؛ وجيش المسلمين بقيادة السلطان المريني أبي الحسن، والسلطان النصري أبي الحجاج يوسف؛ وهزم فيها المسلمون، وثقلت خسائرهم. حدث ذلك في سنة 741هـ/1340م.

لا يعرف بالضبط السنة التي انتقل فيها لسان الدين محمد بن الخطيب إلى غرناطة. المهم أنه انتقل في الوقت الذي كان ولده في خدمة البلاط النصري. وعرف تلك الحاضرة وهو صغير السن؛ فنشأ فيها ودرس على

مشائخها، وتردد على حلقات علمائها وأدبائها؛ الذين ازدانت بهم عاصمة بني الأحمر، وازدهرت بعلمهم ومعارفهم، وانتشت بشعرهم وفنونهم.

دُعيَ لسان الدين - بعد استشهاد والده - إلى الخدمة في البلاط السلطاني؛ وهو في ريعان الشباب؛ إذ لم يتجاوز سنه الثامنة والعشرين؛ فوجد رعاية خاصة من قبل الرئيس أبي الحسن بن الجياب؛ فتدرج في المناصب إلى أن أصبح في رتبة وزير.

ولما توفي ابن الجياب جراء وباء الطاعون الذي اجتاح البلاد في سنة 749هـ/1349م؛ خلفه لسان الدين في رئاسة الكتاب؛ وكان قد أظهر - من قبل - براعة فائقة في الإنشاء وكتابة الرسائل. ولما تولى رئاسة الكتاب ازدادت روائعه، وتزايدت بدائعه، وانتشرت أعماله، وذاع ذكره بين الأقطار.

وانجر عن ذلك كله؛ أنه ارتقى إلى مرتبة وزير؛ في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف. بينما كانت الرئاسة - آنئذ - في حوزة أبي النعيم رضوان القشتالي؛ الذي كان

يكن تقديراً خاصاً للسان الدين محمد بن الخطيب؛ وهو الذي ترك المجال مفتوحاً له الخطيب كي يتألق ويشتهر؛ فاقترب من السلطان، واكتسب ثقته وإعجابه؛ فجعله كاتب سره، ولسان حاله. فصدرت عنه رسالة رائعة طارت بها أجنحة الشهرة في الآفاق.

ويصف ابن الخطيب حاله ووضعه الجيد وحظوظه السعيدة في مقام السلطان أبي الحجاج فيقول: ((فقلدني السلطان كتابة سره؛ ولما يجتمع الشباب، ويستكمل السن؛ معززة بالقيادة، ورسوم الوزارة؛ واستعملني في السفارة إلى الملوك، واستنابني بدار ملكه، ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه، واثمنني على صوان ذخيرته، وبيت ماله، وسجوف حُرْمه، ومعقل امتناعه))¹.

المهم أن ابن الخطيب؛ بقي في منصبه - بعد مقتل السلطان أبي الحجاج - مرعي الجانب محاطاً بالثقة، مقرباً من السلطان الجديد أبي عبد الله محمد الغني بالله. وبينما ظل الحاجب رضوان ممسكاً بالرئاسة؛ استمر ابن الخطيب

¹ الإحاطة، المجلد الرابع، ص: 443.

في سياق عمله الأول كمعاون له في شئون الكتابة والوصاية
على أبناء السلطان.

وندبه السلطان الغني بالله سنة 755هـ/1354م. في
سفارة إلى ملك المغرب المريني أبي عنان؛ فاستقبله ملك
المغرب بحفاوة وتقدير؛ واهتز زهواً وطرباً للقصيدة التي
أتحفه بها؛ والتي يقول فيها:

خليفة الله ساعد القدر
علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته
ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى
لنا في المحل كفك المطر
والناس طراً بأرض أندلس
لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وغاية الأمر أنه وطن
في غير عليك ما له وطر

ومن به مذ وصلت حبّاهم
ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهمتهم نفوسهم
فوجهوني إليك وانتظروا

وقال ابن خلدون يصف الحال: ((فاهتز السلطان
لهذه الأبيات وأذن له بالجلوس. وقال له قبل أن يجلس: ما
ترجع إليهم إلا بجميع ما طلبوه. وقال لي شيخنا القاضي
أبو القاسم الشريف؛ وكان معه في ذلك الوفد: لم يسمع
بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا
هذا))¹.

وازدادت حظوته لدى السلطان الغني بالله، فرفع
منزلته، وعزز مرتبته؛ فأضفى عليه لقب ذي الوزارتين؛
أي وزارة السيف، ووزارة القلم. وبقي على ذلك الحال؛
إلى اليوم الذي انقلب على السلطان أخوه إسماعيل سنة
760هـ/1359م. وتربع على عرش غرناطة.

¹ العبر، مج: 7، ص: 691.

ومع أن السلطان المخلوع محمد الغني بالله تمكن من
الإفلات والنجاة بنفسه - بعد الانقلاب عليه - ثم التحق
بالمغرب؛ فإن ابن الخطيب وقع في قبضة الأمير الثائر
وشلته؛ فوضع في السجن. ولكن أسعفه السلطان المريني
أبي سالم؛ الذي شفع فيه لدى السلطان إسماعيل؛ فلم
يسع هذا الأخير إلا الاستجابة لطلبه؛ فأطلق سراح ابن
الخطيب؛ فسارع للاتحاق بمحمد الغني بالله؛ حيث استقر
الاثنان في ضيافة الملك المريني أبي سالم؛ الذي مدحه ابن
الخطيب برائعه ومطلعها:

سلا هل لديها من مخبرة ذكر
وهل أعشب الوادي ونمَّ به الزهر
ثم يقول:

قصدناك يا خير الملوك على النوى
لنتصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الأيام من غلوائها
وقد رأينا منها التعسف والكبر

وعذنا بذاك المجد فانصرم الردى
ولذنا بذاك العزم فانهزم الشر
ولما أتينا البحر يرهب موجه
ذكرنا نذاك الغمر فاحتقر البحر

ونقل ابن خلدون هذه القصيدة كاملة في كتابه ديوان
العبر؛ حيث أعجب بها وقال: ((فأنشد السلطان قصيدته
الرائية؛ يستصرخه لسلطانه، ويستحثه لمظاهرته على
أمره؛ واستعطف واسترحم؛ بما أبكى الناس شفقة
ورحمة))¹.

وكان ابن خلدون حاضراً في هذا المجلس؛ إذ كانت
هذه المناسبة هي فرصة التعارف المباشر بين ابن الخطيب
والعلامة عبد الرحمن بن خلدون؛ أين كان الأخير - في
تلك الفترة - يعمل في الديوان الملكي المريني؛ ويتميز بمركز
ممتاز. ولما كانا يسمعان عن بعضهما بعضاً؛ فقد ازدادت

¹ العبر، مج: 7، ص: 638.

المعرفة توطدا ومتانة ؛ ويشير إليها ابن خلدون بقوله :
(وما كان بيني وبينه من الصحابة))¹.

واختار ابن الخطيب الإقامة بمدينة سلا ؛ بحثا عن
الخلوة والتأمل والكتابة ؛ فأسعفه أبو سالم المريني بما
يرغب. ويقول أنه بقي فيها زهاء العامين ؛ فدون فيها
كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، وكتاب اللوحة
البدرية في تاريخ الدولة النصرية، وكتاب رقم الحلل في
تاريخ الدول، وغير ذلك من الرسائل والأشعار.

ولما استرد محمد الغني بالله ملكه في غرناطة سنة
763هـ/1361م ؛ استدعى ابن الخطيب وأتخفه بالرئاسة
والوزارتين: السيف والقلم ؛ بعد أن تغلب على منافسه
شيخ الغزاة عثمان بن أبي يحيى ؛ فوضعت بين يديه
السلطات كلها ؛ فاستبد بكل صغيرة وكبيرة. وكانت
كفاءته، وقدراته الفائقة تشفع له، وتزكيه.

واستمر على ذلك الحال من سنة 764هـ/1362م إلى
عام 772هـ/1370م. العام الذي فرّ فيه من غرناطة ؛ وعبر

¹ التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا: ص: 79.

البحر إلى عدوة المغرب ؛ لاجئاً، وطالباً الحماية من سخط
سلطانه الغني بالله.

وقد تعلل بزيارة تفقدية للثغور الغربية. ولما وصل إلى
جبل الفتح ؛ التابع لبني مرين ؛ صرح برغبته في العبور إلى
المغرب ؛ متخلياً عن منصبه في الدولة ، ومتنصلاً من مهامه
التي أثقلت كاهله ، ونابذاً الصراعات والمؤامرات المبرمة
ضده في بلاط الدولة ؛ طالباً للسلم والأمان.

ومع ذلك ؛ فقد حاول الاعتذار إلى سلطانه بتقديم
مسوغات لم تؤدي غرضها ؛ وذلك من خلال خطابه
الذي بعثه للغني بالله ؛ مرفوقاً بقصيدة قال فيها :

بانوا فمن كان باكياً يبكي

هذي ركاب السرى بلا شك

فمن ظهور الركاب مُعملة

إلى بطون الرُّبى إلى الفلك

تصدع الشمل مثلما انحذرت

إلى صبوبٍ جواهر السلك

من النوى قبل لم أزل حذراً
هذي النوى جلّ مالك الملك

((مولاي؛ كان الله لكم؛ وتولى أمركم. أسلم عليكم سلام الوداع، وأدعو الله في تيسير اللقاء والاجتماع؛ من بعد التفرق والانصداع؛ وأقرر لديكم أن الإنسان أسير الأقدار؛ مسلوب الاختيار، متقلب في حكم الخواطر والأفكار؛ وأنه لا بد لكل أول من آخر، وأن التفرق لما لزم كل اثنين بموت أو في حياة، ولم يكن منه بد؛ كان خير أنواعه الواقعة بين الأحباب؛ ما وقع على الوجوه الجميلة البريئة من الشرور.

ويعلم مولاي حال عبده منذ وصل إليكم من المغرب بولدكم، ومقامه لديكم بحال قلق وقلعة؛ ولولا تعليلكم، ووعدكم، وارتقاب اللطائف في تقليب قلبكم، وقطع مراحل الأيام حريصاً على استكمال سنكم، ونهوض ولدكم، واضطلاعكم بأمركم، وتمكن هدنة وطنكم؛ ما تحمّل في ذلك من ترك غرضه لغرضكم، وما

استقر بيده من عهدكم. وأن العبد الآن لما تسبب لكم في
الهدنة من بعد الظهور، والعز، ونجح السعي؛ وتأتى
لسنين كثيرة الصلح؛ ومن بعد أن لم يبق لكم بالأندلس
مُشغَّب من القرابة، وتحرك لمطالعة الثغور الغربية، وقرب
من فرضة المجاز، واتصال الأرض ببلاد المشرق؛ طرقت
الأفكار، وزعزعت صبره رياح الخواطر، وتذكر إشراف
العمر على التمام، وعواقب الاستغراق، وسيرة الفضلاء،
عند شمول البياض؛ فغلبته حال شديدة هزمت التعشق¹
بالشمل الجميع، والوطن المليح، والجاه الكبير، والسلطان
القليل النظير. وعمل بمقتضى قوله: ((موتوا قبل أن
تموتوا))².

ثم أضاف:

((فإن كان تصرفي صواباً، وجارياً على السداد؛ فلا
يلام من أصاب؛ وإن كان عن حمق وفساد عقل؛ فلا
يلام من اختل عقله، وفسد مزاجه؛ بل يعذر، ويشفق

¹ أي لزوم الشيء دون الانفصال أو مفارقة.

² يردّد المتصوفة هذا القول؛ على أنه حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ والمقصود منه هو: موتوا اختياراً بترك الشهوات؛ قبل أن تموتوا اضطراراً.

عليه ويرحم. وإن لم يعط مولاي حقه في العدل ؛ وجلبت الذنوب، ونشرت بعدي العيوب ؛ فحياؤه، وتناصفه ؛ ينكر ذلك، ويستحضر الحسنات ؛ من التربية والتعليم، وخدمة السلف، وتخليد الآثار، وتسمية الولد، وتلقيب السلطان، والإرشاد إلى الأعمال الصالحة، والمداخلة والملابسة ؛ لم يتخلل ذلك قط ؛ خيانة في مال، ولا سر، ولا غش في تدبير، ولا تعلق به عار، ولا كدره نقص، ولا حمله عليه خوف منكم، ولا طمع فيما بيدكم. وإن لم تكن هذه دواعي الرعي والوصلة والإبقاء ؛ ففيم تكون بين بني آدم. وأنا قد رحلت فلا أوصيكم بمال ؛ فهو أهون متروك، ولا بولد ؛ فهم رجالكم وخدامكم ؛ وممن يحرص مثلكم ؛ على الإكثار منهم، ولا بعيال ؛ فهي من مزيات بيتكم وخواص داركم ؛ وإنما أوصيكم بكم ؛ فارعوني فيكم خاصة، وأوصيكم بتقوى الله....)).

ويكمل فيقول :

((واعلموا أيضاً على جهة النصيحة. أن ابن الخطيب مشهور في كل قطر، وعند كل ملك، واعتقاده، وبره،

والسؤال عنه، وذكره بالجميل، والإذن في زيارته؛ نجابة منكم وسعة ذرع ودهاء. فإنما كان ابن الخطيب بوطنكم سحابة رحمة نزلت، ثم أقشعت؛ وتركت الأزاهر تفوح، والمحاسن تلوح. ومثاله معكم مثال المرضعة أَرْضعت السياسة، التديير الميمون؛ ثم رقدتكم في مهد الصلح والأمان، وغطتكم بقناع العافية، وانصرفت إلى الحمام تغسل اللبن والوضر، وتعود؛ فإن وجدت الرضيع نائماً فحسن؛ أو قد انتبه؛ فلم تتركه إلا في حد الفطام))¹.

هذا هو ابن الخطيب؛ في شموخه واعتزازه بنفسه، في ولائه ووفائه، في ومروءته ونزاهته، في دهائه وحنكته. قدم كل من يملك من مواهب وخبرة لدولته؛ ولم يخل عليها بنفسه ونفيسه؛ سنوات وسنوات؛ فلم يمل أو يستكين. ولما شعر بأن التيار أصبح لا يمر بالشكل المطلوب بينه وبين السلطان، وأن الثقة المتبادلة بينهما انتابها فتور ما؛ نتيجة لكيد الحاقدين عليه، واستعداد السلطان لسماع ما يبثه أعداؤه ومنتقدوه؛ فقد حول وجهه نحو جهة أخرى؛

¹ التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ص ص: 147 - 152.

جهة وجد فيها الابتسامة الطلقة، والحب الصريح،
والإعجاب النزيه، والثقة المطلقة. وهكذا؛ تمرّد ابن
الخطيب، وكسر الطوق؛ بحثاً عن هواء صالح
للاستنشاق، وأجواء مساعدة على الإبداع والإنتاج.
وواضح أن السبب في ذلك كله؛ يرجع بعض العوامل؛
أهمها:

- أولاً: إلى أن ابن الخطيب بدأ يضيق بدواليب الحكم
المزعجة، وصراعات الزوايا المظلمة في البلاط الغرناطي.

- وثانياً: أخذ الإحساس بالعجز يتتابه؛ في مواجهة
مؤامرات خصومه؛ مثل: مساعده الطموح محمد بن
يوسف المعروف بابن زمرك، وقاضي الجماعة بغرناطة؛
علي بن عبد الله النباهي.

- وثالثاً: بدأ يشعر بأن وضعه الصحي أصبح لا يسمح له
بمواصلة الأعمال المضنية والمثيرة في البلاط؛ وقد اشتكى
حالته الصحية؛ عندما قال: أنه مصاب بالأرق؛ كما

تعجب من نفسه ؛ كونه طيباً ؛ ولكنه عاجز عن مداواة نفسه.

المهم أنه وصل إلى المغرب لاجئاً وخائفاً من نقمة سلطانه ؛ مستغلاً فرصة الوضع السياسي المتدهور بين فاس وغرناطة آنذاك. واستقبل ابن الخطيب من قبل السلطان المريني عبد العزيز بحفاوة وتكرمة. وسعى لدى سلطان غرناطة في استقدام عائلته الباقية هناك ؛ فكان له ذلك.

ومع ذلك كله ؛ لم تنطفئ نار الحقد ضده من قبل خصومه ؛ فلفقوا له تهم الزندقة والإلحاد ؛ وأشعلوا في مؤلفاته النار فأحرقوها ؛ رغبة منهم في محو أثره وطمس ذكره. بل وتابعوه بتهمهم إلى بلاد المغرب نفسها ؛ طالبين تنفيذ حكم الشرع فيه ؛ بصفته ملحداً وزنديقاً. فردهم السلطان عبد العزيز خائبين ؛ قائلاً لهم : ((هلاً أنفذتم فيه حكم الشرع وهو عندكم ؛ وأنتم عالمون بما كان عليه))¹.

¹ العبر، مج: 7، ص: 697.

ولكن وشاح الحماية انزاح عن ابن الخطيب؛ بعد موت السلطان عبد العزيز سنة 774هـ/1372م، وبعد الثورة التي وقعت سنة 776هـ/1374م ضد وزيره أبي بكر ابن غازي المستبد؛ الذي رفض - بدوره - مجازاة غرناطة في الانتقام من ابن الخطيب.

ويبدو أنه شعر بالضيق والخوف على مصيره في ظل الأوضاع الجديدة بفاس. فحاول مسك حبل النجاة عن طريق تلمسان؛ ولكن الأحداث سبقتة، ولم يمهله خصومه؛ كي يجد مخرجاً لمحتته.

وخلال هذه الظروف الحرجة؛ بعث إلى سلطان بني زيان؛ أبي حمو بتلمسان؛ بقصيدتين؛ لا تتباعدان زمنياً. فالقصيدة الأولى سينية الروي رائعة النظم والمبنى؛ يتبعها سجع بليغ. بعثها في أواخر سنة 775هـ/1373م. وقد أشار إليهما يحيى بن خلدون في كتابه: بغية الرواد في جزئه الثاني؛ حيث قال: ((وردت على الخليفة - أيده الله - من الفقيه الوزير المرحوم أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب رحمه الله؛ عند استشعاره المخافة من أهل المغرب

قصيدة سينية غراء، يعقبها سجع بليغ¹). ومطلع هذه القصيدة هكذا:

أُطْلَعْنَ فِي سُدْفِ الظَّلَامِ شُمُوسًا
ضَحَكَ الظَّلَامُ لَهَا وَكَانَ عَبُوسًا
إِلَى أَنْ يَقُولَ:

مَا لِلْحَمَى بَعْدَ الْأَحَبَّةِ مَوْحِشًا
وَلَكُمْ تَرَاءَى أَهْلًا مَأْنُوسًا
وَلِسِرْبِهِ حَوْلَ الْخَمِيلَةِ نَافِرًا
عَمَّنْ يَحُسُّ بِهِ وَكَانَ أَنْيَسًا
ثم يضيف:

وَإِذَا طَغَى فِرْعَوْنُهُ فَأَنَا الَّذِي
مَنْ ضُرَّهِ وَأَذَاهُ عُدْتُ بِمُوسَى
بِحَمَى أَبِي حَمَّوٍ حَطَطْتُ رُكَائِبِي
لَمَّا اخْتَبَرْتُ اللَّيْثَ وَالْعَرِيسَا

أما القصيدة الثانية فهي ميمية الروي؛ وصلت إلى بلاط أبي حمو في أوائل سنة 776هـ/1374م. يلتبس ابن

¹ بغية الرواد، ج: 2، ص: 509. ووردت هذه القصيدة أيضاً في نفح الطيب؛

الخطيب - من خلالها - الشفاعة له عند الغني بالله بغرناطة.
وقد أشار إلى ذلك أبو زكرياء يحيى بن خلدون؛ في الجزء
الثاني من كتاب بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد؛
حيث قال¹ : ((وهناك؛ وصله² - أيضاً - من الفقيه الوزير
المرحوم أبي عبد الله محمد بن الخطيب - برد الله ثراه؛
عندما اشتدت مخافته من بني مرين، وعيل اصطباره،
وقلبت له دنياه ظهر مجنها - قصيدة غراء ميمية؛ في غرض
الاستصراخ والاستشفاع؛ بمولانا أمير المسلمين أبي حمو؛
عند مولاه السلطان الغني بالله أبي عبد الله محمد بن
نصر؛ أعزه الله؛ ثم عاجله الحال، ومات رحمه الله
كيف قدر، و﴿إلى الله تصير الأمور﴾³. وقوله⁴:
وأما لو علمنا أنه ينطق الرسم
ولم يبق يوماً من مسماه إلا اسمُ

¹ أنظر كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 2، ص
ص: 534 - 547.

² يقصد أبا حمو.

³ الآية كاملة هكذا: ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾. سورة الشورى؛ الآية: 53.

⁴ هذه القصيدة طويلة؛ نقتطف منها بعض المختارات.

إلى أن يقول :

حمى ساحة الطبع العفيف كمثل ما
حمى ساحة الملك المنيف أبو حمو
وما هنّ في التحقيق إلّا صفاته
بهنّ إلى إطرئه استطرد النظم
ومن مثله قد اعجز الدهر مثله
إذا ذكر العزم الصريح أو الحزم

ويضيف :

أجل الملوك الصيد ذاتاً ومحتداً
فما فوقه مسمى لمن شاء أن يسمو
وفخر بني زيان يحضر إن خطوا
ويسرع إن أبطوا ويمضي إذا هموا

ثم يقول :

أموسى لقد أمسى حديثك في الورى
صحائف تتلا ما لشائعها كتم
على قدر ما جئت قومك عندما
تناهت بها البؤسى وأجهدّها الأزم

طلعت لها في الجنج شمساً منيرة
فأشرققت الأرجاء وانفرج الغم
وجددت فيها دولة موسوية
سجيتها عدل وشيمتها حُلم
ثم يخلص إلى غرضه بقوله :

جعلتك مرمى همتي ومؤملا
لنيل التي ما هام في غيرها هم
فوضت رحلي عن بلاد نبا بها
مهادي إلى حيث السلامة والسلم
وما كنت أخشى الجور في حكم جيرة
أجرتهم فاعتُذَّ ذلك لي جرم
أتيتهم بالصبح لكنهم عموا
وآذنتهم بالنصح لكنهم صموا
سأذكرهم حيث احتالت وإن نسوا
وأمدحهم مهما قدرت وإن ذموا
وأنت لها من بغية مطلب بها
صروف الزمان نال أنفي لها رغم

ويضيف :

وقد حط كوري في جوار مثابة
بها تكتب الزلفى ويغفر الإثم
وكان بحج البيت بدئي وبعده
بقصد رسول الله يسر لي ختم
ولم لا ينال السؤال عندك قاصد
ومثلك من يخط قاصده غنم

ولما استولى الثوار - المدعومين من قبل غرناطة - على الحكم في فاس ؛ سعوا لتنفيذ الأحكام الصادرة من غرناطة ضد ابن الخطيب. وبالفعل قبض السلطان المريني أبو العباس أحمد بن أبي سالم على ابن الخطيب وأودع السجن ؛ وكان ذلك بضغط وتحريض من قبل وزيره سليمان بن داود ؛ الكاره لابن الخطيب والحاقد عليه. فاتفق مع الغني بالله على القبض عليه عند نجاحهم في الاستيلاء على الحكم. فسارع هذا الأخير إلى إرسال ابن زمرك وبعض خصوم ابن الخطيب إلى فاس ؛ بهدف

محاكمته. فأحضر أمام السلطان، وعزر وعذب أمام الناس؛ ثم أودع السجن. ولكن نار الحقد لم تنطفئ في صدور خصومه؛ حيث تسللوا إلى السجن، وخنقوه حتى مات. وتقول المصادر أن فئة من الأندلسيين الوافدين إلى المغرب بهدف قتله؛ تسللوا إلى السجن - بتواطئ مع أعوان السلطة المرينية آنذاك - وخنقوه في سجنه. ودفن - لما مات - في مقبرة باب المحروق؛ ولكن أعداءه لم يرتح لهم خاطر، ولم تكفهم موته البئسة؛ بل سعوا إلى نبش قبره، واستخراج جثته وحرقها؛ حتى اسودت، واحترق شعر رأسه. فأعاد بعض الخيرين الجثة - مرة أخرى - إلى القبر؛ قبل أن تحترق كلية. كل هذا حدث في ربيع الثاني من سنة 776هـ/1374م.

وفي ذلك يقول ابن خلدون¹: ((وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان²، واعتدوها من هناته؛ وعظم النكير فيها عليه، وعلى قومه، وأهل دولته؛ والله

¹ العبر، مج: 7، ص ص: 709 - 710.

² يقصد سليمان بن داود وزير السلطان المريني أنثذ؛ ينسبه ابن خلدون إلى أعراب بني عسكر.

الفعال لما يريد. وكان - عفا الله عنه ؛ أيام امتحانه بالسجن
- يتوقع مصيبة الموت ؛ فتجيش هواتفه لشعر يبكي نفسه.
ومما قال في ذلك :

بعدنا وإن جاورتنا البيوت
وجئنا لوعد ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة
كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما
وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شمس سماء العلا
غربن فباحث علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا
وذو البخت كم خذلته البخوت
وكم سيق للقبر من خرقة
فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب
وفات فمن ذا الذي لا يفوت

ومن كان يفرح منهم له
فقل يفرح اليوم من لا يموت

وذكره أبو العباس أحمد بن الحسين الشهير بابن
القنفذ القسنطيني في كتاب الوفيات فقال: ((توفي شهيداً
بمدينة فاس شيخنا الفقيه الكاتب الشهير أبو عبد الله لسان
الدين محمد بن الخطيب الغرناطي))¹.

- مكانة ابن الخطيب العلمية والأدبية:

وتتجلى شهرة ابن الخطيب وقدرته الفائقة في ميدان
الكتابة ونظم الشعر من خلال روائعه وأعماله الفذة
الذائعة الصيت. كما أن كبار العلماء والأدباء يقرون بتفوقه
في ميادين النظم والنثر.

فهذا العلامة عبد الرحمن بن خلدون يقول فيه بكل
صدق ونزاهة: ((وكان الوزير ابن الخطيب آية من آيات
الله في: النظم، والنثر، والمعارف، والأدب؛ لا يُسَاجَلُ

¹ كتاب الوفيات: ص: 370.

مداه، ولا يُهْتَدَى فيها بمثل مداه)¹. وقال أيضاً: ((وكان له في اللسان ملكة لا تدرك))². وأضاف: ((وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة))³. ثم قال: ((ونبغ في الشعر والترسل بحيث لا يجارى فيهما، وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر لعصره؛ وملاً الدولة بمدائح، وانتشرت في الآفاق... وصدرت عنه غرائب من الترسل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدو))⁴.

وقال فيه محمد بن أحمد المقرئ صاحب كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب": ((إذ هو - أعني لسان الدين - فارس النظم والنثر في ذلك العصر، والمفرد بالسبق في تلك الميادين بأداة الحصر؛ وكيف لا؟ ونظمه لم تستول على مثله أيدي الهصر؛ ونثره تزري صورته بالخريدة ودمية القصر))⁵. وكما هو واضح من عنوان الكتاب؛ فقد كتب

¹ التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً: ص: 155.

² المقدمة، ج: 4، ص: 1404.

³ نفسه، ص: 1425.

⁴ العبر، مج: 7، ص: 689 - 690.

⁵ نفح الطيب؛ مج: 1، ص: 70.

أساساً من أجل التعريف بابن الخطيب، وتقديم أدبه :
نظماً ونثراً إلى العلماء والأدباء بالمشرق.

ويشيد به أيضاً صاحب كتاب نثير فرائد الجمان في
نظم فحول الزمان؛ الأمير إسماعيل بن يوسف بن
الأحمر؛ فيقول: ((شاعر الدنيا، وعلم المفرد والثُّنيا،
وكتب الأرض إلى يوم العرض. لا يدافع مدحه في الكتب،
ولا يجنح فيه إلى العتب، آخر من تقدم في الماضي...
صاحب القصة؛ للبراعة باليراعة. وبه أسكت صائلهم،
وما حمدت بكرهم وأصائلهم؛ للجزالة المشربة بالحلاوة؛
الممكنة من مفاصل الطلاوة. وهو نفيس العدوتين، ورئيس
الدولتين؛ بالإطلاع على العلوم العقلية، والامتناع
بالفهوم النقلية))¹.

كما أنه ترك أثراً محموداً في التراث الأدبي والفكري
الأندلسي إلى يومنا هذا. فعرف الدنيا بذلك التراث، وأثرى
معينه وحلاه بالصور الشعرية الخلاصة، والمعاني النبيلة
الفتانة، والأسلوب السلس الرفيع. فابن الخطيب لم يترك

¹ ص: 243.

غرضاً من أغراض الكتابة إلاّ وعالجه بمنتهى الجودة والإتقان. كتب النثر بأوجهه كلها، ونظم الشعر بشتى الأشكال. فتفوق في السجع كتفوقه في الترسل؛ لم يسقط في هنات السجع ورتابته الساذجة؛ ولم يفلت منه عنان الترسل عن سياق الجودة والفن الجميل. كتب الشعر بروح عصره؛ الذي امتد أثره إلى هذا العصر. جال وسبح في بحور الشعر كلها؛ من طويله إلى رجزه. وعالج الأغراض كلها؛ من نسيب وغزل، إلى المديح والإطراء، إلى الرثاء والبكاء، ثم العتاب والهجاء، فالحماسة وتمجيد اللقاء، وبعدها التصوف والزهد، والمدائح النبوية... إلخ من الأغراض الفنية. وإلى جانب ذلك فقد نظم في بحر الرجز مواضيع: تاريخية وعلمية والطبية وسياسية وغيره. ولم يتناسى ما ابتكره أهل بلده الأندلس من مخمسات، وأزجال، وتواشيح؛ إذ أبحر في بحار الزجل الشعبي المؤثر، ورمى بدلوه في المبتكرات المتنوعة؛ فاستخرج العجب العجائب. وعليه؛ فيمكن القول: أن ابن الخطيب احتل المركز الأول في المطولات والمقطوعات والأزجال

والموشحات؛ فقد تربع على عرش الجودة في ميادين
الإبداع الأدبي؛ فهو صاحب الموشح الذائع الصيت
القائل:

جادك الغيث إذا الغيث هما
يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما
في الكرى أو خلسة المختلس

إذ يقود الدهر أشتات المنى
ينقل الخطو على ما يرسم
زمرأ بين فرادا وثنا
مثلما يدعو الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا
فتغور الزهر منه تبسم

وروى النعمان عن ماء السما
كيف يروي مالك عن أنس

فكساه الحسن ثوبا معلما
يزدهي منه بأبهى ملبس

وهذا الموشح طويل ؛ نقله ابن خلدون في مقدمته
كاملاً ؛ كما نقله بالكامل - أيضاً - المقرئ في كتاب نفح
الطيب¹.

وأشار محمد عبد الله عنان - في تقديمه لكتاب
الإحاطة - إلى الأثر الحميد الذي تركه أدب لسان الدين
محمد بن الخطيب لدى النقاد الغربيين ؛ واستشهد بآراء
بعض المستشرقين ؛ مثل: مورينو نيتو **Moreno Nieto**
الذي قال عن ابن الخطيب: ((لا يوجد في تاريخ غرناطة
الأدبي ؛ ما يمكن أن يقارن بهذا الكاتب الخصب ؛ فقد
كانت معارفه العلمية عظيمة ؛ وقلما حظي أسلوب كاتب
مثله ؛ بما حظي به أسلوبه ؛ من البلاغة والرشاقة ؛ حسبما
يقول ابن خلدون. وقد برع بالأخص في علم السياسة وفي

¹ أنظر المقدمة، ج: 4، ص ص: 1456 - 1459. ونفح الطيب، مج: 7، ص
ص: 11 - 14.

التاريخ. وقد شهد حوادث تاريخية ؛ لعب فيها دوراً كبيراً. وكان - مدى أعوام طويلة - أميناً ومستشاراً للملك ؛ قابل خدماته بجحود مطبق)). ((وإن تاريخ غرناطة - حتى عصره - ليعرف بالأخص من مؤلفاته ؛ بطريقة أتم وأكمل من أي عصر آخر من تاريخ الأندلس)). ((ويعتبر تاريخه للدولة النصرية، وكتابه الإحاطة - دائماً - بين أعجب آثار الأدب الإسلامي)). ((ومنذ وفاة ابن الخطيب ؛ يخبو وينهار صرح العلوم في الأندلس)).

أما المستشرق سيمونيت **Simonet** ؛ فيصف ابن الخطيب بكونه: ((أمير الأدب الأندلسي الغرناطي))؛ ويقول أنه عالم وفيلسوف ومستشار ملك غرناطة ؛ وأن شهرته وصلت إلى بلاط قشتالة ؛ حيث كان يعرف باسم **بابن خطين Benhatin**. ثم يضيف: ((أن ابن الخطيب قد ترك لنا آثاراً كثيرة ؛ في: النثر، والشعر، والتاريخ، والجغرافيا والرحلات، والبلاغة، والشريعة، والعلوم، والأخلاق، والدين، والنبات، والطب، والبيطرة،

والموسيقى، والفن الحربي، والسياسة؛ وكلها غنية في الابتكار والتعمق والرشاقة)).

وخص المستشرق كونثال بالنسيا G. Palencia ابن الخطيب بترجمة جيدة في الكتاب الذي عنوانه بتاريخ الأدب العربي الإسباني. قال في تلك الترجمة: ((إن تاريخ القرن الرابع عشر يبلغ الذروة بإسمين عظيمين؛ هما: ابن الخطيب؛ المؤرخ الأنيق، والسياسي والأديب، وابن خلدون منشئ فلسفة التاريخ)). ويضيف: ((إن سائر الكتب - في هذا القرن - تبهرها شخصية لسان الدين ابن الخطيب العظيمة وابن لوثة. وقد تعلم في غرناطة، وأبدى شغفاً كبيراً بالعلوم الطبية، والفلسفية؛ التي تلقاها عن الطبيب الشهير يحيى بن هذيل. وقد برع في الشعر، وترجع فوق دست الآداب العربية)).

- مؤلفات ابن الخطيب :

يمكن القول أن لسان الدين خلق للكتابة والكتابة خلقت له. فقليل هم الذين تميزوا بهذه العطية الإلهية ؛ وليس كثيراً - بين الكتاب - من كانت لهم هذه الغزارة في الإنتاج مع الجودة والإتقان وفي الإبداع. فإن خاض في عباب النثر شق طريقة ببراعة متناهية، وسبق غيره في الوصول إلى الغرض المتوخى. وإن حلق في أجواء النظم توغل في فضائه واستحوذ على فنون الخيال والعاطفة المتناهية الروعة.

لقد احتل ابن الخطيب المركز الأول بين شعراء وكتاب الأندلس في عصره ؛ ولم يجاريه أي كاتب، ولم يسبق قلمه قلم. فعلى الرغم من انشغالاته الوظيفية والسياسية، وأعباء الحكم، وتسيير شئون الدولة النصرية ؛ فإنه تمكن من أنجاز عشرات الكتب والرسائل ؛ يصل عددها - كما قال المقرئ - إلى الستين مؤلفاً¹ ؛ وربما أكثر؛ عالج فيها شتى الأساليب الأدبية: نثراً ونظماً؛ كما تناول

¹ نفح الطيب، ج: 7، ص: 97.

فيها أيضاً مختلف ميادين العلم والمعرفة ؛ مثل : الأدب ،
والتاريخ ، والجغرافيا ، والتصوف ، والأخلاق ، والسياسة ،
والطب ، والصيدلة ، والبيطرة ، والبيزرة ، وعلوم الدين
والشريعة ، والموسيقى ، والفلاحة .. إلخ. ومن مؤلفاته التي
وصلت إلينا ، أو التي عرفت عناوينها وظلت مفقودة :

1 - كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة : ويعتبر - حتى الآن -
هذا الكتاب أهم ما ألف ابن الخطيب ؛ لما يشتمل عليه من
معلومات حول الأندلس خصوصاً وبلاد المغرب عموماً.
فهو عبارة عن موسوعة ضخمة تدرس جوانب عديدة في
بلاد الأندلس ومدينة غرناطة.

ولكتاب الإحاطة عناوين عديدة ؛ لا يعلم أحد إن
كان تغيير العناوين تم بواسطة المؤلف نفسه ، أو نتيجة
لتصرف الناسخين ؛ ومن تلك العناوين : ((الإحاطة في
أخبار غرناطة)) ، و((الإحاطة في تاريخ غرناطة)) ،
و((الإحاطة بتاريخ غرناطة)) ، و((الإحاطة بما تيسر من
تاريخ غرناطة)) . و((تاريخ غرناطة)) ، وربما ((الإحاطة عن
وجه الإحاطة فيما أمكن من تاريخ غرناطة)) . وقال مرة

أنه صنف الإحاطة في سبعة أسفار¹، ومرة قال أنه صنفها في تسعة أسفار². ومرة ثالثة قال أنها في اثني عشر سفرًا³. كما وردت إشارات عديدة إلى أن ما وصل إلينا هو مختصر لكتاب الإحاطة؛ وليس الكتاب بكامله.

ويبدو أن هذا الكتاب حظي بسعة الانتشار منذ القدم؛ ويدل على ذلك تواجد نسخ مخطوطة منه في جهات عديدة من البلدان؛ موزعين على مكتبات عامة وخاصة. ومع ذلك؛ لم يجد من ينفذ عنه غبار الزمن - في عصرنا - سوى الأستاذ الجليل، والباحث القدير محمد عبد الله عنان. لقد استخرج هذا الأستاذ الباحث العظيم كنوز هذا الكتاب، وللمها بعد تفرقها، ونظمها في عقد واحد؛ مرصع بدرر الماضي البهيج. لقد جمع شتات الكتاب من مكتبات عديدة في تونس والمغرب الأقصى وإسبانيا؛ ثم نسق معلوماته ضمن مجموعة واحدة كاملة؛ قدمها إلى القراء على طبق من ذهب.

¹ ريحانة الكتاب؛ الجزء الثاني.

² الإحاطة؛ المجلد الرابع.

³ ريحانة الكتاب؛ الجزء الأول.

وقام - في لبنان - الدكتور يوسف علي طويل بمراجعة كتاب **عنان** وضبطه والتعليق عليه ؛ ونشره دون أن يشير إلى سلفه بشيء يذكر.

وعليه ؛ سينشر - بعون الله - هذا الكتاب برعاية وزارة الثقافة **الجزائرية** ؛ في نسخة جديدة ؛ بتعليق ومراجعة صاحب هذه المقدمة.

وقد اتضح أن هذا الكتاب ؛ يحتاج إلى صقل وبلورة ؛ حتى يقدم - من جديد - في ثوب مغاير ومشرق يساير الحداثة ؛ بحيث يبعث في القارئ نفحة التشويق ؛ كي يتغلب على ما يبدو فيه من صعوبة في الأسلوب الأدبي ، وما قد يبدو فيه من غريب الألفاظ والصياغة. خاصة ؛ وأن كتاباً كهذا لا يمكن الاستغناء عنه ، ولا يمكن تجاهله في السعي لتربية وتعليم النشء الحالي.

وكتاب الإحاطة يتناول فيه ابن الخطيب وصف جغرافية **غرناطة** ، والتعريف بمعالمها الطبيعية والعمرانية ، ومواردها الفلاحية والاقتصادية ، ومروجها الفياحة الغنية ، وبساتينها المثمرة الخضراء ، وأنهارها الفيضة ، ومياهها

الرقاقة، وجبالها الثلجية الشاهقة، وخطط أحياء المدينة المتماسكة الجميلة، وقصبتها الحصينة الآمنة. ثم يتطرق لأخبارها السالفة وتاريخ نشأتها، ويشير إلى ماضيها، وحاضرها في زمنه، وأحوال سكانها منذ تأسيسها. وبعدها يتكلم عن المدن والقرى المحيطة بـ **غرناطة**؛ والمدن التابعة لتلك المملكة؛ مع قياسها بخط العرض جغرافياً، ومقابلتها بمدن العالم آنذاك. ولا يغفل عن أي كبيرة أو صغيرة إلا ويذكرها؛ حتى الحشائش والأعشاب البرية يتكلم عنها ويصفها. كما أنه وضع قائمة بأسماء القبائل العربية والأمازيغية المتواجدة في **غرناطة** ومحيطها.

كل هذا سجله ابن الخطيب في القسم الأول؛ ضمن باب سمّاه: ((في حُلِّي المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن)). وهو مقسم إلى فصول عديدة.

أما القسم الثاني من الإحاطة؛ فعنوانه: ((في حُلِّي الزائر والقاطن والمتحرك والساكن)). وفي هذا القسم يشرع لسان الدين في التعريف بعدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء والأعيان والأمراء والملوك الذين مروا بـ **غرناطة** أو

سكنوها. هذا ؛ وقد وصلت تراجم الشخصيات المذكورة في الإحاطة ؛ زهاء خمسمائة ترجمة ؛ مشتملة على معلومات بخصوص أصولهم وأولوياتهم ، وحالتهم ، وشيوخهم وتلاميذهم ، ومؤلفاتهم ، وشعرهم ، ونثرهم ، وتاريخ دخولهم وتواجدهم بغرناطة ، وحتى المحنة التي تعرضوا إليها إن حصلت.

ويشير ابن الخطيب في هذا الكتاب - أيضاً أثناء تراجم سلاطين غرناطة - إلى الملوك المعاصرين لهم في : قشتالة وأراغون ، وفاس وتلمسان وإفريقية. وقد حاول أن يلتزم في ترتيب التراجم أبجدياً حسب ما يرتب عليه القاموس ؛ ولكنه لم يلتزم الدقة المطلوبة.

وقد استعان لسان الدين في تأليف الإحاطة بمجموعة كبيرة من المراجع التاريخية والأدبية ؛ التي ذَكَرَ بعضها في بداية الكتاب ، وأشار إلى بعضها الآخر الواردة في نصوص مختلفة. منها: كتاب افتتاح الأندلس لأبي بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية ، وكتابا أحمد بن محمد بن موسى الرازي: أخبار ملوك الأندلس ، والاستيعاب في

أنساب أهل الأندلس، والمقتبس في أنباء أهل الأندلس لأبي مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان، وقلائد العقيان في محاسن الأعيان للفتح بن محمد الإشبيلي المعروف بابن خاقان، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، وتاريخ مالقة لأبي عبد الله بن عسكر، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري محمد المراكشي، والأنيس المطرب بروض القرطاس لعلي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي، والأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية لأبي بكر الصيرفي الشهير بابن الصيرفي، وتاريخ علماء البيرة لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحي، وتاريخ قومه وقرابته لأبي جعفر أحمد بن مسعدة، والقدر المعلن في التاريخ المحلى، والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد لأبي الحسن علي بن سعيد الأندلسي، والحلة سيرة في أشعار الأمراء لأبي عبد الله محمد بن الأبار، وكتاب الصلة لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال، وكتاب صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن الزبير، وكتاب

الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي.

على أن أهم محرك قد يكون أنهض همة ابن الخطيب، وأثار رغبته إلى تأليف كتاب الإحاطة؛ هو أبو عبد الله محمد بن جزي الغرناطي¹؛ الذي شرع في كتابة كتاب عن تاريخ غرناطة؛ ولكنه لم يكمله إذ توفي قبل إكمال عمله. وقد ذكره ابن الخطيب في ترجمته؛ فقال: أنه اطلع على ما كتبه ابن جزي، وأعجبه: ((أخبرني عند لقائه إياي بمدينة فاس في غرض رسالة عام خمس وخمسين وسبعماية؛ أنه شرع في تأليف تاريخ غرناطة؛ ذاهباً هذا المذهب الذي انتدبت إليه؛ ووقفت على أجزاء منه تشهد باضطراره. وقيد بخطه من الأجزاء الحديثة والفوايد والأشعار ما يفوت الوصف، ويفوق الحد))².

تلك هي مصادره ومراجعها كلها؛ بالإضافة إلى مؤلفاته الخاصة؛ مثل: عائد الصلة، وطرفة العصر في دولة بني نصر، واللمحة البدرية في الدولة النصرية،

¹ انظر نفح الطيب، ج: 7، ص: 107. نقلاً عن ابن الأحمر.

² الإحاطة؛ تحقيق عنان؛ مج: 2، ص: 257.

ونفاضة الجراب في علالة الاغتراب، والكتيبة الكامنة في
من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، والتاج المحلى
في مساجلة القدح المعلى، وغيره من الأعمال المختلفة التي
يشير إليها بين الحين والآخر في صلب الكتاب.

أما تاريخ الشروع في تأليف الإحاطة؛ فيبدو أنه بدأه
في أوائله قبل سنة 761هـ/1359م؛ السنة التي خلع فيها
سلطانه محمد الغني بالله؛ حيث عزل بعده؛ وسجن؛ ثم
أطلق سراحه بشفاعة السلطان المريني أبي سالم؛ أين
التحق بالمغرب. وبعد عودته إلى الخدمة سنة 763هـ/1361م؛
حين استعاد السلطان الغني بالله الحكم في غرناطة؛ شرع في
استكمال مشروعه العلمي؛ المتمثل في كتاب الإحاطة؛
حيث ختمه - مبدئياً - في سنة 769هـ/1367م. وهذا ما أكدته
بنفسه في رسالة بعث بها لصديقه ابن خلدون؛ في 2
جمادى الأولى من عام 769هـ؛ حيث ذكر له أنه ألف
كتاب روضة التعريف بالحب الشريف، وكتاب ((تاريخ
غرناطة))؛ وأرسلهما إلى المشرق مع تأليف أخرى له¹.

¹ التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ص: 121.

ومع هذا، فقد ظل ابن الخطيب يراجع وينقح الإحاطة بين الحين والآخر؛ إلى سنة 772هـ/1370م. وأول ما يستحق الملاحظة؛ أن العنوان لم يعد ((تاريخ غرناطة)) كما ذكر لابن خلدون؛ إذ أصبح ((الإحاطة بتاريخ غرناطة))، أو ((الإحاطة في أخبار غرناطة))، وغيره.

والأمر الثاني؛ أنه أورد تواريخ متقدمة عن التاريخ الأول المذكور في بعض التراجم؛ التي يبدو أنه أضافها أو نقحها. مثل قوله: ((وهو الآن بقيد الحياة؛ وذلك ثاني عشر شعبان سنة سبعين وسبعمائة))؛ وهذا في الترجمة الخاصة بأحمد بن خاتمة. كما يقول واصفاً الحالة التي عليها جيش المسلمين في عهد الغني بالله؛ قائلاً أنهم واصلوا زحفهم نحو إشبيلية؛ وذلك في ربيع الأول من سنة 771هـ/1369م.

2 - كتاب إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام: وله عنوان آخر هو: كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام.

والنسخ المخطوطة من هذا الكتاب موجودة في عدد من المكتبات ؛ بالمغرب الأقصى ، والجزائر ، ومدير. قام المستشرق ليفي برونسفال بنشر الجزء الثاني ؛ المخصص للأندلس. كما تولى تحقيق ونشر الجزء الخاص بشمال إفريقيا: أحمد العبادي ومحمد الكتاني في الدار البيضاء ؛ غير أنهما لم يطلعا على مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية ، واكتفيا بمخطوط الخزانة العامة بالرباط. أما مخطوط الجزائر فقد حققه الدكتور الشريف مريعي ؛ الأستاذ بالجامعة الجزائرية ؛ وسينشر ضمن هذه السلسلة. أما الجزء الأول المخصص للمشرق ؛ فقد بقي مدة طويلة ؛ على رفوف الإهمال ؛ إلى أن قام السيد كسروي بتحقيق الجزء الأول ؛ المتعلق بتاريخ المشرق الإسلامي ، والجزء الثاني الخاص بتاريخ إسبانية ؛ وطبعهما في جزأين. وقد تكفل - بعون الله - الدكتور لعبيدي بوعبد الله من جامعة البليدة بالجزائر بتحقيق الأقسام الخاصة بالمشرق والأندلس بالكامل ؛ وستنشر ضمن هذه السلسلة ؛ في ثلاثة أجزاء.

والغريب أن بعض دور النشر - في المشرق - قامت بطبع
الجزأين الأولين: (الخاص بالمشرق، والخاص بالأندلس)
من كتاب إعمال الأعلام؛ في طبعة تجارية: ونسبت تأليفه
- خطأ - إلى ابن سعيد الأندلسي. حيث ذكر في صفحة
العنوان ما يلي: ((أعمال الأعلام فيمن بويع قبل
الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام
2/1 جزء. المؤلف ابن سعيد الغرناطي الأندلسي. الناشر دار
الكتب العلمية. سنة النشر 2003)). وهذا بعيد عن
الصحة، ويفتقر للتحقيق والدقة.

يمكن اعتبار كتاب إعمال الأعلام في المرتبة الثانية -
بعد كتاب الإحاطة - من سلسلة الكتب التاريخية للسان
الدين. كما يعتبر آخر العنقود من مؤلفاته كلها. كتبه في
المغرب في أخريات أيامه؛ عندما كان لاجئاً بتلك الديار.
وتأليف هذا الكتاب لم يكن نتيجة لدافع ذاتي من
ابن الخطيب؛ بل تم ذلك بتكليف من الوزير المستبد
بالدولة المرينية أبي بكر بن غازي بن الكاس.

حدث ذلك حين أراد الوزير المذكور تنصيب أبي زيان محمد ابن السلطان عبد العزيز؛ بعد وفاته؛ في سدة الحكم؛ وكان صبيّاً؛ لم يبلغ الحلم بعد؛ فاعترض أعيان الدولة على ذلك؛ بحجة أنه صغير السن. فسأل ابن غازي ابن الخطيب؛ إن كان ذلك قد حدث في دول الإسلام؛ فقال له؛ نعم حدث الكثير منه.

ومنئذ؛ شرع في جمع المادة التاريخية المؤيدة لرأيه هذا. فوجد أنه أضحى كتاباً تاريخياً شاملاً؛ فاستمر في كتابته على ذلك المنوال؛ ولكنه توسع في سرد أحداث لا علاقة لها بالعنوان في بدايته؛ لذا عمل على إضافة عبارة ((وما يتعلق بذلك من الكلام))؛ ليصبح تاريخاً عاماً.

عندئذ؛ انساق إلى تصنيفه على فترات زمنية ومكانية معينة. فخصص الجزء الأول لأحداث المشرق الإسلامي؛ انطلاقاً من السيرة النبوية، ثم الجزء الثاني؛ الذي يتناول الأحداث التاريخية الجارية في الأندلس؛ بدءاً بقيام الدولة الأموية في تلك الديار؛ إلى عهد الغني بالله سلطان الدولة النصرية بغرناطة، أما الجزء الثالث؛ فيبحث في تاريخ

الدول القائمة ببلاد إفريقيا الشمالية ؛ ولكنه لم يكتمل ؛ بسبب ما حدث له ، ووفاته ؛ إذ انتهى به الحال ؛ عند سقوط دولة المرابطين وظهور بواذر الدولة الموحدية.

3 - كتاب اللوحة البدرية في الدولة النصرية: توجد نسخ مخطوطة من هذا الكتاب في خزائن المغرب وإسبانيا وبريطانيا. وهذا الكتاب عبارة عن ملخص لتاريخ دولة بني الأحمر النصرية. بدءاً بقيامها على يد أبي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس ابن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري ؛ وحتى عهد محمد الغني بالله ؛ وبالتحديد إلى سنة 765هـ/1363م.

وجد هذا الكتاب - مؤخراً - بعض العناية من قبل المهتمين بتاريخ الأندلس ؛ إذ نشر مرات عديدة في طبعات تجارية ؛ كما وجد من يحققه وينشره ؛ مثل : الأستاذ محب الدين الخطيب ، والدكتور محمد زينهم ، وغيرهما.

وأخيراً ؛ قام الأستاذ محمد شايب شريف - من الجزائر - بضبط وتقديم ومراجعة كتاب اللوحة البدرية ، وسينشر - إن شاء الله - ضمن هذه السلسلة.

والمهم؛ في هذا الكتاب أيضاً؛ أنه يؤرخ لمدينة
غرناطة؛ إذ يتكلم عن أوليتها وتاريخ نشأتها، والملوك
والأمراء الذين عاشوا فيها؛ والتنوع السكاني الذي تتميز
به، ثم مواردها الاقتصادية والفلاحية، وسهولها الفياحة،
ومروجها الخضراء، وجبالها وأنهارها وثرواتها وأرباضها..
إلخ.

4- كتاب رقم الحلل في نظم الدول: النسخ المخطوطة لهذا
الكتاب موزعة بين دول عديدة؛ منها: المغرب الأقصى،
وتونس، ومصر، وبريطانيا، وإسبانيا. ولهذا الكتاب
عناوين أخرى؛ منها: ((الحلل المرقومة))، ((قطع
السلوك))؛ ولا يعرف من تصرف في هذه الأسماء.

وقد تم طبع قسم من هذا الكتاب - دون تحقيق - في
تونس سنة 1316هـ/1898م. كما أعيد نشره - هكذا في طبعة
تجارية - بلبنان. وتولى - في الجزائر - الأستاذ مصطفى فرحات
بضبط وتقديم ومراجعة هذا الكتاب. وسينشر - بعون الله
ضمن هذه العمل.

وهذا الكتاب عبارة عن تسجيل للأحداث التاريخية ؛ منظومة في بحر الزجل ؛ انطلاقاً بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الدولة الأموية فالدولة العباسية. وبعدها انتقل إلى ملوك المغرب والأندلس؛ بدءاً ببني الأغلب، ثم الفاطميين، وبني أمية بالأندلس، فملوك الطوائف بتلك الديار، ثم انتقل إلى المرابطين، فالموحدين، وبعدها تكلم عن بني أبي حفص بإفريقية، فبني زيان بتلمسان، ثم بني مرين بفاس، فبني الأحمر بغرناطة.

ولم يكتف ابن الخطيب بما قدمه من منظوم لتلك الأحداث ؛ بل قام بشرح كل فصل نثراً ؛ حتى يتسنى للناس كافة ؛ استيعاب محتوى الكتاب.

5 - نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: ألف ابن الخطيب هذا الكتاب في أجزاء ثلاثة ؛ وربما أربعة حسب بعض الأقوال. ومع هذا ؛ لم يصلنا منه سوى جزأين: الثاني والثالث ؛ بينما ظل ما تبقى مفقوداً. لعل الأيام تكشف أحواله.

أما النسخ المعروفة؛ فتتواجد في المغرب الأقصى وإسبانيا؛ حيث تمتلك مكتبة الإسكوريال نسخة مخطوطة فريدة من الجزء الثاني؛ مسجلة تحت رقم: 1750 الغزيري (1775 ديرنبور). ومن حسن الحظ؛ أن الدكتور أحمد مختار العبادي؛ استخرج هذا الجزء، وحققه، ونشره في القاهرة سنة 1969م. وقد قام - من الجزائر - الأستاذ عبد الرحمن حامادو بضبط ومراجعة وتقديم هذا الكتاب؛ الذي سينشر ضمن هذا العمل.

ويمكن اعتبار كتاب نفاضة الجراب كمذكرات خاصة؛ كتبها ابن الخطيب؛ أثناء إقامته بالمغرب الأقصى؛ إذ يتناول الجزء الثاني من هذا الكتاب؛ معلومات حول الرحلة التي قام بها ابن الخطيب في بعض عمالات المغرب الأقصى، كما سجل فيه أخباره خلال إقامته في مدينة سلا؛ بالإضافة إلى بعض الرسائل التي بعثها ابن الخطيب إلى السلطان أبي سالم المريني؛ مع بعض القصائد والرسائل الأخرى متنوعة؛ كما أشار إلى ما ألفه من كتب في تلك الفترة.

ذلك هو الجزء الثاني ؛ أما الجزء الثالث ؛ فتوجد منه نسخة فريدة أيضاً في الخزانة العامة بالرباط ؛ مسجلة تحت رقم: 256 ك (المكتبة الكتانية). وهذا الجزء ؛ يتناول فيه ابن الخطيب أخبار عودته إلى الأندلس ؛ وما قام به السلطان الغني بالله ؛ في سبيل استرجاع ملكه انطلاقاً من مدينة رنـدة. كما أثبت ابن الخطيب - في الجزء الثالث هذا - بعض الرسائل التي كتبها على لسان السلطان الغني بالله ؛ موجهة إلى بعض السلاطين ؛ منها رسالة إلى سلطان مصر المنصور بن الناصر قلاوون ؛ بالإضافة إلى رسائل آخر خاصة به. ورسالة من صديقه ابن خاتمة ؛ ينصحه فيها بالصبر، وعدم ترك غرناطة.

6 - **خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف** : توجد من هذه الرسالة نسخة مخطوطة في الإسكوريال مع المخطوط رقم: 470 الغزيري. كما توجد نسخة أخرى في الخزانة العامة بالرباط. وهي عبارة عن معلومات حول رحلة تفقدية ؛ قام بها السلطان أبي الحجاج إلى بعض مدن المملكة ؛ سجلها ابن الخطيب سنة 748هـ/1347م ؛ بأسلوب السجع ؛ ولكنه

يتميز بالخفة والجزالة معاً. وهي موجودة ضمن كتاب "ريحانة الكتاب"؛ كما وردت قطعة منها في الإحاطة. وقد نشرها كاملة المستشرق الألماني ميللر Muller؛ بميونخ سنة 1866م ضمن كتاب له عنوانه: نخب من تاريخ المغرب العربي؛ جمع معه - من كتب ابن الخطيب - كتاب مفاخرة مالقة وسلا، وكتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار. وفي سنة 1958م أعاد أحمد مختار العبادي - في الإسكندرية - نشر رسالة خطرة الطيف - مع رسائل أخرى - ضمن كتاب عنوانه: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس. وستنشر هذه الرسالة - الآن - ضمن هذا العمل؛ في مجلد رسائل ابن الخطيب؛ بعناية الأستاذ عبد الرحمن دويب.

7 - ريحانة الكتاب ونجعة المتاب: لهذا الكتاب نسخ مخطوطة عديدة في مكتبات مختلفة بالمغرب الأقصى، والجزائر، وتونس، ومصر، وإسبانيا، والفاتيكان، والسويد. وقد نشر المستشرق الإسباني جيسبار ريميرو رسائل ثلاث؛ نقلها من ريحانة الكتاب؛ مقرونة بترجمة

إسبانية. وقام الأستاذ محمد عبد الله عنان بتحقيق هذا الكتاب سنة 1980م حيث نشره بالقاهرة. وقدمه للقراء في جزأين اثنتين. وسينشر مرة أخرى؛ ضمن هذه السلسلة بعناية الأستاذ عبد الرحمن دويب من الجزائر. ويعالج هذا الكتاب جوانب عديدة؛ منها: رسائل وخطابات موجهة إلى الملوك والأعيان؛ منهم من المسلمين ومن النصاري، كما أشار ابن الخطيب في ريحانة الكتاب إلى بعض مؤلفاته؛ مع إثبات مقدمات منها؛ مثل: بستان الدول، وجيش التوشيح، والإكليل الزاهر، والإحاطة، وكتاب الطب، وروضة التعريف بالحب الشريف، واستنزال اللطف الموجود في أسرار الوجود؛ وبعدها ينتقل إلى أبواب في التحميدات، والفتوحات الواقعة، والمرافعات التابعة، وكتب الشكر على الهدايا، وكتب التهاني.. إلخ. ثم مجموعة من رسائل الإخوانيات، وظهائر الأمراء، ومخاطبات الرعية والنواحي، ورسائل في الأصدقاء والقضاة، وكتب الدعابة والفكاهات، وبعد ذلك المقامات. ثم يخلص إلى الحديث عن بعض كتبه الأخرى؛ مثل:

كتاب خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف، وكتاب معيار الاختيار، ورسالة السياسة، وكتاب الإشارة في أدب الوزارة والسياسة، وكتاب مفاخرة بين مالقة وسلا.

8 - الكتيبة الكامنة فيمن لقيته بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: لهذا الكتاب نسخ عديدة مخطوطة في المغرب الأقصى وإسبانيا، ومصر. وله عناوين أخرى؛ منها: ((الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة)). و((الكتيبة الكامنة في أهل المائة الثامنة))، و((الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة))، و((الكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة)). ولا يعرف من تصرف في تغيير العنوان. وقد قام الدكتور إحسان عباس؛ بتحقيق ونشر هذا الكتاب في بيروت سنة 1963م. وفي الجزائر؛ تولى الأستاذ محمد شايب شريف بالتقديم له وضبطه ومراجعته والتعليق عليه؛ وسينشر ضمن هذه السلسلة. يشتمل هذا الكتاب على تراجم متنوعة لعدد من الشعراء، والخطباء، والفقهاء، والمقربين، والكتاب الذين عاصروه؛ عاملاً على الاستشهاد بما أنتجوه من شعر ونثر. وكتب ابن

الخطيب تأليفه هذا ؛ بينما كان مقيماً في تلمسان ؛ لاجئاً ،
وفي ضيافة السلطان أبي فارس عبد العزيز المريني ؛ الذي
استولى عليها في تلك الفترة. وبما أنه نوى التوجه إلى الديار
المقدسة بغرض الحج ؛ فقد بقي في انتظار مركب الحج ؛
لكي يرافقه. وفي أثناء ذلك انكب على تأليف كتاب الكتيبة
الكامنة ؛ لكي يأخذه معه إلى المشرق ؛ ليقدمه هدية لمن
يستحقه. ومجمل التراجم المثبتة في كتاب الكتيبة الكامنة
وصل إلى حدود المائة وثلاثة ترجمة. وقسم هذا الكتاب إلى
أربعة أقسام ؛ كل قسم بطبقة :

الأولى : طبقة الخطباء والمتصوفة.

والثانية : طبقة المقرئين والمدرسين.

والثالثة : الكتاب والشعراء.

والرابعة : طبقة القضاة.

9 - الصيب والجهم والماضي والكهام : هذا هو ديوان ابن
الخطيب ؛ ولكنه لا يتضمن شعره بالكامل. ويقول ابن
الخطيب أن ديوانه صنف أساساً ضمن جزأين ؛ ومع هذا
فالنسخ المتواجدة هنا وهناك ليست متشابهة في المحتوى.

وكان ديوانه الأول الذي ضاع يسمى ((الحالي والعاطل والمسعف والماطل)). ويبدو أنه أضاع ديواناً آخر مع هذا. ولما عاد إلى غرناطة - عقب محنته الأولى - لملم ما وجد من شعره المتناثر؛ وجمعه في ديوان أعطاه اسم: ((الصيب والجهم والماضي والكهام))؛ الذي وقف به عند سنة 748هـ/1347م. ثم شاءت الظروف أن يستكمل مادته؛ بحيث وصل به إلى سنة 770هـ/1338م. قام الدكتور محمد الشريف قاهر بتحقيق ديوان الصيب والجهم والماضي والكهام؛ ونشره عن طريق الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 1973م.

10 - روضة التعريف بالحب الشريف: هذا الكتاب يتناول موضوع التصوف؛ وقد برع ابن الخطيب في معالجة المحبة الإلهية؛ بشكل يذهل القارئ من قدرات مؤلفه وتمكنه في مختلف الميادين العلمية. فهيها هو يخوض في عباب التصوف المتلاطم وينجح في الإبحار والتجديف فيه؛ رغم بعده عن صلب اهتماماته. لقد تخيل موضوعه في شكل روضة بأرضها الخصبة، وأشجارها الباسقة، وأغصانها المتشابكة،

وثمارها الشهية. فالتربة الطيبة ينبت فيها كل طيب كريم، والأشجار الياقة تخرج أغصاناً بهيجة، وعنهما تولد الثمار الطيبة الزكية. أما وضع هذا الكتاب وتأليفه؛ فقد تم بطلب من السلطان الغني بالله. وحدث ذلك نتيجة لانتشار كتاب ديوان الصبابة للأديب الصوفي أبي العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن أبي حجلة التلمساني (725هـ). وكان يناهض دعاة فكرة الوحدة؛ خاصة ابن الفارض. فالتزم ابن الخطيب بمعارضته والرد عله. ولهذا ألف ابن الخطيب كتابه الذي سماه: روضة التعريف بالحب الشريف. وفي هذا الموضوع كتب ابن الخطيب إلى صديقه ابن خلدون يقول: ((أن كتاباً رفع إلى السلطان في المحبة¹؛ من تصنيف ابن أبي حجلة؛ من الشارقة؛ أشار الأصحاب بمعارضته؛ فعارضته؛ وجعلت الموضوع أشرف؛ وهو مَحَبَّةُ الله؛ فجاء كتاباً؛ ادعى الأصحاب غرابته؛ وقد وجه إلى المشرق صحبة كتاب ((تاريخ غرناطة))، وغيره من تألّفي. وتُعرَّفَ تحييسُهُ بخنقاه سعيد

¹ يقصد كتاب ديوان الصبابة.

السعداء¹ من مصر؛ واثال الناس عليه؛ وهو في لطافة
الأغراض؛ يتكلف أغراض المشاركة؛ من ملحه:
سلمت لمصر في الهوى من بلد
يهديه هواؤه لدى استنشاقه
من ينكر دعواي فقل عني له
تكفي امرأة العزيز من عشاقه
والله يرزق الإعانة في انتساخه وتوجيهه².

ومن المضحكات المبكيات؛ أن يكون السلطان الذي
أمر بكتابة روضة التعريف؛ هو نفسه الذي تبني الحملة
الجائرة التي اتهم فيها ابن الخطيب بالزندقة؛ بسب ما
ادعي: أنه تطرق فيه إلى الممنوعات والمحظورات. مع أن
الكتاب - في الحقيقة - يخلو من أي شائبة؛ يمكن أن تلصق
بابن الخطيب. ومع ذلك؛ لا سبيل للوقوف أمام تعسف

¹ الخانكاه، والخانكة: عبارة عن موضع يسكن فيه المتصوفة الذين
يفضلون العزلة بغرض العبادة. وسعيد السعداء هو لقب للأستاذ عنبير أو
قنبر؛ خادم من خدام الدولة الفاطمية؛ وكان الخانكة هذا داره سابقاً؛ ثم
حولها صلاح الدين الأيوبي سنة 569هـ/ إلى ملجأ للفقراء من الصوفية
الأغراب؛ ثم خصص له أوقافاً؛ ومنذئذ أصبح يعرف أيضاً بالخانقاه الصالحية.
² التعريف بابن خلدون وحلته غرباً وشرقاً؛ ص ص: 120 - 121.

الحكام والسلاطين. فإن أرادوا شيئاً وصلوا إليه ؛ ولو بواسطة بالظلم والتعسف.

وقد قام أخيراً الأستاذ عبد القادر عطا بتحقيق روضة التعريف بالحب الشريف ونشره في القاهرة سنة 1968م. كما نشره الأستاذ محمد الكتاني ؛ بشكل أكثر دقة وجودة، وأعمق من حيث المنهج العلمي ؛ وذلك في سنة 1970م. وقد تولى - في الجزائر - الأستاذ حسين سعدودي بضبطه ومراجعته والتقديم له ؛ وسينشر - بعون الله - ضمن هذا العمل.

11 - جيش التوشيح: هذا الكتاب عبارة عن عينات ونصوص مختارة من الموشحات الأندلسية ؛ بلغ عددها مائة وخمسة وستون موشحاً 165، لعدد من أئمة التوشيح بالأندلس ؛ كبن بقي، وابن اللبانة، والأعمى التطللي، وابن لبون، وأبي بكر السرقسطي، وابن شرف، وآخرين. توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة الزيتونة بتونس ؛ تحولت - في الوقت الحاضر - إلى دار الكتب الوطنية بتونس ؛ مسجلة تحت رقم: 4583. ثم نسخة أخرى

مخطوطة بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب. وقام الأستاذ العراقي هلال ناجي بتحقيق هذا الكتاب وطبعه في تونس سنة: 1967م.

12 - الوصول لحفظ الصحة في الفصول: هذا الكتاب طبي في موضوعه؛ وأكمل ابن الخطيب تأليفه في أواسط سنة 771هـ/1369م؛ بينا كان في غرناطة. توجد منه بعض النسخ المخطوطة بالمغرب الأقصى. بالقرويين، والخزانة العامة، والخزانة الملكية.

13 - استنزال اللطف الموجود في سر الوجود: وهي رسالة في التصوف. ذكر عنان أنه لم يعثر في المكتبات التي عرفها على هذه الرسالة؛ التي تدخل فيما أنتجه ابن الخطيب. إلا أن الدكتور محمد الشريف قاهر ذكر في مقدمة التحقيق الذي أعده للديوان ابن الخطيب الصيب والجهم والماضي والكهام: أنه عثر في المكتبة العامة بتطوان على مخطوط معنون هكذا: ((فصول من كتاب استنزال اللطف الموجود في سر الوجود))؛ لابن الخطيب، وهو مسجل تحت رقم: 353.

14 - مقنعة السائل عن المرض الهائل : وهذه الرسالة ؛ ذات طابع طبي وصحي ؛ تتناول موضوع وباء الطاعون الجارف الذي اجتاح أوروبا والعالم الإسلامي سنة 749هـ/1348م. يذكر ابن الخطيب في هذه الرسالة إلى ظروف ظهور هذا الوباء القاتل، وخطورته، وأعراضه، والاحتياطات الواجبة تجاهه، وسبل الوقاية من شره. توجد نسخة مخطوطة من هذه الرسالة الطبية في الإسكوريال، مسجلة تحت رقم: 1785 الغزيري. ونشرت هذه الرسالة - مع ترجمة لها بالألمانية - في مجلة أكاديمية العلوم البلفارية Akademie Bayerische Wissenschaft سنة 1863م.

15 - معيار الاختيار في أحوال المعاهد والديار: وله اسم آخر هو: ((معيار الاختيار في ذكر المعاهد والآثار)). توجد له نسخ مخطوطة في المغرب الأقصى ؛ واحدة بمكتبة القرويين بفاس، وأخرى بالمكتبة العامة بالرباط، وثالثة بمكتبة الجلاوي. ويتناول هذا الكتاب بعض المدن الأندلسية - والغرناطية على الأخص - بالوصف ؛ بأسلوب مسجع جميل ؛ ثم أضاف إليها - واصفاً - مدن مغربية مثل:

سبّته، وسلا، ومراكش، وفاس. وجد هذا الكتاب بعض العناية؛ إذ نشر المستشرق الإسباني سيمونت **Simonet**؛ قسمه الأول الخاص بمملكة غرناطة، مع ترجمة له للإسبانية بعنوان: *Descripcion del Reino de Granada* (Madrid 1861) bajo las Nazaritas. ثم نشر أحمد اليمني هذا الكتاب بكامله بفاس سنة 1907م. وبعدها نشره أحمد مختار العبادي ضمن عمله المتضمن رسائل ابن الخطيب. والمعنون بـ: ((مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد الأندلس والمغرب)). وقد تكفل - في الجزائر - الأستاذ عبد الرحمن دويب بتقديم وضبط ومراجعة هذه الرسالة؛ التي ستُنشر - بعون الله - ضمن هذه السلسلة.

16 - مفاضلة بين مالقة وسلا: أو المفاخرة بين مالقة وسلا. وموضوع هذه الرسالة؛ يدل عليه عنوان الكتاب: ويبدو أن ابن الخطيب كان يميل إلى وطنه الأصلي؛ إذ رجح كفة بلده مالقة التي هجرها؛ على سلا التي سكنها لاحقاً غريباً. كتب موضوعه بأسلوب مسجع ظريف. كما أنه فضل ضمّها إلى كتابه ريجانة الكتاب ونجعة المنتاب؛ هي

ورسالة معيار الاختيار. ولا تعرف دوافعه في ذلك. المهم أن رسالة المفاضلة - هذه - اهتم بها المستشرق الألماني مللر؛ فنشرها ضمن كتابه السابق الذكر. وستنشر - بحول الله - ضمن مجلد رسائل ابن الخطيب من هذا العمل. وستنشر ضمن هذه السلسلة بعناية الأستاذ عبد الرحمن دويب.

17 - **الخلل المرقومة في اللمع المنظومة**: يشتمل هذا الكتاب على منظومة من ألف بيت؛ تعالج موضع أصول الفقه. وهي عبارة عن تلخيص لكتاب أصول الفقه لأبي إسحاق الشيرازي المتوفي سنة 476هـ/1083م. وقد تولى عبد الرحمن ابن خلدون بشرح هذه الأرجوزة؛ وهذا الشرح تحتفظ به خزانة القرويين.

18 - **في فن العلاج في صنعة الطب**: وهي أرجوزة مكونة من ألف وستمئة بيت؛ تعالج مواضيع طبية والأمراض المختلفة: الكلية منها، والجزئية؛ مع ذكر أسباب الأمراض، وأعراضها، والتدابير المطلوبة للعلاج منها، والوصول إلى العلاج حسب ما تقتضيه أحوالها. سماها **عنان**: أرجوزة في الطب. وقال: أنه لم يجد لها أثراً في

خزائن الكتب. بينما يقول الدكتور محمد الشريف قاهر:
أنه وجد نسخة مخطوطة منها ؛ في الخزانة العامة بالرباط ؛
مسجلة تحت رقم : 322 ؛ وقد عد أبياتها فوجدها : 1531
بيتاً. أول أبياتها :

الحمد لله حق الحمد للذي خلق
من نطفة أجسامنا ومن علق

19 - مثلى الطريقة في ذم الوثيقة : وهي رسالة تتناول
موضوع التوثيق ؛ عارضاً مؤلفها فيها المناقشات التي جرت
بينه وبين أهل تلك الطريقة بالنظم والنثر. كما يشير فيها
إلى المعايير الموصفة لمهنة التوثيق. وتوجد نسخة مخطوطة
من هذه الرسالة في الخزانة العامة بالرباط. وقد قام بنشرها -
في ألمانيا - مع ترجمة لها إلى اللغة الألمانية. كما نشرها أيضاً
الأستاذ عبد الحميد تركي سنة 1969م. وأخيراً ؛ قام
الأستاذ عبد الرحمن دويب بمراجعة هذه الرسالة ؛ التي
ستنشر ضمن مجلد رسائل ابن الخطيب من هذه السلسلة.

20 - كتاب السحر والشعر: هذا الكتاب صنفه وجمعه ابن الخطيب؛ لغرض تعليمي تربوي. ومحتوياته ليست من إبداعه؛ بل هي مجموعة مختارات ومنتخبات أدبية شعرية؛ في أغراض عديدة ك: المديح، والوصف، والحكم، والزهد، والأمثال. أختارها ابن الخطيب لولده عبد الله؛ كي يستوعبها. وهي لعدد من الأدباء: المشارقة والمغاربة؛ ك: ابن نباتة، وأبي إسحاق الصابي، ومهيار الديلمي، وأبي العتاهية، وابن الرومي، والشريف الرضي، والبحتري، والمعري، وسيف الدولة، وابن رشيق، وابن عباد، وابن سهل، وابن عمار، وابن حمدين، وابن صمادح، وابن اللبانة، وابن الجياب، وآخرين. ثم أضاف إليها بعض قصائده هو. توجد من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان في الإسكوريال؛ الأولى تحت رقم: 456 الغزيري، والثانية تحت رقم: 455 الغزيري وهي ناقصة. كما توجد بالخزانة العامة بالرباط نسختان مخطوطتان أيضاً؛ الأولى تحت رقم: 121 د؛ والثانية تحت رقم:

1295 د؛ وفي خزانة القرويين نسخة مخطوطة أخرى؛
نسخت سنة 888هـ/1483م.

21 - رجز في الأغذية: وتسمى أيضاً: ((أرجوزة الأغذية))، أو ((المعتمدة في الأغذية المفردة)). وتتكون من ألف ومائتي بيت؛ رتبها ابن الخطيب على حروف المعجم. تتناول الأرجوزة موضوع الأغذية: طبائعها، فوائدها، مضارها، وإصلاح الخلل فيها..إلخ. ذكر عنان أن نسخة مخطوطة من أرجوزة الأغذية هذه يملكها الأستاذ العابد الفاسي محافظ خزانة القرويين؛ وانتهى ناسخها من كتابتها سنة 1133هـ/1720م.

22 - كناسة الدكان بعد انتقال السكان: يشتمل هذا الكتاب على مجموعة الوثائق السياسية والإدارية؛ كتبها ابن الخطيب نيابة عن السلطان أبي الحجاج يوسف إلى السلطان أبي عنان فارس المريني ملك المغرب؛ كما تضمن الكتاب وثيقة زواج؛ تولى فيها السلطان أبو الحجاج الولاية على أخته؛ التي زوجها إلى القائد أبي الحسن جعفر النصري. وإذا كان هذا الكتاب قد ألف بالأندلس في حياة السلطان

أبي الحجاج ؛ فإن ابن الخطيب اعتنى به وأخرجه إلى النور في سلا ؛ أثناء إقامته بها لاجئاً. توجد نسخة مخطوطة فريدة من هذا الكتاب في الإسكوريال ؛ مسجلة تحت رقم : 1712 الغزيري. وقد تولى تحقيق هذا الكتاب الدكتور محمد كمال شبانة ونشره بالقاهرة سنة 1966م. وقام - في الجزائر - الأستاذ عبد الرحمن دويب بالتقديم لهذه الرسالة والتعليق عليها ؛ وستنشر ضمن مجلد رسائل ابن الخطيب.

23. عمل من طب لمن حب : يعتبر هذا الكتاب ؛ من أهم ما ألف ابن الخطيب في ميدان الطب. وهو مجلد ضخمة ؛ يعالج في موضوعه الطب وعلاج الأمراض ؛ إذ يتناول أمراضاً متعددة ؛ فيذكر: أسباب المرض، وأعراضه، وعلاجه، والنظام الغذائي المناسب لأي مرض، كما يذكر أعضاء الجسم على اختلافها، وكيفية العناية بها. ألف ابن الخطيب كتابه هذا بينما كان مقيماً بفاس سنة 761هـ/1359م. في عهد السلطان المريني أبي سالم إبراهيم ؛ إذ يشيد به في ديباجة الكتاب. توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بخرانة القرويين تحت رقم 607/40 ؛ وهي النسخة

الأصلية التي أهداها ابن الخطيب للسلطان أبي سالم. كما توجد نسخة خطية أخرى بالخزانة الملكية بالرباط؛ تحت رقم: 4777؛ كما ذكر عنان، و3477 حسب قول محمد الشريف قاهر. ثم توجد نسخة مخطوطة ثالثة بالمكتبة الوطنية بمدريد؛ غير أنها ناقصة في آخرها.

24 - بستان الدول: موضوعه نظم الدولة؛ إذ يعالج القضايا السياسية والحربية والقضائية؛ كما يتكلم عن أهل الحرف والمهن المختلفة، والطوائف المتشكل منها الشعب وأصوله. وقد انتظم كل ذلك ضمن شجرات؛ لكل موضوع شجرة مفترضة. قال ابن الخطيب في الإحاطة أنه ألف منه ثلاثين سفرًا؛ وتوقف بسبب ما اعترضه من حوادث. وذكره المقرئ في نفح الطيب فقال: ((وبستان الدول؛ موضوع غريب ما سمع بمثله؛ قل أن شذ عنه فن من الفنون؛ يشتمل على شجرات عشر: أولها شجرة السلطان، ثم شجرة الوزارة، ثم شجرة الكتابة، ثم شجرة القضاء والصلاة، ثم شجرة الشرطة والحسبة، ثم شجرة العمل، ثم شجرة الجهاد؛ وهي فرعان: أسطول،

وخيول، ثم شجرة ما يضطر باب الملك إليه؛ من: الأطباء، والمنجمين، والبيازرة¹، والبيطرة، والفلاحين، والندماء، والشطرنجيين، والشعراء، والمغنين، ثم شجرة الرعايا؛ وتقسيم هذا كله غريب؛ يرجع إلى شعب، وأصول، وجراثيم، وعمد، وقشر، ولحاء، وغصون، وأوراق، وزهرات مثمرة، وغير مثمرة؛ مكتوب على كل جزء من هذه الجزاء بالصبغ اسم الفتن المراد به. وبرنامجه صورة بستان؛ كمل مكنه نحو ثلاثين سفراً².

25 - التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى: كتب ابن الخطيب هذا الكتاب - كما قال - ضمن مجلد واحد؛ وأهداه للسلطان أبي الحجاج يوسف. تناول فيه تاريخ مملكة غرناطة؛ انطلاقاً من نشأتها، ثم أثبت فيه تراجم لأعيانها خلال القرن الثامن الهجري. كما ترجم في هذا الكتاب لنفسه ولوالده. ويبدو أن هذا الكتاب ضاع كما ضاع غيره؛ في الأحداث التي جرت في غرناطة؛ حين سجن، وهروب السلطان الغني بالله. ومن حسن الحظ

¹ البيازرة: هم الذين يعتنون ويهتمون بالجوارح.

² نفح الطيب، ج: 7، ص ص: 97 - 98.

أنه نقل منه في الإحاطة ، والكتيبة الكامنة. كما يوجد قطعة منه في الإسكوريال ؛ ضمن المخطوط المسجل تحت رقم: 554 الغيزري ؛ المتضمن أيضاً لكتاب معيار الاختيار لابن الخطيب. كما توجد بعض تراجم التاج المحلى ضمن المخطوط رقم: 1102 بالخزانة العامة بالرباط ؛ المعنون ب: ((مجموع مراسلات وتراجم ابن الخطيب)).

26 - الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر: وسماه عنان ((الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر)). ويعتبر بمثابة التكملة لكتاب التاج المحلى ؛ إذ يشتمل على تراجم بعض الأعلام من المعاصرين لابن الخطيب ؛ صاغ الموضوع بالسجع. بعض تراجمه موجودة في الإسكوريال بعد التاج ضمن مخطوط رقم: 554 الغيزري. ولحسن الحظ أن المقرئ نقل منه تراجم عديدة في نفح الطيب.

27 - طرفة العصر في دولة بني نصر: هو تاريخ لدولة بني نصر؛ سبق كتاب اللوحة البدرية ؛ لأن ابن الخطيب أشار مراراً إليه مراراً في طياتها. كما أشار إليه أيضاً في الإحاطة

مراراً عديدة. وقال ابن الخطيب أن هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء؛ أهدها إلى السلطان أبي الحجاج. غير أنه فقد مع غيره من الكتب التي تعرضت للحرق والإتلاف؛ خلال المحنة الأولى.

28 - الأرجوزة المعلومه: يقابل ابن الخطيب به كتاب الأرجوزة المجهولة لابن سينا؛ حيث يقول: ((إذ تقدم قبلي من نظم في مثل هذا الغرض، وسماها "الأرجوزة المجهولة" في العلاج من الرأس إلى القدم؛ وهذه الأخيرة للرئيس أبي علي بن سينا... وإذا أضيفت إلى رجز الرئيس أبي علي، كملت بها الصناعة؛ كمالات لا يشينه نقص))¹. ويسمى هذا الكتاب أيضاً: ((كتاب في علاج السموم)). كتب ابن الخطيب هذه الأرجوزة بينما كان مقيماً في سلا؛ وقال هذا بنفسه في كتاب نفاضة الجراب. ومع ذلك لم يعثر على هذه الأرجوزة إلى الآن.

¹ نفاضة الجراب، ج: 2، ص: 188.

29 - تخصيص الرئاسة بتلخيص السياسة: وهي أرجوزة في فن السياسة وصل أبياتها إلى ستمائة بيت. كتبها ابن الخطيب أثناء إقامته بسلا.

30 - منظومة في سياسة الملوك: قال الدكتور محمد شريف قاهر: إنه اطلع في المكتبة العامة بتطوان على منظومة؛ ضمن مجموع؛ مسجل تحت رقم: 600؛ يرجح أنها هي المنظومة في سياسة الملوك؛ إذ اللوحة التي اطلع عليها تشتمل على 99 بيتاً؛ بدأت بـ:

يا أيها الملك الباهي محياه
أنت الذي تعرف الأظعان مغناه

31 - المباخر الطيبة في المفاخر الخطيبية: كتب هذا الكتاب؛ بينما كان في تلمسان في رعاية السلطان المريني عبد العزيز. وقد أهداه للسلطان المذكور. وموضوع الكتاب؛ ينحصر في الدفاع عن نفسه؛ أمام خصومه الأندلسيين؛ إذ ينوه فيه بنباهة حسبه، ونباله نسبه.

32 - خلع الرسن في أمر القاضي أبي الحسن: كتب هذا الكتاب بينما كان في المغرب لاجئاً، خلال الفترة الأخيرة؛ التي ترك فيها غرناطة نهائياً. وهذا الكتاب - كما يدل عنوانه - كتب للرد على اتهامات عدوه القاضي النباهي له.

33 - اليوسفي في صناعة الطب: كل ما نعرف عنه أن ابن الخطيب قال عنه: أنه كتبه في جزأين. وأنه ممتع.

34 - عائد الصلة: يكثر ابن الخطيب من الاستشهاد بهذا الكتاب في الإحاطة. وهو عبارة عن ذيل لكتاب صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن الزبير. ويشتمل على تراجم عديدة. ويعتبر من بين الكتب المفقودة للسان الدين ابن الخطيب.

35 - تخصيص الذهب في اختيار الكتب الأدبيات الثلاثة أو (تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات)؛ وهو اختصار كتاب التاج: ذكر ابن الخطيب هذا الكتاب لصديقه ابن خلدون؛ قائلاً له: أنه منشغل في اختصار كتاب التاج للجوهري؛ بحيث سيرده إلى مقدار خمسة؛

على أن يحتفظ بالترتيب السهل المتبع¹. وهذا الكتاب مفقود أيضاً.

36 - الإشارة: ذكر ابن الخطيب هذا الكتاب في الإحاطة؛ كما ذكره المقرئ في نفح الطيب، وأزهار الرياض. توجد هذه الرسالة مع رسالة في السياسة ضمن مجموع في الإسكوريال تحت رقم: 554. قال محمد الشريف قاهر: أنه شاهد في الخزانة العامة بالرباط كتاباً سجل تحت رقم: 972 د؛ يحمل اسم: ((الإشارة في أدب السياسة في الوزارة)). ويعتقد أنه هو كتاب الإشارة المذكور.

37 - الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة: وهو عبارة عن مختارات شعرية جمعها - أثناء إقامته في مالقة - من نظم أستاذه وصديقه أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن صفوان المالقي. أشار ابن الخطيب إلى هذا الكتاب في الإحاطة. ولكنه مفقود الآن.

38 - مجموع من شعر أستاذه أبي الحسن ابن الجياب: فقد هذا المجموع أيضاً.

¹ التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ص: 122.

39 - تافية من جم ، ونقطة من يم : هذا الكتاب عبارة عن مختارات انتخبها ابن الخطيب من رسائل ونثر أستاذه أبي الحسن بن الجياب. ويعد هذا العمل أيضاً من بين ما فقد من مؤلفات ابن الخطيب.

40 - البيزرة : كتاب يتناول معلومات عن صناعة البيزرة التي تهتم بالجوارح. وهذا الكتاب في مجلد واحد. أشار إليه ابن الخطيب في الإحاطة ، وذكره المقرئ في نفح الطيب ، وأزهار الرياض. ولكنه مفقود أيضاً.

41 - البيطرة : ألفه ابن الخطيب في مجلد واحد. ويبحث في قضايا الخيل ؛ محاسنها وعيوبها. وهو مفقود أيضاً.

42 - النفاية بعد الكفاية : هذا الكتاب مفقود. اتبع ابن الخطيب في صياغته النسق الذي سار عليه الفتح بن خاقان في كتابه قلائد العقيان.

43 - ميزان الاختبار : لا يعرف عنه إلا عنوانه. نقله محمد شريف قاهر عن كتاب جذوة الاقتباس لابن القاضي.

44 - الحلل الموشية في الأخبار المراكشية : يشكك بعض المحققين في نسبة هذا الكتاب لابن الخطيب ؛ بينما يعتقد

آخرون أنه من تأليفه. وقد نشر في تونس سنة 1337هـ/1918م. ويقول عنان: أنه وجد نسخة منه في الخزانة الملكية بالرباط؛ مسجلة تحت رقم: 3674. ذكر فيها؛ أن هذا الكتاب من تأليف أبي العلاء بن سماك العاملي المالقي. غير أن عبد القادر زمامة؛ الذي حقق الكتاب في المغرب مع أحد زملائه؛ نفيا هذا الأمر؛ حيث بقي موضوع المؤلف مجهولاً. وسينشر - بعون الله - كتاب الحلل الموشية ضمن هذه السلسلة؛ بعناية الأستاذ محمد شايب شريف.

45 - المنهل العذب في شرح أسماء الرب: وهو عبارة عن شرح لأسماء الله الحسنى؛ كما ذكر في عنوان الكتاب. توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب - مبتورة في أولها - بالخزانة العامة بالرباط. تحت رقم: 3074 د. شكك الدكتور محمد الشريف قاهر في انتماء هذا الكتاب لابن الخطيب.

46 - تأليف في الأدب: توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة مبتورة في أولها. ويشكك أيضاً محمد الشريف قاهر في صلتها بابن الخطيب. وحجته أنه لم يجد لها، ولا

للمنهل العذب أي إشارة بين أعمال ابن الخطيب في:
الإحاطة، أو نفح الطيب، أو أزهار الرياض، أو غيره من
المصادر.

ما ذكر من مؤلفات أعلاه؛ عرفت أحوالها،
وحددت مصادرها، وعينت أماكن تواجدها. وأما الكتب
الآتي ذكرها؛ فلا يعرف عنها شيء؛ سوى ما ذكر
بخصوص عناوينها. وعليه سنسرد العناوين دون تعليق
يذكر؛ ويترك أمرها إلى الزمن؛ لعله يفتح نافذة ينفذ منها
ضوء يكشف حقيقة تلك الكتب.

1 - الرجز في الترياق الفاروقي: لا يعرف منه إلا عنوان
الكتاب.

2 - أرجوزة في السياسة المدنية: سبق ذكر هذه الرسالة مع
كتاب الإشارة.

3 - قطع السلوك:

4 - رسالة تكوين الجنين:

5 - كتاب الوزارة:

- 6 - مقامة السياسة :
 - 7 - المسائل الطبية :
 - 8 - الغيرة من أهل الخيرة :
 - 9 - حمل الجمهور على سنن المشهور :
 - 10 - الزبدة الممخوضة :
 - 11 - الرد على أهل الإباحة :
 - 12 - سد الذريعة في تفضيل الشريعة :
 - 13 - تقرير الشبه وتحريم الشبه :
 - 14 - أبيات الأبيات :
 - 15 - فتات الخوان ولقط الصوان :
 - 16 - طل الغمام المقتضب من الصيب والجهام :
 - 17 - الحالي والعاطل والمسعف والماتل :
- هذا ما سمح به المجال في تقديم معلومات تخص
لسان الدين ابن الخطيب ومؤلفاته الرائعة الغزيرة. وسيتم -
بحول الله - التوسع في عرض جل أعماله والأعمال التي
اقترحها بنفسه لكتاب وأدباء وعلماء أندلسيين ومغاربة ؛

عبر الصفحات الثرية التي يشتمل عليها هذا العمل المتكامل. والله ولي التوفيق.

- منهج العمل :

للعلم ؛ فإن كتاب الإحاطة وجد اهتماماً من بعض الأدباء ؛ منذ عهد قديم ؛ حيث قام - كما سبق ذكره - الشيخ الأديب الصوفي بدر الدين البشتكي بوضع كتاب اختصر فيه مواضيع الإحاطة ؛ وسماه ((مركز الإحاطة)). كما نشرت شركة طبع الكتب العربية بالقاهرة من كتاب الإحاطة جزأين ؛ وذلك قبل أن يهتم به محمد عبد الله عنان ؛ وذلك في سنة 1319هـ / 1901م. وقد جمعت فيهما مقاطع متناثرة من مخطوط الإحاطة ؛ تنتمي إلى مخطوطات مختلفة ؛ مثل : مخطوط دار الكتب المصرية ، ومخطوط جامع الزيتونة. وقد رصت معلوماته بشكل عشوائي ، وغير دقيق ؛ بحيث شوهت العمل الأصلي. وقد نبه إلى تلك الأخطاء المستشرق الألماني زايولد (Seybold, C. F) ؛ في مقالة كتبها عن ابن الخطيب ،

ونشرت في دائرة المعارف الإسلامية ؛ وقد تمنى - في تلك المقالة - إصدار كتاب الإحاطة كاملاً ومحققاً ؛ لما له من أهمية. ويبدو أن هذه النسخة المطبوعة المشوهة ؛ هي التي نشرت في بعض مواقع الأنترنت. وقد اطلعت عليها؛ وقارنت ما ورد فيها بما نشره **عنان**.

والواضح أن معاودة السير في الطريق التي سلكها الأستاذ الكبير **محمد عبد الله عنان** من منطلقها الأول ؛ سوف يكون عبثاً لا داعي له ؛ لأن السالك في تلك الطريق الممهدة والمسبورة ؛ لن تعترضه موبقات تذكر ؛ ولن يضيف جديداً ملفتاً للأنظار.

ومع هذا ؛ فقد سلك طريقه - قبلي - الدكتور **يوسف علي طويل** أستاذ الأدب الأندلسي بالجامعة اللبنانية ؛ دون أن يشير إلى ذلك صراحة. وكل ما عمله هو أنه استغنى - تماماً - عن الهوامش التي أعدها **عنان** ؛ مع أنها ضرورية للباحثين ؛ إذ تحيلهم إلى أصل المخطوطات التي اعتمد عليها **عنان** في تحقيقه. وقد عوض الدكتور **يوسف علي طويل** هوامش **عنان** بهوامش فرعية ؛ ولكنها لا يمكن أن

تقوم مقام الهوامش الأصلية ؛ على الرغم من فوائدها
الجمّة. أضف إلى هذا ؛ أنه تصرف بجرأة ؛ فغير كلمات في
النص الأصلي ؛ فضاعت صورته الأولى. بينما كان الأجدر به
أن يصحح ذلك في الهوامش.

وعليه ؛ فما أنجزه الدكتور **طويل** ؛ عبارة عن ،
إحالات ؛ وردت في كتب أخرى **لابن الخطيب** وغيره ؛
كرّرت فيها بعض الفصول ، أو الفقرات من الإحاطة ؛
وهذا مهم طبعاً. بالإضافة إلى ذلك ؛ فقد قام بجهد ملحوظ
في ضبط الكلمات وتشكيلها ، وتصحيح أخطائها الإملائية
والنحوية ، وشرح الغامض منها ، وضبط وتصويب الآيات
الشعرية. وهذا عمل عظيم ومحمود. لذا ؛ فليس أمام
صاحب هذه المقدمة والمراجعة ؛ سوى النظر في إضافات
وتحسينات تدعم العمل الأول والثاني معاً. إذ أن كل ما
سمح به الأستاذ الكبير **محمد عبد الله عنان** ؛ هو ترك
المجال للمراجعة ، والمسح بدقة وعمق ، وتوضيح ، وشرح
ما هو غامض وغريب. كما أن التأليف بين ما قام به هذا
الأستاذ الجليل ؛ ويين ما أنجزه الدكتور **طويل** - مع إضافة

ما هو جديد - سيكون مفيداً حتماً. وكل تدخل مني سيكون ضمن الهوامش.

لذا؛ فكل ما يمكن عمله في هذا السياق هو الاستناد - أولاً - إلى ما أنجزه الأستاذ محمد عبد الله عنان؛ ومقارنته بنسخة الدكتور طويل؛ ثم النظر فيما بين الأيدي من إمكانات أخرى، وما تيسر من خطة عمل؛ يمكن بواسطتها إضافة شيء ما؛ إلى الذي سبق أن أنجزه هذان الأستاذان المحترمان؛ وذلك حسبما تسمح به المادة التاريخية المتوفرة.

وقد اضطررت إلى إعادة النظر في التقسيم الذي وضعه عنان لكتاب الإحاطة؛ حيث أعدت تصنيفه في خمسة مجلدات؛ بدلاً من أربعة؛ تبعاً لما تقتضيه ضرورة الطباعة، والحجم المطلوب لكل مجلد.

وبالنظر والتأمل؛ لم أجد أمامي سوى الخطة الثرية التي اتبعها الأستاذ الجليل محمد عبد الله عنان. لأن الدكتور يوسف علي طويل؛ لم يشر في نسخته إلى أي خطة، أو منهج يكون قد اتبعه في عمله؛ كما أنه لم

يذكر: إن كان قد استعان بخطة عنان أم لا ؛ وكل ما ذكره ؛ عبارة عن جدول سجل فيه عناوين المصادر والمراجع التي استعان بها في عمله ؛ وتتضمن 156 عنواناً. مع أن سياق عمله ؛ يدل - بوضوح - أنه استند إلى ما أنجزه عنان قبله.

وعلى هذا ؛ لم أجد أمامي سوى سبيل عنان الممهد ؛ لأن هذا الأستاذ الجليل ؛ أنجز عملاً عظيماً ؛ وبذل جهداً معتبراً في عمله ؛ إذ أنه قام بما يقوم به الخياط ؛ الذي يخيّط قطعاً من القماش المتناثرة ؛ لكي يصنع منها ثوباً كاملاً ؛ أو مثل الصائغ الذي يجمع حبيبات الجواهر ؛ فيجعلها عقداً مؤتلفاً. فيأتي الآخرون ؛ فيلبسون ما أخاطه ، ويتحلون بما صاغه وجمعه.

ويمكن - هنا - شرح الخطة المتبعة من قبل الأستاذ عنان كما يلي :

كل ما وجده عنان ، واعتمد عليه في عمله هي ثمانية مواقع رئيسة ؛ تشتمل على أمثل المخطوطات من كتاب الإحاطة ؛ تتفاوت في حجمها وفي ومدى فائدتها. تتبعها

أعداد أخرى من النسخ المبتورة، أو الصفحات المفردة؛
التي لا بقية لها تلحق بها، ولا رابط يواصلها غيرها..
وهي :

- مخطوط جامع الزيتونة بتونس.
 - ومخطوط مكتبة أكاديمية التاريخ الملكية بمديرية Academia de Historia B, de la Real.
 - ومخطوط المستشرق الإسباني بسكوال دي جاينجوس Pascual de Gayangos الذي ترجم القسم التاريخي من
نسخ الطيب إلى الإنجليزية. ومخطوط جاينجوس هذه متواجد
أيضاً بمكتبة أكاديمية التاريخ الملكية بمديرية.
 - ومخطوط مكتبة سان لورنزو الملكية بالإسكوريال.
 - المخطوطات المصرية للإحاطة.
 - مخطوطات المغرب الأقصى للإحاطة.
 - قطعة من مخطوط الإحاطة بالمتحف البريطاني.
 - قطعة مخطوط الإحاطة بمكتبة ليدن بهولندا.
- المهم أن هذه المخطوطات الرئيسة؛ قد نسخ منها
عدد من المخطوطات الفرعية؛ التي توالدت هي الأخرى

بفعل النسخ والنقل. غير أن عنان اكتفى بما توصل إليه منها. وفي ما يلي عرض ملخص لتلك المخطوطات. نبدؤها بـ:
1 - مخطوط جامع الزيتونة بتونس: وهو في مجلدات ثلاثة؛ وترقيمها في بداية الأمر - عندما كان في جامع الزيتونة - كالتالي: 3522 - 3523 - 3524. وبعد تحويلها إلى دار الكتب الوطنية (مكتبة العطارين) أعطيت الأرقام التالية: 8134 - 8135 - 8136.

وهذا المخطوط نسخ - كما هو مذكور في نهاية جزئه الثالث - في جمادى الثانية عام 1273 (هـ). وكتب في بديّة الأجزاء الثلاثة عبارة تدل أن المخطوط حبس ووقف؛ يخص جامع الزيتونة. فكتبت - مثلاً - صيغة في الجزء الأول؛ تشير إلى أن علي باشا باي - صاحب مملكة تونس - قد أوقف هذا الكتاب على الجامع الأعظم؛ لينتفع به المهتمون بالموضوع؛ داخل الجامع؛ ولا يجوز إخراج الكتاب منه. وتوجد في أول كل جزء منه صيغة للتحييس. أما أحجام أجزاء الكتاب فهي متفاوتة؛ فالجزء الأول مثلاً يتكون من 335 صفحة بحجم كبير. انتهى موضوعه

فجأة؛ في سياق الحديث عن ترجمة السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر. وقد بتر الكلام؛ دون رابط اتصال؛ يفيد أن الجزء انتهى.

أما الجزء الثاني فبه 299 صفحة بالحجم نفسه. ويبدأ - دون تمهيد أو ربط بما سبق - من البقية المتبورة من ترجمة السلطان - المذكور أعلاه - محمد بن يوسف بن إسماعيل. ثم يخلص بعده إلى الترجمة الموالية وهي للسلطان محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي. وينتهي هذا الجزء بترجمة محمد بن علي بن عبد الله اللخمي.

أما الجزء الثالث فيتألف من 302 صفحة كبيرة أيضاً. ومنطلقه يبدأ بترجمة محمد بن علي بن فرج القربلياني؛ وينتهي بترجمة يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطي. ثم كتب بعده: ((كامل مختصر الإحاطة)). يلي ذلك ترجمة للسان الدين بن الخطيب؛ كتبها بنفسه.

ولابد من الإشارة هنا؛ إلى ما ذكره عنان: من أن جل المخطوطات التي اطلع عليها؛ تحمل عبارة ((مختصر

الإحاطة)). وهذا يدل أن ما وصل إلينا - حتى الآن - ليس سوى بعض المختصرات من كتاب الإحاطة ؛ وليس كله. ولاحظ **عنان** كذلك أن الجزأين: الأول والثاني كتبوا بخط واحد؛ بينما كتب الجزء الثالث بخط مخالف. غير أن جميعهم كتبوا بخط مغربي متقن وحسن. وقد لاحظ **عنان** أيضاً أن نسخة **جامع الزيتونة** هذه؛ ملئت بالتحريف والتصحيف. وربما عاد ذلك إلى الأصل المنقول عنه هذه النسخة. مع أن بعض التحريف والتصحيف يرجع إلى زلة قلم الناسخ. وقد ألمح الناسخ بنفسه في نهاية الجزء الثالث؛ حيث نبه إلى تلك الحال؛ مقدماً اعتذاره عن ذلك التقصير.

وقد اكتشف الأستاذ **محمد عبد الله عنان** أن مخطوط **الزيتونة** ليس هو المخطوط الكامل للإحاطة في العالم؛ كما كان شائعاً من قبل؛ إذ وجد أن مخطوط **الإسكوريال** المرقم ب: 1673 ديرنبور - مثلاً - يحتوي على عدد من التراجم والأشعار؛ لم ترد تماماً في مخطوط **الزيتونة**؛ كما يشمل على الأسفار الأخيرة من الإحاطة؛ بالإضافة إلى أن

مخطوط الإسكوريال يضم - بعد أن ترجم ابن الخطيب لنفسه - عدداً من الرسائل السلطانية التي لم تذكر في مخطوط الزيتونة؛ يصل عدد لوحاتها إلى 42 لوحة بحجم كبير؛ وهي كلها لم تذكر في نسخة الزيتونة.

2 - مخطوط مكتبة أكاديمية التاريخ الملكية بمديرية Academia de Historia B, de la Real ولكن هذا المخطوط - كما يفهم مما أشير فيه - ليس في أهمية نسخة الزيتونة. إذ كتب في مذكرة - خاصة بهذه النسخة - معلومة تفيد أنها نسخت في فاس؛ نقلاً عن مخطوط مسجد تونس؛ الذي هو الزيتونة. ورأى عنان أنه يمكن تسمية هذا المخطوط باسم ((مخطوط كوديرا))؛ نسبة إلى كوديرا أستاذ اللغة العربية بمديرية؛ الذي نسخ المخطوط، وجلبه إلى جامعته. وقد حفظ هذا المخطوط تحت رقم: XXXIV.

3 - مخطوط باسكال دي جاينجوس Pascual de Gayangos: وهذا - بدوره - تابع لمكتبة أكاديمية التاريخ الملكية بمديرية أيضاً. والنسخة المذكورة هنا؛ محفوظة تحت رقم: CXLII. وهي نسخة كاملة في أجزاء ثلاثة. وتشتمل كلها على 580

صفحة؛ وفي كل صفحة 21 سطراً؛ كتبت بخط أندلسي قديم؛ يتميز بالوضوح. وليس في صفحته الأولى أي عنوان يذكر؛ بل تبدأ مباشرة في الصفحة الثانية بالعبارات التالية: ((بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. قال الشيخ الأديب البارع أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الخطيب)). ولم يرد في آخر المخطوط - كما جرت العادة - تاريخ نسخه بوضوح؛ ومع هذا يبدو عليه أنه قديم؛ ربما يكون قد نسخ في أواخر القرن التاسع. وقدر المستشرق الإسباني بونس بويجس Pons Boigues, F. تاريخ نسخه بسنة 895هـ/1489م. ويمكن تقدير حجم مخطوط جاينجوس هذا؛ بحجم الجزأين: الأول والثاني من نسخة الإحاطة القديمة؛ المطبوعة بالقاهرة؛ يضاف إليهما 27 ورقة؛ تشتمل على بقية التراجم الموجودة في مخطوط الزيتونة. وعلى هذا فقد اعتمد عنان - في الأساس - على مخطوط جاينجوس؛ في تدوين النص الخاص بالجزأين: الأول والثاني.

4 - مخطوط الإسكوريال التابع لمكتبة لورنزو الملكية:
ويتشكل هذا المخطوط من قطعتين كبيرتين من كتاب
الإحاطة؛ حفظت إحداهما تحت رقم: 1668؛ في فهرس
الغيزري (1673 ديرنبور). وتعتبر هذه القطعة؛ هي الأكبر
بين القطع المعروفة - من كتاب الإحاطة - إلى الآن؛ إذ بها
5001 صفحة كبيرة الحجم. وهي مكتوبة بخط أندلسي. وقد
ذكر على صفحة العنوان: ((السفر الثاني من مختصر
الإحاطة)). بالإضافة إلى ذلك كتب أيضاً: ((الحمد لله؛
تملكه عبد الله تعالى؛ زيدان أمير المؤمنين ابن أحمد
المنصور أمير المؤمنين)). وطبعاً؛ يفهم من هذا؛ أن
المخطوط المذكور والموجود بالإسكوريال هو مخطوط
سلطان المغرب زيدان بن أحمد المنصور¹؛ الذي كان
ضمن المكتبة المراكشية؛ التي اغتصبها الإسبانيون في عرض
البحر.

5 - المخطوطات المصرية للإحاطة: وتتمثل في المخطوطات
التابعة لدار الكتب المصرية. أهمها المخطوط الرئيس؛ وهو

¹ زيدان بن أحمد المنصور (1012 - 1017هـ)؛ من الأشراف السعديين
سلاطين المغرب الأقصى

عبارة عن الجزء الأول من الإحاطة؛ أو أكثره؛ على الأقل. وليس بهذه النسخة تاريخاً يفيد بزمن نسخها. ولكن يبدو عليها - بما انتابها من تآكل وخروم - أنها قديمة جداً. وقد حفظت تحت رقم 348 تاريخ. ويقول عنان: أنه اعتمد عليها في تحقيق الجزء الأول من كتاب الإحاطة. وإلى جانب هذه النسخة الأصلية لمخطوط دار الكتب المصرية؛ يوجد بهذه الدار أيضاً قطعتان أخريان مصورتان لمخطوط الإحاطة؛ نقلاً عن نسخة مغربية. كتبت كلها بخط مغربي جميل. وقد حفظت القطعتان تحت رقم: 1429 تاريخ. فأما القطعة الأولى فتتشكل من 101 لوحة مزدوجة؛ كتبت كلها بخط مغربي جميل؛ تضم تراجم من حرفي: الميم، والنون. أما النسخة الثانية فيها 111 لوحة مزدوجة؛ وتحتوي على تراجم تبدأ بحرف الصاد، ثم العين، فالغين، فالفاء، فالقاف، فالسين فالياء؛ رصت دون ترتيب. وفي القطعة الثانية هذه؛ إشارة تدل أنها ((مختصر الإحاطة))؛ وأنها قد نسخت في سنة 987هـ. وقد تبين أنهما متطابقتان مع نسخة الزيتونة؛ في المعلومات الموجودة

في الجزء الثالث من الإحاطة ؛ ولكنهما يبدو أن أقدم من نسخة الزيتونة نفسها ؛ بحيث يتبادر إلى الذهن أن هذه الأخيرة منقولة عن واحدة منهما. كما أن محتويات هاتين القطعتين متطابقتين مع ما هو موجود في نسخة الخزانة العامة بالرباط ؛ المحفوظة تحت رقم : 2704 ؛ التي سيأتي ذكرها. أضف إلى ذلك كله ؛ القطع المتناثرة من كتاب الإحاطة الموجودة بمكتبة رواق المغاربة بالأزهر ؛ وتتكون من 170 ورقة متوسطة الحجم ؛ وكتبت بخط مغربي قديم ؛ كتب في هوامشها تعليقات واستدراكات بخط المقرئ - صاحب نفح الطيب - وتوقيعه ؛ ثم كتب إلى جانب التوقيع : ((سنة 1029هـ)). وعلى هذا يضمن بعضهم أن هذه الأوراق ؛ مما تبقى من النسخة التي أرسلها ابن الخطيب بنفسه إلى خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة ؛ ولكي تحبس على طلبه العلم. ثم إن مكتبة الأزهر ؛ تمتلك نسخة مخطوطة من الجزء الأول لكتاب الإحاطة. ويبدو عليها أنها حديثة النسخ.

6 - مخطوطات المغرب الأقصى: تمتلك الخزانة الملكية بالرباط قطعة كبيرة من كتاب الإحاطة؛ محفوظة تحت رقم: 1840. ولكن يبدو عليها أنها قديمة جداً؛ لما يظهر عليها من بلى وخروم. وأوراقها من القطع الكبير؛ مكتوبة بخط أندلسي؛ وهي سليمة النص وصحيحة المحتوى. ويبدو أنها تمثل الجزء الأول من الإحاطة بمجمعه الشائع؛ بالإضافة إلى قطعة كبيرة من الجزء الثاني؛ تصل أوراقها إلى خمسين ورقة؛ ولكنها مبتورة في بدايتها، ونهايتها؛ وليس بها ما يبين تاريخ نسخها. ومع هذا؛ يبدو أنها من أقدم النسخ المتواجدة من الإحاطة؛ وتنطلق - بعد قلب بعض الأوراق المخرومة - بالفصل المعنون كالتالي: ((ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة؛ من الأقاليم التي نزل بها العرب؛ خارج غرناطة، وما يتصل بها من العمالة)). وآخر ما ورد فيها من التراجم؛ هي ترجمة (محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد... بن القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه). تلك هي نسخة الخزانة الملكية

بالرباط. أما خزانة القرويين الكبرى بفاس؛ فهي الأخرى
تمتلك عدداً من الأوراق المتناثرة لكتاب الإحاطة؛ يصل
عددتها إلى 48 ورقة؛ صغيرة الحجم؛ وقد حفظت تحت
رقم: 2589/89. وتتضمن هذه المجموعة من الأوراق على
25 ترجمة؛ لأعلام يسمون باسم محمد. ولكنها تراجم
موجزة في مجملها. كما تحتوي هذه الأوراق أيضاً على
رسائل لابن الخطيب؛ ولكنها قديمة، وحروفها متأكلة؛
وقد كتبت في 769هـ؛ أي في حياة ابن الخطيب.

7. قطعة مخطوطة بالمتحف البريطاني: توجد بهذا المتحف؛
قطعة من مخطوط الإحاطة؛ حفظت تحت رقم: 8674
Or.؛ كتب في عنوانها: أنها الجزء الثامن من كتاب
الإحاطة. وتتكون هذه القطعة من 194 لوحة كبيرة؛
تشكل: 388 صفحة. وتبدو هذه القطعة من خلال خطها
المغربي؛ أنها قديمة. وقد كتب في نهاية القطعة: (يوم
الأربعاء الثامن والعشرين من صفر)؛ غير أن السنة يتعذر
قراءتها بسبب التلف. وتبدأ هذه القطعة بترجمة محمد بن
علي بن فرج القربلياني؛ وتنتهي بالترجمة التي كتبها ابن

الخطيب لنفسه ؛ على أن آخر ترجمة - قبل ترجمة ابن الخطيب - هي ليحيى بن إبراهيم البرغواطي ؛ وذلك في اللوحة 165 ؛ التي ختمت بالعبارة التالية : ((كمل كتاب الإحاطة)). وتضم هذه القطعة التراجم المستهلة بـ: حرف الميم، والنون، والصاد، والعين، والفاء، والسين، وأخيراً الياء. وهي كما يبدو من فهرس القطعة المذكورة: 62 ترجمة. وإذا ما دقق فيها؛ سيتضح أنها تمثل قسماً من مخطوط الزيتونة ؛ لأن تراجم هذه القطعة موجودة كلها ضمن الجزء الثالث من مخطوط الزيتونة.

ويوجد بالمتحف البريطاني أيضاً قطعة كبيرة من كتاب ((مركز الإحاطة))؛ الذي ألفه الأديب الشاعر الصوفي بدر الدين البشتكي ؛ وقد اختصر فيه كتاب الإحاطة للسان الدين ابن الخطيب. وتشكل هذه القطعة - من كتاب مركز الإحاطة - النصف الأخير منه ؛ وتحتوي على مختصرات لتراجم مجموعة من الكتاب والشعراء والأدباء ؛ سبق أن ورد ذكرها في كتاب الإحاطة.

8 - قطعة مخطوطة بمكتبة ليدن بهولندية: توجد في هذه المكتبة قطعة من كتاب الإحاطة ؛ يقدر حجمها بما يحتويه الجزء الثاني من هذا الكتاب ؛ وهي محفوظة تحت رقم : 1082.

تلك هي المصادر الرئيسة من كتاب الإحاطة ؛ ولم يبق أمام الباحث سوى دعمها بما ورد في مصادر ومراجع مختلفة: حديثة، وقديمة ؛ يمكن أن تقدم فائدة معتبرة ؛ من خلال المقارنات، والتمحيص، والشروح. وقد استفاد منها - حتماً - عنان، كما استفدت منها بدوري بعده. وفي مقدمة تلك المصادر يأتي كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ؛ للمقري. وكتاب التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ثم كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لمحمد بن عبد الملك المراكشي.. تتبع ذلك سلسلة من المراجع التي أثبتت عناوين بعضها في فهرس الكتب المساعدة في التحقيق.

- حول بعض الاختصارات ورسم الكلمات :

سيلاحظ القارئ الكريم في الرسم الإملائي المستعمل في الإحاطة بعض الاختلاف عما هو معتاد الآن. وقد ارتأينا الحفاظ على أصل النص ؛ دون تدخل لتغييره ؛ لأنه ليس خطأ عندما يتعلق الأمر بالأسلوب المغربي القديم. حتى وإن اعتبر عكس ذلك في الأسلوب المشرقي. فمن ذلك على سبيل المثال :

- تخفيف الهمزة وجعلها ياء ؛ مثل : ((مكايد)) بدل ((مكائد))، وموايد بدل ((موائد))، وموازة بدل ((مؤازرة))... إلخ.

- إغفال الألف في بعض الكلمات ؛ مثل : الله، إله، الرحمن، طه، يسين، عثمان، سليمان، إسحق، هرون، إسماعيل، لكن ((لاكن))، أوليك ((أولائك))، هولاء ((هؤلاء))، هذا، هذه، هذان، هذين، هكذا.. إلخ.

إلى جانب هذا فقد حدث اضطراب وتذبذب من قبل الناسخ ؛ بحيث يثبت كلمة في رسم معين ؛ ثم يغفله مرة أخرى ؛ مثل كتابة كلمة ((لكن)) و((لاكن)). كما أنه

يغفل أحيانا ألف ((ابن)) بين الكنية واسم العلم ؛ ثم
يثبتها لاحقا ؛ دون مسوغ. ولما كان هذا كثير التكرار ؛ فقد
اكتفينا بهذا التنويه ؛ تاركين لذكاء القارئ الكريم اكتشاف
ذلك تباعاً.

وقد اختصرت بعض الكلمات في الهوامش ؛ نذكر
أهمها ؛ مثل :

- الإحاطة : بدل : الإحاطة في أخبار غرناطة.
- إعمال الأعلام : بدل ؛ إعمال الأعلام في من بويع قبل
الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام ؛
أو (وما يجر ذلك من مجون الكلام).
- اللمحة : بدل ؛ اللمحة البدرية في الدولة النصرية.
- الريحانة : بدل ؛ ريحانة الكتاب ونجعة المتتاب.
- النفاضة : بدل ؛ نفاضة الجراب في علالة الإغتراب.
- الكتيبة : بدل ؛ الكتيبة الكامنة فيمن لقيته بالأندلس من
شعراء المائة الثامنة.
- الجيش : بدل ؛ جيش التوشيح.

والعبر: بدل العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب
والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .
- التعريف: بدل ؛ التعريف برحلة ابن خلدون غرباً وشرقاً .
- النفح: بدل نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر
وزيرها لسان الدين ابن الخطيب .
- الأزهار: بدل ؛ أزهار الرياض في أخبار عياض . والذيل :
بدل الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة .
- الذخيرة: بدل ؛ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .
- والمقتبس: بدل ؛ المقتبس من أنباء أهل الأندلس ؛ أو (في
أخبار بلد الأندلس) .
- النثر: بدل ؛ نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان .
- الصبح: بدل ؛ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء .
- الوفيات: بدل ؛ وفيات الأعيان في أنباء أنباء الزمان .
- الفوات: بدل فوات الوفيات .
- والبيان الغرب: بدل ؛ البيان المغرب في أخبار الأندلس
والمغرب .

وبالجملة ؛ فقد اعتمدنا أسلوباً ؛ احترمنا فيه النص
الأصلي ؛ فلم نشوّه ؛ واكتفينا بالتصحيح في الهوامش.
وعلى الله التوفيق.

- نهج الإحاطة في مجمله :

لقد أشرت في الصفحات السابقة ؛ خلال الحديث عن
منهج من سبق في العمل على كتاب الإحاطة ؛ أنني
اضطرت إلى تغيير مسلك عنان في تجزئة الكتاب وتصنيفه.
كما أشرت أيضاً - في بداية المقدمة - إلى أن الغرض من
مراجعة هذا العمل ، وتصحيحة ؛ وتنقيحه ؛ هو الرغبة في
تعميم فائدته ، وتسهيل الاستفادة منه ؛ بحيث يغدو مرجعاً
أساساً ؛ لدى الساهرين على الثقافة المغربية ؛ عبر
عصورها السالفة. لأن هذا العمل الهام ؛ سيغدو - لا محالة -
بمثابة المعين العذب الرقراق ، والنبع الغزير الفياض ؛ ذي
الطلاوة والإشراق والروعة والثراء. ويضحى في مقام
السراج المنير بشعاع الفكر والإبداع المغربي ؛ بحيث يساعد

المربين والمعلمين على تقديمه لطلاب العلم في أشهى وجبة، وأغنى غذاء وأطيبه، وأروع صورة.

فهذا الكتاب - بدون شك - يشتمل على أعمال رائعة؛ صاغها الأجداد بسطور من عسجد مصفى.. أعمال تناولت مواضيع شتى ومتنوعة؛ في: الأدب والفلسفة، والدين، والطب، والصيدلة، والفلك، والرياضة، والتاريخ، والجغرافية... إلخ. بالإضافة إلى أنه يُعرّف بعدد كبير من العلماء، والفقهاء، والأدباء، والأديبات، والفنانين، والملوك، والساسة، والقادة العسكريين... إلخ.

وقد أوضح ابن الخطيب خطته، ومسار عمله بقوله: ((والترتيب الذي انتهت إليه حيلتي، صرفتُ في اختياره مُخَيَّلَتِي؛ هو أنّي ذكرت البلدة حاطها الله؛ مُنبِّهاً منها على قَدِيمِها، وطيب هوائها وأديمها، وإشراق علاها، ومَحاسن حُلاها، ومن سَكَنَها وتَوَلَّاهَا، وأحوال أناسها، ومن دال بها من ضُروب القبائل وأجناسها، وأعطيت صورتها، وأزحمت في الفخر ضرورتها، وذكرت الأسماء على الحروف المَبُوبَةِ، وفصلت أجناسهم بالتَّراجم المُتَرَبِّبَةِ.

فذكرت: الملوك والأمراء، ثم الأغنياء والكبراء، ثم الفضلاء، ثم القضاة، ثم المقرئين والعلماء، ثم المحدثين والفقهاء، وسائر الطلبة النجباء، ثم الكتاب والشعراء، ثم العمال الأثرياء، ثم الزهاد والصلحاء، والصوفية الفقراء؛ ليكون الابتداء بالملك، والإختتام بالمسك، ولينظم الجميع انتظام السلك؛ وكل طبقة تنقسم إلى من سكن المدينة بحكم الأصالة والإستقرار، أو طراً عليها مما يجاورها من الأقطار، وخاض إليها وهو الغريب أثاج البحار)). وبهذا؛ يكون ابن الخطيب قد عالج في كتابه الأوجه كلها، وطبقات المجتمع كافة؛ صغيرها وكبيرها. لأن التاريخ لا يصنعه الملوك والأمراء فحسب. بل التاريخ الحقيقي تصنعه الشعوب؛ بعلمائها، وأدبائها، وفنانيها، وقادتها، وعمالها، وفلاحها، وبناء اقتصادها ومحققى ثرائها.

لذلك؛ فكتاب الإحاطة غزير المحتوى غني المادة؛ في هذا المجال؛ إذ يُعرّفُ بالفئات المذكورة جميعها؛ كبيرهم وصغيرهم، وغنيهم وعقيرهم.. فهذا الكتاب يُعرّفُ في البدء:

- بلسان الدين محمد بن الخطيب : الشاعر الفحل ، والأديب
الرائع ، والعالم الفذ ، والفيلسوف الحكيم ، والطبيب
الماهر ، والصيدلي البارع ، والموسيقي الموهوب ، والفقيه
المدقق ، والفلكي النابغة ، والصوفي النزيه .

وإلى جانب ذلك ؛ يعرض الكتاب أيضاً نماذج رائعة
من أعمال هذا النابغة ؛ سواء الشعرية منها أم النثرية .
وهذه الأعمال - طبعاً - تحتل مركزاً رفيعاً ؛ في قمة الأعمال
الأدبية ، والعلمية العربية كلها .

ومع هذا ؛ فلا تجد هذه الأعمال عناية لائقة من قبل
الساهرين على تأليف الكتاب المدرسي في هذه الديار .
وبالمقابل يسهل التأكد من أن هذه المناهج مليئة بالأعمال
المتواضعة الغريبة ؛ التي تقدم إلى أبناء هذا الوطن ؛ مع
أنها لا تشبع ولا تغني من جوع .

ثم أن هذا الكتاب يعرف أيضاً بعدد كبير من العلماء
ورجال الفكر والإبداع في بلاد المغرب والأندلس ؛ مثل :
- ابن خلدون ؛ العلامة العظيم ؛ صاحب الفكر النير ؛
الذي سبق عصره .

- وأحمد بن جزى؛ الشاعر، الناثر، صاحب القلم الرفيع.
- ومحمد بن محمد بن جزى؛ الشاعر البارع، والكاتب البديع، والمؤرخ الضليع.
- ومحمد بن عبد الرحمن بن الحكيم؛ الوزير الكاتب، والشاعر المتفنن.
- ومحمد بن يحيى البرجي؛ الكاتب، والقاضي، والشاعر المجيد.
- وأحمد بن الزبير؛ الفقيه، المؤرخ؛ الضليع في علوم اللغة، والحديث، والتجويد.
- وأحمد بن عبد الملك بن سعيد؛ الشاعر، الأديب، الناقد.
- وأحمد بن صفوان؛ الشاعر الفحل، والناثر المتميز.
- وأحمد بن أيوب اللمائي؛ الوزير الكاتب، المتفنن، والشاعر المجيد.
- وأحمد بن محمد بن طلحة؛ شاعر الرقة والجمال، ومخترع الحديد من الألفاظ والمعاني.

- وأحمد بن خاتمة الأنصاري؛ أحد الصُّدُور في ميدان الأدب بالأندلس. شاعر فحل، متفنن، وكاتب رفيع الإنشاء.

- وأحمد بن عطية؛ كاتب الدولتين: المرابطية، والموحدية؛ نابغة في الكتابة، وشاعر لطيف المعاني.

- وأحمد بن محمد الكرياني الفاسي؛ شاعر مطبوع، وطبيب ماهر؛ اشتغل بالفلسفة والعلوم العقلية.

- وأحمد بن عبد الله بن عرفة؛ فقيه، وشاعر مجيد.

- وأحمد بن علي الملياني؛ الشاعر الجيد، والكاتب المتمكن.

- وأحمد بن الحسين بن الزياد الكلاعي؛ الفقيه المحقق، والخطيب البليغ.

- وإبراهيم بن محمد الساحلي المعروف بالطويجن؛ الأديب البارز، والشاعر الفحل.

- وإبراهيم بن عبد الله المعروف بابن الحاج، الأديب المتميز، والكاتب المتمكن، والشاعر المتفنن؛ صاحب التصانيف العديدة.

- وإبراهيم بن محمد النفزي؛ الشاعر المتصوف المتميز؛
صاحب الأعمال الجليلة والتأليف المفيدة.
- وحفصة الركونية؛ الشاعرة الرقيقة؛ ذات الفطنة
واللوزعية.
- وأم الحسن بنت القاضي الطنجالي؛ العالمة الطيبة،
والشاعرة الرقيقة.
- والخضر بن أحمد بن أبي العافية؛ صدر من صدور
القضاء، وعلماً من أعلام الكتابة شعراً ونثراً.
- ومحمد بن عباد؛ الملك الشهير، والشاعر الرقيق.
- ومحمد بن محمد بن عياش المعروف بأبي البركات؛
الشاعر المتميز، والكاتب النحرير.
- ومحمد بن أحمد بن حيّون الحسني؛ صاحب القصيدة
الجيدة التي اشتهرت بالمقصورة.
- ومحمد بن أحمد الفشتالي؛ الأديب البارع؛ وهو أحد
صدور التوثيق في بلاد المغرب.
- ومحمد بن محمد المقرئ الجد؛ أحد الأقطاب في الفقه
والأدب والشعر والحكمة.

- ومحمد بن أحمد بن عبد السلام؛ الشاعر البارع،
وصاحب التصانيف البديعة.

- ومحمد بن أحمد بن شبرين؛ الكاتب البارع، والشاعر
المجيد.

- ومحمد بن عبد الله بن خطاب الغافقي؛ الفقيه المحقق؛
صاحب الفكر النير، والشاعر المجيد، والكاتب النابغة؛
كاتب دولة بني عبد الواد في عهد يغمراسن بن زيان.
- ومحمد بن عمر المليكشي؛ الأديب الصوفي، والشاعر
المتفنن.

- ومحمد بن أحمد الهواري؛ الشاعر البارع.

- وأعداد كبيرة أخرى؛ من عظماء هذه الأمة؛ مثل:

- ابن طفيل، وابن باجة، وابن رشد، وغيره من
الفلاسفة، وصانعي الفكر؛ الذين زاروا غرناطة أو عاشوا
فيها. بالإضافة إلى عدد من الملوك المتميزين في دول المغرب
والأندلس؛ مثل:

- سلاطين دولة بني نصر، وبعض سلاطين الدولة المرينية،
ودولة بني زيان، والدولة الحفصية؛ بالإضافة إلى بعض

ملوك بني أمية في الأندلس، وبعض الرؤساء المتغلبين على مقاطعات ومدن بالأندلس؛ عقب سقوط الدولة الأموية. هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الملوك والأمراء؛ المشاركين في ميادين الأدب؛ وهم كثيرون؛ ولا يتسع المجال لذكرهم هنا؛ وأخبارهم متواجدة في كتاب الإحاطة. وهكذا؛ فالأمثلة كثيرة؛ لا مجال هنا لتعدادها؛ إذ يقارب عدد التراجم المعدة في الإحاطة خمسمائة ترجمة تقريباً؛ كلها لأعيان الأندلس والمغرب. منها ما هو معروف، ومنها ما لا يعرف عنه الكثير؛ إلى جانب من لا يعرف عنه تماماً.

وقد تناول ابن الخطيب كتابه بمنهج شامل؛ حتى وإن وصف بالاختصار؛ بحيث عرض جوانب متنوعة؛ عن كل شخصية ترجم لها؛ وقد شرح خطته بقوله: ((وذهبت إلى أن أذكر الرجل: ونسبه، وأصلته، وحسبه، ومولده، وبلده، ومذهبه، وأنحاله، والفن الذي دعى إلى ذكره، وحليته، ومشخته؛ إن كان ممن قيّد علماً أو كتبه، ومآثره إن كان ممن وصل الفضل بسببه، وشعره إذا كان شاعراً،

وأدبه وتصانيفه، إن كان ممن أَلَّفَ في فن أو هَدَّبَه، ومحتته
إن كان ممن بزَّه الدَّهر شيئاً أو سَلَبَه، ثمَّ وفاته ومُنْقَلَبه؛ إذ
استرجع الله من منحه حياته ما وهبه)).

وعلى الرغم من ثراء المحتوى، وروعة المادة
المعرضة في كتاب الإحاطة؛ إلا أنه قدم للقراء - في طبعاته
السابقة - ضمن ثوب مهلهل بال؛ لا يستقطب بعيداً، ولا
يغري قريباً. ولا يفتح شهية، ولا يشير حمية.

وعلى هذا؛ فقد ارتأينا إعادة النظر في شكل هذا
الكتاب العظيم في محتواه؛ وإعادة عرضه ضمن ثوب
ناصع براق؛ محلى بالوشي والزينة والوضوح. وهكذا؛
انصب الاهتمام - منذ البداية - على السماح للكلمات
المطبوعة بالتنفس والانفساح، والفقرات المخنوقة بالانعتاق
والانسراح؛ ورفع الضغط على الجمل والعبارات المتراكمة.
لأن محتوى هذا الكتاب - حتى وإن علت قيمته، وسمت
معانيه - فلن يستسيغه الناس.. كل الناس؛ إلا في ثوب
أنيق؛ يتماشى مع العصر الذي نعيش فيه.. عصر تطورت

فيه وسائل الطباعة وأشكالها، وتكاثفت خلاله الأعمال الجيدة الجذابة.

ومن هنا؛ أضحى هذا الكتاب؛ غير منسب في شكله الذي وضعه **عنان** من قبل؛ وسار على منواله الدكتور **علي طویل**. لذا وفقد غدا الحال يلح على التوسع والتمدد بعض الشيء؛ الأمر الذي اضطرنا إلى إعادة تصنيفه ضمن خمسة مجلدات؛ بدل الأربعة السابقة. خاصة وأن **عنان** نفسه - صاحب الأربعة مجلدات - لم يلتزم بالتصنيف الذي وضعه مؤلف الكتاب **ابن الخطيب**. لأن هذا الأخير صنف كتابه إلى أسفار؛ ربما وصل عددها إلى اثني عشر سفرًا. كما أن صاحب طبعة سابقة اكتفى بمجلدين اثنين لا غير. وحتى المخطوطات المتواجدة في **تونس، وإسبانيا، والمغرب**؛ فقد تباينت في أعداد مجلداتها. فمخطوط **الزيتونة** على سبيل المثال؛ يتشكل من ثلاثة مجلدات، ومخطوط مكتبة أكاديمية التاريخ الملكية بمديرية ضمن مجلدات ثلاثة أيضاً. بينما يقتصر مخطوط **جاينجوس** بإسبانيا، ومخطوط **الإسكوريال**؛ على مجلد واحد كبير

فقط. وعلى هذا؛ لا نجد حرجاً في اللجوء التحسين،
والتصرف في الشكل، والسعي إلى التغيير.

- كتاب الإحاطة أمام ناقدیه :

وقبل الاختتام؛ لابد من الإشارة هنا إلى النقد الذي
تعرض له المجلد الأول من الإحاطة في طبعته الأولى
(الصادرة في القاهرة سنة 1956م).

فأثناء كتابة هذه المقدمة تفضل الأستاذ محمد شايب
شريف - مشكوراً - فأعارني المجلد الثاني من مجلة معهد
المخطوطات العربية بمصر (الصادر في شوال
1375هـ/1956م). وهي السنة نفسها التي صدر فيها المجلد
الأول للإحاطة. وكان قد نبهني - من قبل - إلى مقالة نقدية
تخص الإحاطة؛ كتبها الدكتور لطفي عبد البديع سنة
1956م؛ في تلك المجلة. وبالاطلاع على المقالة المذكورة تبين
عدم جدواها؛ لأسباب عديدة؛ منها:

- أنها كتبت بغرض نقد المجلد الأول من الإحاطة؛ الصادر -
كما ذكر - في سنة 1956م. بينما مجلد الإحاطة المعتمد في هذا

العمل ؛ هو الصادر في الطبعة الثانية سنة 1393 هـ/1973. وهذه الطبعة الأخيرة نقحها **عنان** وصحح أخطاءها؛ وراجعها - كما قال - بعد الإطلاع على مخطوطات إضافية من خزائن الكتب المغربية.

- ملاحظات الناقد انحصرت في المواضيع الشكلية المبسطة ؛ دون الرجوع إلى المخطوطات التي اطلع عليها **عنان** في جهات مختلفة من بقاع الأرض ك: تونس والمغرب وإسبانيا، ومصر.

وعليه فالناقد - هنا - لم يبذل جهداً ملحوظاً في إعادة صياغة ما كتبه **عنان** ؛ بالاستناد إلى المخطوطات الأصلية المعتمدة، أو اكتشاف مخطوطات غيرها. وبذلك يكون ما قام به الدكتور **لطفي عبد البديع** ؛ عبارة عن نقد نظري مرسل ؛ لا يرقى إلى النقد العلمي الدقيق. وكل ما قام به ؛ هو تسجيل ملاحظاته وانتقاداته بالصورة التالية :

- أولاً: أنه أشار - بواسطة علامة استفهام - بجانب كلمة "أَظَلَّ" الواردة في عبارة ؛ ((أَظَلَّ [أي أبو الخطار حسام بن

ضراراً على قرطبة على حين غفلة)¹. معتقداً أن كلمة "أَظَلَّ" غير صحيحة. بينما هي صحيحة ومفهومة. وقد تجرأ فعوضها بكلمة "أَطَلَّ"؛ دون ذكر المصدر المعتمد في ذلك. وأشار - بالإستفهام أيضاً - إلى كلمة ((مُدِينَه)) الواردة ضمن عبارة: ((فانقاد إليه [أي إلى أبي الخطار] الجميع بحكم عهد مُدِينَه حنظلة بن صفوان))². ولكن الناقد كتبها ((مدينة))؛ وهو تحريف ورد في مخطوطات ثلاث من الإحاطة؛ ذكرها عنان في الهامش³؛ بعد أن صحح النص. وكلمة ((مُدِينَه)) تعني: أحسن إليه وملكه، وهي صحيحة، ولا غبار عليها.

المهم أن الدكتور لطفي عبد البديع أحال القارئ إلى نص اعتقد في صحته؛ وهو - كما قال - نقله عن طبعة قديمة للإحاطة. ولم يذكر أي طبعة قديمة للإحاطة يمكن الإعتماد عليها غير طبعة عنان؛ اللهم إلا إذا قصد بذلك الطبعة المشوهة المذكورة أعلاه؛ أي النسخة المطبوعة؛ في

¹ مجلة معهد المخطوطات العربية؛ مج: 2، ص: 199. أنظر في المقابل المجلد الأول من الإحاطة؛ القاهرة؛ الطبعة الثانية، سنة 1973؛ ص: 103.

² مجلة معهد المخطوطات العربية؛ مج: 2، ص: 199.

³ الإحاطة ط: 2، 1973، مج: 1، ص: 103.

مجلدين بالقاهرة سنة 1901م؛ بواسطة شركة طبع الكتب العربية؛ وتمتلك دار الكتب المصرية نسخة منها. وهي التي - كما يبدو - اكتفى بها الدكتور لطفي عبد البديع؛ نظراً للسهولة الوصول إليها. وقد ورد - فيما سبق - أن هذه النسخة القديمة رديئة ومشوهة؛ وقد نقدها وتأسف لأخطائها المستشرق الألماني زايبولد؛ من خلال مقال كتبه في دائرة المعارف الإسلامية.

- ثانياً: نبه الناقد إلى بعض النصوص المضطربة الواردة في الطبعة الأولى من الإحاطة. واقترح تعديلها والتصرف فيها بالإطلاق، وبدون قيود. ثم قدم نموذجاً لمقترحه؛ وبعدها خلاص إلى القول: ((وبذلك يكون سياق العبارة بعد تصحيح الخطأ، وإسقاط الزائد، وحذف المكرر على النحو التالي... وبهذا يرتفع الإشكال)).¹ غير أن ما قاله هذا الناقد الفاضل هنا مخالف لمنهج البحث العلمي التاريخي. إذ لا يجوز التصرف في النص الأصلي بالتعديل أو إسقاط الزائد أو حذف المكرر؛ كما قال. وكل ما يمكن

¹ مجلة معهد المخطوطات العربية؛ مج: 2، ص: 200.

للباحث فعله ؛ هو التعليق على ذلك ، وتصحيح الأخطاء في الهوامش.

- ثالثاً: أورد بعض الكلمات على أنها خاطئة ؛ منها: اسم (بَلَج بن يَشْر القشيري) زاعماً أن عنان أخطأ بضبط اسم بَلَج (بضم الباء) ؛ بالإضافة إلى اسم (الرازي) ؛ الذي قال أن عنان كتبه (العروسي) ؛ وكل هذا غير موجود في الطبعة الثانية. ثم أنه اعترض على عبارة ((المآزر المشفوعة)) ، واقترح - بجرأة - أن تكون (المآزر المشقوقة) ؛ لأنه - حسبما يبدو - لم يفهم تلك الكلمة ؛ بينما هي تعني: ((المآزر الطويلة)) ؛ كما ورد في معاجم اللغة. وزعم أيضاً أن عنان أخطأ - في فصل سِير أهل قطر غرناطة - حين كتب عبارة (أحوال سَنِيَّة) بدل عبارة ((أحوال سُنَّة)) ؛ التي نقلها الناقد من كتاب الحلل السندسية لشكيب أرسلان كما قال. وفي الواقع لم يفوت عنان فرصة التعليق على هذا ؛ إذ سجل ذلك في الهامش على أنه تحريف وقع في مخطوطي: ك ، ج. والشيء نفسه ينطبق على عبارة ((وأخلاقهم في احتمال المعاونة الجبائية)) ؛ التي ذكر أن عنان كتبها:

((وأخلاقهم في احتمال المعاوز الجبائية)). غير أن كلمة
(المعاوز) وردت محرفة في المخطوط : ك. وقد أشار إلى هذا
عنان في الهامش. وزعم كذلك أن عنان ؛ أخطأ حين كتب
((وألستهم فصيحة يتخللها غرب)) ؛ ورأى جازماً أن
الكلمة الأخيرة هي ((إعراب)). بينما تبين أن التي كتبها
عنان صحيحة ؛ إذ ورد في معاجم اللغة أن كلمة ((غرب))
تعني: الحدة في اللسان والسيف، وغربت الكلمة: أي
عصت ؛ وهي غير مألوفة.

وفي فقرة الأنساب ؛ اعترض على كلمة
((الإشراعات)) ؛ وجزم - بجرأة - أنها ((الإشتراعات)).
بينما يقول عنان - في الهامش - معلقاً عليها: ((هكذا وردت
في المخطوطات الثلاثة، وكذا الملكية ؛ ولعلها
(الإشراعات)، ومفردها إشراع، أو (الاشتراعات) ؛ بمعنى
مرسوم أو ظهير. أو لعلها - إن كانت صحيحة - تعبير
أندلسي قديم عن الإشراعات)). إذن ؛ فما الجديد الذي
أضافه الدكتور لطفي ؟ وقد اعتبر - كذلك بتعسف - أن
كلمة ((الأمي)) زائدة في فصل الأنساب ويستوجب حذفها.

مع أن ثمة عشيرة عربية تسمى : ((أمة)). إذ جاء في كتاب
الأنساب لابن دريد : ((في بني نصر بن معاوية بطن يقال
له بنو أمة))¹. وعليه لا يجوز التسرع في الأحكام هكذا.
أما بخصوص كلمة ((النمري)) ؛ فيبدو - والله أعلم -
أن الناقد وعنان حادا عن الصواب. لأن الإسم ذكره ابن
دريد بفتح النون مع التشديد وسكون الميم².

أما كلمة ((الحجبي)) فتطلق على الذي ينتسب إلى
فخذ الحجاج ؛ من بطن ثعلبة بني صقيل ؛ وينتمون إلى
بني هلال بن عامر؛ القاطنين في إفريقيا الشمالية. وكلمة
((الحجبي)) هنا لا علاقة لها بـ ((الحجبي)) التي ذكرها
الدكتور لطفي عبد البديع.

وأما كلمة ((الحمي)) التي اعترض عليها الناقد،
وتوهم أنها ((اللخمي)) ؛ فهي حقيقة ؛ نسبة إلى بطن من
بطون قبيلة تجيب تسمى ((حمي بن عامر)). يبقى أن اسم
((اللخمي)) سقط من قائمة الأنساب المذكورة ؛ ولا علاقة
لعنان بذلك ؛ بل العيب في النص الأصلي.

¹ ص: 54.

² الاشتقاق، ص: 184.

كما اعترض الدكتور لطفي أيضاً على عبارة (على عنائهم)؛ في القول: ((إلا من كان قد نزل منهم لأي البلديون! لأول قدومه في الفتوح على عنائهم موضعاً رضى))؛ فرأى أنها (غنائهم) وليس (عنائهم). مع أن العبارة المذكورة في الإحاطة واضحة؛ إذ تفيد أن ((العرب والبربر)) نزلوا في تلك الديار أيام الفتوح - ومع أنهم عانوا كثيراً - فإنهم نزلوا موضعاً رضى.

كما أن اعتراض الدكتور لطفي على كلمة (عروية) لا مسوغ له؛ لأن الكلمة صحيحة؛ إذ تصرف في قواميس اللغة هكذا: عَرَب، وعُرباً، وعُروبة، وعَرَابة، وعُروية. فكلها صحيحة؛ و(العروية) مصدر من العرب لا فعل له. وعليه؛ لا لزوم للتشبه الملح؛ من قبل الناقد بكلمة عروبة فقط.

والغريب أنه يعتقد أن كلمة (أقتالهم) خطأ؛ ويقول أنها (أقيالهم). ظاناً أنه في اليمن؛ مع أن الكلمة صحيحة وشائعة الإستعمال في البلدان المغربية والأندلس؛ والمقصود بها هي: أعداؤهم الذين يقاتلونهم. وجاءت العبارة في

الإحاطة هكذا: ((وزيهم في القديم شبه زي أقتالهم وأضدادهم من جيرانهم الفرنج؛ إسباغ الدروع، وتعليق الترسـة... إلخ)).

كما اقترح عبارة (وجفاء البيضات)؛ بينما الصحيح ما ورد في الإحاطة: ((وحفا البيضات)). والبيضات هي الخوذ؛ التي تحمي الرأس عند القتال؛ و(حفا): تعني لمعان الشيء كالبرق.

أما الصّدي (بكسر الصاد المشددة)، و(مزني) بفتح الميم؛ فهو خطأ؛ وقع فيه عنان، وأصاب الدكتور لطفي؛ لأن الأولى نسبة إلى بعض العشائر العربية؛ تسمى كل واحدة منها الصّديف (بفتح الصاد المشددة وكسر الدال). كالصّديف بن مالك، والصّديف بن عمرو، والصّديف بن أسلم. والثانية نسبة إلى بعض العشائر العربية أيضاً تسمى ((مُزينة)) بضم الميم ونصب الزاي.

أما خبر ابن الزقاق، ثم خبر أحمد بن عبد الملك ابن سعيد مع عبد المؤمن بن علي؛ فلم يظهر في الطبعة

الثانية من الإحاطة شيء مما ذكره الناقد. بينما صح ما قاله بخصوص خلل في وزن الأبيات المرقصة.

ثم أن الدكتور أبدى انزعاجه من التعاليق التي سجلها عنان في الحواشي؛ واصفاً بعض مدن إسبانيا المذكورة في النص. وقال: ((ما شأن كتاب كالإحاطة بجمال المدن الإسبانية وعدد سكانها اليوم؛ كقول الناشر في ألمرية...)). وهذا لا يعيب التحقيق؛ لأن الهامش ميدان ومساحة للمحقق؛ يكتب فيه ما يراه مفيداً. وطبعاً مدينة كألmería مهمة جداً؛ ومعرفتها حالياً تساعد على تصور حالها في الماضي.

والغريب - هنا - هو إصرار الدكتور لطفي؛ على ترديد كلمة ((الناشر))؛ في كل مرة يشير فيها إلى عنان؛ وكأنه مصمم على نفي صفة المحقق عنه. وهذا مؤسف حقاً.

ثم أن كلمة ((الثرة)) التي اعترض عليها الدكتور لطفي صحيحة، ولا غبار عليها؛ وتعني: السعة والتبسط.

أما اسم ((ابن قنودة)؛ فهو خطأ؛ واعتراضه عليه في محله؛ إذ هو (ابن مندة).

كما أن هذا الناقد يعتقد - خطأ - أن بيتي الشعر لأحمد بن أبي جعفر بن عطية يشوبهما عيب في الروي؛ معتقداً أنهما متكاملان ومتتابعان ضمن قطعة أو قصيدة واحدة. وهذا غير صحيح؛ لأن البيت الأول الذي يقول فيه:

فعفواً أمير المؤمنين فمن لنا
بحمل قلوب هدها الخفقانُ

لا يجتمع مع البيت الثاني في سياق أو قصيدة واحدة؛ إذ تفصل بينهما في الإحاطة عبارة جاء فيها:
((وكتب مع ابن له صغير آخرة؛ لأي قصيدة أخرى)):

عطفاً علينا أمير المؤمنين فقد
بان العزاء لفرط البَثِّ والحزنِ

المهم ؛ أن هذا الرد على نقد الدكتور لطفي عبد
البديع ؛ لا يعني أن تحقيق عنان للإحاطة يخلو من
الأخطاء، ولا تشوبه شائبة ؛ بل ثمة أخطاء وقع فيها هذا
الأستاذ الكبير؛ ولكن لا ننسى أن الكمال لله وحده
سبحانه وتعالى. ولا يوجد بين الباحثين والنقاد من يتصف
بالعصمة والكمال.

ومع هذا ؛ ليس من العدل والإنصاف ؛ نكران ما
بذله الآخرون ؛ من جهد وعمل نافع. لذا ؛ فرأينا هو أن
عنان سبق غيره في النبش والبحث والتنقيب عن هذا
التراث العظيم. ولم يتردد أو يتكاسل في الانتقال بين
الأوطان المختلفة لكي يجمع شتات هذا العمل. كما أنه
سهر الليالي ؛ باذلاً جهداً كبيراً في تنسيق المادة التاريخية
التي عثر عليه ؛ حيث نظمها في عقد واحد ؛ وأبرزها
للناس في وشاح مذهب هو الإحاطة.

ومن المؤسف أن نرى غيره من الكتاب والنقاد
والمؤرخين ؛ من يكتفي بالنقد السهل ؛ ضمن صفحات
قليلة ؛ دون أي حافز جاد لبذل ما بذله الأستاذ عنان ؛ من

سهر وجهد ومعانة في البحث - عبر البلدان العربية والأجنبية - عن المخطوطات المكملة لعمله أو المصححة له. وكل ما يستحق الذكر والتنويه في هذا السياق؛ هو العمل الذي قام به الدكتور يوسف علي طويل من لبنان؛ إذ قام بإعادة نشر كتاب الإحاطة مع مراجعته وتصحيحه. ولكن؛ ما يؤخذ عليه؛ أنه أسقط الهوامش المعدة من قبل صاحب التحقيق الأساس؛ على الرغم من ضرورتها ولزوم بقائها؛ لما لها من فائدة؛ إذ تحيل الباحثين إلى مصادر الأصول الأولى المتناثرة للكتاب.

هذا بالإضافة إلى أنه لم يشر إلى سلفه عنان بقليل أو كثير، ولم يذكر فضله؛ مع أنه اعتمد أساساً على كتابه. وهذه وصمة؛ أرجو أن يتخلص منها الدكتور طويل.

وجملة القول؛ يبدو أن عنان تدارك الأمر - كما ذكر - فصَحَّحَ معظم الأخطاء في الطبعة الثانية. ومع هذا؛ فكتاب الإحاطة ما زال في حاجة دائمة إلى مراجعة وتنقيح. وعليه؛ فلا يمكن التغاضي عن الأخطاء الإملائية والنحوية والتاريخية الموجودة في هذا الكتاب؛ إذ لا بد من التصدي

لذلك، وتصحيح ما يمكن تصحيحه؛ وإجلاء الغموض
عما في الكتاب من التباس واضطراب.

ولا بد لي - قبل أن أنهي كلامي هذا - من الإشادة
والتنويه بالدور العظيم، والجهد الكبير الذي بذلته،
وقامت به زوجتي الفاضلة؛ الأستاذة بوزياني ذهبية؛ إذ
وقفت إلى جانبي؛ خلال إنجازي هذا العمل الجليل؛
فتكفلت بالقيام ببعض الأعمال الهامة؛ من: تصنيف
على الحاسوب، وتصحيح لما كتب. بالإضافة إلى أنها
كانت المحرك القوي الذي ينشط حركتي؛ كلما انتابها
شيء من التباطؤ والفتور، وراودها حين إلى الكسل
والقصور.

ولا يفوتني - هنا - تقديم اعتذاري وأسفي مسبقاً؛
على كل ما سيظهر للقارئ الكريم من سهو، أو تقصير،
أو خطأ غير متعمد؛ فيما تم إنجازه من هذا العمل الهام؛
ذلك أن عملاً كهذا؛ بمواصفاته السامية، ومحتواه الجليل،
وقيمته العلمية الرفيعة، وحجمه الضخم؛ يتطلب جهداً

وسهراً؛ يستحق سنوات عديدة من العمل المتواصل؛ بينما
لم يترك لمنجزه من الوقت المسموح به سوى أشهر قلائل؛
وعلى هذا؛ اقتضى منا الحال الحيلة والاعتذار مسبقاً.
والله سبحانه خير معين؛ ومنه نلتمس التوفيق.

بوزياني الدراجي

الجزائر في: 30 مارس 2009م

الرموز المستعملة للإشارة على نسبة المخطوطات

اعتمد عبد الله عنان رموزاً لكي يختصر الكلام في تعيين نسبة المخطوط المراد ذكره في الهوامش. وقد ارتأينا السير على نهجه عند التطرق للمخطوطات التي اكتشفها. وتلك الرموز كما يلي :

- 1 - مخطوط دار الكتب المصرية بالقاهرة يرمز له بحرف : ((ك)).
- 2 - مخطوط أكاديمية التاريخ (جاينجوس) يرمز له بحرف : ((ج)).
- 3 - مخطوط (كوديرا) المنقول عن مخطوط الزيتون يرمز له بحرف : ((ت)).
- 4 - مخطوط رواق المغاربة بالجامع الأزهر ؛ وهو المعتمد عليه في بعض التراجم الواردة فيه ؛ يرمز له بحرفي : ((ر.م)).
- 5 - مخطوطي : دار الكتب و جاينجوس مجتمعين ؛ يرمز لهما بكلمة : ((المخطوطين)).
- 6 - مخطوط الخزانة الملكية بالرباط ؛ يرمز له بكلمة : ((الملكية)).

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ الأديب البار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني¹:

أما بعد الحمد لله الذي أحصى الخلائق عدداً،
وابتلاهم اليوم لِيَجْزِيَهُمْ غداً، وجعل جياذهم² تتسابق في
ميادين الآجال إلى مدى، وباينَ بينهم في الصور
والأخلاق، والأعمال والأرزاق، فلا يجدون بما³ قُسمَ
مَحِيصاً⁴، ولا فيما حكم مُلتَحداً⁵؛ وَسِعَهُمْ⁶ عِلْمُهُ على

¹ العبارة المحصورة ما بين الحاصرتين لم ترد في غير: ج. أما الفقرات التالية كلها؛ فقد أثبتتها ابن الخطيب في كتابه: ریحانة الكتاب.

² جياذ مفردھا جواذ سریع الجری؛ فيقال: ((فرس جواد، وخيل جياذ)).
³ في ریحانة الكتاب: ((عمّا)).

⁴ أي فلا يجدون بما قسم مهرباً.

⁵ أي: ((ملجاً)). وجاء في قوله تعالى: ﴿وَإِثْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ
وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً﴾. سورة الكهف؛ الآية: 27

⁶ في ریحانة الكتاب: ((ووسعهم)).

تَبَايُنِ أَفْرَاقِهِمْ¹، وَتَكَائُفِ أَعْدَادِهِمْ: وَالِدًا وَوَلَدًا، وَنَسَبًا وَبَلَدًا، وَوَفَاةً وَمَوْلَدًا. فَمِنْهُمْ النَّبِيَّةُ وَالْخَامِلُ، وَالْحَالِي² وَالْعَاطِلُ، وَالْعَالَمُ وَالْجَاهِلُ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾³. وَجَعَلَ لَهُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا يَمْشُونَ فِي مَنَاكِبِهَا⁴، وَيَتَخَذُونَ مِنْ جِبَالِهَا بُيُوتًا⁵، وَمِنْ مَتَاعِهَا عُدَدًا، وَخَصَّ بَعْضَ أَقْطَارِهَا بِمَزَايَا تَدْعُو إِلَى الْإِغْتِبَاطِ وَالْإِعْتِمَارِ⁶، وَتَحُثُّ

¹ أَفْرَاقُهُمْ مَفْرَدَةٌ: الْفِرْقُ، وَجَمْعُ جَمْعِهِ أَفَارِيقُ: الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ. وَقَدْ وَرَكِبْتَ فِي رِيحَانَةِ الْكِتَابِ: ((أَفْرَادَهُمْ)).

² أَيِ الْحَادِقِ.

³ الْآيَةُ كَامِلَةٌ هَكَذَا: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. سُورَةُ الْكَهْفِ؛ الْآيَةُ: 49.

⁴ مَنَاكِبُهَا: أَيِ فِي جَوَانِبِهَا. وَهَذَا كُلُّهُ إِحَالَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾. سُورَةُ الْمَلِكِ؛ الْآيَةُ: 15.

⁵ إِحَالَةٌ إِلَى آيَاتٍ كَرِيمَةٍ ثَلَاثٍ: هِيَ: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ تُخُذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَغْوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ؛ الْآيَةُ: 74. وَ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾. سُورَةُ النَّحْلِ؛ الْآيَةُ: 68. ثُمَّ (وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ)، سُورَةُ الْحَجَرِ؛ الْآيَةُ: 82.

⁶ الْإِغْتِبَاطُ: مِنَ غَبِطَ الشَّيْءُ: أَيِ عَظُمَ فِي عَيْنَيْهِ وَتَمَنَاهُ. أَمَّا الْإِعْتِمَارُ هُنَا فَهِيَ: الْعَمْرَةُ؛ أَوْ الْحَجُّ الْأَصْغَرُ.

على السُّكُونِ والإِسْتِقْرَارِ، مُتَّبِعاً¹ فسيحاً، وهواءً
 صحيحاً، وماءً نَمِيرًا²، وَاِمْتِنَاعاً شَهِيرًا، وَرِزْقاً رَغَدًا³.
 فسبحان من جعل التَّفَاضُلَ في المَسَاكِينِ والسَّاكِنِ،
 وَعَرَّفَ العِبَادَ عَوَارِفَ اللَّطْفِ، في الظَّاهِرِ والْبَاطِنِ، ولم
 يترك شيئاً سَدَى. والصلاة والسلام على سيدنا ومولنا
 محمدٍ الذي⁴ مَلَأَ الكونَ نوراً وَهْدَى، وَأَوْضَحَ سَبِيلَ
 الْحَقِّ، وكانت طرائق قِدْدًا⁵، أَعْلَى الأَنَامِ يَدًا، وَأَشْرَفَ
 الْخَلْقِ ذَاتًا، وَأَكْرَمَهُمْ مَحْتَدًا، الذي أَنْجَزَ اللهُ بِهِ - من نصر
 دينه - الْحَقَّ مَوْعِدًا، حَتَّى بَلَغَتْ دَعْوَتُهُ مَا زُويَ⁶ - له - من

¹ أي متساوي ومتكافئ

² ماء نمير: ماء زاكي

³ أي لَانٍ وطاب وغزر. وجاء في قوله جل جلاله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. سورة البقرة؛ الآية: 35. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فْكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾. سورة البقرة؛ الآية: 58. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَصْرِيَّةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. سورة النحل؛ الآية: 112.

⁴ في الريحانة: ((محمد رسول الله الذي ملأ الكون...)).

⁵ أي مختلفة ومتعددة. وجاء في القرآن الكريم: ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾. سورة الجن؛ الآية: 11.

⁶ أي ما نُحْيِي وبعده.

هذا المغرب الأقصى، فرفعت بكل هَضْبَةٍ مَعْلَمًا، وَبَنَتْ
بكل هَضْبَةٍ مسجدًا، والرَّضَى عن آلِه وأصحابه، الذين
كانوا لسماء سَنَّتِه عُمْدًا، لُيُوثِ العِدَا، وَغَيُوثِ النَّدَى، ما
أَقْلَّ سَاعِدُ يَدَا، وَعُمَرُ بَكْرُ خَالِدَا، ومصباح بدا وأغفلت
سُهِدَا.

فإن الله - عز وجهه - جعل الكتابَ لمواردِ العلمِ قَيْدًا،
وَجَوَارِحُ اليراعِ تُثِيرُ في السُّهُولِ الرِّقَاعَ صَيْدًا؛ ولولا ذلك
لم يشعر آتٍ - في خلق - بذهابٍ، ولا اتَّصلَ شاهدٌ بغائبٍ؛
فماتت الفضائلُ بموتِ أهلها، وأفلتت نُجُومُها عن أعينِ
مُجْتَليها؛ فلم يُرجع إلى خبرٍ يُنقل، ولا دليل يُعقل، ولا
سياسة تُكسب، ولا أصالة إليها يُتَسَبَّ؛ فهدى - سبحانه -
وَأَلْهَمَ، وَعَلَّمَ الإنسانَ بالقلم، [عِلْمًا]¹ ما لم يكن يعلم؛²
حتى أَلْفَيْنَا المراسِمَ قائدةً، والمرشدَ هادِيَةً، والأخبارَ
مَنْقُولَةً، والأسانيدَ موصولةً، والأصولَ محرَّرةً، والتَّوَارِيخَ
مقرَّرةً، والسَّيَرَ مذكورةً، والآثارَ مأثورةً، الفضائلَ - من

¹ وردت هذه الكلمة في ل. ووردت أيضًا في ربحانة الكتاب.
² إحالة إلى الآيتين الكريميتين: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. سورة العلق؛ الآيتان: 4 - 5. وقد سقطت كلمة ((يكن)) في ربحانة الكتاب.

بعد أهلها - باقيةً خالدةً، والمآثر ناطقة شاهدة؛ كأنَّ النهارَ
القرطاسُ، والليلَ المدادُ¹؛ ينافسان: الليلُ والنهارُ، في
عالمِ الكونِ والفسادِ؛ فمهما طويلاً شيئاً ولعاً هما² بنشره،
أو دفناً ذكراً دعوا إلى نشره. وفلو³ أن لسان الدهر نطق،
وتأمل لهذه⁴ المناقضة وتحقق؛ لأتَى بما شاء من عتبٍ
ولوم؛ وأنشده:

((أعلمه الرماية كل يوم))⁵.

ولما كان الفنُّ التاريخي مأرب⁶ البشر، ووسيلة إلى
ضم النشر؛ يعرفون بها أنسابهم - في⁷ ذلك - شرعاً وطبعاً
ما فيه، ويكتسبون به عقل⁸ التجربة في حال السكون
والرفيه⁹، ويستدلون ببعض ما يُبدي به الدهرُ وما يخفيه،

¹ في ريحانة الكتاب: ((كأن نهار الطرس وليل المداد)).

² ((هما)) سقطت في الريحانة.

³ في الريحانة: ((ولو)).

⁴ في الريحانة: ((هذه)).

⁵ حرفت في نسخة عنان؛ والتصويب من الريحانة. وعجز هذا البيت هو:

((فلما اشتد ساعده رمانني)). (من بحر الوافر).

⁶ في الريحانة: ((ولما كان هذا الفن التاريخي فيه مأرب)).

⁷ في الريحانة: ((وفي)).

⁸ أو ((حقل)) كما في (ك).

⁹ هكذا في نسخة عنان؛ والصواب ما ورد في الريحانة؛ وهو: ((الترفيه)).

وَيُري العاقل من¹ تصريف قدرة الله تعالى ما يشرح الصَّدر
 الصَّدر بالإيمان وَيَشْفِيهِ، ويمرّ على مصارع الجبابة فيَحْسَبُهُ
 بذلك² واعظاً وَيَكْفِيهِ، وكتاب الله يَتَخَلَّلُهُ من القصص ما
 يَتِمُّ هذا الشاهد لهذا الفنّ ويؤفقه. وقال الله تعالى:
 ﴿وَلَوْلَا نَقْصُ عَليكَ مِن أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثِّبُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾³.
 ﴿3. قال عز من قال: ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَليكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
 الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾⁴. فَوَضَحَ سَبِيلُ مَبِينٍ. وَيُظْهِرُ⁵ أَنَّ الْقَوْلَ⁶
 الْقَوْلَ⁶ بفضله يقتضيه⁷ عقل ودين. وأنّ بعض المصنفين؛
 المصنفين؛ مِمَّنْ تَرَكَ نَوْمَهُ لِمَنْ دُونَهُ، وَأَنْزَفَ⁸ ماء شبابه
 مُودِعاً إِيَّاهُ بَطْنِ كِتَابِهِ؛ يَقْصُدُهُ النَّاسُ وَيَرِدُونَهُ؛ اختلفتْ -

¹ في ريحانة الكتاب: ((العاقل في قدرة الله)).

² في ريحانة الكتاب: ((فيحسب ذلك)).

³ الآية كاملة هكذا: ﴿وَلَوْلَا نَقْصُ عَليكَ مِن أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثِّبُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. سورة هود؛

الآية: 120.

⁴ سورة يوسف؛ الآية: 3.

⁵ في: (ج)، و (ك): ((يظهر)).

⁶ في (ج): ((الفصل)).

⁷ وفي الريحانة كتبت العبارة كلها هكذا ((فوضح من حقه سبيل مبين
 ويظهر أن القول يقضي به)).

⁸ يقولون: أنزف الرجل: أي لم يبق له شيء.

في مثل هذا الباب - أغراضهم؛ فمنهم: مَنْ أَعْتَنَى بِإِثباتِ حوادثِ الزَّمانِ، ومنهم مَنْ أَعْتَنَى بِرجالِهِ؛ - بعدَ اختِيارِ الأعيانِ - عجزاً عن الإحاطة بهذا الشأن؛ عُموماً في أكثرِ الأقطارِ¹، وَخُصُوصاً في بعضِ البُلدانِ. فاستَهْدَفَ - إلى التَّعميمِ - فُرْسانَ الميدانِ، وتوسَّعوا بِحَسَبِ مادةِ الاطِّلاعِ، وجهَدَ الإمكانَ؛ وجَنَحَ إلى التَّخصيصِ [من أثراً²؛ الأولويَّةُ بِحَسَبِ ما يَخُصُّه من المكانِ، ويلزِمُه من حقوقِ السُّكانِ؛ مُغرماً بِرعايةِ عهودِ وطنِهِ؛ وحُسْنُ العَهْدِ مِنَ الإيمانِ؛ بادئاً بِمن يعولُه؛ كما جاءَ في الطُّرُقِ الحِسانِ. فتذكَّرتُ جُملةً مِنَ مَوْضوعاتِ³؛ مَنْ أَفردَ لِوطنِهِ⁴ تاريخاً؛ تاريخاً؛ هَزَّ إِلَيْها علمُ اللهِ؛ وفاءً وكرمٌ، ودارَ عليها؛ بقولِ⁵ اللهُ مَنْ رَحِمَتْهُ الواسِعَةُ حَرَمٌ؛ كتاريخِ⁶ مدينة

¹ في ریحانة الكتاب: ((الأوقات)).

² ما بين الحاصرتين سقط من الأصل؛ وقد أضيف من ریحانة الكتاب.

³ في (ج) و (ك): ((موضوعاته)). والمؤلفات الخاصة بتاريخ الأندلس؛ الواردة في هذا الفصل؛ ستتم الإشارة إليها في الهوامش، وقائمة الكتب؛ لأن ابن الخطيب - كما يبدو - قد اعتمد عليها في تأليف الإحاطة.

⁴ في ریحانة الكتاب: ((من أفرد تاريخاً لبلده)).

⁵ في الریحانة: ((بفضل)).

⁶ لم يسرد ابن الخطيب في ریحانة الكتاب الفقرات التالية المتعلقة بالتأليف؛ كما هو الحال في الإحاطة. بل اكتفى بالإحالة بقوله: كتاريخ كذا، وتاريخ كذا. وقد استغرق في ذلك زهاء الصفحتين تقريباً.

بُخَارَى؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان
الفخار¹، وتاريخ أصبهان؛ لأبي نُعَيْم أحمد بن عبد الله
الحافظ²؛ صاحب الحلية، وتاريخ أصبهان - أيضاً - لأبي

¹ يبدو أن نسخ ما كتبه ابن الخطيب فيه خطأ؛ لأنه تعذر التوصل إلى اكتشاف محمد بن أحمد بن سليمان الفخار؛ والصحيح هو ((عُجَّار))؛ بالغين؛ واسمه بالكامل هو: أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان المعروف بِعُجَّارٍ؛ ولد ببخارى وتوفي بها (337هـ/992م - 412هـ/1021م)؛ اهتم بالتاريخ؛ ومن مؤلفاته تاريخ بخارى، ومن الذين كتبوا عن تاريخ بخارى: أبو بكر منصور البرسخي، وسعيد بن جناح الزاهد؛ وهذان الشخصان لا يعرف تاريخ ولادتهما ولا مماتهما، ثم محمد جعفر النرشخي (348هـ/959م)، ثم أحمد بن محمد بن ماما الأصبهاني (ت: 436هـ/1044م، أما مدينة بخارى - الآن - فهي خامس مدن أوزبكستان حالياً؛ وتتواجد وراء إقليم خراسان، وكانت قاعدة لملك آل سامان. من أهل بخارى الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري صاحب الجامع الصحيح من أحاديث رسول الله (ص)، ومنها أيضاً ابن سينا الحكيم، والزمخشري.

² أما أصبهان فتسمى أيضاً أصفهان بالفاء الموحدة، وهي مدينة في إيران الحالية؛ بين شيراز وطهران. خرج منها عدد كبير من الأدباء، واشتهرت بتجارة الحرير والطنافس، أما صاحب كتاب تاريخ أصبهان المذكور فهو الحافظ أبو نعيم؛ ولد بأصفهان سنة 336هـ/948م وتوفي بها سنة 430هـ/1038م، أما كتابه عن أصبهان فعنوانه: ذكر أخبار أصبهان؛ في مجلدين. وله مؤلفات أخرى؛ منها: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء؛ في عشرة أجزاء، ثم كتاب معرفة الصحابة، ثم كتاب طبقات المحدثين والرواة، ثم كتاب دلائل النبوة، ثم كتاب الشعراء، وممن كتب عن تاريخ أصبهان - غير اللذين ذكرهما ابن الخطيب: حمزة بن الحسن الأصبهاني؛ لا يعرف عن تاريخ ولادته ومماته، وأحمد بن موسى بن مردويه (ت: 410هـ/1019م، ومحمد بن إسحاق بن محمد الأصبهاني (ت: 395هـ/1004م، ومحمد بن أحمد الذكواني؛ صاحب كتاب طبقات الأصبهانيين (ت: 333هـ/944م)، ومحمد بن عبد الجليل كوتاه (ت: 580هـ/1184م، وعبد الله بن أحمد السوذرجاني (425هـ/1033م).

زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن قنّدة¹ الحافظ. وتاريخ
نيسابور²؛ للحاكم أبي عبد الله بن اليسع، وذيله؛ لعبد
الغافر بن إسماعيل³، وتاريخ همذان؛ لأبي شجاع
شيرويه بن شهردار بن شيرويه محمد بن فناخسرو

¹ هكذا؛ وهو خطأ؛ والصحيح هو: ابن مَنْدَةَ؛ بالميم المفتوحة. واسمه
بالكامل هو: أبو زكرياء يحيى بن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن
محمد بن يحيى العبدري الأصبهاني بن مَنْدَةَ. ولد بأصفهان سنة
434هـ/1043م وتوفي بها سنة 511هـ/1118م. ومن مؤلفاته: تاريخ
أصبهان، ومناقب الإمام أحمد، والتنبيه على أحوال الجهال والمنافقين،
وكتاب ذكر من عاش مائة وعشرين سنة من الصحابة، وكتاب على الصحيحين.
² نيسابور تسمى أيضاً نيسابور بالشين الثلاثية. وهي عاصمة خراسان؛
وهي مدينة معتبرة في القرون الوسطى. ولد بها عمر الخيام، وفريد الدين
الغطار. واسم اليسع خطأ قد يكون من الناسخ؛ والصحيح هو: ابن البيّغ؛
يفتح الباء الموحدة والفتح بالتشديد على الياء التحتية المثناة. واسمه
بالكامل هو: أبو عبد الله محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني
النيسابوري؛ وشهرته: الحاكم. ولد بنيسابور سنة 321هـ/933م وتوفي بها
سنة 402هـ/1011م. ولي قضاء نيسابور. ومن مؤلفاته: المستدرک على
الصحيحين؛ في أربع مجلدات، والإكليل، والمدخل، (إليه)، وتراجم
الشيوخ، والصحيح (في الحديث)، وفصائل الشافعي، وتسمية من أخرجهم
البخاري ومسلم، ومعرفة أصول الحديث، وكتاب تاريخ نيسابور. وممن
كتب عن تاريخ نيسابور بالإضافة للحاكم: عبد الله بن أحمد الكعبي
البلخي (ت: 319هـ/931م، وعبد الغافر بن إسماعيل الآتي ذكره.
³ يسمى بالكامل: أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي؛ ولد سنة
451هـ/1059م وتوفي بنيسابور سنة 529هـ/1135م. وهو من علماء
العربية، وله اهتمام بالتاريخ والحديث. من مؤلفاته: المفهوم لشرح غريب
مسلم، ومجمع الغرائب، وغريب الحديث، وكتاب السياق (في تاريخ
نيسابور) وصل به إلى سنة 518هـ؛ وهو الكتاب الذي سماه ابن الخطيب
ذيل تاريخ نيسابور للحاكم.

الدَّيْلَمِي¹، وتاريخ طبقات أهل شيراز²؛ لأبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن القصار. وتاريخ هراة³؛ أضنه لأبي عبد الله الحسن بن محمد الكتبي، وأخبار هراة. أيضاً - ومن نزلها من التابعين وغيرهم من محدثين؛ لأبي إسحاق أحمد بن ياسين الحداد، وتاريخ سمرقند؛ لعبد

¹ تسمى أيضاً همدان بالبدال المهملة، وهي إحدى المدن الإيرانية؛ وتقع جنوب غربي طهران؛ كانت قديماً تسمى إكبتانا. اشتهرت بصناعة الطنافس. وفيها قبر ابن سينا الحكيم. وصاحب الكتاب يعرف بشيروه الديلمي الهمداني؛ ولد في سنة 445هـ/1053م، وتوفي في سنة 509هـ/1115م. من مؤلفاته: فردوس الخيار؛ في الحديث، وتاريخ همدان المذكور. ومن الذين كتبوا عن تاريخ همدان بالإضافة إلى شيروه؛ صالح ابن أحمد الهمداني (ت: 384هـ/994م، وعبد الرحمن بن أحمد الأنماطي (ت: 359هـ/969م).

² كانت شيراز من أهم مدن بلاد فارس. تقع في الجنوب الغربي من إيران. اشتهرت بصناعة السجاد من العلماء الدارسين بها؛ الفقيه الشافعي إبراهيم الفيروزآبادي، وصدر الدين محمد (الملا صدرا). أما صاحب الكتاب المذكور فهو أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز القصاري، (وليس ابن القصار). وقد توفي في القرن الخامس الهجري؛ وعنوان كتابه: تاريخ شيراز؛ وهو مفقود وثمة كتاب مفقود أيضاً في تاريخ شيراز؛ لهبة الله بن عبد الوارث بن علي الشيرازي (ت: 486هـ/1093م).

³ هراة أو (هرات)؛ مدينة في شمال غربي أفغانستان الحالية؛ يقال أن بانيها هو الاسكندر المقدوني. تصنع بها الطنافس، واشتهرت بماء الورد أما تاريخ هراة فقد كتب من قبل عدد من العلماء؛ منهم: الحسين بن محمد الكتبي؛ (وليس الحسن)؛ توفي في سنة 496هـ/1102م. بالإضافة إلى: محمد بن المنذر بن سعيد الهروي المتوفي في سنة 334هـ/945م، وأحمد بن محمد بن ياسين الهروي (ت: 334هـ/945م)؛ وهو (الحداد) المقصود في النص، وأحمد بن محمد بن يونس الهروي (ت: 329هـ/940م، وعبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي (ت: 546هـ/1151م)، وعيسى بن عبد الله الهروي (ت: 544هـ/1149م).

الرحمان بن محمد الأزدسي¹، وتاريخ نُسَف؛ لجعفر بن محمد المُعَبَّر المستغفري²، وتاريخ جُرْجان؛ لأبي القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي³، وتاريخ الرُّقَّة؛ لأبي علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمان القُشَيْري⁴،

¹ هو الإدريسي؛ وليس الأردسي (ت: 405هـ/1014م). وسمرقند - هي الآن - في أوزبكستان؛ اتخذها تيمورلنك عاصمة له؛ وفيها قبره. من علمائها: إمام الهدى نصر أبو الليث السمرقندي (ت: 373هـ)؛ أحد كبار فقهاء المذهب الحنفي، ومن أئمة التفسير؛ له كتاب تنبيه الغافلين في المواعظ والحكم. ثم أبو القاسم الليثي السمرقندي (ت: بعد 888هـ)؛ من فقهاء الحنفية؛ وهو صاحب الرسالة السمرقندية، وكتاب بلوغ الأرب في تحقيق استعارات العرب، ومن الذين كتبوا عن سمرقند، جعفر بن محمد المستغفري (ت: 432هـ/1040م)، وسعيد بن محمد الزاهد، لا يعرف تاريخ مولده ولا مماته.

² نسف؛ تسمى أيضاً نخشب؛ في بخارى؛ بين نهر جيحون وسمرقند. خرج منها علماء كثيرون؛ منهم: نجم الدين أبو حفص عمر النسفي (ت: 537هـ)؛ عرف باسم الإمام النسفي؛ أحد كبار فقهاء المذهب الحنفي؛ له كتاب العقائد النسفية، وتاريخ بخارى، ثم أبو البركات عبد الله بن أحمد (ت: 710هـ)؛ فقيه حنفي ومفسر وأصولي؛ له في التفسير كتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل، وفي الفقه: منار الأنوار، وكنز الدقائق. وصاحب كتاب تاريخ نسف سبقت الإشارة إليه في التعليق السابق؛ على أساس أنه كتاب تاريخ سمرقند.

³ جرجان: إقليم في فارس يقع جنوب شرقي بحر قزوين؛ عرف قديماً باسم هيركانيا. ومنها القاضي أبو الحسن علي الجرجاني (ت: 948هـ)؛ له ديوان شعر، وكتاب الوساطة بين المتتبي وخصومه. ثم عبد القاهر الجرجاني (ت: 1078)؛ من أئمة اللغة العربية؛ له في علم البيان كتاب أسرار البلاغة، وفي علم المعاني كتاب دلائل الإعجاز. أما كتاب تاريخ جرجان فعنوانه الحقيقي هو: كتاب معرفة علماء أهل جرجان؛ ألفه المذكور؛ حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني (ت: 427هـ/1036م، وله أيضاً معجم في شيوخه، ثم كتاب الأربعين في فضائل العباس.

⁴ الرقة؛ تسمى أيضاً الرشيد؛ وهي مدينة قديمة في سورية؛ بناها الاسكندر المقدوني وسماها نيقفوريون؛ ثم أطلق عليها الرومان اسم كاليينيكوس.

وتاريخ بغداد؛ للخطيب أبي بكر بن ثابت¹، وذيله؛ لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني²، وأخبار بغداد؛ لأحمد بن أبي طاهر³، وتاريخ واسط؛ لأبي الحسين علي بن الطيب الخلافي⁴، وتاريخ من نزل حمص من الصحابة ومن دخلها ومن ارتحل عنها ومن أعقب ولم يعقب وحدث ولم يحدث؛ لأبي القاسم عبد الصمد

وفي العصر العباسي شيد المنصور بها مدينة جديدة سماها الرفيقة؛ ثم اتخذها الرشيد عاصمة صيفية له؛ حيث بنى فيها قصر السلام؛ وأصبحت تدعى مدينة الرشيد. أما الكتاب فعنوانه: تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله (ص) والتابعين والفقهاء والمحدثين. ومؤلفه كما جاء في النص؛ وهو من أهل حران (ت: 334هـ/945م).

¹ بغداد أشهر من علم؛ وهي عاصمة العراق حالياً؛ شيدها الخليفة العباسي المنصور سنة 762هـ؛ وسماها مدينة السلام. أما المؤلف المذكور فاسمه بالكامل هو: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب؛ ولد في غُرَيَّة؛ الواقعة بين مكة والكوفة سنة 392هـ/1002م وتوفي ببغداد سنة 463هـ/1072م. وللخطيب هذا عدد كبير من المؤلفات في مختلف الأغراض.

² وهو من سمعان أحد بطون تميم؛ مؤرخ ورحالة؛ (ولد ومات بمرور (أشهر مدن خراسان) 506هـ/1113م - 562هـ/1167م).

³ هو أبو الفضل أحمد بن طيفور (أبي طاهر) الخراساني ولد ببغداد سنة 204هـ/819م وتوفي بها سنة 280هـ/893م. ألف زهاء خمسين كتاباً منها كتاب تاريخ بغداد

⁴ وهي إحدى مدن العراق؛ تقع بين البصرة والكوفة؛ شيدها الحجاج بن يوسف الثقفي بين سنتي: 702 - 705هـ. ومؤلف الكتاب هو: أبو الحسن علي بن محمد الجلابي (وليس الخلافي) توفي سنة 384هـ/994م. وكتب عن واسط أيضاً: محمد بن سعيد الديبتي (ت: 637هـ/1239م).

ابن سعيد القاضي¹، وتاريخ دمشق؛ لأبي القاسم علي
ابن الحسن بن عساكر²، وتاريخ مكة؛ للأزرقي³،
وتاريخ المدينة؛ لابن النجار⁴، وتاريخ مصر؛ لعبد
الرحمان بن أحمد بن نواس⁵، وتاريخ الإسكندرية؛
لوجيه الدين أبي المظفر منصور بن سليمان بن منصور بن

¹ حمص: مدينة سورية قديمة؛ كانت تسمى أيام الرومان إميزا، ولد بها من أباطرة الرومان: كاركالا؛ وإلاغال، واسكندر سوبرس. أما المؤلف فهو أبو القاسم عبد الصمد بن سعيد بن عبد الله الكندي الحمصي؛ (ت: 324هـ/936م). عالماً في الحديث، وتولى قضاء حمص فلقب بتلك المرتبة.
² دمشق هي عاصمة سورية حالياً. مدينة أزية عرفت أيام الأشوريين والآراميين والبابليين. أما المؤلف فيسمى: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي؛ مؤرخ ورخالة ومحدث.
³ تسمى أيضاً بكة، وأم القرى؛ وفيها الكعبة بيت الله الحرام؛ ولد بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم. والمؤلف هو أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى توفي حالي 250هـ/865م. هو من أهل مكة ومن أصول يمنية. وعنوان كتابه: أخبار مكة شرفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار.
⁴ المدينة المنورة؛ وتسمى أيضاً طيبة، ويثرب. تقع شمال مكة؛ هي دار هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وفيها توفي ودفن. يعود وجودها إلى أيام العمالة. وعنوان الكتاب بالكامل هو: الدرّة الثمينة في تاريخ المدينة؛ ألفه: الإمام الحافظ أبو عبد الله محب الدين محمد بن محمود بن النجار البغدادي (ت: 643هـ/1245م).
⁵ مصر: اسم يطلق على إقليم وعلى مدينة القاهرة. والإقليم قديم في تاريخه؛ ذكر في القرآن والكتب المقدسة. أما مدينة القاهرة فهي عاصمة مصر الحالية؛ وبنيت أيام المعز لدين الله الفاطمي سنة 401هـ. وصاحب الكتاب المذكور هو أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس (وليس ابن نواس كما ذكر) الصدفي الحميري؛ ولد بمصر سنة 281هـ/894م وتوفي بها سنة 347هـ/958م. وله كتابان عن مصر: الأول: كتاب كبير في أخبار مصر ورجالها، وأما الثاني فهو صغير؛ في ذكر الغرباء الواردين على مصر.

سليم الشافعي¹، وتاريخ طبقات فقهاء تونس؛ لأبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي العباس بن خلف التميمي²، وعُنوان الدِّرَاية في ذكر مَنْ كان في المائة السَّابعة بِبجاية؛ لأبي العباس بن الغبريني³، وتاريخ تِلْمُسان؛ لابن الأصفر⁴، وتاريخها - أيضاً -.

¹ ميناء مصري يطل على البحر الأبيض المتوسط؛ سميت هذه المدينة بذلك نسبة إلى مشيدها الإسكندر المقدوني، ومؤلف الكتاب هو وجيه الدين أبو المظفر منصور بن سليم (وليس سليمان كما ورد) ابن فتوح الهمداني الإسكندراني؛ وهو من حفاظ الحديث، تولى الحسبة في الإسكندرية؛ له اهتمام بالتاريخ؛ من كتبه: الدرر السنية في أخبار الإسكندرية، والذيل على تذييل ابن نقطة على الإكمال لابن ماكولا، وتراجم رجال الحديث، ومعجم عن شيوخه.

² يطلق الاسم على الإقليم وعلى المدينة؛ وهي عاصمة الجمهورية التونسية حالياً. مدينة قديمة ربما عادت نواتها الأولى إلى عهد الفينيقيين. كانت تسمى أيام الرومان تونيوتوم. أما المؤلف؛ فلم نجد ما يدل عليه. وربما التبس الأمر بينه وبين أبي العرب؛ وهو أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت: 333هـ/944م)؛ وكتابه هو: طبقات علماء إفريقية وتونس.

³ بجاية: ميناء هام في الجمهورية الجزائرية حالياً. اسمها القديم هو سالداي؛ إذ كانت في بداية أمرها عبارة عن محطة ساحلية فينيقية؛ ثم توسعت أيام الرومان، ثم غدت عاصمة للدولة الحمادية. والمؤلف هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الغبريني؛ نسبة إلى قبيلة أمازيغية تسمى غبرين؛ ولد ببجاية سنة 644هـ/1246م وتوفي بها سنة 714هـ/1315م؛ وولي قضاء بلده. من مؤلفاته كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية.

⁴ تلمسان مدينة أزلية؛ عاصمة المغرب الأسط سابقاً. كانت تسمى أيام الرومان بوماريا. ثم اتخذها أبو قرّة اليفرني عاصمة لدولته بعد أن جددتها. وبعدها غدت عاصمة للمغراويين؛ ثم اتخذها سليمان بن عبد الله الكامل وأبناءؤه من العلويين عاصمة لهم؛ وانتقل أمرها - بعد مدة - إلى بني زيان؛ حيث أضحت عاصمة لدولتهم، وقاعدة للمغرب الأوسط. ومؤلف الكتاب هو أبو عثمان سعيد بن عيسى بن الأصفر الأندلسي؛

لابن هديّة¹، وتاريخ فاس؛ لابن عبد
الكريم²، وتاريخاً - أيضاً - لابن أبي زرع³، وتاريخ
فاس - أيضاً - للقونجي⁴، وتاريخ سبتة؛ المسمى بالفنون
الستة؛ للأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض؛
تركه في مسودة⁵، وتاريخ بكنسية؛ لابن علقمة¹،

نزيل طليطلة (توفي حوالي 460هـ/1067م، ألف كتابه عن تلمسان،
وكتاب: شرح الجمل للزجاجي؛ في النحو.
¹ هو أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي التلمساني
المعروف بابن هدية (ت: 1334/735م؛ ألف كتاب تاريخ تلمسان.
² أسسها إدريس الأول سنة 182هـ؛ حيث اتخذها عاصمة لدولته بالمغرب
الأقصى، أما المؤلف ابن عبد الكريم؛ فقد تعذر عليّ معرفته؛ غير أن
المؤلفين لتاريخ مدينة فاس متعددون؛ منهم المعروف، ومنهم المجهول؛
فلعل ابن عبد الكريم هذا يكون من بين هؤلاء الأخيرين.
³ هو علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي؛ وعنوان كتابه: الأئيس
المطرب بروض القرطاس (ت: 719هـ/1319م.
⁴ يمكن أن ينطبق ما ورد في التعليق السابق على تاريخ القونجي أيضاً،
وكل ما يمكن ذكره أن ابن الخطيب ترجم للذي يسمى ابن القونجي في
الإحاطة؛ دون ذكر كتاب تاريخ فاس. ومما جاء في ترجمته: ((ابن جعفر
القونجي محمد بن أحمد السلمي؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جعفر،
ويشهر في الأخير بالقونجي؛ منسوباً إلى قرية بالإقليم؛ وكان من أهل
غرناطة، توفي بالمرية محل سكناه، في حدود عام خمسة عشر
وسبعمائة)). (أي حوالي 1315م).
⁵ مدينة في شمال المغرب الأقصى تطل على مضيق جبل طارق. كانت -
في بداية أمرها - عبارة عن محطة تجاية فينيقية اسمها أيبلا، ومنها
انطلق طارق بن زياد لفتح الأندلس. ما زالت الآن تحت الاحتلال
الإسباني. أما صاحب الكتاب المذكور فهو أبو الفضل عياض بن موسى
ابن عياض السبتي اليحصبي المالكي ولد في سنة 476هـ/1083م وتوفي
بمراكش سنة 544هـ/1149م. من مؤلفاته: كتاب الشفا في شرف
المصطفى، وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب
مالك، وكتاب العقيدة، وكتاب شرح حديث أم زرع، وله أيضاً كتاب

وتاريخ إلبيرة؛ لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد
الغافقي الملاحى²، وتاريخ شقورة؛ لابن إدريس³،
وتاريخ مالقة؛ لأبي عبد الله بن عسكر؛ تركه غير
متمم؛ فتممه - بعد وفاته - ابن أخيه أبو بكر بن
خمسین⁴، والإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة؛

مشارك الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار، والموطأ، والصحيحين، وكتاب
جامع التاريخ؛ الذي جمع فيه أخبار ملوك الأندلس والمغرب؛ وقد اشتمل
على أخبار سبنة وعلمائها؛ ويبدو أنه هو الذي يقصده ابن الخطيب،

¹ وهي مدينة أندلسية؛ تقع شرق إسبانيا الحالية؛ وتبعد عن ساحل
المتوسط بثلاثة أميال، أما المؤلف؛ فقد تعذر الوصول إلى ترجمة كاملة له.

² مدينة إلبيرة أو قشتالة في الأندلس؛ قرب غرناطة؛ وكان يطلق عل
الإقليم الذي به غرناطة، والمؤلف هو محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم
الملاحى؛ نسبة إلى قرية في مقاطعة غرناطة؛ ولد سنة 549هـ/1154م
وتوفي في سنة 619هـ/1222م. من مؤلفاته: كتاب الأربعين حديثاً،
ومستدرك على الاستيعاب (في الصحابة)، وكتاب الشجرة (في أنساب
الأمم من العرب والعجم)، وكتاب تاريخ علماء إلبيرة وأنسابهم وأنبائهم؛
(وهو المقصود هنا). ويعتبر هذا الكتاب أحد المصادر التي استعان بها
ابن الخطيب.

³ مدينة في الأندلس تقع في أعمال جيان. ومن شقورة شاعر الموحدين
الفحل أبو بكر بن مجبر. أما المؤلف فلا يبدو سوى الكاتب الشاعر
الأديب أبي مروان عيد الملك بن إدريس الأزدي الجزيري المتوفي في
سجنه حوالي سنة 394هـ/1003م؛ والله أعلم.

⁴ ميناء تجاري في شرق الأندلس، يطل على البحر الأبيض المتوسط.
وهذا المرفأ قديم أزلي، المؤلف هو أبو عبد الله محمد بن علي بن
الخضر بن هارون الغساني؛ المعروف بابن عسكر (ت: 636هـ/1238م،
عالم في الحديث والتاريخ من أهل مالقة وأدبائها؛ ولي قضاءها، ومن
مؤلفاته: كتاب المشرع الروي في الزيادة على غربي الهروي (في القرآن
والحديث)، وكتاب الجزء المختصر في السلو عن ذهاب البصر، وكتاب
نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر، والإكمال والإعلام؛ وهو تراجم
أعلام مالقة؛ (وهذا الكتاب هو الذي يقصده ابن الخطيب)؛ مات ابن

لأبي العباس أصْبَغ بن العباس¹، والإحتفال في أعلام
الرجال؛ لأبي بكر الحسن بن محمد ابن مُفَرِّج القيسي²،
وتاريخ قُرْطُبَة، مُتَّخَب كتاب الإحتفال³، وتاريخ الرؤساء
والفقهاء والقضاة بَطْلَيْطَلَة؛ لأبي جعفر بن مظاهر⁴،
ومنتخبه؛ لأبي القاسم ابن بَشْكُوَال⁵، وتاريخ

عسكر - قبل أن يكمله - سنة 636هـ/1239م. أما ابن أخت ابن عسكر؛
الذي أكمل الكتاب المذكور فهو أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن
خميس (وليس خمسين كما ذكر في النص)؛ توفي بعد عام 639هـ/1241م؛
وعنونه ب: مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه
مالقة من الأعلام والرؤساء والأخبار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار.
¹ يبدو أنه أصْبَغ بن علي بن أبي العباس المالقي، (ت: 592هـ/1196م).

² هو أبو بكر الحسن بن محمد بن مفرج بن حماد بن الحسين المعافري؛
يعرف: بالْقَبْشِي (بتشديد الباء الموحدة وفتحها؛ وليس القيسي كما ورد في
النص)؛ من قرطبة؛ ولد في سنة 348هـ/959م وتوفي بعد سنة
430هـ/1038م. ألف كتاب الإحتفال في تاريخ أعلام الرجال؛ (في أخبار
الخلفاء والقضاة والفقهاء).

³ قرطبة عاصمة الأندلس، وعاصمة الغرب الإسلامي - أيام الحكم الأموي
- بلا منازع. أسسها الفينيقيون؛ وتقع على ضفاف الوادي الكبير. تركت
أثراً كبيراً في تاريخ الأندلس، وأعيد تجديدها في العصر الروماني. يبدو
أنه هو كتاب الإحتفال المذكور.

⁴ مدينة في وسط الأندلس، لا تبعد كثيراً عن مدريد؛ فتحها طارق بن
زياد ولهذه المدينة شأن كبير في تاريخ الأندلس. والمؤلف هو أبو جعفر
أحمد بن عبد الرحمن بن مطاهر؛ (باطاء المهملة؛ وليس مظاهر باطاء
الفوقية المعجمة كماء ورد في النص) الأنصاري الأندلسي؛ ولد بطليطلة
وتوفي بها سنة 489هـ/1096م. من مؤلفاته كتاب تاريخ فقهاء طليطلة
وقضاتها؛ وهو الذي قصده ابن الخطيب.

⁵ هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي
الأنصاري الأندلسي ولد بقرطبة سنة 494هـ/1101م وتوفي بها سنة
578هـ/1183م. ولي القضاء في نواحي إشبيلية؛ ومن مؤلفاته: الصلة؛ في
تاريخ رجال الأندلس، وتاريخ؛ في أحوال الأندلس، والغوامض والمبهمات،

فقهاء قُرْطُبَة؛ لإبن حَيَّان¹، وتاريخ الجزيرة الخضراء؛ لابن خَمْسِين²، وتاريخ قَلْعَة يَحْصِب؛ المسمى بالطالع السَّعيد؛ لأبي الحسن بن سعيد³، وتاريخ بَقِيرَة؛ لأبي عبد الله بن المؤذن⁴، والدُرَّة المكنونة في أخبار أُشْبُونَة؛ لأبي بكر بن محمد بن إدريس الفَرَّابي العالوسي⁵، ومَزِيَّة المَرِيَّة؛ لأبي جعفر أحمد بن خاتمة¹؛

ورواة الموطأ، والفوائد النخبية والحكايات المستغربة، والمحاسن والفضائل؛ في التراجم. وقد كان يستعين بأبي جعفر بن مطاهر.

¹ هو أبو مروان حَيَّان بن خلف بن حسين بن حَيَّان القرطبي؛ ولد في قرطبة سنة 377هـ/987م وتوفي بها سنة 469هـ/1076م. وهو من موالي بني أمية، له ما يقارب الخمسين مؤلفاً جُلها مفقود؛ منها: المقتبس في أنباء أهل الأندلس، وكتاب المتن، وكتاب البطشة الكبرى، وكتاب انتخاب من أخبار القضاة.

² تسمى أيضاً جزيرة أم حكيم؛ وهي جارية طارق بن زياد؛ إذ خلفها فيها طارق عند زحفه نحو أعماق الأندلس؛ فسميت باسمها. ومدينة الجزيرة الخضراء عبارة من مرفأ يقابل العدو المطلة على بلاد المغرب، أما صاحب الكتاب المذكور فلم يتبين شيء عنه ولا عن كتابه، وربما المقصود هو ابن خميس؛ وليس ابن خمسين؛ كما سبقت الإشارة إليه.

³ وهي قلعة يحصب التي تعرف بقلعة بني سعيد؛ وتقع شمال غربي غرناطة بمسافة 52 كيلو، والمؤلف هو أبو الحسن علي بن سعيد ولد في قلعة يحصب سنة 605هـ/1208م وتوفي بتونس سنة 685هـ/1286م. وهو جغرافي أندلسي. من مؤلفاته: كتاب فلك الأرب المحيط بحلى لسان العرب، وكتاب بسط الأرض في الطول والعرض؛ وهو عبارة عن جدول بالمدن والجيال والأنهار والبحار.

⁴ بقيرة **Viguera** بلدة في أعمال تطيلة؛ وهي قريبة بكيلومترات قليلة من حصن البيضاء **Albelda**؛ والمؤلف هو أبو عبد الله بن المؤذن الوشقي.

⁵ تسمى أيضاً لشبونة؛ وهي قريبة من المحيط الأطلسي؛ عاصمة البرتغال حالياً. لا يعرف عن المؤلف أكثر مما ذكره ابن الخطيب.

من أصحابنا، وتاريخ المريّة وباجة؛ لشيخنا نسيج وحده
أبي البركات بن الحاج². متع الله بإفادته؛ وهو في مبيّضته؛
ولم يرمها بعد. فداخلتني عصبية³ لا تقدح في دين، ولا في
منصب؛ وحمية⁴ لا يذم في مثلها متعصب؛ رغبة أن يقع
سؤالهم وذكرهم⁵ من فضل الله جناب مخصب. ورأيت

¹ المرية مدينة كبيرة في كورة البيرة بالأندلس؛ وهي مرفأ هام بشرق
الأندلس؛ ينطلق منه التجار إلى جهات كثيرة؛ اشتهرت بصنع الوشي
والدياج، أما مؤلف كتاب مزية المرية فقد ترجم له ابن الخطيب في
الإحاطة؛ حيث كتب في ثاني عشر شعبان من عام 770هـ/1368م قائلا
"وهو الآن بقيد الحياة".

² ثمة باجة بإفريقية وباجة بالأندلس. والمقصود هنا هي مدينة باجة
الأندلسية. بنيت أيام الرومان؛ يقال أنها أقدم مدن الأندلس بنيانا. وهي
ليست بعيدة عن قرطبة. ومنها الإمام القاضي أبو الوليد الباجي سليمان
ابن خلف؛ شارح الموطأ. أما المؤلف فقد ترجم له ابن الخطيب في
الإحاطة، واستشهد به في مواضع كثيرة منها. واسمه بالكامل هو: أبو
البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البليقي ولد سنة
680هـ/1281م وتوفي سنة 771هـ/1370م؛ ولي قضاء مالقة؛ من مؤلفاته:
أسماء الكتب والتعريف بمؤلفيها؛ معدة على حروف العجم، والإفصاح
فيمن عرف بالأندلس بالصلاح، ومشتبهات مصطلحات العلوم، والمؤتمن
في أنباء من لقيته من أبناء الزمن، وديوان شعر بعنوان العذب الأجاج،
وقد يكبو الجواد في غلطة أربعين من النقاد، والعلن في أنباء أبناء الزمن، وسلوة
الخاطر، وشعر من لا شعر له، وتاريخ المرية؛ وهو ما يقصده ابن الخطيب.

³ في ريحانة الكتاب: ((فداخلتني لقومي عصبية)).
⁴ الحمية: هي الأنفة والإباء والمروءة والنخوة؛ إذ هي سبب الحماية. وجاء
في القرآن الكريم: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ
الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةً
النَّفْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾. سورة
الفتح؛ الآية: 26.

⁵ في ريحانة الكتاب: ((أن يسع سواهم ذكرهم)).

أَنَّ هَذِهِ الْحَضْرَةَ¹ الَّتِي لَا خَفَاءَ بِمَا وَفَّرَ اللَّهُ مِنْ أَسْبَابِ
إِثَارِهَا، وَأَرَادَهُ مِنْ جَلَالِ مِقْدَارِهَا؛ جَعَلَهَا² تُغَرِّ الْإِسْلَامَ،
وَمُتَّبِعًا³ الْعَرَبِ الْأَعْلَامَ؛ قَبِيلِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ
وَأَزْكَى⁴ السَّلَامِ؛ وَمَا خَصَّهَا بِهِ مِنْ اعْتِدَالِ الْأَقْطَارِ،
وَجَرَيَانِ الْأَنْهَارِ، وَانْفِسَاحِ الْاِعْتِمَارِ⁵، وَالتَّفَافِ الْأَشْجَارِ.
نَزَلَهَا الْعَرَبُ الْكِرَامُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ مُخْتَطِّينَ⁶ وَمُنْقَطِعِينَ⁷؛
وَهَبُّوا بِدَعْوَةِ فَضْلِهَا مُهْطِعِينَ⁸؛ فَعَمَّرُوا وَأَوْلَدُوا، وَأَثْبَتُوا
الْمَفَاخِرَ وَخَلَّدُوا؛ إِلَى أَنْ صَارَتْ دَارَ مُلْكٍ، وَلَبَّةَ⁹ سِلْكِ؛
فَنَبَّهَ الْمِقْدَارُ وَإِنْ كَانَ نَبِيهَاً، وَازْدَادَتْ الْخِطَّةُ تَرْفِيعًا¹⁰،

¹ يقصد مدينة غرناطة؛ حاضرة - أو عاصمة - ملك بني الأحمر في وقته.

² في ريحانة الكتاب: ((إذ جعلها)).

³ أي مقام ومرجع.

⁴ في الريحانة: ((وأطيب)).

⁵ الاعتمار هنا تعني التوسع في العمران.

⁶ في (ك): ((محطتين))، وفي (ج): محطتين)).

⁷ في الريحانة: ((مقتطعين)).

⁸ أي مقبلين سراعا. وفي الذكر الحكيم: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ
يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً﴾. سورة إبراهيم؛ الآية: 43. وجاء
لِأَصْلًا: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ﴾. سورة
القمر؛ الآية: 8. وجاء كذلك: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾. سورة
المعارج؛ الآية: 36.

⁹ أي المنحدر، أو موضع القلادة من الصدر.

¹⁰ في الريحانة: ((ترفيها)).

وجلب إلى سوق الملاء بما نفق فيها¹. فكم ضمت جذرائها
جذرائها من رئيس يتقي الصباح هجومه، ويتخوف الليل
طروقه² ووجومه، ويفقر الغيث لنوائله³ الممنوحة
سجومه⁴، وعالم يبرز للفنون فيطيعه عاصيها، ويدعو
بالمشكلات⁵ فيأخذ بنواصيها، وعالم⁶ بالله قد وسم
السجود جبينه، وأشعث أغبر لو أقسم على الله لأبر
يمينه، وبلغ قد أدعت لبراعة خطه وشيجة⁷ الخط؛
يغوص على دُرر البدايع؛ فيلقها من طرسه الرائع⁸
الشط؛ لم يقم بحقها مُتعَضُّ حقّ الامتعاض، ولا فرق
بين جواهرها وبين الأعراض. هذا وشجر⁹ الأقلام
مُشرعة، ومكان القول - والحمد لله - ذو سعة؛ فهي

¹ نفسه: ((وجلب لسوق الملك ما نفق فيها)).

² في ريحانة الكتاب: ((إطرافه)).

³ نفسه: ((لنوائله)).

⁴ طروقه: سكوته عن التكلم وحفظ العينين. ووجومه: سكوته من شدة الغضب، وسجومه: سيلان وهطول.

⁵ في ريحانة الكتاب: ((وتدعوه المشكلات)).

⁶ في الريحانة: ((وعارف)).

⁷ الوشيجة: القرابة المتصلة المشتبكة، وحرفت في (ج) و (ك) فكتبت: ((وشجية)).

⁸ أي من صحيفته المخصصة، وفي الريحانة: ((الرائع)).

⁹ في الريحانة: ((وسفر)).

الحُسْنَى¹ التى عَدَمَتِ الدَّامَ، وَزِينَةُ² اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ؛
وَالْهَوَىٰ إِنَّ قِيلَ كَلِفَتْ³ بِمَعَانِيهَا، وَقَصُرَتْ الْأَيَّامُ عَلَى
مَعَانِيهَا⁴. فَعَاشِقُ الْجَمَالِ عُذْرُهُ مَقْبُولٌ. وَاللَّهُ دَرَّ أَبِي
الطَّيِّبِ⁵ حَيْثُ يَقُولُ⁶:

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَّاقُ ضُرُوبٍ
فَاعْذَرَهُمْ أَشْفَهُهُمْ حَبِيباً

فَلَيْسَتْ يُبَدِّعُ مِمَّنْ فُتِنَ بِحُبِّ وَطَنٍ، وَلَا بِأَوَّلِ مَا
شَاقَهُ مَنْزِلٌ فَأَلْقَى بِالْعَطَنِ⁷؛ فَحُبُّ الْوَطَنِ مَعْجُونٌ

¹ في الريحانة: ((الحسنة)).

² نفسه: ((وزيَّت)).

³ أي أحببت وولعت.

⁴ وفي الريحانة كتبت الجملة السابقة هكذا: ((وإن قيل كلفت بمعانيها،
وقصرت الهوى على معانيها)).

⁵ في الريحانة: ((مقبول وسيف العدل دونه مغلول، والله در أبي الطيب...))
الطيب...)) وأبو الطيب هو أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي
المذحجي الكندي المعروف بالمتنبي؛ ولد بالكوفة سنة 303هـ/915م؛
بمحلة تدعى كندة المنسوب إليها؛ ولا علاقة له بقبيلة كندة. وتوفي مقتولاً
من قبل عصابة يرأسها المدعو فاتك بن الجهل الأسدي؛ بين بغداد وفارس سنة
354هـ/965م. ويعتبر المتنبي من أبرز شعراء العرب، وأجودهم شعراً على
الإطلاق.

⁶ هذا البيت؛ مطلع لقصيدة من اثنين وأربعين بيتاً قالها المتنبي في مدح
علي بن محمد بن سيّار بن مكرم. وهي من بحر الوافر.

⁷ العطن هو: وطن الإبل، والجلد المتعفن في الدباغة؛ ويقصد هنا أنه يلقي
يلقي ويترك كل كربه وعفن.

بَطِينَةٍ¹ سَاكِنِهِ، وَطَرَفُهُ مُغَرَّرٌ بِإِثْمَامٍ² مَحَاسِينِهِ. وَقَدْ نَبَّهَ
عَلِيَّ بْنَ عَبَّاسٍ³ عَلَى السَّبَبِ، وَجَاءَ فِي التَّمَاسِ التَّعْلِيلِ
بِالْعَجَبِ؛ حَيْثُ يَقُولُ⁴:

و حَبَّبَ أَوْطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ
مَآرِبُ قَضَائِهَا الشَّبَابِ هُنَاكَ
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ
عُهُودُ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَلِكَ

وَرَمِيتُ - فِي هَذَا الْمَعْنَى - بِسَهْمٍ سَدِيدٍ، وَأَلَمَحْتُ
بِغَرَضٍ؛ إِنَّ لَمْ يَكُنْهُ فَلَيْسَ يَبْعِيدُ⁵:
أَحْبَبَكَ يَا مَغْنَى الْجَلَالِ بِوَجَابِ
وَأَقْطَعُ فِي أَوْصَافِكَ الْغُرَّ أَوْقَاتِ

¹ فِي الرِّيحَانَةِ: ((فِي طِينَةٍ)).

² نَفْسُهُ: ((بِالْتِمَاحِ)).

³ هُوَ الشَّاعِرُ الْفَحْلُ عَلِيُّ بْنُ عَبَّاسٍ بْنِ جَرِيحٍ أَوْ (جُورْجِيُوسُ)؛ الْمَلَقَبُ
بِابْنِ الرُّومِيِّ؛ وَلَدَ بَغْدَادَ سَنَةَ 221هـ/835م؛ مِنْ أَبٍ رُومِيٍّ وَأُمٍّ فَارْسِيَّةٍ؛
وَهُوَ مِنْ مَوَالِي بَنِي الْعَبَّاسِ. اشتهر بالتطير والتشاؤم. وتوفي سنة
283هـ/896م.

⁴ الْبَحْرُ الطَّوِيلُ.

⁵ الْبَحْرُ الطَّوِيلُ.

تَقَسَّمْ مِنْكَ التُّرْبَ قَوْمِي وَجِيرَتِي
فَفِي الظَّهْرِ أَحْيَاءٌ وَفِي الْبَطْنِ أَمْوَاتٌ

وقد كان أبو قاسم الغافقي¹ - من أهل غرناطة - قامَ من هذا الغرض بفرض، وأتى من كَلِّه ببعض؛ فلم يَشْفِ مِنْ غُلَّةٍ، وَلَا سَدَّ خَلَّةٍ²، وَلَا كَثَّرَ قِلَّةً. فَقُمْتُ بِهَذَا الْوَظِيفِ، وَانْتَبَدْتُ فِيهِ لِلتَّأْلِيفِ، وَرَجَوْتُ عَلَى نِزَارَةِ حَظِّ الصَّحَّةِ، وَازْدِحَامِ الشَّوَاغِلِ الْمُلِحَّةِ، أَنْ اضْطَّلِعَ³، مِنْ هَذَا الْقَصْدِ، بِالْعَبْءِ الَّذِي طَالَمَا طَاطَأْتُ لَهُ الْأَكْتَادَ⁴، وَأَقِفَ مِنْهُ الْمَوْقِفَ الَّذِي تَهَيَّيْتُهُ الْأَبْطَالُ الْأَنْجَادُ، (فَاتَّخَذْتُ اللَّيْلَ جَمَلاً) لِهَذِهِ الطَّيَّةِ⁵، وَانْتَضَيْتُ غَارِبَ الْعَزْمِ وَنِعْمَتَ⁶

¹ ذكره من قبل؛ وهو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقي المعروف بالملاح؛ نسبة إلى قرية في الجنوب الغربي من غرناطة؛ ولد سنة 549هـ/1154م وتوفي في سنة 619هـ/1222م. من مؤلفاته: تاريخ علماء البيرة.

² يقصد أنه لم يشف من عطش شديد، ولا سد ثقبه.

³ في (ج) وفي (ك): ((طلع))، وفي (ت): ((اطلع)).

⁴ الأكتاد مفردة الكتد: مجمع الكتفين من الإنسان، والفرس أيضاً؛ وقال بعضهم: هو الكاهل وفي الأكتاد يقول ذو الرِّمَّة:

وَإِذْ هُنَّ أَكْتَادٌ يَحْوِيْنَ كَأَنَّمَا زُفْرُهَا أَلَالُ عَيْدَانَ النَّخِيلِ الْبَوَاسِقِ.

⁵ الطية هي: الجهة البعيدة التي يقصدها. أي تخيل الليل كجمل يركبه للوصول لهدفه البعد. و((الطية)) كتبت في المخطوطين: ((المطية)).

⁶ هكذا.

المطية؛ بحيث لا مؤانس إلا دُبال¹ يكافح جيش الدجى،
ودفاتر تُلَفَحُ الحجا، وخواطر تبتغي إلى سماء الإجادة
معرجا، وإذا صحب العمل صدق النية، أشرقت من
التوفيق كل نية، وطلعت من السداد كل غرة سنية.

وقد علم الله أنني لم أعتد منها دنيا أستمنحها، ولا
نسمة جاه يستنشق ريحها، وإنما هو صبح تين، وحق
رأيت علي قد تعين؛ بذلت فيه جهدي، وأقطعت جانب
سهدي، لينظم هذا البلد بمثله؛ مما أثير كامن، وسطرت
محاسنه، وأنشر بعد الممات جانبه²:

وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذي لا تصبحينا³

فلم أدع واحدة إلا استجدتها، ولا حاشية إلا
احتشدتها، ولا ضالة إلا نشدتها؛ والمجتهد في هذا الغرض
مقصر، والمطيل مختصر؛ إذ ما ذكر لا نسبة بينه وبين ما

¹ الذبال: الدقيق الحاد؛ ويقصد بها هنا فتيلة السراج التي تضوي ما حوله.

² هذا البيت لابن كلثوم التغلبي من شعراء الجاهلية؛ قاله في معلقته. من بحر الوافر.

³ حرفت في (ج) فكتبت: ((تصبحينا)).

أُغْفَل، وما جُهل أكثر مما نُقِل، وبَحَارُ المدارك مسجورة¹
وغايات الإحسان على الإنسان محجورة، ومن أراد أن
يوازن هذا الكتاب بغيره من الأوضاع فليتأمل قصده،
ويشير كامنه، ويبيدي خبائنه²؛ تَتَضَح له المَكْرَمَة، ولا تَخْفَى
عليه النِّصْفَة، ويشاهد مجزى السيِّئة بالحسنة، والإغراب
عن الوصمة والظنَّة؛ إذ الفاضل في عالم الإنسان، من
عُدَّت سَقَطَاتِه؛ فما ظَنُّكَ بمفضوله؛ وللمعاصر مزيَّة
المباشرة، ومزيد الخبرة، وداعي التَّشْفِي والمقارضة. وسع
الجميع السِّتْرُ، وشملهم البرُّ، وتُشِرَّت جنائزهم لِسَقِي
الرَّحْمَة، ومثْنَى الشِّفَاعَة، إلَّا ما³ شَدَّ من فاسقٍ أَبَاحَ
الشَّرْعُ حِمَاه، أو غَادِرٍ وَسَمَهُ الشُّؤْم الذي جناه؛ فتختل⁴
عَرْضُه عن تخليد مجد، وتَدْوِين فخر، وإبقاء ذكرٍ؛ لمن لم

¹ أي فياضة ومتفجرة. ففي قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾. سورة الطور؛ الآية: 6. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٦﴾. سورة التكويد؛ الآية: 6.
² أي خفاياه. خبن الشيء يخبئه خبناً: أخفاه. وخبين الطعام: إذا غيبه استعداداً للشدة. والخبنة ما تحمله في حضنك.
³ هكذا. وهذه الصياغة طالما يستعملها ابن الخطيب.
⁴ في (ت): ((فتتخلل))، وفي (ك) و (ج): فتتخلل)).

يَهْمُهُ قَطُّ تَحْقِيقُ إِسْمِ أَبِيهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ لَمَّا بَعْدَ يَوْمِهِ؛ فَكَمْ خَلَفَ مِمَّا ذَكَرَ فِيهِ يَجِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ شَفِيعاً فِي زَلَّةٍ، أَوْ آخِذاً بِضَبْعٍ¹ إِلَى رُتَبَةٍ، أَوْ قَائِماً عِنْدَ ضَيْمٍ بِجُجَّةٍ، أَوْ عَانِسٍ يَقُومُ لَهَا مَقَامَ مَتَاعٍ وَنُحْلَةٍ²، أَوْ غَرِيبٍ يَحِلُّ بِغَيْرِ قُطْرِهِ فِيْفِيْدِهِ نُحْلَةٌ³؛ صَاعِدَ خَدَمٍ قَاعِداً وَنَائِماً؛ وَقَدْ رَضِينَا بِالسَّلَامَةِ عَنِ الشُّكْرِ، وَالْإِصْغَاءِ عَنِ الْمَثُوبَةِ، وَالنَّصْفَةِ عَوَضَ الْحَسْرَةِ، إِذِ النَّاسُ عَلَى حَسَبِ مَا سَطَرَ وَرُسِمَ؛ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. وَالتَّرْتِيبُ الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيْهِ حِيلَتِي، صَرَفْتُ فِي اخْتِيَارِهِ مُخَيَّلَتِي؛ هُوَ أَنِّي ذَكَرْتُ الْبَلَدَةَ⁴ حَاطَهَا اللَّهُ؛ مُنَبِّهاً مِنْهَا عَلَى قَدِيمِهَا، وَطِيبَ هَوَائِهَا وَأَدِيمِهَا، وَإِشْرَاقُ عُلَاهَا، وَمَحَاسِنُ حُلَاهَا، وَمَنْ سَكَنَهَا وَتَوَلَّاهَا، وَأَحْوَالُ أَنْاسِهَا، وَمَنْ دَالَهَا مِنْ ضُرُوبِ الْقِبَائِلِ وَأَجْنَاسِهَا، وَأَعْطَيْتُ صُورَتَهَا، وَأَزَحْتُ فِي الْفَخْرِ ضُرُورَتَهَا، وَذَكَرْتُ الْأَسْمَاءَ عَلَى الْحُرُوفِ الْمُبَوَّبَةِ،

¹ الضبع جمعه أصباع: العضد وكتبت في (ت) و (ج): ((أو أخذ بيضع)). وفي (ك): ((أحلى فيضع)).

² الدِّلَّةُ هنا: يقصد بها عطاء المرأة ومهرها.

³ النُّحْلَةُ هنا: هي العطية والهبة عموماً.

⁴ أي غرناطة.

وفصلت أجناسهم بالتّراجم المترّبة؛ فذكرت: الملوك والأمرء، ثمّ الأعيان والكُبراء، ثمّ الفضلاء، ثمّ القضاة، ثمّ المقرّئين والعلماء¹، ثمّ المحدثين والفُهاء، وسائر الطّلبة النّجباء، ثمّ الكتّاب والشّعراء، ثمّ العُمال الأثرياء، ثمّ الزّهّاد والصّالحاء، والصّوفية الفقراء؛ ليكون الابتداء بالملك، والإختتام بالمسك²، ولينظّم الجميع انتظام السّلك؛ وكلّ طبقة تنقسم إلى من سكّن المدينة³ بحكم الأصالة والإستقرار، أو طرأ عليها ممّا يُجاورها من الأقطار، وخاض إليها وهو الغريب أثّاج البحار⁴، أو ألمّ بها ولو ساعة من نهار؛ فإن كثرت الأسماء نوعت وتوسّعت، وإن قلت اختصرت وجمعت، وآثرت ترتيب

¹ يضع في ترتيبه: القضاة، والعلماء، والمحدثين، والفُهاء؛ في مرتبة أدنى من الوجهاء، والأعيان، ومن يسميهم الفضلاء. ويبدو أن هذا مستمد من الاتجاه المادي والسلطوي الذين يهيمنان على الحياة الاجتماعية والسياسية آنذ
² تخلص ذكي؛ بحكم خبرته في السياسة، وهي إحاله إلى الآية الكريمة: ﴿خُتِّمَهُ

مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾. سورة المطففين؛ الآية: 26.

³ يقصد مدينة غرناطة.

⁴ أثّاج البحار: أواسط البحار ومعظمها؛ وثبج الرمل: معظمه. وفي حديث علي رضي الله عنه: ((وعليكم الرواق المطنب فاضربوا ثبجه؛ فإن الشيطان راكد في كسره. وفي حديث: ((خيار أمتي أولها وآخرها؛ وبين ذلك ثبج أعوج ليس منك وليست منه)). وكلمة ((أثّاج))؛ كتبت في (ك) و(ج): ((أثّاج))، وفي (ت): ((أشّاج)).

الحُرُوف في الأسماء، ثمَّ في الأجداد والآباء؛ لشرود
 الوَفَيَات والمواليد؛ التي رَتَّبَهَا الزَّمان عن الاستِقْصاء.
 وذهبت إلى أن أذكر الرَّجُل، ونسبه، وأصالته، وحسبه،
 ومولده، وبلده، ومذهبه، وأنحاله¹، والفَنُّ الذي دَعَى
 إلى ذكره، وحِلِّيَّته، ومشِيخته؛ إن كان ممن قَيَّدَ علماً أو
 كَتَبَهُ، ومآثره إن كان ممن وصل الفضل بسببه، وشعره إذا
 كان شاعراً، وأدبه وتصانيفه، إن كان ممن أَلَّفَ في فنٍّ أو
 هَدَّبَهُ، ومحتته إن كان ممن بَزَّه² الدَّهر شيئاً³ أو سَلَبَهُ، ثمَّ
 وفاته ومُنْقَلبه؛ إذ استرجع الله من منحه حياته ما وهبه.
 وجعلتُ هذا الكتاب قسَمين، ومشملاً على فَنَّين: القسم
 الأول: ((في حُلِّي المَعَاهِدِ والأَمَاكِن، والمنَازِل والمساكن)).
 القسم الثاني: ((في حُلِّي الزَّائِر والقَاطِن، والمتحرِّك
 والسَّاكِن)).

¹ حرّفت في (ك) فكتبت: ((وأنحى له)). والمقصود بـ ((أنحاله)): معتقداته وأديانه.
² بزه: سلبه. ويقولون في المثل السائر: ((مَنْ عَزَّ بَزَّ)). يعني: من غلب سلب.
³ بزه الدَّهر شيئاً: غلبه أو الدهر على شيء أو سلبه شيئاً.

القسم الأول
في حُلي المعَاهِدِ والامَاكِ
والمَنَازِلِ والمَسَاكِ

فصل في اسم هزِه المَرِينَة وَوَضْعِهَا عَلَى إِجْمَالٍ وَاختِصَارٍ

يُقال: غَرْنَاطَة، ويُقال: إِغْرَنَاطَة¹؛ وكلاهما أعجمي. وهي مدينة كُورَة إلبيرة² فيبينهما فرسخان وثلاثا الفرسخ³. وإلبيرة هي أعظم كُور الأندلس، ومُتَوَسِّطَة ما اشْتَمَل عليه الفَتْحُ من البلاد، وتُسَمَّى في تاريخ الأمم

¹ ثمة من يرجع هذا الاسم إلى أيام الرومان الذين أطلقوا على هذه البلدة اسم قرانادة **Granata** أي **Grenade** بمعنى الرّمانة؛ وذلك لتوفر أشجار هذه الفاكهة في تلك الجهة، بينما يرى بعضهم أن الاسم مشتق من شطرين: الأول هو الاسم الحقيقي لتلك البلدة أيام القوط وهو: ((نَاطَة))؛ ولما ودخل العرب إلى الأندلس أضافوا الشطر الثاني في أول الكلمة؛ وهو ((غار))؛ فأضحت تسمى غرناطة. وثمة - أيضاً - من يرى أن اسم غرناطة أو إغرناطة: اسم أمازيغي؛ وبالتحديد اسم لعشيرة أمازيغية سميت بها البلدة، ويمكن أن يكون هذا صحيحاً؛ خاصة إذا ما علم أن أول من أسس غرناطة المعروفة الآن هم الأمازيغ الزيريين من صنهاجة.

² يقال إلبيرة أو يلبيرة أو لبيرة. وبالإسبانية: **Elvira**؛ وهي عبارة عن مدينة رومانية قديمة؛ تمثل إحدى الكور الكبيرة في بلاد الأندلس؛ كانت تتبعها مدن عديدة؛ مثل: قسطليلية ومحطة غرناطة الحالية. وكورة إلبيرة تبعد عن قرطبة بتسعين ميلاً تقريباً. وهي كثيرة الأنهار غنية بالمعادن. وتواجدت مدينة إلبيرة أيام الرومان؛ حيث سميت **ILIBARIS**.

³ أي ستة أميال ونصف تقريباً؛ بتقدير؛ أن الميل يساوي بين ثلاث آلاف ذراع إلى أربع آلاف، وقدرها صاحب معجم البلدان بثلاثة أميال.

السَّالِفَةُ مِنَ الرُّومِ، سَنَامُ الْأَنْدَلُسِ¹، وَتُدْعَى فِي الْقَدِيمِ
بِقَسْطِيلِيَّةٍ². وَكَانَ لَهَا مِنَ الشُّهُرَةِ وَالْعِمَارَةِ، وَلَأَهْلِهَا مِنَ
الثَّرْوَةِ وَالْعُدَّةِ، وَبِهَا مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، مَا هُوَ مَشْهُورٌ.
قَالَ أَبُو مَرْوَانَ بْنِ حِيَانَ³: كَانَ يَجْتَمِعُ بِبَابِ الْمَسْجِدِ
الْجَامِعِ - مِنْ الْبِيرَةِ - خَمْسُونَ حَكَمَةً⁴؛ كُلُّهَا مِنْ فِضَّةٍ لَكثْرَةِ
الْأَشْرَافِ بِهَا، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ آثَارُهَا الْخَالِدَةُ، وَأَعْلَامُهَا
الْمَائِلَةُ، كَطَلَلِ مَسْجِدِهَا الْجَامِعِ، الَّذِي تَحَامَى اسْتِطَالَةُ
الْهَلَى، كَسِلَتْ عَنْ طَمَسِ مَعَالِمِهِ أَكْفُ الرَّدَى، إِلَى بُلُوغِ

¹ كُتِبَتْ فِي اللَّحْمَةِ الْبَدْرِيَّةِ أَيْضًا: ((سَنَامُ الْأَنْدَلُسِ)). وَلَكِنْ الدُّكْتُورُ يُوسُفُ طَوِيلٌ يَعْتَقِدُ فِي أَنَّهَا: ((شَامُ الْأَنْدَلُسِ))؛ وَقَالَ أَنَّ غَرْنَاطَةَ كَانَتْ تَسْمَى ((شَامُ الْأَنْدَلُسِ)). وَاسْتَشْهَدَ يَقُولُ الرَّجَالَةُ ابْنُ جَبْرِ الْأَنْدَلُسِيُّ وَاصِفًا غَرْنَاطَةَ: يَا دِمَشْقُ الْغَرْبِ هَاتِي كَيْ لَقَدْ زِدْتِ عَلَيْهَا تَحْنُكَ الْأَنْهَارُ تَجْرِي وَهِيَ تَنْصَبُ عَلَيْهَا

² يَرَى بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّ قَسْطِيلِيَّةَ هِيَ حَصْنٌ بِالْقَرَبِ مِنَ الْبِيرَةِ يُسَمَّى بِاللَاتِينِيَّةِ **Castellum**؛ أَيْ قِشْتَالَةَ.

³ هُوَ أَبُو مَرْوَانَ حِيَانَ بْنُ خَلْفِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ حِيَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حِيَانَ ابْنِ وَهَبِ بْنِ حِيَانَ. مِنْ مَوَالِي بَنِي مَرْوَانَ الْأُمَوِيِّينَ. وَلَدَ فِي قَرْطَبَةِ سَنَةِ 377هـ/987م وَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ 469هـ/1076م. مِنْ مَوْلاَتِهِ: الْمُقْتَبِسُ فِي أَنْبَاءِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ. جُلِّهَ مَقْقُودٌ؛ وَقَدْ حَقَّقَ أَحَدَ أَقْسَامِهِ الْأُولَى الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ مَكِّيٌّ بِعَنْوَانِ: ((الْمُقْتَبِسُ مِنْ أَنْبَاءِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ))؛ وَسَيَقُوهُ الْمُسْتَشْرِقُ الْإِسْبَانِيُّ؛ فَنَشْرُ قِسْمَ أَوْسَطٍ؛ تَتَعَلَّقُ بِأَحْدَاثِ الْفِتْنَةِ الْكُبْرَى مَا بَيْنَ سَنَتَيْ: (250 300هـ)؛ بَيْنَمَا حَقَّقَ أَحَدَ أَقْسَامِهِ الْأَخِيرَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلِيٌّ حَجِيٌّ تَحْتَ عُنْوَانِ: ((الْمُقْتَبِسُ فِي أَخْبَارِ بِلَدِ الْأَنْدَلُسِ)).

⁴ الْحَكَمَةُ: مَا أَحَاطَ بِحُنُكِي الْفَرَسِ مِنْ لَجَامِهِ. وَيَقْصِدُ: كَانَتْ تَرْتَبِطُ أَمَامَ الْمَسْجِدِ - مِنْ خَيْلِ أَشْرَافِ الْقَوْمِ - خَمْسُونَ فَرَسًا.

ما فُسِّحَ له من المَدَى. بَنَاهُ الأمير محمد بن عبد الرحمان ابن الحكم، أمير المؤمنين الخليفة¹ بقرطبة رحمه الله، على تأسيس حَنَش بن عبد الله الصَّنْعَانِي الشَّافِعِي² رحمه الله. وعلى محرابه لهذا الوقت: ((بسم الله العظيم، بُنِيتَ اللهُ، أَمْرُ بِنَائِهَا الأمير محمد بن عبد الرحمان، أكرمهُ اللهُ، رجاء ثوابه [العظيم]³، وتوسيعاً لرعيته، فتمَّ بعون الله على يدي عبد الله [بن عبد الله]⁴؛ عامِلُهُ على كُورَةِ إلبيرة؛ في ذي قعدة سنة خمسين ومائتين⁵)).

¹ هو الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي ولد بقرطبة سنة 207هـ/822م وتوفي بها سنة 273هـ/886م، لم تعلن في أيامه الخلافة بالأندلس، بل تأخر إعلانها إلى عصر عبد الرحمن الناصر لدين الله في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، ولا يعدو ما نسبته إليه ابن الخطيب من مجاز ومجاملة.

² كلمة الشافعي خطأ؛ وهو التابعي؛ حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة السبئي الصنعاني؛ توفي بسرقسطة: سنة 100هـ/718م؛ تابعي؛ دخل إلى المغرب والأندلس فاتحاً؛ وهو أول من ولي عشور إفريقية؛ كما شيد جامعياً سرقسطة، وقرطبة.

³ هذه الإضافة من ج.

⁴ ما بين الحاصرتين سقط في ج؛ بينما ورد في ك.

⁵ الموافق لـ 864م. وفي هذه السنة لم يقم الأمير محمد بن عبد الرحمن بأي غزوة؛ واتجه فيها للبناء والعمران؛ من ذلك استكمال بناء المقصورة بمسجد قرطبة، والانتهاه من بناء مسجد إلبيرة هذا.

ولم تزل الأيام تخيفُ ساكنها¹، والعفاء يتَّبوا²
مساكنها، والفتن الإسلامية تجوس أماكنها؛ حتَّى شملها
الخراب، وتقسَّم قاطنُها الاغتراب؛
(وكلُّ الذي فوق التُّراب تُراب)².

وانتقل أهلها مدَّة أيام الفِتنة البربرية³ سنة
أربعمئة من الهجرة؛ فما بعدها؛ ولجأوا⁴ إلى مدينة
غرناطة، فصارت حاضرة الصُّقَّع، وأمَّ المِصر، وبَيْضَة
ذلك الحَق؛ لِحِصانة وَضْعِها، وطيبِ هوائِها، ودُرُورِ

¹ يقصد - هنا - البيرة.

² هذا عجز بيت لأبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني
التغلبى الوائلي؛ المولود سنة 320 هـ/932 م. غير أن بعضهم ينسب هذا
البيت إلى رابعة العدوية بنت إسماعيل العدوي المولودة بالبصرة سنة
100 هـ/718 م. والبيت بشطريه:

إذا صحَّ منك الوُكُلاءُ هَينٌ وكلُّ الذي فوق التُّراب تُرابٌ
³ اصطلاح بعض المؤرخين على تسمية الأيام التي سقطت فيها الدولة
الأموية (399هـ/1008م)، وانقسمت بين أمراء الأسرة الأموية ومؤيديهم
"بالفتنة البربرية"؛ بينما هي - في الحقيقة - فتنة اشتعلت بين أعضاء
الأسرة الأموية المالكة. وذلك لأن أمازيغ الأندلس انضموا إلى معسكر
الأمير سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر، وظاهروه ضد
خصومه من أسرته سنة 403هـ/1012م؛ حيث احتلوا معه قرطبة،
والزهراء؛ فأقطعهم - مع بعض أنصاره - جهات معينة من الأندلس؛ أين
أقاموا إمارات أمازيغية تخصهم في بعض المناطق؛ منها غرناطة.
⁴ يقصد فئة من الأمازيغ الصنهاجيين.

مائها، ووُفُور مَدَّتْها؛ فأَمِنَ فيها الخائفُ، ونُظِمَ النَّشْرُ¹،
ورَسِخَتِ الأقدامُ، وتَأَثَّلَ المِصْرُ، وهَلُمَّ جَرًّا²، فهي
بالأندلس، قُطْبُ³ بلاد الأندلس، ودارُ المُلِك، وقَرَى
الإمارة؛ أبقاها الله مُتَبَوًّا الكلمة؛ إلى أن يرث الله الأرض
ومن عليها بقدرته.

من ((كتاب البيرة))⁴. قال بعد ذكر البيرة: "وقد
خَلَفَها - بعد ذلك كله - مدينة غَرْنَاطَة؛ من أعظم مدنها
وأقدمها؛ عندما انقلبت العمارة إليها من البيرة، ودارت
أفلاك البلاد الأندلسية. فهي - في وقتنا هذا - قاعدة الدنيا،
وَقَرَارَةُ العُلَيَّا، وحاضرة السلطان، وَقُبَّةُ العدل والإحسان؛
لا يَعْدِلُها - في داخلها ولا خارجها - بلدٌ من البُلدان، ولا
يُضَاهِيها - في اتِّساع عمارتها، وطيب قرارتها - وطنٌ من
الأوطان؛ ولا يأتي على حَصْرِ أوصاف جمالها، وعدِّ⁵

¹ النشر هنا: القوم المتفرقون؛ لا يجمعهم رئيس.

² تستخدم عبارة ((هَلُمَّ جَرًّا)) فيما هو شائع؛ للدلالة على معنى: ((إلى آخره)). غير أن المعنى الصحيح هو: ((تعالوا على راحتكم، وحسيما يسهل عليكم)). لأن ((هلم)) معناها تعالى، و((الجر))؛ هو أن تترك الإبل والغنم ترعى أثناء سيرها بحرية.

³ القطب: ملاك الشيء ومداره.

⁴ يقصد كتاب "تاريخ علماء البيرة" السابق الذكر الذي ألفه أبو القاسم الملاحى.

⁵ حُرِفَتْ في ك، ج؛ فكتبت: ((عن)).

أَصْنَفَ جلالها، قلم البيان. أدامَ الله فيها العِزَّ للمسلمين والإسلام، وحرَسَها - ومن اشتملتُ عليه من خلفائه، وأنصار لوائه - يعينه التي لا تنام، ورُكْنِه الذي لا يُرام".
وهذه المدينة - من مَعْمُور - الإقليم الخامس¹. يبتدئ من الشرق؛ من بلاد يَأْجُوج ومَأْجُوج²، ثمَّ يَمُرُّ على شمال خُرَاسان³، ويَمُرُّ على سواحل الشام؛ ممَّا يلي الشمال⁴، ويَمُرُّ على بلاد الأندلس: قُرْطُبَة، وإشبيلية⁵، وما والآها إلى البحر المحيط الغربي. وقال صاعد بن أحمد؛ في كتاب ((الطبقات))⁶: "إنَّ مُعْظَمَ الأندلس في

¹ جاء هذا أيضاً في كتاب الجغرافيا، وأثار البلاد، واللغة البديرة.
² قبيلتان بأقصى بلاد الترك الأولى؛ اشتهرتا بالفساد في الأرض. وجاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً ﴾. سورة الكهف؛ الآية: 94. وقال أيضاً سبحانه وتعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾. سورة الأنبياء؛ الآية: 96.
³ خراسان: إقليم متسع؛ يشتمل - في القم - على إيران وأفغانستان وبعض المناطق في آسيا الوسطى حالياً.

⁴ أي شواطئ سوريا الحالية المطلة على البحر الأبيض المتوسط.
⁵ إشبيلية أو Sevilla حالياً؛ وهي محافظة بالأندلس الإسبانية؛ تقع مدينة إشبيلية على ضفاف نهر الوادي الكبير. فتحها المسلمون بقيادة موسى ابن نصير سنة 94هـ/713م. ومن أشهر حكامها في العصر الإسلامي (عصر الطوائف): المعتمد بن عباد الشاعر الملك.
⁶ هو قاضي طليطلة - في عصر إمارة ذي النون - أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد القرطبي ولد بالمريّة سنة 420هـ/1029م

الإقليم الخامس، وطائفة منها في الإقليم الرابع؛ كمدينة إشبيلية، ومالقة، وغرناطة، والمريّة، ومُرسيّة¹.

وذكر العلماء بصناعة الأحكام²: أنّ طالعها الذي اختُطت به السرطان³، ونخلوها؛ لأجل ذلك مزايا، وحظوظاً من السّعادة؛ اقتضاها تسيير أحكام القُرانات الانتقاليّة على عهد تأليف هذا الموضع. وطولها سبع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة⁴، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشر دقائق. وهي مساوية - بأمر يسير - لقُرطبة، وميورقة⁵، والمريّة؛ وتقرب - في العَرَض - من إشبيلية،

وتوفي سنة 462هـ/1070م. وعنوان كتابه ((التعريف بطبقات الأمم))؛ هو عبارة عن مختصر في الجغرافية.

¹ كتبت في المخطوطتين: ((المريسيه)). ومرسية Murcia؛ وهي عاصمة منطقة في إسبانيا، وتقع إلى الجنوب الشرقي من إسبانيا، وتقع على ضفاف نهر شقورة، وتطل على البحر الأبيض المتوسط. أسس مرسية عبد الرحمن الداخل سنة 210هـ/825م، ومن أعلامها المشهورين ابن عربي.

² أي التنجيم.

³ هكذا كتبت في ج؛ بينما حُرِفَت في ك؛ فكتبت: ((السطران)). ويقصد بالسرطان: برج السرطان الفلكي؛ من 22 جوان إلى 23 جويلية.

⁴ هذه القياسات من اصطلاحات الجغرافيين. وقد شرحها ياقوت الحموي في معجم البلدان، وابن سعيد في كتاب الجغرافية، وأبو الفدا في كتاب تقويم البلدان. وقد اختلفوا في مقابلتها بمقياس الميل. فمن أراد التوسع عليه بتلك المصادر.

⁵ جزيرة مايوركا أو مايورقا؛ هي أكبر الجزر الإسبانية، وتقع في البحر الأبيض المتوسط؛ حيث ترتبط بأرخبيل جزر البليار؛ إذ تعتبر أحد أجزائه.

وَأَلْمَرَّةَ وَشَاطِبَةَ، وَطُرُوشَةَ، وَسَرْدَانِيَّةَ، وَأَنْطَاكِيَّةَ،
وَالرَّقَّةَ¹. كل ذلك بأقل من درجة، فهي شامِيَّةٌ في أكثر
أحوالها، قريبة من الاعتدال، وبينها وبين قُرْطُبَةَ - أعادها
الله تعالى - تسعون ميلاً²؛ وهي منها؛ بين شَرْقٍ وَقِبْلَةٍ،
وبحر الشام³؛ يَحُولُ⁴ وَيُحَاجِزُ بين الأندلس، وبلاد
العدوة⁵؛ بين غَرْبٍ وَقِبْلَةٍ؛ على أربعة بُرْدٍ⁶. والجبال بين
بين شرق وقبلة، والبراجلات⁷ بين شرق وجوف،

¹ شاطبة Jativa؛ أسسها الإيبيريون؛ وهي الآن مدينة إسبانية؛ تقع في مقاطعة بلنسية، بالجهة الشرقية من إسبانيا؛ ضمن حوض نهر البِيضاء، أما طرطوشة؛ فهي مدينة تقع شمال شرق الأندلس؛ متصلة بكورة بلنسية، وتطل على البحر الأبيض المتوسط؛ سقطت في قبضة الإفرنج سنة 543هـ/1148م. أما سردانية فهي جزيرة بغرب المتوسط، كبيرة القطر، كثيرة الجبال، قليلة المياه. أما أنطاكية فهي مدينة تاريخية تابعة للواء الإسكندرونة بتركيا الحالية؛ وتقع على ضفة نهر العاصي، وتبعد عن شاطي البحر المتوسط بـ 30 كلم. أما الرقة فهي مدينة في شمال وسط سوريا؛ وهي الآن مقر محافظة. تقع على ضفاف الفرات، وتبعد عن حلب بـ 200 كم؛ اكتشفت فيها آثار عباسية تعود إلى سنة 750هـ/1258م.

² أي 270000 ذراع؛ بحكم أن الميل العربي = 3000 ذ وقربية الآن تبعد عن غرناطة بـ 150 كم.

³ يقصد البحر الأبيض المتوسط.

⁴ حُرِفَتْ في المخطوطات الثلاثة؛ فكتبت: ((يحال)).

⁵ أي بلاد المغرب التي تنفصل عن الأندلس بالعدوة البحرية المعروفة بمضيق جبل طارق.

⁶ بُرْدٌ مفردٌها بريدالذي تقدر مسافته باثني عشر ميلاً تقريباً.

⁷ البراجلات مصطلح إسباني (Parcela)؛ يعني الأراضي البرية الخشنة المقفرة.

والكنبائية¹ بين غرب وقبلة، وبين جوف² وغرب؛ فهي
لمكان جوار الساحل؛ مَمَارَّة بالبواكر الساحلية؛ طيبة³
البحار، وركابٌ لجهاد البحر⁴، ولمكان استقبال الجبال؛
المقصودة⁵ بالفواكه المتأخرة اللّحاق؛ مُعَلَّلة بالمُدَّخرات؛
استدبار الكنبائية، واضطبار البراجلات⁶؛ بحرٌ من بحور
الحِنْطَة، ومعدنٌ للحبوب المفضلة.

ولمكان شُلَيْر؛ جبل الثلج⁷؛ أحد مشاهير جبال
الأرض؛ الذي ينزل به الثلج شتاءً وصيفاً؛ وهو على قبلة
منها على فرسخين، وينساب منه ستة وثلاثون نهراً من
فوهات الماء، وتنبّجس⁸ من سفوحه العيون؛ صحَّ منها
الهواء، واضطردت في ارجائها وساحاتها المياه، وتعددت

¹ الجوف هو الشمال والكنبائية بالقشتالية (Campo) هي الأرض السهلية.

² الشمال.

³ في ج، ك: ((طيه)).

⁴ في ت: ((البحرية)). وردت هذه الجملة كلها في اللوحة البدرية هكذا:
((مارة باسمك والبواكر؛ طيبة للتجار؛ ركابٌ معه للجهاد في البحر)).

⁵ في اللوحة البدرية: ((مقصودة)).

⁶ مُعَلَّلة بالمُدَّخَرَات؛ ولمكان استدبار الكنبائية، واضطبار البراجلات).

⁷ حرفت المخطوطات الثلاثة؛ فكتبت: ((شير)). وجبل الثلج هذا وهو
جبل سيرا نفادا المطل على غرناطة بشموخه وثلوجه الكثيفة. وكان يسمى
باللاتينية Solarius أي جبل الشمس. ويسمى في العصر الإسلامي جبل شيلر.

⁸ أي تتدفق وتسيل.

بها الجنّات والبساتين، والتفتّ الأذواح، وشمر الرواد
على منابت العُشب في مَظانٍّ¹ العقار مُستودعات الأدوية
والترّيافيّة؛ وبرّدها لذلك في المنقلب² الشتوي شديداً؛
وتجمّد بسببه الأذهان والمائعات، ويتراكم بساحتها الثلج
في بعض السنين؛ فجسوم أهلها - لصحّة الهواء - صُلْبَة،
وسِحائنهم خَشِنة، وهُضومهم قويّة، ونُفوسُهم - لمكان الحرّ
الغريزي - جَرِيّة³.

وهي⁴ دارُ منعة، وكُرسي مُلك، ومقامُ حصانة.
وكان ابن غانية⁵ يقول للمرابطين⁶ في مرض موته⁷؛ وقد
وقد عوّل عليها للأمتساك بدعوتهم: "الأندلس درقة،
وغرناطة، قبضتها؛ فإذا جشمت يا معشر المرابطين

¹ هكذا في ك؛ وفي ج: ((مكان)).

² في ت: ((المنقف)).

³ جرت العادة لدى الكتاب في المغرب الإسلامي تخفيف الهمزة في حالات كهذه، فبدلاً من (جربة)؛ كتبها مخففة (جربة).

⁴ أي غرناطة.

⁵ هو أبو زكرياء يحيى بن غانية من كبار القادة في الدولة المرابطية؛ كافح بصبر ضد أعداء الدولة؛ فاضطر إلى اللجوء إلى غرناطة حيث حوَصِر بها وقتل فيها سنة 543هـ/1148م.

⁶ يسمى مؤسسوا الدولة اللمتونية بالمرابطين؛ لانطلاقهم من رباط اتخذوه

اتخذوه في موطنهم الأول؛ بغرض الإعداد للجهاد

⁷ كتبت في المخطوطات الثلاثة: ((مر موته)).

القبضة؛ لم تخرج الدرقة من أيديكم. ومن أبدع ما قيل في
الإعتذار عن شدة بردها¹؛ ما هو غريب في معناه؛ قول
شيخنا القاضي أبي بكر بن شبرين رحمه الله²:

رَعَى الله من غَرْنَاطَة مُتَبَوِّاً
يَسْرُ كَثِيباً³ أَوْ يُجِيرُ طَرِيداً
تَبَرَّم منها صاحبي عندما⁴ رأي
مسارحها بالبرْد⁵ عُدْنَ جَلِيداً
هي الثَّغْرُ صَان الله من أَهْلَتْ به
وما خَيْرُ ثَغْرٍ لَا يَكُونُ بُرُوداً

¹ تَرَدَّ غَرْنَاطَة.

² ((البستي))؛ كما ورد في رحلة ابن بطوطة؛ نقلاً عن ابن الخطيب، وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن شبرين؛ (674هـ/1275م - 747هـ/1346م)؛ وهو أحد شيوخ ابن الخطيب، ستأتي ترجمته في الإحاطة. أما هذه الأبيات فقد وردت أيضاً رحلة ابن بطوطة، وفي كتاب تاريخ قضاة الأندلس وفي نفح الطيب، وهي من البحر الطويل.
³ في رحلة ابن بطوطة، ونفح الطيب: ((حزينا)).
⁴ في تاريخ قضاة الأندلس: ((بعدما)).
⁵ في رحلة ابن بطوطة: ((بالثلج)).

وقال الرازي¹ عند ذكر كُورَة إلبيرة: "ويتصل بأخواز
قَبْرَة² كُورَة إلبيرة؛ وهي بين الشرق والقبلة، وأرضها
سقيّ غزيرة الأنهار، كثيرة الثمار، ملتفة الأشجار؛
أكثرها أدواح الجوز، ويحسُن فيها قصب السكر³؛ ولها
معادنٌ جوهريّةٌ من: ذهب، وفضة، وورصاص، وحديد.
وكُورَة إلبيرة أشرف الكور؛ نزلها جندُ دمشق". وقال:
"لها من المدن الشريفة: مدينة قسطنطينية⁴؛ وهي حاضرة

¹ هو أحمد بن محمد بن موسى الرازي تخصص في تاريخ الأندلس (274هـ/887م - 344هـ/955م؛ من مؤلفاته: أخبار ملوك الأندلس، والاستيعاب في أنساب أهل الأندلس، وغيره.
² قبرة: مدينة أندلسية تسمى الآن Cabra؛ وهي حصن قريب من قلعة يحصب؛ تدخل في حوز غرناطة. قريبة من قرطبة وتبعد عنها بـ 30 ميلاً تقريباً. اشتهرت بهوائها العليل، ومياهاها الغزيرة الرقاقة، وأرجائها العديدة.
³ نبات قصب السكر كان معروفاً ببلاد الهند؛ في وقت سبق الألف الثامن قبل الميلاد. واتضح أن جنود الإسكندر المقدوني قد عرفوه هناك منذ عام 327 ق.م. حيث أشرفوا على مزارع قصب السكر في الهند واستفادوا من خبرة السكان المحليين في عصر هذا النبات وتكثيف عصيره وبلورته. وعرفته القارة الأمريكية عن طريق إسبانيا؛ حيث نقله كرسstof كلومبس سنة 1493م/899هـ؛ في رحلته الثانية إلى هناك.
⁴ قسطنطينية: يوجد في الأندلس بعض الأماكن التي تسمى قسطنطينية أو قسطنطة؛ منها: قسطنطة دراج في البرتغال الحالية؛ بلدة شاعر الأندلس الأكبر أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلبي المتوفي حولي عام 400هـ/1009م. أما قسطنطة المقصودة هنا فتقع في أعمال جيان شمال غرناطة، وفي نوحى ليون توجد قسطنطينية التي عرفت بقشتالة. كما توجد قسطنطينية أخرى في الجنوب التونسي بإفريقية.

إلبيرة، وفحصها لا يُشَبَّه بشيء - من بقاع الأرض - طيباً،
ولا شرفاً؛ إلا بالغوطة، غوطة دمشق¹.

قال بعض المؤرخين: من كرم أرضنا أنها لا تعدم
زريعة² بعد زريعة ورعياً بعد رَعْيٍ، طول العام³. وفي
عمالتها المعادن الجوهريّة من: الذهب، والفضّة،
والرّصاص، والحديد، والتوتية⁴ بناحية دلّاية⁵ من عملها؛
عود اليلنجوج⁶؛ لا يفوقه العود الهندي⁷ ذكاً⁸ وعطرَ
رائحة؛ وقد سيق منه لخيران⁹ صاحب المرية؛ كان منبته

¹ غوطة دمشق اشتهرت عند المشاركة بالخصوبة، وبأشجارها الملتفة
وبمياها المتدفقة.

² في اللّحة البدرية: ((زريعة ولا ريعاً أيام العام)).

³ الزريعة: الشيء الذي يزرع لكي ينبت، والحب المتساقط في الأرض؛
فينبت من جديد، وكتبت في اللّحة البدرية: ((زريعة ولا ريعاً أيام العام)).

⁴ التوتيا أو التوتية: المقصودة هنا هي الزنك. لأن التوتيا عند اليونان عبارة
عن حجر يكتحل به، كما يوجد حيوان بحري من القنفذيات يسمى توتياء.

⁵ دلّاية: بلدة تقع غرب المرية؛ لا تبعد كثيراً عن ساحل البحر الأبيض
المتوسط، وتسمى الآن Dalias.

⁶ اليلنجوج عود طيب يستعمل في البخور. وهو عود بخور؛ له رائحة
طيبة؛ قال فيه المتنبي:

يَلْجُوجِيٌّ مَا رُفِعَتْ لِضَيْفٍ بِهِ النَّيْرَانُ نَدَى الدُّخَانِ

⁷ والعود الهندي - بدوره - له رائحة طيبة، وله أيضاً خصائص طيبة؛ قال
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عَلَيَّكَ بِهِذَا الْعُودُ الْهِنْدِيُّ؛ فَإِنَّ فِيهِ
سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ مِنْهَا: ذَاتُ الْجَنْبِ يُسْعَطُ مِنَ الْعُدْرَةِ وَيُلْدُ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ)).

⁸ في نفج الطيب: ((ذكاء)).

⁹ حُرِفَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ؛ فَكُتِبَتْ: ((لخيزران)). وخيران العامري؛ هو أحد
أحد الفتيان الصقالبة؛ التابعين للدولة العامرية. ثار ضد بني أمية؛ حيث

بين أحجار - هناك - بجبل شُلَيْر¹؛ منها سُنْبَل فائق الطَّيْب؛ وبه الجنطيانا²؛ يُحمل منه إلى جميع الأفاق؛ وهو عقيّر رفيع، ومكانه من الأدوية الترياقية مكانه³؛ وبه المَرْقَشَنَة⁴ على اختلافها، واللَّازُورْد⁵. وبفحصها وما يتصل به القُرْمُز⁶. وبه من: العقار، والأدوية النباتية، والمعدنية⁷ ما لا يحتمل ذكرها إلا بإجاز⁸. وكفى بالحرير الذي فضلت به فخراً، وقِيَتَةً، وغَلَّة شريفة، وفائدة عظيمة، تمتازها منها

اقتطع لنفسه مدينة ألمرية؛ بعد أن حالف - لبعض الوقت - بني حمود الأدارسة. ولكنه قتل في موقعة اشتعلت بينه وبين الأمازيغ سنة 419هـ/1028م.

- ¹ حُرِفَتْ فِي ج؛ فَكُتِبَتْ: ((شِينِيل)) مَعَ أَنَّ شِينِيل نَهْرٌ وَلَيْسَ جَبَلًا.
- ² الجنطيانا: نبات طبي معمر؛ قد يصل ارتفاعه إلى متر ونصف تقريباً؛ يَنبِتُ فِي جِبَالِ وَسْطِ جَنُوبِ أَوْرُوبَا؛ كَالْأَلْبِ وَغَيْرِهَا.
- ³ كُتِبَتْ - بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي الْمَخْطُوطِينَ - عِبَارَةٌ لَا عِلَاقَةَ لَهَا بِالْمَوْضُوعِ؛ وَهِيَ: ((وَقَدْ خَاطَبَ فِيهَا أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ)).
- ⁴ هِيَ الْمَرْقَشِيَّةُ (بِالْثَّاءِ) وَلَيْسَتْ بِالثَّاءِ الْمَثْنَاءِ (Marcassite). وَهُوَ مَرْكَبٌ مِنْ كَبْرَيْتُورِ الْحَدِيدِ.
- ⁵ اللَّازُورْدُ وَرَدَ عِنْدَ الْعَرَبِ هُوَ حَجَرٌ كَرِيمٌ سَمَاوِيٌّ اللَّوْنُ؛ سَمُوهُ فِي الْقَدِيمِ الْعَوْهَقُ؛ وَفِيهِ قَالَ شَاعِرُهُمْ: ((وَهِيَ وَرِيقَاءُ كُلُّونِ الْعَوْهَقِ)). نَسَبُوهُ إِلَى طَائِرِ أَسْوَدَ؛ فِي رِيْشِهِ بَرِيقٌ. أَمَّا الْأَوْرُوبِيُّونَ فَيَسْمُونَهُ **Lapis Lazuli**؛ أَيِ الْحَجَرِ الْأَزْرَقِ. وَتَرْجَعُ تَسْمِيَةُ اللَّازُورْدِ إِلَى أَصْلِ فَارْسِيٍّ.
- ⁶ الْقُرْمُزُ: صِبْغَةٌ حُمْرَاءُ؛ تَسْتَخْرَجُ مِنْ أَحْجَارٍ أَوْ نَبَاتٍ؛ بَلْ حَتَّى مِنْ حَشَرَةٍ قَرْمِزِيَّةٍ تَعِيشُ عَلَى أَشْجَارِ السَّنَدِيَانِ.
- ⁷ فِي ج: ((الْمَغْرَانِيَّةُ)).
- ⁸ لَابِنُ الْخَطِيبِ خَبِيرَةٌ كَبِيرَةٌ بِالْأَعْشَابِ وَالْمَعَادِنِ الطَّبِيبَةِ؛ بِحُكْمِ أَنَّهُ طَبِيبٌ؛ لَهُ مَوْلاَتٌ فِي الطَّبِّ وَالصَّيْدَلَةِ.

البلاد، وتجلبه الرِّفاق؛ وفضيلة لا يشاركها فيها إلاَّ البلاد العراقية. وفحصُها الأفيح¹ المُشَبَّه بالغوطة الدمشقية²؛ حديث الرُّكاب، وسمر الليالي؛ قد دحاه³ الله في بسيط سهل؛ تخترقه المذانب⁴، وتتخلَّله الأنهار جداول، وتتزاحم فيه القرى والجَنَّات؛ في ذرع أربعين ميلاً أو نحوها؛ تَنبُو⁵ العين فيها عن وجهه، ولا تتخطى المحاسن المحاسن منها؛ إلاَّ مقدار رقعة الهضاب؛ والجبال المتطامية⁶ منه بشكل ثلثي دائرة⁷. قد عَرَت منه المدينة⁸ المدينة⁸ - فيما يلي المركز - لجهة القبلة⁹؛ مستندة إلى أطواد أطواد سامية، وهضاب عالية، ومناضِر مُشرفة؛ فهي قيدُ

¹ أي الواسع؛ يستعمل ابن الخطيب هذه الكلمة كثيراً في كتاباته؛ وهو - هنا - يصف فحص غرناطة الشهير؛ الذي يسمى بالإسبانية: **La Vega de Granada**؛ ذلك الفحص المتميز بالخصوبة، وبروعة الجمال واخضرار أرضه ونظارة أشجاره.

² سقطت كلمة: ((الدمشقية)) في اللوحة البدرية.

³ دحاه: بسطه. وجاء في الذكر الحكيم: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾. سورة النازعات؛ الآية: 30.

⁴ المذانب هنا: المواضع الذي تنتهي إليها مسایل الأودية. وكتبت في اللوحة البدرية: ((تخترقه الجداول والأنهار)).

⁵ أي تتباعد

⁶ أي المرتفعة.

⁷ في اللوحة: ((دائرة)).

⁸ في اللوحة: ((فَعَدَّت المدينة منه)).

⁹ أي الجنوبية.

البَصَر، ومنتهى الحُسْن، ومعنى الكمال؛ أَضْفَى الله عليها
- وعلى من بها من عباده المؤمنين - جَنَاحَ سِتْرِهِ، ودَفَعَ
عنهم عَدُوَّ الدِّين بقدرته.

فصل في فتح هذه المدينة
ونزول العرب (الشاميين) من جنر ومشق بها،
وما كانت عليه (أحوالهم)،
وما تعلق بذلك
من تاريخ

قال المؤلف: اختلف المؤرخون في فتحها. قال ابن
القُوطيَّة¹: إن يُلَيان الرُّومي² الذي نَدَب العرب إلى غزو
الأندلس؛ طلباً لوتَّره³ من ملكها لُذريق⁴؛ بما هو

¹ عرف بابن القوطية؛ بحكم انتمائه إلى سارة القوطية ابنة وتيزا ملك
القوط، وسارة هذه أسلمت - عند الفتح - وتزوجت من مسلم، واسم ابن
القوطية بالكامل: أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عيسى بن
مزاحم؛ ولد بقرطبة؛ وتوفي بها سنة 367هـ/977م. من مؤلفاته: تاريخ
افتتاح الأندلس. ربما يكون هذا النص قد اطلع عليه ابن الخطيب في
نسخة قديمة، وما وصل إلينا يعتبر مبتوراً.

² هو الكونت يوليان الرومي الذي كان حاكماً على مدينة سبته أيام الفتح
الإسلامي؛ لطنجة. كانت بينه وبين ملك القوط ريدريك أحقاد دفعته إلى
الانتقام منه؛ فتحالف مع المسلمين، وأعانهم على الانتقال إلى الضفة الأندلسية.

³ أي طلباً لانتقامه. بسبب تحرش لذريق بابنته؛ التي كانت في بلاط
المملكة؛ كما جاء في الروايات التاريخية. وجاء في اللوحة البدرية: ((بوتره)).

⁴ هكذا تسميه المصادر العربية؛ وهو رديك أو رودريغو. آخر ملوك القوط بالأندلس.
بالأندلس.

معلوم¹. قال لطارق بن زياد² مُفْتَحُهَا عندما كسر جيش الروم³ على وادي لُكَّه⁴: قد فَضَضْتَ

¹ ذكر في كتاب أخبار مجموعة: ((اضطرب حال الأندلس؛ فتراضوا على علج يقال له رُذْرِيْق؛ شجاع هجوم؛ ليس من بيت الملك؛ إلا أنه من قوادهم وفرسانهم؛ فولوه أمرهم؛ وكان جميع ملوك الأندلس يبعثون أولادهم الذكور والإناث إلى بلاط ملكهم بطليطلة - وهي يومئذ قسبة الأندلس - يكونون في خدمة ملكها؛ لا يخدمه غيرهم؛ يتأدبون بذلك؛ حتى إذا بلغوا؛ أنكح بعضهم من بعض، وتولى تجهيزهم، فلما ولي رُذْرِيْق أعجته ابنة يوليان؛ فوثب عليها؛ فكَتَبَ إلى أبيها؛ أَنَّ الملك وقع بها، فأحفظ العلج ذلك؛ وقال: ودين المسيح لأزِلن ملكه، ولأحفرن تحت قدميه، فبعث إلى موسى [ابن نصير] بالطاعة؛ وأقبل به؛ فأدخله المداين؛ بعد أن اعتقد لنفسه ولأصحابه عهداً)). ص: 5.

² طارق بن زياد بن عبد الله بن رَقَّهْو بن ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نغزاو؛ هو قائد جيش المسلمين الفاتحين للأندلس؛ تاريخ ميلاده غير معروف؛ كما أن وفاته لا يعرف عنها شيء؛ بعد أن استدعي للبلاط الأموي بالمشرق. هم القوط؛ سماهم بالروم مجازاً.

⁴ اختلفت المصادر التاريخية في تحديد موقع هذه المعركة؛ إذ يرى بعضهم أنها حدثت في الجبل الذي سمي باسم طارق، ويرى آخرون أنها وقعت بموضع يسمى البحيرة؛ غير أن الشائع هو ما قاله الرازي وابن القوطية؛ من أنها وقعت في وادي لُكَّه سنة 92هـ/710م؛ بين المسلمين بقيادة طارق ابن زياد، وجيش القوط بقيادة ملكهم لذريق (رودريغو أو ردریک)، انتصر جيش المسلمين انتصاراً ساحقاً في هذه المعركة؛ التي أدت في النهاية إلى سقوط دولة القوط الغربيين في الأندلس، وسميت هذه المعركة باسم النهر الذي وقعت على ضفافه، وهذا النهر هو وادي لُكَّه (جواديليتي بالإسبانية)، وتسمى هذه المعركة أيضاً معركة شدونة أو معركة سهل البرباط، وتبين من خلال النصوص كلها؛ أن لذريق (رودريغو أو ردریک) لم يكن محبوباً لدى شعبه وجيشه؛ بحكم أنه اغتصب الحكم بالقوة والغلبة، ونظراً لسيرته السيئة، وأسلوب حكمه الفظ، لذا فقد تأمر عليه قواده، وسرَّعوا بهزيمة جيشه، وجاء في كتاب أخبار مجموعة: ((فلما بلغتهم عدّة المسلمين وبصائرهم؛ تلاقوا بينهم؛ فقال بعضهم لبعض: هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطاننا؛ وليس من أهله؛ وإنما كان من سفالنا؛ وهؤلاء قوم [أي المسلمون] لا حاجة لهم

جيشَ القَوْمِ¹، ودَوَّخَتْ حاميتهم، وصَيَّرَت الرُّعْبَ في قلوبهم؛ فاصْمُدْ لِبَيْضَتِهِمْ؛ وهؤلاء أدلاء من أصحابي؛ ففرَّقْ جيوشَكَ في البلدان بينهم²، واعمد أنت إلى طليطلة بمعظمهم، وأشغل القوم عن النظر في أمرهم³، والاجتماع إلى وليّ رأيهم. قال⁴: فرَّقْ طارق جيوشه من إستجة⁵، فبعث مُغيثاً الرومِيَّ⁶؛ مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان⁷ إلى قرطبة، وبعث جيشاً آخر إلى

بائطان [أي استيطان] بلدنا؛ إنما يريدون أن يلموا [أي يملأوا] أيديهم ثم يخرجون (هكذا) عنافاً نَهَزَ بنا بابتن الخبيثة إذا لقينا القوم، فأجمعوا لذلك)). ص: 8.

¹ سقطت هذه العبارة في ك؛ بينما اسدركت في ج؛ فوردت في هامشه، وكتبت كلمة: ((القوم)) في اللوحة: ((الروم)).

² في اللوحة: ((فرَّقْ جيوشك بينهم في البلدان)).

³ نفسه: ((أمورهم)).

⁴ توجد فقرة من النص التالي في كتاب أخبار مجموعة؛ جاء فيها: ((وأقبل يلبان إلى طارق؛ فقال له: قد فرغت بالأندلس؛ وهؤلاء أدلاء من أصحابي؛ فرَّقْ معهم جيوشك؛ وخذ أنت إلى طليطلة، ففرَّقْ جيوشه من إستجة؛ فبعث مُغيثاً الرومِيَّ مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة... في سبعمائة فارس؛ لم يبعث معه راجلاً واحداً. ولم يكن بقي من المسلمين راجل إلا ركب، وبعث جيشاً إلى مدينة ربة، وبعث إلى غرناطة مدينة البيرة، وسار هو - في عظم - الناس يريد طليطلة...)). ص 10.

⁵ سِدْجَة كورة قديمة بالأندلس تقع في الجنوب الغربي لقرطبة؛ وهي متصلة بأعمال ربة وقرطبة؛ بينها وبين غرناطة عشرة فراسخ؛ إلى الشمال الغربي.

⁶ مُغيث الرومِيَّ أو مُعْتَب في قول ضعيف: (توفي في حدود سنة 100هـ/718م). عرف في المصادر بأنه فاتح قرطبة، وقد صحح المقرئ نسبه بقوله: أنه ليس برومي؛ واسمه في الحقيقة هو: مغيث بن الحارث ابن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني؛ سبي من الروم بالمشرق وهو صغير؛ فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد.

⁷ الخليفة الأموي السادس بدمشق؛ (48هـ/668م - 96هـ/715م).

مالقة¹، وأرسل جيشاً ثالثاً إلى غرناطة مدينة إلبيرة، وسار هو - في معظم الناس - [إلى كورة جيّان]²؛ يريد طليطلة. قال: فمضى الجيش الذي وجّه طارق إلى مالقة؛ ففتحها، ولجأ علوجها إلى جبال هناك ممتعة. ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى إلبيرة؛ فحاصروا مدينتها، وفتحوها عنوة، وألفوا بها يهوداً ضمّوهم إلى قصبّة غرناطة³، صار لهم ذلك سنة متّبعة؛ متى وجدوا - بمدينة فتحوها - يهوداً⁴؛ يضمّونهم إلى قصبّتها، ويجعلون

¹ في أخبار مجموعة: ((إلى مدينة ربّة)).

² العبارة الواردة ما بين الحاصرتين سقطت في ك؛ بينما هي واردة في هامش ج. أما المدينة فهي جيان **Jaén**؛ حاضرة لكورة واسعة في الأندلس؛ مجاورة لكورة إلبيرة؛ وتبعد عن قرطبة بسبعة عشر فرسخاً؛ (الفرسخ ثلاثة أو ستة أميال والأرجح ثلاثة وهو قيلس فارسي أصلاً. سقطت جيان في قبضة النصارى سنة 643هـ/1245م، أي بحدود 60كلم تقريباً.

³ قصبّة غرناطة هي وسط المدينة وحصنها الحصين وقلبها النابض. وهذه التسمية عرفت في الأندلس وبلاد المغرب. وقد أوضحت بعض الدراسات؛ أن اليهود - أيام الحكم القوطي - كانوا يقيمون خارج التجمعات السكنية القوطية، وعلى هذا نقلهم المسلمون للسكنى معهم في القصبّة.

⁴ يبدو أن المصادر العربية؛ تناولت موضوع دور اليهود؛ أثناء الفتح الإسلامي للأندلس بشيء من الغموض. وبالمقابل كانت المصادر الإسبانية أكثر وضوحاً في هذا الباب. وقد سبق للدكتور حسين مؤنس أن أستعان بمصادر إسبانية؛ وقال موضحاً: ((كان جيش المسلمين يزداد عدة في الطريق؛ بما كان ينضم إليه من الغاضيين على لذريق وعهده. وانضم إليه كذلك عدد من اليهود؛ الذين استقبلوا أخبار انتصار المسلمين على القوط استقبال الضمان للماء فقد كان حالهم معهم - كما رأينا - سيئاً جداً. ولا نزاع في أن طارقاً أفاد فائدة كبيرة من هذه الجماعات؛ من:

معهم طائفةً من المسلمين يَسُدُّونها¹؛ ثم مضى الجيش إلى
تُدْمِير². وكان دخول طارق بن زياد - الأندلس - يوم
الاثنين لخمس خلون من رجب؛ سنة اثنين وتسعين³؛
وقيل في شعبان؛ وقيل في رمضان؛ بموافقة⁴ شهر غُشت⁵
من شهور العَجَمِيَّة.

وذكر معاوية بن هشام⁶ وغيره: أن فتح ما ذكر؛
تأخَّر إلى دخول موسى بن نصير في سنة ثلاث وتسعين⁷؛

الإيبيريين، واليهود التي انضمت إليه؛ فقد وجد فيهم الأدلاء الذين يقودونه
في هذه الأباطح الفسيحة؛ التي لم يكن المسلمون يعرفون عنها شيئاً.
(فجر الأندلس)؛ ص: 77.

¹ ذكر في كتاب أخبار مجموعة: ((...إلى البيرة؛ فحصرها مدينتها؛
فافتتحت؛ فألفوا بها - يومئذ - يهوداً؛ وكانوا إذا ألفوا يهوداً ببلدة؛ ضمواهم
إلى مدينة البلد، وتركوا معهم من المسلمين طائفة... ففعلوا ذلك بغرناطة
مدينة البيرة؛ ولم يفعلوا ذلك بمالقة مدينة ربة؛ لأنهم لم يجدوا بها يهوداً
ولا عمارة)). ص: 12.

² سميت باسم أميرها القوطي (تيودمير)؛ وهي ولاية تقع في شرق
الأندلس؛ أضحت - فيما بعد - هي ولاية مرسية.

³ الموافق لـ 710م. وذكر في كتاب تاريخ الأندلس: ((وكان دخول طارق
الأندلس في رمضان سنة اثنتين وتسعين)).

⁴ في ج: موافق.

⁵ أي أوت، أو أغسطس.

⁶ هو أحد المؤرخين بالأندلس؛ ينتمي إلى الأسرة الأموية؛ وهو معاوية بن
هشام بن محمد بن هشام؛ عاش في القرن الرابع الهجري؛ له كتاب:
(دولة بني أمية بالأندلس).

⁷ الموافق لـ 711م. وهذا القول يخالف الأقوال الأخرى.

فتوجه ابنه عبد الأعلى¹، في جيش إلى تدمير²؛ فافتتحها،
ومضى³ إلى البيرة؛ فافتتحها، ثم توجه إلى مالقة.

قال المؤلف رحمه الله: ولما استقر ملك الإسلام
بجزيرة الأندلس. ورمى إلى قصبتها الفتح، واشترأ⁴ في
عرصاتها الدين. ونزلت قرطبة - وسواها - العرب؛ فتبوؤوا
الأوطان⁵، وعمروا البلدان. فالداخلون على [يد]
موسى بن نصير⁶؛ [يسمّون بالبلديين]⁷،
والداخلون بعدهم [مع]⁸ بلج بن شر

¹ هو ابن موسى بن نصير؛ لم يذكره سوى الرازي؛ وقد أعدت له في
الإحاطة ترجمة مقتضبة.

² تدمير هي ولاية من ولايات الأندلس الشرقية؛ لها ماض عريق؛ وأخذت
هذا الاسم نسبة إلى أميرها الذي تولى الدفاع عنها في وجه الفاتحين
المسلمين؛ وهو (تيو دмир). وفي العصر الإسلامي أضحت لها اسم آخر؛
إذ أصبحت هي ولاية مورسية.

³ في اللوحة: ((ثم مضى)).

⁴ أي مدّ عنقه واطمأن.

⁵ تبوؤوا الأوطان: أقاموا بها.

⁶ هو أبو عبد الرحمن موسى بن نصير بن عبد الرحمن ابن زيد اللخمي
اللخمي بالولاء ولد سنة 19هـ/640م وتوفي سنة 97هـ/715م. قائد من
قواد الدولة الأموية؛ ولي إفريقية وبلاد المغرب، وهو الذي أصدر الأمر
لطارق بن زياد بفتح الأندلس؛ كما التحق به، وشارك في فتح قرمونة
وإشبيلية وغيرها من المدن.

⁷ أي أهل البلد؛ بحكم أنهم الفاتحون لتلك الديار، والمالكون لأرضها بالفتح
بالفتح المبين. ويتشكلون من فئات عديدة: أمازيغ، ويمنيين، وقيسيين.

⁸ كل ما كتب بين حاصرتين في المواضع الثلاثة السابقة أضافها عنان
لكي يستقيم المعنى.

القشيري¹؛ يُسمّون بالشّاميّين². وكان دخول بلج بن بشر
بشر القشيري بالطّاعة البلّجيّة سنة خمس وعشرين ومائة³.
ومائة³. ولما دخل الشّاميّون مع أميرهم بلج؛ حسبما تقرر

¹ بلج بن بشر بن عياض القشيري (ت: سنة 124هـ/741م). أحد قواد الدولة الأموية؛ من سكان دمشق. شارك في الحملة التي جردها هشام بن عبد الملك - تحت قيادة ابن عمه كلثوم بن عياض القشيري - ضد الثوار الأمازيغ ببلاد المغرب؛ حيث قتل كلثوم، وانهزم بلج - مع أتباعه - نحو الأندلس؛ أين كانت له باع طويلة في الاضطرابات والفتن بتلك الديار. وقد اشتهر بعصبيته المتأججة، وانفعالاته السريعة الهوجاء.
² لم يدخل هؤلاء الشّاميون بقيادة بلج بن بشر القشيري إلى الأندلس بغرض الفتح والجهاد؛ وإنما دخلوها لاجئين مشردين؛ بعد هزيمتهم أمام الصفرية بالمغرب. ولما استقر بهم الحال في تلك الديار الخصبة؛ زاحموا الفئة الأولى (فئة البلديين) بل ناصبهم العداء في أحيان كثيرة.
³ الموافق لـ 742م. عرف البلديون - من يمنيين، وقيسييين وأمازيغ؛ قبل هذا التاريخ في ديار الأندلس - صراعات دائمة؛ أشعلتها العصبية العمياء؛ بحيث لم يكن يجمعهم جامع. فالأمازيغ ضد العرب؛ بحجة أنهم هم الذين تولوا عناء الفتح وحدهم. ومن جهة أخرى يتقاتل العرب فيما بينهم؛ مقسمين إلى يمنيين وقيسييين. ومع هذا فقد خصوا بالولاية والقيادة؛ ومن ولاتهم على الأندلس: عبد العزيز بن موسى بن نصير، وأيوب بن حبيب اللخمي (ابن أخت موسى بن نصير)، ومحمد بن يزيد الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي، (عَيِّن من قبل والي إفريقية؛ ولم يكن من الفاتحين الأول؛ إذ دخل الأندلس سنة 99هـ/717م)، والسمح بن مالك الخولاني؛ (ولاه الخليفة عمر بن عبد العزيز على الأندلس؛ بعد أن عزلها عن ولاية إفريقية)، وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (الذي دخل الأندلس سنة 102هـ/720م)؛ وعنبسة بن سحيم الكلبي (ولاه والي إفريقية يزيد بن أبي مسلم)، ويحيى بن سلمة الكلبي (ولاه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك)، وحذيفة بن الأحوص الأشجعي أو القيسي في قول؛ (ولاه والي إفريقية)، وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي (ولي من قبل والي إفريقية)، والهيثم بن عبيد الكناني، ومحمد بن عبد الله الأشجعي (قدمه أهل الأندلس والياً عليهم)، وعبد الملك بن قطن بن ثَقِيل بن عبد الله الفهري، وعقبة بن الحجاج السلولي. ثم بعد هذا اغتصب ولاية الأندلس بلج بن بشر القشيري؛ بعد أن تغلب بأصحابه على الأمر، وأخضع البلديين.

تقرر في موضعه ؛ وهم أسود الشرى¹ عزّة وشهامة. غص²
بهم السابقون إلى الأندلس ؛ وهم البلديون ، وطالبوهم
بالخروج عن بلدّهم الذي فتحوه ، وزعموا أنهم لا يحملهم
وإياهم ؛ واجتمعوا لغزوهم ؛ فكانت الحروب تدور
بينهم³ ؛ إلى أن وصل الأندلس أبو الخطار حسام بن ضرار
الكلبي⁴ ؛ عابراً إليها البحر من تونس ؛ وأظّل¹ على

¹ أسود الشرى: مثل يضرب على مأسدة في ناحية الفرات؛ فأصحت
الكلمة تطلق كقالب أدبي للتشبيه.

² في المخطوطين: ((غص)).

³ جاء في البيان المغرب: ((لما أباد ابن قطن البربر بالأندلس؛ بمن معه
من العرب، وبأصحاب بلج؛ قال لبلج وأصحابه: "أخرجوا من الأندلس
على ما شئور طئتم عليه"؛ فقال بلج: "أحملنا إلى ساحل البيرة أو ساحل
تدمير"؛ فقال لهم عبد الملك: "ليست لنا مراكب إلا بالجزيرة"؛ فقالوا له:
"إنما تريد أن تردنا إلى البربر ليقتلونا في بلادهم". فلما ألتج عليهم في
الخروج؛ نهضوا إليه؛ فأخرجوه من قصر قرطبة إلى داره بالمدينة. ودخل
بلج القصر...)). مج: 2، ص: 31. ومنذئذ اشتعلت الأندلس بالحروب والفتن؛
بفعل العصبية الرعناء. حيث نصب أهل الشام - بعد مقتل بلج - ثعلبة بن
سلامة العاملي؛ فعاث وأفسد في البلاد بعض الوقت، ونشر ألواناً من
الفساد والظلم. ثم ولي عليهم بعده؛ قطب من أقطاب العصبية اليمنية؛
وهو أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي؛ فأظهر في بداية عهده العدل
والإنصاف، والتهدئة والسلامة. ولكن عصبية لليمنية أفسدت حاله؛ الأمر
الذي استفز أحد الرؤوس في العصبية القيسية؛ وهو الصمّيل بن حاتم؛
فثار عليه، واضطربت بذلك الأندلس نارا؛ إلا أن قدوم عبد الرحمن الداخل؛
إلى تلك الديار غير المسار؛ حيث ضيبت الحال، وحكم البلاد بقبضة من حديد.
⁴ توفي سنة 130هـ/747م. تولى إمارة الأندلس سنة 125هـ/742م من قبل
والي إفريقية حنظلة بن سفيان. اشتهر أيضاً بعصبية لليمنية ضد القيسية؛
وقتل في الاضطرابات المشتعلة بين الفئتين. وهو صاحب الأبيات الشهيرة
التي أرسلها إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك؛ يذكره بما قامت به
اليمنية إلى جانب بني أمية؛ فقال:

قُرْطُبَة على حين غفلة ؛ وقد سَتَرَ خبر نفسه ؛ والحرب
بينهم ؛ فانقاد إليه الجميع ؛ بحكم عهد مُدِينَه ² حَنْظَلَة بن
صَفْوَان والي إفريقية ³؛ وقبض على وجوه الشاميّين ؛
عازماً عليهم في الإنصراف ؛ حسبما هو مشهور. ورأى
تَفْرِيق القبائل في كُور الأندلس ، ليكون أبعد للفتنة ؛
ففرّقهم ، وأَقْطَعهم ثُلث أموال أهل الدِّمَّة الباقيين من
الرُّوم ؛ فخرج القبائل الشاميّون عن قرطبة.

أفأتم بنو مروان قيساً دماءنا وفي الله إن لم تتصفوا حكم عدل
كأنهم لم يشهدوا مرج راهط ولم يعلموا من كان تم له الفضل
تعاميتوا عتاً بعين جلية وأنتم كذا ما قد علمنا لنا فعل
¹ المقصود بكلمة: ((أطل على قرطبة))؛ أنه دخلها ونشر عليها ظلاله واحتواها.
² في المخطوطات الثلاثة: ((مدينة)) وهو تحريف، والمقصود ((بمدینه))؛
مملكه وموليه حنظلة.
³ هو أبو حفص حنظلة بن صفوان الكلبي توفي حوالي 130هـ/747م.
أحد قادة الدولة الأموية الأعيان؛ ولي مصر، ثم إفريقية والمغرب؛ قام
باخماد ثورة الأمازيغ في إفريقية، ولما اضطرب أمر الدولة الأموية؛ نار
عليه بعض الجند وأخرجوه من إفريقية؛ فعاد إلى المشرق، وكانت
الأندلس - في ذلك العهد - تتبع ولاية إفريقية بالقيروان، وولاية الأندلس
يعينون من قبل والي إفريقية.

قال أبو مروان¹: أشار على أبي الخطار أرطباس قومس الأندلس² وزعيم عجم الذمة³، ومُستخرج خراجهم⁴ لأمراء المسلمين - وكان هذا القومس شهير العلم والدَّهاء - لأول الأمر، بتفريق القبائل الشاميّين العَلَمين⁵ عن البلد؛ عن دار الإمارة قرطبة؛ إذ كانت لا تحمّلهم، وإنزالهم بالكُور؛ على شبه منازلهم التي كانت في كُور شامهم. ففعل ذلك على⁶ اختيار منهم. فأنزل جُند دمشق كُورة إلبيرة، وجند الأردن⁷ كورة جيّان،

¹ ابن حيان؛ المؤرخ المذكور سابقاً.

² هو الأسقف أرطباس أو "أرطبان" كما ورد أحياناً؛ وهو أردبست بن غيطشة (Ardabast). وتسميه بعض المصادر أوباس أخو الملك وتيزا؛ كان حليفاً للمسلمين؛ حيث أضحى بعد الفتح حاكماً لطليطلة وزعيماً للنصارى. وكلمة ((قومس)) Comes تعني الزعيم والرئيس. و((قومس)) هي Comes باللاتينية؛ وتطلق على زعيم أو رئيس النصارى في الأندلس. ويبدو أن هذا المنصب أنشأه المسلمون منذ فتح الأندلس. ولكنه أخذ منحى آخر غير الذي أنشئ به؛ إذ غدا يمثل رتبة دينية؛ تليه رتبة أخرى وهي المطران، أو الأسقف.

³ النصارى المعاهدون؛ Los Mozarabes.

⁴ في ج، ل: ((مزاجهم))؛ وفي ت: ((مزاجهم)).

⁵ يقال أنها نسبة إلى موضع بالشام يسمى علم.

⁶ في ج: ((عن))؛ وقد صوبت من الملكية.

⁷ الأردن مملكة هاشمية الآن؛ تشكل الجزء الجنوبي الشرقي لبلاد الشام، وفي شمال شبه الجزيرة العربية. تحدها من الشمال سوريا، ومن الشرق العراق، ومن الغرب فلسطين، ومن الجنوب المملكة العربية السعودية سميت بالأردن؛ نسبة إلى نهر الأردن المار بحدودها الغربية.

وجند مصر كورة باجة، وبعضهم بكورة تُدمير: فهذه منازل العرب الشاميين، وجعل لهم ثلث¹ أموال أهل الدِّمَّة - من العجم - طُعمَة، وبقي العرب، والبَلَدِيُّونَ، والبرابر² شركاؤهم. فلما رأوا بُلداناً شَبَّه بُلدانهم بالشام؛ نزلوا [وسكنوا واغتبطوا، وكبروا، وتموّلوا، إلّا من كان قد نزل منهم - لأول قدومه في الفتوح؛ على عنائهم] - موضعاً رضيعاً؛ فإنه لم يرتحل عنه³، وسكن به مع البَلَدِيِّينَ؛ فإذا كان العطاء، أو حظر الغزو ولحق بجُنْدِه؛ فهم الذين كانوا سُمُّوا الشّادّة حينئذ.

قال أحمد بن موسى⁴: وكان الخليفة يعقد لَوَاءَيْنِ: لَوَاءً غَازِيَاً، ولَوَاءً مَقِيمَاً. وكان رزق الغازي بلوائه مائتي

¹ في المخطوطات الثلاثة: ((ثلاثا)). ومن خلال سياق الكلام الآتي سيتضح أن الصحيح هو ((ثلث)).

² البرابر: هم الأمازيغ من سكان شمال إفريقيا؛ دخلوا الأندلس فاتحين مع طارق بن زياد فهم مع البلديين العرب أقدم إقامة وسكنى بديار الأندلس. هذه العبارة الطويلة تكررت في المخطوطات الثلاثة؛ مع تغيير طفيف؛ كما يلي: ((وسكنوا واغتبطوا، وكبروا، وتموّلوا، إلّا من كان قد نزل منهم لأول قدومه في الفتوح؛ على عنائهم؛ لم يعرض لهم في شيء منها. فلما رأوا بُلداناً شَبَّه بُلدانهم بالشام؛ نزلوا وسكنوا واغتبطوا، وكبروا، وتموّلوا، إلّا من كان قد نزل منهم - لأول قدومه موضعاً رضيعاً؛ فإنه لم يرتحل عنه)). وقد تصرف عنان؛ فألقى ما لا داعي له؛ مع الاحتفاظ بما ورد في الملكية.

⁴ ورد في كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة: أحمد بن موسى العروي؛ توفي سنة 388هـ/998م. وهو أحد مؤرخي الأندلس؛ ألف كتاباً سماه:

دينار. ويبقى المقيم بلا رزق ثلاثة أشهر، ثم يدال بنظيره¹ من أهله أو غيرهم². وكان الغزاة من الشّاميين مثل إخوة المعهود له أو بنيه أو بني عمه؛ يُرزقون - عند انقضاء غزاته - عشرة دنائير؛ وكان يعقد المعقود له مع القائد؛ ويتكشف عمن غزا، ويستحق العطاء؛ فيعطى على قوله تكريمه له؛ وكانت خدمتهم في العسكر، واعتراضهم إليه؛ ومن كان من الشّاميين غازياً من غير بيوتات العقد؛ ارتزق خمسة دنائير عند انقضاء الغزو. ولم يكن يُعطى أحد من البلديين شيئاً غير المعقود له. وكان البلديون أيضاً يعقد لهم لواءان³: لواء غاز، ولواء مقيم؛ وكان يرتزق الغازي مائة دينار وازنة؛ وكان يعقد لغيره إلى ستة أشهر، ثم يدال بنظيره من غيرهم؛ ولم يكن الديوان والكتبة إلا في الشّاميين خاصة؛ وكانوا أحراراً من العُشر، معدين للغزو، ولا يلزمهم إلا المقاطعة على أموال الروم التي

((تاريخ الأندلس))؛ ما زال مفقوداً؛ غير أن ثمة من ينفي هذا ويعتقد في

تحريف حصل؛ إذ المعني هو أحمد بن موسى الرازي.

¹ حرفت في ج؛ فكتبت: ((يدبل بنظره)).

² ما بين الحاصرتين سقط في ت؛

³ حرفت في ج، وت؛ فكتبت: ((لواءين)).

كانت بأيديهم ؛ وكان العرب من البلديين يؤذون
العُشر؛ مع سائر أهل البلد، وكان أهل بيوتاتٍ منهم -
يغزون كما يغزو الشاميون ؛ بلا عطاء، فيصيرهم¹ إلى ما
تقدم ذكره. وإنما كان يُكتب أهل البلد في الغزو ؛ وكان
الخليفة يُخرج عسكريين، إلى ناحيتين ؛ فيستزلهم ؛
وكانت طائفةٌ ثالثة يسمّون النُظراء من الشاميين
والبلديين ؛ كانوا يغزون كما يغزو أهل البلد من الفريقين.
وقد بينا نبذة من أحوال هؤلاء العرب. والاستقصاء يُخرج
كتابنا عن غرضه. والإحاطة لله سبحانه.

¹ في ج: ((فيسير بهم)) وصوبت من الملكية.

فُكِّر

ما آل إليه حال (من) ¹ سائق
المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين
على الإيجاز والاختصار

قال المؤلف: ولما استقرَّ بهذه الكورة الكريمة أهل
الإسلام، وأنزل الأمير أبو الخطار قبائل العرب الشاميَّين
بهذه الكورة، وأقطعهم ثلث أموال المعاهدين ²، استمر

¹ ((من)) سقطت من المخطوطات الثلاثة؛ فأضافها عنان.
² حرصاً منا على زيادة الفائدة؛ ننقل هنا التعليق القيم الذي وضعه محمد
عبد الله عنان بخصوص المعاهدين؛ خاصة وأنه أعطى صورة موجزة؛
ولكنها شاملة لهذا الموضوع: ((النصارى المعاهدون، أو المعاهدون، أو
المستعربون؛ بالإسبانية **Los Mozarabes** هم النصارى الذين بقوا بعد
فتح الأندلس في المدن والبقاع المفتوحة تحت حكم الدولة الإسلامية.
وكانوا يكونون أقليات كبيرة في القواعد الرئيسية مثل قرطبة وإشبيلية
وطليطلة، ويتمتعون في ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلي، ويطبقون
شرائعهم القوطية القديمة، ولهم قضاؤهم الخاص، ولهم كنائسهم يزاولون
فيها شعائرهم الدينية بكل حرية. وكانوا - فوق ذلك - يتمتعون في بعض
الأحيان بنفوذ قوي، ويحتل كثير منهم مناصب هامة في الحكومة والجيش.
وقد أنشأت الحكومة الأندلسية - اعترافاً منها بأهمية الأقليات النصارانية -
منصب ((القومس)) للنصارى؛ ليكون مرجعهم الرئيسي في شئونهم
الروحية. وكان القومس من الشخصيات ذات النفوذ، وكان له - في معظم
الأحيان - مكانة خاصة لدى الأمير أو الخليفة؛ إذ كان مستشاره في كل ما

سكناهم في غمار من الرُّوم؛ يعالجون فلاحه الأرض،
وعُمران القرى؛ يرأسهم أشياخ من أهل دينهم؛ أولو
حنكة ودهاء و مداراة، ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم.

يتعلق بشئون النصارى وأحوالهم، ولما نمت هذه الأقليات النصرانية وازدهرت؛ بدأت في مناوأة الحكومة الإسلامية، وتدمير الدسائس ضدها؛ وكانت عضد الثورات المختلفة في المدن والمقاطعات الثائرة؛ ولاسيما طليطلة وما يجاورها من المدن القريبة من حدود النصارى، ومن الغريب - أنهم مع بغضهم للإسلام والحكومة الإسلامية - كانوا يأخذون بقسط وافر من التقاليد والعادات الإسلامية، وكانوا يتكلمون العربية ويكتبونها، ويستعملونها في وثائقهم ومعاملاتهم؛ وقد نبغ الكثير منهم في النظم والنثر. وفي عهد عبد الرحمن بن الحكم (206 - 238هـ) (822 - 852م) حاول النصارى المعاهدون أن يدبروا فتنة خطيرة لصدع الحكومة الإسلامية؛ وعمد بعض القساوسة المتعصبين إلى سب الإسلام والنبي العربي جهراً في شوارع قرطبة، وأمام القضاة الذين يحكمونهم؛ ودفعوا إلى هذا التحدي بعض الغنيمات النصرانية المتعصبات؛ ف قضى على عدد منهم بالإعدام، وازداد النصارى هياجاً وتحدياً، وكادت تحدث في قرطبة فتنة مدمرة؛ لولا أن تذرعت الحكومة الإسلامية في إخمادها بمنتهى الحزم والشدة. وليث النصارى المعاهدون على كثر العصور شوكة في جانب الحكومة الإسلامية؛ يحاولون إحداث الشغب بكل الوسائل، ويشجعون كل خلاف وثورة، ويحالفون المملكة النصرانية الشمالية، ويستعدونها على الأندلس باستمرار. ولهم في الأندلس تاريخ طويل؛ ليس هنا موضع استقصائه، ولكن جهودهم كانت على أي حال من أهم العوامل في إضعاف الحكومة الإسلامية، وفي تعضيد جهود إسبانيا النصرانية؛ لاسترداد أراضيها المفتوحة من المسلمين. وهذا ما يعتبره المؤرخون الإسبان - من وجهة نظرهم - أعمال بطولية، ولهذا يخصص العلماء الإسبان لتاريخ ((النصارى المعاهدون)) مصنفات وبحوثاً كثيرة. وقد وضع المستشرق الكبير سيمونت Simonet في تاريخ النصارى المعاهدين مؤلفاً ضخماً عنوانه: **Historia de los Mosarabes de Espana (Madrid 1897)** ومن أحدث المؤلفات في هذا الموضوع كتاب وضعه المستشرق **Isidro de la Cagigas** عنوانه: **(Los Mozarabes (Madrid 1947))**.

وأخذهم¹ رجل يُعرفُ بابن القلاس²؛ له شهرة وصيت،
وجاه عند الأمراء بها. وكانت لهم بخارج الحضرة؛ على
غَلوتين³، تجاه باب البيرة⁴ - في اعتراض الطريق إلى
قُولجر⁵ - كنيسة شهيرة إتخذها لهم أحد الزعماء من أهل
دينهم؛ استركبه بعض أمرائها في جيش خَشِن من الروم؛
فأصبحت فريدة في العمارة والحلية؛ أمر بهدمها يوسف بن
تاشفين⁶؛ لتؤكد رغبة الفقهاء، وتوجّه فتواهم.

¹ في ج، والملكية: ((وأخروهم)).

² هو اسم زعيم التصاري المعاهدين؛ ولا أعرف مدى صلته - البعيدة أو القريبة - بالفقيه الزاهد أبي الحسين يحيى بن نجاح الشهير بابن القلاس الأموي القرطبي، المتوفى بمصر - بعد أن استوطنها - سنة 422هـ/1030م، وله كتاب سيل الخيرات؛ في المواعظ والوصايا والزهد، ثم أبو عبد الله ابن القلاس؛ منافس ابن زيدون في حب ولادة، ربما التقوا في الاسم المتشابه فقط.

³ الغلوة: مقياس يوناني الأصل؛ يستعمل في الأندلس؛ كمقياس للأطوال والمسافات؛ والغلوة الواحدة يتراوح مقدارها بين: ثلاثمائة وأربعمئة ذراع، والذراع: يساوي 21.6 بوصة؛ التي تقابل 55. مم، أما الغلوة: فتقدر بـ 2 ياردة المساوية لـ 185 متراً، وتقدر - في الغالب - برمية سهم.

⁴ يعتبر باب البيرة من أقدم أبواب غرناطة، وما زال إلى الآن أثره قائماً في غرناطة؛ ويسمى بالإسبانية: **Puerta de Elvira**.
⁵ وردت بعد كلمة الطريق السابقة كلمات؛ تخلص عنها عنان؛ لأنها في غير موضعها؛ وهي: ((والعياء عقيق الماء)). أما بلدة قُولجر: فهي الآن قرية تسمى الآن **Cuejar Sierra** لا تبعد كثيراً عن غرناطة؛ وتقع في الشرق منها في الاتجاه القائم فيه باب البيرة.

⁶ يوسف بن تاشفين هو سلطان اللتونييين ومؤسس الدولة المرابطية (ت: 500هـ/1106م) أنقذ الأندلس الإسلامية من السقوط في أيدي النصارى، ووجدها بعد التفكك والتشرذم، ثمة ترجمة وافية له في الإحاطة.

قال ابن الصيرفي¹: خرج أهل الحضرة لهدمها يوم الإثنين؛ عقب جمادى الآخرة من عام اثنين وتسعين وأربعمائة²، فصيّرت للوقت قاعاً؛ وذهبت كل يد بما أخذت من أنقاضها وآلاتها. قلت: ومكانها اليوم مشهور، وجدارها ماثل؛ ينبئ عن إحكام وأصالة، وعلى بعضها مقبرة شهيرة لابن سهل بن مالك³ رحمه الله.

ولما تحركت لعدو الله الطاغية ابن رُذَير⁴ ربح الظهور، على عهد الدولة المرابطية، قبل أن يخضد الله شوكته على إفراغة⁵ بما هو مشهور؛ أملت المعاهدة⁶.

¹ هو أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري المعروف بابن الصيرفي؛ توفي بغرناطة في حدود سنة 570هـ/1174م. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة.

² الموافق لـ 1098م.

³ هو أبو الحسن سهل بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد الأزدي أديب الأندلس وخطيبها البليغ، ولد سنة 559هـ/1163م وتوفي بغرناطة سنة 639هـ/1241م. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة.

⁴ يقصد ألفونسو الأول؛ وهو ابن راميرو ملك أرغون (1105 - 1134م) (499 - 529هـ).

529هـ).

⁵ إفراغة Fraga: هي مدينة في الثغر الأعلى؛ حاول ألفونسو الأول الاستيلاء عليها سنة 528هـ/1134م؛ ولكنه فشل بعد تدخل الجيش المرابطي بقيادة الأمير ابن غانية؛ فانهزم ألفونسو الأول وتوفي بعدها بأيام معدودة غماً وحرقة.

⁶ أي المعاهدون من النصارى وقد سبق الحديث عنهم..

من النصارى لهذه الكورة - إدراك الثرة¹، وأطمعت [في]² المملكة؛ فخاطبوا ابن رُدْمِير من هذه الأقطار، وتوالت عليه كُتُبُهُمْ، وتواترت رُسُلُهُمْ؛ ملحة بالإستدعاء، مُطْمِعة في دخول غرناطة³. فلما أبطأ عنهم؛ وجهوا إليه زماماً يشتمل على إثني عشر ألفاً من أنجاد مقاتليهم؛ لم يعدُّوا فيها شيخاً، ولا غِراً، وأخبروه أن من سمَّوه، ممن شهرت⁴ أعينُهُم لقرب مواضعهم، وبالبُعد من من يخفى أمره، ويظهر عند وُرود شخصه؛ فاستأثروا طمعه، وابتغثوا جشعه، واستفزَّوه بأوصاف غرناطة، وما لها من الفضائل⁵ على سائر البلاد، وبفحصها الأفيح⁶، وكثرة فوائدها من: القمح، والشعير، والكتَّان؛ وكثرة المرافق؛ من: الحرير، والكروم، والزيتون، وأنواع الفواكه، وكثرة العيون، والأنهار، ومنعة قُبَّتِها⁷،

¹ الثرة هي: السعة والتبسط وقد حُرِفَت في ج فكتبت: ((الثرة)).

² ((في)) سقطت في المخطوطين.

³ في البيان المغرب: ((أغرناطة)). ويبدو أن هذا هو اسمها الأمازيغي.

⁴ نفسه: ((شهدت)).

⁵ نفسه: ((الفضل)).

⁶ يسمى هذا المرج بالإسبانية La Vega؛ وقد سبقت الإشارة إليه.

⁷ في البيان المغرب: ((قصبته)).

وانطباع رعيّتها¹؛ وتأتى أهل حاضرتها، وجمال إشرافها وإطلالها، وأنها المباركة التي يمتلك منها غيرها؛ المسماة **سَنَام [الأندلس عند]**² الملوك في توارخها. فرموا حتى أصابوا غربه؛ فانتخب، وأحشد، وتحرّك أول شعبان من عام خمسة عشر وخمسمائة³؛ وقد أخفى مذهبه، وكنى أربّه؛ فوافى **بَلَنْسِيَّة**⁴، ثم إلى **مُرْسِيَّة**⁵، ثم إلى **ييرة**⁶، ثم اجتاز **بِالْمَنْصُورَة**⁷، ثم انحدر إلى **بَرْشَانَة**⁸، ثم تلوّم إلى وادي ناطلة⁹، ثم تحرك

¹ في الملكية: ((رغبتها)).

² ما بين الحاصرتين سقط في ج

³ اعتبر محمد عبد الله عنان هذا التاريخ خطأ؛ وصححه بتاريخ: **518هـ/1125م**؛ ويرى أن ألفنسو الأول وصل إلى جنوبي الأندلس في **520هـ/1126م**، أما كتاب البيان المغرب؛ فقد ورد فيه: ((أول شعبان **519هـ**)).

⁴ في البيان المغرب: ((إلى أن وصل بلنسية)).

⁵ مرسية (**Murcia**) مدينة ساحلية تطل على البحر الأبيض المتوسط؛ وهي عاصمة منطقة تحمل هذا الاسم؛ وتقع على ضفاف نهر شقورة؛ في الجنوب الشرقي من الأندلس، أسسها عبد الرحمن الداخل سنة **210هـ/825م** من رجالاتها المشاهير ابن عربي.

⁶ تقع بلدة ييرة بالقرب من الساحل الشرقي للأندلس؛ وهي في أعمال المرية.

⁷ لعله يقصد منية نصر؛ وهي قرية شرقي قرطبة؛ تقع على نهر به أرحاء الحناء؛ قال فيها عبيد الله بن يحيى:

لعلّ زمارني يَسْتَجِدُّ بوصلها * تجدّد عهد الملك في قبة النّصر.

⁸ بَرْشَانَة - بفتح الباء والنون - أحد الحصون المنيعة في الأندلس؛ يربض بين نهريْن؛ تابع لإشبيلية.

⁹ لم أتوصل إلى معرفته.

تحرك إلى بَسْطَة¹، ثم إلى واد آش². فنزل بالقرية المعروفة
المعروفة بالقَصْر³، وصافح المدينة بالحرب؛ ولم يحل
بطائل؛ فأقام عليها شهراً.

قال صاحب كتاب ((الأنوار الجليّة))⁴: فبدأ
بَحْثُ الْمُعَاهِدَةِ بِغَرْنَاطَةِ فِي اسْتِدْعَائِهِ⁵؛ فافتضح
تدبيرهم باجتلابه، وهمَّ أميرها⁶ بتثقيفهم⁷؛ فأغياهم
ذلك، وجعلوا يتسللون إلى مَحَلَّتِهِ⁸ على كل طريق؛ وقد
وقد أهدت جيوش المسلمين من أهل العدو⁹، والأندلس
والأندلس بغرناطة؛ حتى صارت كالدارة¹⁰، وهي في

¹ حرفت في المخطوطين فكتبت: ((بسطة)). وبسطة: مدينة أندلسية تقع
إلى الشرق من غرناطة. كانت مركز ملك محمد بن سعد بن الرغل (حكم
من 890هـ/1485م - 896هـ/1490م).

² وادي آش: تسمى الآن: Guadix؛ وكانت هذه المدينة؛ من المدن
المزدهرة في العهد الإسلامي بالأندلس؛ وتقع في شرق غرناطة؛ وهي
قريبة من مدينة بسطة. سقطت في قبضة النصارى سنة 895هـ/1489م.
³ هذه القرية تسمى الآن Alcazar؛ وتقع في الجنوب الشرقي من غرناطة.

⁴ حرفت في المخطوطين فكتبت: ((الأنوار الجليّة)). وكتاب الأنوار الجليّة
في تاريخ الدولة المرابطية؛ هو لأبي بكر يحيى بن محمد المعروف؛ بابن الصيرفي.

⁵ أي بدأ المعاهدون. وفي البيان المغرب: ((فبدأ نجيث المعاهدة في استدعائه)).

⁶ في البيان المغرب: ((وهمَّ أبو طاهر)).

⁷ أي اعتقالهم.

⁸ محلة ملك أرغون ألفونسو الأول.

⁹ يقصد أهل المغرب.

¹⁰ في ك، و ج: ((كالدارة)).

وسطها كالنقطة، لما أنذروا بغرضه؛ وتحرك من واد آش؛
 فنزل بقرية دجمة¹؛ و صلى الناس بغرناطة صلاة الخوف -
 يوم عيد النحر؛ من هذه السنة - في الأسلحة والأبهاء.
 وبعيد الظهر - من غده - ظهرت أخبية الروم بالقيل²، شرق
 شرق المدينة؛ وتوالى الحرب على فرسخين منها؛ وقد
 أجلى السواد، وتزاحم الناس بالمدينة، وتوالى الجليد،
 وأظلت الأمطار، وأقام العدو - بمحلته - بضع عشرة ليلة؛
 لم تسرح له سارحة؛ إلا أن المعاهدة تجلب له الأقوات³.
 ثم أقلع؛ وقد إرتفع طعمه⁴ عن المدينة، لأربع بقين من
 ذي الحجة عام عشرين⁵، بعد أن تفرغ مستدعيه إليها،
 وكبيره يعرف بابن القلاس⁶؛ فاحتجوا ببطئه وتلؤمه؛ حتى
 حتى تلاحقت الجيوش، وأنهم قد وقعوا مع المسلمين في

¹ تسمى الآن Diezma؛ وتقع إلى الغرب من مدينة وادي آش؛ وتتوسط الطريق بينها وبين غرناطة.

² أي بالقائلة؛ منتصف النهار.

³ في البيان المغرب: ((والمعاهدة تجتلب إليه الأقوات)).

⁴ هكذا.

⁵ يقصد: 520هـ/1126م.

⁶ زعيم المعادين.

الهلَكة؛ فرحل عن قرية مُرسانة إلى ييش¹؛ ومن الغد إلى السكة² من أحواز قلعة يَحْصُب³؛ ثم اتصل إلى لِدُويانه⁴، ونكب إلى قبرة، واللسَّانه⁵، والجيش المسلمة المسلمة في أذياه. وأقام بقبرة أياماً، ثم تحرك إلى بلای⁶؛ والعساكر في أذياه، وشيجة⁷، في فحص الرئسول⁸،

¹ تعرف قرية مرسانة اليوم باسم **Maracena**؛ وتبض في شمال غرناطة. أما قرية ييش؛ فهي الآن **Beas**؛ وتتواجد في الشمال الغربي من غرناطة. وهاتان القريتان كانتا تابعتين لغرناطة وفي حوزها.

² تعذر عليّ معرفتها.

³ نسبة إلى قبيلة يَحْصُب بن دهمان الحميرية العربية؛ هي قلعة بني سعيد الشهيرة؛ أصحاب كتاب المغرب في حلي المغرب، وكتاب القحح المعلى؛ وغيره. وهذه القلعة تسمى الآن: **ALCALA la Real**؛ أي القلعة الملكية. وتسمى أيضاً قلعة يعقوب، وتتواجد في الشمال الغربي من غرناطة.

⁴ تعذر عليّ معرفتها. وكتبت في ت: ((الدويانية)).

⁵ سبق التعريف بقبرة. أما اللسانة أو الليسانة فتعرف اليوم بـ **Lucena**؛ وهي حصن من الحصون المتواجدة في مملكة غرناطة؛ أغلب سكانها من اليهود؛ وبها ربض يسكنه المسلمون. وتقع إلى الشمال الغربي من غرناطة؛ ولا تبعد كثيراً عن قلعة يحصب. وعرفت هذه القرية بكونها كانت منفى الفيلسوف الأندلسي العظيم: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي؛ المولود بقرطبة سنة 520 هـ/1126م. بعد أن ثار عليه الفقهاء، وضغطوا على الخليفة الموحي أبي يعقوب يوسف - على الرغم من حبه له - فتقرر نفيه لبعض الوقت إلى السكنى مع اليهود في قرية لسانة.

⁶ كتبت في الملكية: ((بللي))، وفي ت: **Poley**؛ واسمها الحديث هو **Aguilar**. اشتهرت بلای بالموقعة التي حدثت بين الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، وابن حفصون الثائر سنة 287 هـ/891م.

⁷ حرف اسمها في ك و ج، و ت، والملكية. على ثمة بلدة كانت تسمى شيجة أو أشيجة؛ وهي قريبة من غرناطة؛ وتسمى الآن **Espejo**.

⁸ يسمى أيضاً أرنسول؛ ويعرف الآن **Aranzuel**؛ وهو في جنوبي غرناطة. غرناطة وربما كان في هذا الموضع قديماً حصناً قائماً. وقد ذكره ابن

مكافحةً في أثنائها، مناوشة، وظهوراً عليه. ولما جَنَّ الليل؛ أمر أميرهم برفع خبائه¹ من وهدة كان فيها إلى نجدة²؛ فسَاءَتِ الظُّنُون، واختلَّ الأمر؛ ففرَّ الناس، وأسلموا؛ وتَهَيَّبَ العَدُوُّ المَحَلَّة؛ فلم يدخلها إلَّا بعد هدأة من الليل³، واستولى عليها، وتحرك - بعد الغد - منها إلى جهة الساحل؛ فشق العِمامة الأمانة من الإقليم والشارات⁴. فيقول بعضُ شيوخ تلك الجهة، إنه اجتاز بوادي شُلُوبَانِيَّة⁵، المُطَلَّ الحافَّات، والمُتَحَصَّن⁶ المجاز. وقال بلغته: أيُّ قَبْرِ هذا لو أَلْفَيْنَا من يَصُبُّ علينا التُّراب، ثم

الأثير حين أورد خبر الهزيمة التي لحقت بالمسلمين أمام ابن رديم سنة 520هـ/1126م، وذكر أنه حصن منيع.

¹ في البيان المغرب: ((فلما طفلت الشمس أمر الأمير تميم برفع خبائه)).

² الوهدة جمعها وهاذ الأرض المنخفضة؛ ونجدة: يقصد بها الأرض المرتفعة.

³ حرفت في ت؛ فكتبت: ((مدة الليل))، وفي الملكية: ((هدة الليل)).

⁴ في ج، والملكية: ((الشارات))، ((البشارة))، ويقصد بالشارات: المرتفعات والهضاب الممتدة جنوب جبل شلير. ويرى بعضهم أن اسمها بالإسبانية **Alpujarras**؛ بينما يعتقد عنان أنها تحريف لكلمة **Sierras** الإسبانية.

⁵ في هذا الوادي بلدة تسمى أيضاً شلوبينية؛ وتقع في بسيط يطل على البحر الأبيض المتوسط إلى الجنوب من غرناطة؛ وتعرف الآن باسم **Salobrena**.

⁶ في المخطوطين: ((المتحصر)).

عرج يَمْنَة حتى انتهى إلى بُلش¹، وأنشأ بها جَفْنًا²، صغيراً يصيد له حوتاً؛ أكل منه؛ كَأَنَّهُ نَذِرٌ كان عليه؛ وَفَى به، أو حديثاً أراد أن يُخَلِّد عنه. ثم عاد إلى غرناطة، فاضطرب بها محلته بقرية دُكْر³، على ثلاثة فراسخ منها قِبْلَة، ثم انتقل - بعد ذلك بيومين - إلى قرية هَمْدَان⁴، وبرز بالكتب جاعِرِ سَطَة⁵ من المدينة؛ وكان بينه وبينه وبين عساكر المسلمين مُواقعة عظيمة؛ وللأهل غرناطة بهذا الموضع حِثْثَان⁶؛ ينظرونه من القضايا المستقبلية.

¹ تعرف ببلش مالقة؛ **Velez Malaga** الآن؛ وهي مدينة في جنوب الأندلس؛ وتقع بين مالقة والمنكب نحو الشرق. سقطت في قبضة النصارى سنة 892هـ/1486م.

² يقصد أنشأ بها مركباً. لأن الجفن في اصطلاح الأندلسيين هو المركب الصغير، أو السفينة الحربية.

³ غير معروفة؛ ويعتقد عنان في احتمال أنها هي القرية المسماة الآن **Dilar**. التي تربض إلى الجنوب من غرناطة. وقد وردت في ت: ((دلوا)).

⁴ وتسمى الآن **Alhendin**؛ وهي جنوبي غرناطة وقرية منها.

⁵ يعتقد عنان أنه أحد زعماء النصارى في ذلك الوقت واسمه بالإسبانية: **Inigo Arista**. وقد كتب في الملكية: ((جاغر سطة)).

⁶ الحِثْثَان؛ جمع حديث؛ وهي حوادث الدهر. وقد اصطلح على إطلاق هذه الكلمة على كل عمل أو خبر له علاقة باستكشاف حوادث الغيب؛ من أعمال الزيارجية، وخط الرمل، والتنجيم وغيره، وقد خصص ابن خلدون في مقدمته لموضوع الحِثْثَان فصلاً؛ يمكن الرجوع إليه.

قال ابن الصيرفي: وقد ذكر في بعض كتب الجفر¹:
 ((هذا الفحص، بخراب يجبي عن يتامى وأيامى)). وكان
 هذا اليوم مُعَرَّضاً لذلك؛ فوقى الله؛ وانتقل - بعد
 يومين - إلى المرج²؛ مُضَيِّقاً عليه، والخيل تخرجه³؛
 فنزل بعين أطسة⁴، والجوش محذقة به، وهو في نهاية؛
 من كمال التَّعْيِيَّة، وأخذ الحذر؛ بحيث لا تُصاب فيه
 فُرْصَة، ثم تحرَّك على البرَاجِلَات، إلى اللقوق⁵، إلى
 وادي آش؛ وقد أصيب كثير من حاميته. وطوى المراحل
 إلى الشرق؛ فاجتاز إلى مُرْسِيَّة، إلى جوف شاطبة؛
 والعساكر - في كل ذلك - تطأ أذياله، والتناوش يتخَطَّرُ به⁶،
 به⁶، والوباء يسرعُ إليه؛ حتى لحقَ بلاده؛ وهو ينظر إلى
 إلى قفاه؛ مُخْتَرِماً، مَفْلُولاً من غير حرب؛ يكاد الموت
 يستأصل محلَّته، وجُمَلَتَه. ولما بان للمسلمين من مكيدة

¹ الجفر - أيضاً - ضرب من التنجيم؛ باستخراج الأجوبة بواسطة أسرار الحروف.

² وردت في المخطوطات الثلاثة: ((الفرج)). وقد رجح عنان أن يكون المرج هو La Vega الآن.

³ في ج: ((بجرحيه))، وفي ك: ((نحوجه))، وفي ت: ((تخرجه))؛ وقد صوبت من الملكية، غير معروفة.

⁴ في الملكية: ((اللقون))؛ وهي أماكن غير معروفة.

⁵ هكذا في المخطوطتين؛ أما في ت؛ فكتب: ((يتخطفه)). وقد كتبت هذه العبارة في البيان المغرب هكذا: ((وتناوشه وتصيب منه)).

جيرانهم **المُعاهدين**؛ ما أَجَلْتُ عنه هذه القضية، أَخَذَهُم
 الإِرْجَافَ، وَوَعَرَتْ لَهُم الصُّدُورُ، لَوُوجُهُ إِلَى مَكَانِهِمْ
 الْحَزْمُ¹؛ وَوَجَّهَ الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ بْنِ رِشْدٍ² الْأَجْرَ،
 وَتَجَشَّمَ الْمَجَازَ³، وَلَحِقَ بِالْأَمِيرِ [عَلِي بْنِ] يَوْسُفَ بْنِ
 تَاشَفِينَ بِمَرَّاكُشَ⁵؛ فَبَيَّنَ لَهُ أَمْرَ الْأَنْدَلُسِ، وَمَا مَنِيَتْ بِهِ مِنْ
 مِنْ مُعَاهِدِهَا، وَمَا جَنَوَهُ عَلَيْهَا؛ مِنْ اسْتِدْعَاءِ الرُّومِ⁶، وَمَا
 وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ، وَالْخُرُوجِ عَنِ الذِّمَّةِ. وَأَفْتَى
 بِتَغْرِيهِمْ، وَإِجْلَائِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ؛ وَهُوَ أَخْفُ مَا يُؤْخَذُ

¹ هذه العبارة الواردة بين حاصرتين انفرد بها مخطوط ج. وكتب بعدها:
 ((فاحتسب الإرجاف ووعزت لهم الصدور)). وهذا التكرار لم يرد في باقي المخطوطات.
² هو ابن رشد الجد؛ (جد الفيلسوف)؛ واسمه بالكامل: أبو الوليد محمد
 ابن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي؛ تولى قضاء قرطبة. مات
 في ذي القعدة من سنة 520هـ/1126م؛ وهي السنة نفسها التي اندحر فيها
 الفونسو عن غرناطة. من مؤلفاته: كتاب المقدمات؛ لأوائل كتب المدونة،
 وكتاب البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل،
 واختصار الميسومة، واختصار مشكل الآثار للطحاوي.
³ في البيان المغرب: ((وتجشم النهوض إلى حضرة مراكش)).
⁴ صحح عنان الخطأ الموجود في المخطوطات؛ بإضافة ((علي ابن))؛
 مذكراً أن يوسف بن تاشفين توفي في سنة 500هـ؛ حيث خلفه ولده علي
 في السنة نفسها. وهذه الحوادث المذكورة وقعت في سنة 520هـ. وهو
 عصر علي بن يوسف بن تاشفين.
⁵ مراكش: عاصمة الدولة المرابطية؛ تقع جنوب المملكة المغربية الحالية.
 بناها يوسف بن تاشفين سنة 454هـ/1062م. اشتق اسم هذه المدينة من
 كلمة أمازيغية (أمور ن ياكش)؛ ومعناها بلاد الله.
⁶ في البيان المغرب: ((وما بليت به من معاهدتها، وما جرّوه إليها، وجنوه
 وجنوه عليها من استدعاء ابن ردمير)).

به من عقابهم ؛ وأخذَ بقوله ؛ ونُفذَ بذلك عهدُه ؛
وأزْعَج¹ منهم إلى بُرِّ العدوِّ ، في رمضان من العام
المذكور ؛ عددُ جَمٍّ ، أنكرتهم الأهواءُ ، وأكلتهم الطرقُ ،
وتفرقوا شَذَر مَذَر² ؛ وأصاب كثير من الجلاء جمعتهم³
من اليهود ؛ وتقاعدت بها منهم طائفة ؛ هَبَّت لها - بمالأة
بعض الدُّول - رِيحٌ ؛ فأَمَّروا ، وأكثروا إلى عام تسعة
وخمسين وخمسمائة⁴ ؛ ووقعت فيهم وقية احتشَّتْهُمْ ؛ إلَّا
إلَّا صابئة⁵ لهذا العهد قليلة ، قديمة المذلة ، وحالفت
الصَّغار⁶ . جعل الله العاقبة لأوليائه .

¹ في ج: ((وأعجز)) ، وفي الملكية: ((وأعجز)) ؛ فصوب ذلك عنان. وأزعج هنا تعني: الطرد
² معنى (شذر مذر) هو: ذهبوا مذاهب شتى في الاختلاف. وشذر هي
خرز يفصل به بين حبيبات اللؤلؤ الصغيرة في العقد. أما مذر: فمعناها فرقه.
³ هكذا.
⁴ الموافق لـ 1163م.
⁵ أي أقلية محدودة.
⁶ الصَّغار: ضد ما هو عظيم. وردت هكذا في ج، أما في ك: ((الصغار)).

ذكر

ما ينسب إلى هذه الكورة
من الأقاليم التي نزلتها العرب بفارج
غرناطة، وما يتصل بها من العمالة

فصل

فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى والجنان والجهات

قال المؤلف رحمه الله: وَيَحِفُّ بِسُورٍ¹ هَذِهِ الْمَدِينَةُ² -
الْمَعْصُومَةُ بِدِفَاعِ اللَّهِ تَعَالَى - الْبَسَاتِينُ الْعَرِيضَةُ الْمُسْتَخْلَصَةُ،
وَالْأُدُوحُ الْمُلتَفَّةُ؛ فَيَصِيرُ سُورُهَا - مِنْ خَلْفِ ذَلِكَ - كَأَنَّهُ مِنْ
دُونِ سِيَاجِ كَثِيفَةٍ؛ تَلُوحُ نُجُومُ الشُّرُفَاتِ أَثْنَاءَ³ خَضْرَايَةِ.
وَلِذَلِكَ مَا قَلْتُ فِيهِ فِي بَعْضِ الْأَغْرَاضِ⁴:
بَلْدٌ يَحِفُّ⁵ بِهِ الرِّيَاضُ كَأَنَّهُ
وَجْهٌ جَمِيلٌ وَالرِّيَاضُ عِذَارُهُ
وَكَأَنَّمَا وَادِيهِ مِعْصَمٌ غَادَةٌ
وَمِنْ الْجُسُورِ الْمُحْكَمَاتِ سِوَارُهُ

¹ في المخطوطين: ((سور)).

² أي غرناطة.

³ كلمة ((أثناء)) وردت في ت، أما اللوحة فكتب فيها: ((الشرفات البيض أثناء)).

⁴ يوجد هذان البيتان أيضا في نفح الطيب وأزهار الرياض؛ وهما من بحر الكامل.

⁵ في نفح الطيب: ((تحف)).

فليس تَعْرِى عن جَنَابَتِهِ من الكُروم والجَنَاتِ جهة؛
إِلَّا ما لا عِبْرَةَ به مقدار غُلُوة أما ما حازه السَّفل من
جَوْفِهِ¹؛ فهي عظيمة الخطر، متناهية القِيم؛ يضيق جَدُّه²
من³ عدا أهل الملك عن الوفاء بأثْمَانِهَا؛ منها ما يُغْلُ في
السنة الواحدة نحو⁴ الألف من الذهب. قد غُصَّت
الدَّكاكين بالخُضَر النَّاعمة، والفَوَاكه الطَّيِّبة، والثَّمَر
المُدَّخَر، يَخْتَصُّ منها بمستخلص السلطان⁵، المرور طَوْقاً
على تَرَائِب بلده ما بينهن منية⁶؛ منها الجَنَّة⁷ المعروفة
بِفَدَّانِ المَيْسَةِ، والجَنَّة المعروفة بفَدَّانِ عِصَام، والجَنَّة المعروفة
بالمَعْرُوى⁸، والجَنَّة المنسوبة إلى قَدَّاح بن سُحْنُون، والجَنَّة
المنسوبة لإِبْنِ المؤدَّن، والجَنَّة المنسوبة لإِبْنِ كامل، وجَنَّة
النَّخْلَةِ العُلْيَا، وجَنَّة النخلة السفلى، وجَنَّة ابن عُمَرَان،

¹ في ت: ((حومين)).

² في ج: ((جوه)).

³ في الملكية: ((ما)).

⁴ في المخطوطين: ((شكر)).

⁵ أي الأملاك الخاصة بالسلطان.

⁶ هكذا.

⁷ يقصد بالجَنَّة؛ البستان أو الحديقة. وهذه الكلمة مازالت مستعملة في الجزائر، وتطلق على البستان.

⁸ في ت: ((المغرموى)). بينما ترك بياض في ج.

والجنة التي إلى نافع، والجُرْف الذي ينسب إلى مُقبل،
 وجنة العَرَض، [وجنة الحفرة]¹، وجنة الجُرْف، ومَدْرَج
 نَجْد، ومَدْرَج السَّيْكََة²، وجنة العَرِيف³. كلها لا نظير لها
 لها في الحسن والدمانة⁴ والرَّيْع، وطيب الثُّرْبَة، وغَرَقَد⁵
 السُّقْيَا، وإلتفاف الأشجار، واستجادة الأجناس؛ إلى ما
 يجاورها ويتخلَّلها؛ مما يختص بالأحباس الموقوفة، والجنات
 المملَّكة، وما يتصل بها بوادي سَنْجِيل⁶ ما يقيد الطَّرْف،
 ويُعْجَز الوصف، قد مثَّلت منها على الأنهار المتدافعة
 العُباب، المنارة والقِبابُ، واختَصَّت من أشجار العاريات
 ذات العصير الثاني بهذا الصُّقْع⁷، ما قَصَرَتْ عنه الأقطار.
 وهذا الوادي من محاسن هذه الحَضْرَة؛ مأوؤه رقرق من

¹ سقط ما كتب بين الحاصرتين في ج، والملكية؛ بينما ثبت في ك.
² السبيكة هو السهل الأخضر المنبسط جنوب شرق الحمراء؛ وقد كان
 مصدر وحي للشعراء والأدباء؛ لجماله وخصوبته.
³ جنة العريف من أروع وأجمل الحدائق في غرناطة. بها قصر السلطان
 المسمى بقصر جنة العريف؛ ويسمى بالإسبانية: **Generalife**. ويقع هذا
 القصر والبستان إلى الشمال الشرقي من الحمراء.
⁴ أي الخصوبة. وردت هكذا في ج؛ وفي ك: ((الدمامة)). وفي ت: ((الدمائة))
⁵ أي ضخامة الأشجار بفضل المياه الغزيرة التي تسقى بها. لأن الغرقدة
 شجر عظيم؛ وربما يكون (العوسج) في ضخامته.
⁶ اسم ثاني لنهر شنييل. وقد حُرِفَتْ في المخطوطين فكتبت: ((سحل)).
⁷ حُرِفَتْ في المخطوطين؛ فكتبت: ((السقع)).

دُوبِ الثَّلْجِ، ومُجَاغَةَ الْجَلِيدِ¹، وممرُّه على حصي
جوهريّة؛ بالنّبات والظّلّال مُحْفَوَفَةٌ؛ يأتي من قِبلة علام
البلد إلى غَرْبه؛ فيَمُرُّ بين القُصور النّجديّة؛ ذوات
المناصب الرّفيعة، والأعلام الماثلة. ولأهل الحَضرة بهذه
الجَنّات كَلَفٌ، ولذَوِي البطالة فوق نهره أريك من دَمَث
الرّمْل، وحِجَال² من ملتفّ الدَّوْح؛ وكان بها سطرٌّ من
شجر الحور؛ ينسب إلى مامل³؛ أحد خدام الدولة
الباديّية⁴. أدركنا المكان، يعرف بها.

قال أبو الحاج يوسف بن سعيد بن حسان⁵:

أحنُّ إلى غرناطة كلما هَفَّتْ

نسيمُ الصَّبَا تهدي الجَوَى وتشُوقُ

¹ في ك: ((الجليل)).

² حجال مفردّها حجلة: ستر وبيت يزين للعروس،

³ هكذا، ويبدو أن الكلمة هي: مؤمل؛ إذ ذكر في القصيدة التالية بهذا الاسم؛
الاسم؛ حيث قللهم إذا أمّلت حَوَزَ مَوْمِلٍ ومُدَّ من الدَمَرِ عليك
شقيق

⁴ صاحبها أبو مناد باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد
الصنهاجي؛ تولى ملك غرناطة بعد موت أبيه سنة 429هـ/1037م.

⁵ هذه القصيدة من البحر الطويل، أما يوسف بن سعيد فلم أجد ترجمة
له؛ على الرغم من استشهاد ابن الخطيب بقصيدته هذه؛ ومع ذلك لم
يخصه بترجمة في الإحاطة؛ وربما ذكره باسم آخر؛ ونقله الناسخ - هنا - بالخطأ.

سقى الله من غرناطة كل منهل
بمنهل سحب مأوئهن هريق
ديار يدور¹ الحسن بين خيامها
وأرض لها قلب الشجي مشوق
أغرناطة العليا بالله خبرى
أللهائم الباكي إليك طريق
وما شاقني إلا نظارة منظر
وبهجة وادٍ للعيون تروق
تأمل إذا أملت حوز مؤمل
ومد من الحمرا عليك شقيق
وأعلام نجد والسبيكة قد علت
وللشفق الأعلى تلوح بروق
وقد سل شنيل² فرنداً مهنداً
نضى فوق دُرّ ذرّ فيه عقيق

¹ حرفت في المخطوطين فكتبت: ((ديور)).

² شنيل (Genil): النهر الذي تريض على ضفافه مدينة غرناطة، ويسمى أيضاً نهر سنجيل Singilis؛ وهو فرع من الوادي الكبير، سبقت الإشارة إليه.

إذا نَمَّ منه طيبٌ نَشَرُ أراكه
أراكَ فَتيتَ المِسْكَ وهو فَتِيقُ
ومهما بَكَى جَفَنُ الغَمَامِ تَبَسَّمتُ
ثغورُ أَقاحٍ للرياضِ¹ أنيقُ

ولقد وَلَعَتِ الشُّعراءُ بوصفِ هذا الوادي ، وتغالت
الغالاتُ فيه ؛ في تفضيله على النيل² ؛ بزيادة الشَّين ؛ وهو
ألفٌ من العدد ؛ فكأنَّه نيلٌ بألفٍ ضِعْفٍ ؛ على عادة
متناهي³ الخيال الشعري. في مثل ذلك. ولقد أَلْغَزْتُ فيه
لشيخنا أبي الحسن بن الجيَّاب⁴ رحمه الله ؛ وقد نظم في
المعنى المذكور ما عَظُمَ له اسْتِطْرَابُهُ ؛ وهو⁵:

¹ في الملكية: ((في الرياض)).

² يعتبر نهر النيل أطول أنهار الأرض؛ ينبثق في مساره من منابعه عند بحيرة فيكتوريا (المطلة على أوغندا وكينيا وتانزانيا) ثم مرتفعات إثيوبيا؛ متجهًا نحو شمال القارة الإفريقية؛ أين يمر بعشر دول إفريقية؛ منها: السودان، فمصر؛ حيث يصب في البحر الأبيض المتوسط. ويقدر طول مساره بـ 6650 كلم.

³ حُرِفَتْ في المخطوطين فكتبت: ((متنافي)).

⁴ هو أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن علي الأنصاري الغرناطي الأندلسي؛ الشهير بابن الجيَّاب؛ وزير وكاتب وشاعر فحل؛ أحد رؤساء ابن الخطيب وأستاذه. ولد بغرناطة سنة 673هـ/1274م وتوفي بها سنة 749هـ/1348م. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة.

⁵ من بحر البسيط.

ما اسمٌ إذا زدته ألفاً من العدد
أفادَ معناه لم ينقص ولم يزد
وإنما اختلفا¹ من بعد ما اختلفا
معنى بشينٍ ومن نزرٍ ومن بلدٍ

ثم يتصل بالحسن العادي البديع، وهو على
قسمين؛ خَمْسٌ من مُحْكَم الكدان² [في نهاية الإبداع
والإحكام؛ يَتَّصِلُ به بناءٌ قديمٌ مُحْكَمٌ، وَيَسْتَقْبِلُ المَلْعَبُ³
العِيدرِي، ما بين دُنَابِي⁴ الجِسْرِ إلى جِدَارِ الرَّاِبِطَةِ، وملعب
بديع الشكل؛ عن يمينه جناحٌ بديع؛ عن ميدانه عُذُوات
النَّهر، وعن يساره الجَنَّات⁵، ويُفْضِي بعد انتهائه إلى
الرَّاِبِطَةِ، إلى بابِ القصرِ المنسوبِ إلى السَّيِّد⁶؛ وسيأتي

¹ في المخطوطين: ((استلفى))؛ وصوبت من ت.

² هكذا.

³ ما بين الحاصرتين ذكر في ت، والملكية؛ بينما سقط في المخطوطين.

⁴ هكذا في المخطوطين؛ وأغفلت في ت.

⁵ ثمة اضطراب في الصياغة، ويبدو أنه يقصد الموضع الواقع جنوب
شنيل؛ في اتجاه غرناطة؛ والمسمى الآن بـ((أرميلة)) *Armilla*. حيث
الملعب القديم الذي كان بها.

⁶ لقب السيد يطلق عادة على أبناء عبد المؤمن بن علي الموحدي
وأحفاده، وهذا القصر منسوب إلى السيد أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف
بن عبد المؤمن بن علي الموحدي؛ الذي كان والياً على الأندلس؛ وقد

ذكره؛ ويرتفع من هذا النهر الزُّلال جداولُ؛ تدور بها
أعدادُ من الأرحى لا نظير لها؛ استعداداً، وإفادة.

شيد ذلك القصر في سنة 615هـ/1218م؛ وهو معلم حضاري مرموق؛
ويعرف - في الوقت الحاضر - بقصر شليل.

فصل

وَتَرَكَبَ مَا ارْتَفَعَ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ - مِنْ جِهَاتِهَا الثَّلَاثِ -
- الْكُرُومِ الْبَدِيعَةِ ؛ طَوْقاً مَرْمَوْقاً ، يَتَّصِلُ بِمَا وَرَاءَهَا مِنْ
الْجِبَالِ ؛ فَتَعَمُّ الرُّبَى وَالْوَهَادَ ، وَتَشْمَلُ الْغُورَ وَالنَّجْدَ ، إِلَّا
مَا اخْتَصَّ مِنْهَا بِالسَّهْلِ الْأَفِيحِ - مُتَّصِلاً بِشَرْقِيِّ بَابِ الْبِيرَةِ ،
إِلَى الْخُنْدَقِ الْعَمِيقِ - وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْمَشَايخِ ؛ بَسِيطٌ جَلِيلٌ ،
وَجَوْ عَرِيضٌ ؛ تَغْمَى عَلَى الْعَدِّ أُمْرَاجَهُ¹ ؛ وَمَصَانِيْعُهُ تَلُوحُ
مَبَانِيْهَا ، نَاجِمَةً بَيْنَ الثَّمَارِ وَالزَّيْتُونِ ، وَسَائِرِ ذَوَاتِ الْفَوَاكِهِ ،
مِنْ : اللَّوْزِ ، وَالْإِجَاصِ ، وَالْكُمَثْرَى ؛ مُحَدَّقَةً² مِنْ الْكُرُومِ
الْمُسَحَّةِ ، وَالرِّيَّاحِينَ الْمُتَنَفِّةِ ؛ بِبُحُورِ طَامِيَةٍ تَأْتِي الْبُقْعَةَ
الْمَاءِ ؛ ففِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْبَسَاتِينِ ، وَالرِّيَاضِ ، وَالْحَصُونِ³ ،
وَالْأَمْلَاقِ الْمُتَّصِلَةِ السُّكْنَى عَلَى الْفُصُولِ ؛ وَإِلَى هَذِهِ الْجِهَةِ
يُشِيرُ الْفَقِيْهُ الْقَاضِي أَبُو قَاسِمِ بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ⁴ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

¹ فِي ت ، وَالْمَلِكِيَّةِ : ((أَفْرَاجَهُ)).

² فِي ت : ((عَرَّتْ)).

³ حُرِفَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ ؛ فَكُتِبَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ هَكَذَا : ((الرِّيَاضَةُ وَالْحَصْنُ)).

⁴ هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَافِيَةِ الْأَنْدَلُسِيِّ ؛ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي: جَذْوَةِ الْمُقْتَبِسِ ، وَالْمُصَلَّةِ ، وَبَغِيَةِ الْمُلْتَمَسِ ؛ دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَى سَنَةِ وَفَاتِهِ أَوْ مَمَاتِهِ. غَيْرَ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْخَطِيبِ هُنَا يَعْطِي فِكْرَةً عَنِ الزَّمَنِ الَّذِي عَاشَ

- في قصيدة؛ يجيب بها عروس الشعراء، الأديب الرّحال
أبا إسحاق الساحلي¹؛ وكان ممن نيّطت عليه بهذا العهد²
التمائم³:

يا نازحاً لعب المطيُّ بكوره
لعب الرّياح الهُوج بالأمُودِ
ورمّت به للطيّة القصوى التي
ما ورّدها لسواه بالمورودِ
هلاً حنّنت إلى معاهدنا التي
كنّت الحليّ لنحرها والجيدِ
ورياض أنس بالمشايخ⁴ طارحت
فيه الحمائم صوت سجع⁵ العودِ

فيه؛ حيث قال - بعد أن ترحم عليه - أنه في قصيدته الآتية يجيب فيها
الأديب الرّحال أبا إسحاق الساحلي؛ وهذا الأخير ذكر ابن الخطيب أنه
كان حياً في أوائل سنة 739هـ/1338م.

¹ هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي الغرناطي
المشهور بالطّويّين. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة، وقال أنه كان
حياً في أوائل سنة 739هـ/1338م.

² كتبت في المخطوطين: ((المعهد))؛ فصوبها عنان.

³ الكامل.

⁴ المشايخ: اسم يطلق على سهل خصب ومخضر في غرناطة؛ ذكره ابن
الخطيب في الصفحة السابقة، كما يطلق على الخندق المذكور آنفاً.

⁵ حرفت في المخطوطين فكتبت: ((سحم، سيج)).

ومبيتنا فيها وصفو مدامنا
صفو المودة لابنة العنقود
والعيشُ أخضرُ والهوى يُدني جَنَى
زهَراتِ ثَغَرٍ أو ثمارِ نُهودِ
والقُضْبُ رافلةٌ يعانِقُ بَعْضُها
بَعْضاً إذا اعتنقتْ غُصُونُ قُدُودِ
لهفي على ذاك الزَّمانِ وطيبه¹
وعلى مُناه وعيشه المحسُودِ
تلك الليالي لا ليالي بَعْدَها
عُطِّلْنَ إلا من جوى وسُهودِ
كانت قِصاراً ثم طُلْنَ ففيها²
تأتي على المقصورِ والممدودِ

¹ سقطت هذه الكلمة في ك.

² كانت ((فيها))؛ فصوبها يوسف طويل لكي يستقيم الوزن.

وأما ما استند إلى الجبل ؛ فيتصل به البيازين¹ في
سَفْح الجبل المتصل بالكُذْيَةِ ابن سَعْد ؛ مُتَّصلاً بالكُذْيَةِ
المُبْصَلَةِ ؛ المنسوبة لعين الدَّمْع²؛ مُنْعَطِفَةً على عَيْنِ القِبْلَةِ ؛
متصلة بِجَبَلِ الفَخَّارِ³؛ نَاهِلَةً في غَمَرِ الماءِ المجلوبِ على ذلك
السَّمْتِ ؛ أَوْضَاعٌ بَدِيعَةٌ، وَبَسَاتِينُ رَائِقَةٌ، وَجَنَّاتٌ لَا نَظِيرَ
لَهَا ؛ في اعتدالِ الهواءِ، وَعَذُوبَةُ الماءِ، وَالْإِشْرَافُ على
الأَرْجَاءِ ؛ ففيهَا القصورُ المحروسةُ، وَالْمَنَارَةُ المَعْمُورَةُ،
وَالدَّوْرُ العَالِيَةُ، وَالْمَبَانِي القَصَبِيَّةُ⁴، وَالرِّيَّاحِينُ النَّضِيرَةُ ؛ قد
فَضَّ فيها أَهْلُ البَطَالَةِ ؛ من أَوْلَى الحَبْرَةِ الأكْيَاسِ،
وَأَرْخَصُوا على النَّفَقَةِ عليها غَالِي النَّشَبِ⁵، تَتَنَازَعُ⁶ في
ذلك غَيْرُ الخَادِمِينَ، من خُدَّامِ الدَّوْلَةِ على مَرِّ الأَيَّامِ. حتَّى
أَصْبَحَتْ نَادِرَةً الأَرْضِ، وَالمَثَلُ في الحُسْنِ. ولهذه البُقْعَةُ ذِكْرٌ

¹ البيازين: التلال المطلة على أحد المروج بغرناطة.

² يبدو أن لعين الدمع شهرة في ذلك الوقت. وهي عبارة عن بقعة تستغل للراحة والترفيه؛ يتمتع بها سكان غرناطة؛ بحكم جمال طبيعتها وطيب هوائها. وقد حركت عين الدمع خيال الشعراء؛ فتصدى لوصفها كثير منهم. وسيذكر ابن الخطيب عينات منها فيما يلي.

³ يدخل في سلسلة جبال سييرا نفادا المطلة على غرناطة؛ وجبل الفخار يسمى الآن **Monte Alfacar**.

⁴ أي الشبيهة بقصور القصبة في حصانتها.

⁵ النشب: الثروة؛ من مال وعقار.

⁶ في المخطوطين والملكية: ((يتنازعوا)).

يَجْرِي فِي الْمَنَظُومَاتِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبُلْغَاءِ مَنْ سَاكِنِهَا
وَزُورَاهَا؛ فَمَنْ أَحْسَنَ مَا مَرَّ مِنْ ذَلِكَ؛ قَوْلَ شَيْخِنَا أَبِي
الْبَرَكَاتِ¹:

أَلَا قُلْ لَعَيْنِ الدَّمْعِ يَهْمِي² بِمُقَلَّتِي
لِفُرْقَةِ عَيْنِ الدَّمْعِ وَقَفَاً عَلَى الدَّمِّ

وَذَكَرْتُهُ³ فِي قَصِيدَةٍ؛ قُلْتُ⁴:

يَا عَهْدَ عَيْنِ الدَّمْعِ كَمْ مِنْ لَوْلُو
لِلدَّمْعِ [جَادَ بِهِ]⁵ عَسَاكَ تَعُودُ
تَسْرِي نَوَاسِمُكَ اللَّدَانَ بَلِيلَةَ
فِيهِزْنِي شَوْقٌ إِلَيْكَ شَدِيدُ

¹ هو أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم البليقي المعروف بابن الحاج؛ ولد سنة 680هـ/1281م وتوفي سنة 771هـ/1370م؛ تولى القضاء بمالقة والمريّة وغرناطة، ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة، وهذا البيت من البحر الطويل.

² في الملكية: ((تهمّي)).

³ أي ذكر موضع عين الدمع.

⁴ الكامل.

⁵ في الملكية: ((جرت)).

وقلت من أبيات تُكتب في قُبَّةٍ بقصري الذي اخترعته بها¹:

إذا كان عَيْنُ الدَّمْعِ عَيْنًا حَقِيقَةً
فَأَنسَانُهَا مَا نَحْنُ فِيهِ وَلَا دُعُ²
فَدَامَ لِخَيْلِ الْأَنْسِ وَاللَّهُوِ مَلْعَبًا
وَلَا زَالَ مَثْوَاهُ الْمُنْعَمُ مَرْتَعُ
تَوَدُّ الثُّرَيَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ ثَرَى
وَتَمْدَحُهُ الشُّعْرَى وَتَحْرُسُهُ الْمُعُ

وقال صاحبنا الفقيه أبو قاسم بن قطبة³ من قصيدة⁴:

أَجَلْ إِنَّ عَيْنَ الدَّمْعِ قَيْدُ النَّوَظِرِ
فَسَرَّحْ عُيُونًا فِي اجْتِلَاءِ النَّوَظِرِ
وَعَرَّجْ عَلَى الْأَوْزَانِ إِنْ كُنْتَ ذَا هَوَى
فَإِنَّ رُبَاهُ⁵ مَرْتَعُ لِلْجَاذِرِ

¹ الطويل.

² في نصر: ((ولا دعوى))، وفي الملكية: ((دعو)).

³ هو محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي الغرناطي؛ خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة، وقد حرف الاسم في ج؛ فكتب: ((قرطبة))، فصوب من الملكية.

⁴ الطويل.

⁵ في ج: ((رياه))، وفي ك: ((مرأة))؛ فصوبت من ت.

وصافح بها كفَّ البهارِ مُسلِّماً
وقبَّلَ عِذارَ الأنسِ بينَ الأزاهرِ
وخذها على تلكَ الأباطحِ والرُّبى
مُعْتَقَةً تَجُلُّوا الصِّداً لِلخَواطِرِ
مُدَامَةً حَانَ أنسى الدَّهْرُ¹ عُمرَها
فلمْ تَخْشَ أحداتَ الدُّهورِ الدَّوائرِ
تُحَدِّثُ عن كِسْرِ وساسانَ قَبْلَهُ
وتُخَبِّرُ عن كَرَمٍ يُخَلِّدُ دَائِرَ

وهي طويلة. وقال أيضاً من قصيدة طويلة²:
وليلاً بَعَيْنِ الدَّمْعِ وَصِلاً قَطَعَتْهُ
وأنجُمُهُ بينَ النُّجومِ سَعُودُ
تَرى الحُسْنَ مَنشُورَ اللِّواءِ بِسِرِّهِ
وظِلُّ الأمانِ في رُباه مَديدُ

¹ فصوبها يوسف طویل فجعلها: ((للدَّهر))؛ من أجل الوزن.

² الطویل.

فَبِتْنَا وَمِنْ رَوْضِ الْخُدُودِ أَزَاهِرُ
لَدَيْنَا وَمِنْ وَرْدِ الرِّيَاضِ خُدُودُ
وَتَفَاحُنَا وَسَطِ الرِّيَاضِ مُورَدٌ
وَرُمَانُنَا وَسَطِ الصُّدُورِ نُهُودُ
وَقَدْ عَرَفْتَ نَصَّ الْهَوَى وَذَمِيلَهُ
تَهَايِمُ مِنْ أَكْبَادِنَا وَنُجُودُ

وقال من قصيدة¹:

وَمِلْ بِنَا نَحْوَ عَيْنِ الدَّمْعِ نَشْرِبُهَا
حَيْثُ السُّرُورُ بِكَأْسِ الْأُنْسِ يَسْقِينِي
حَيْثُ الْمُنَى وَفُنُونُ اللَّهْوِ رَاتِعَةٌ
وَالطَّيْرُ مِنْ طَرَبٍ فِيهَا تُتَاجِينِي
وَجَدُولُ الْمَاءِ يَحْكِي فِي أَجْنَتِهِ
صَوَارِمًا جُرِّدَتْ فِي يَوْمٍ صَفِينِ
وَأَعْيُنُ الزَّهْرِ فِي الْأَغْصَانِ جَاحِظَةٌ
كَأَنَّهَا بِهَوَى الْغِزْلَانِ تُغْرِينِي²

¹ البسيط

² في مخطوط الخزانة الملكية؛ روي هذه الأبيات هو الألف؛ إذ تنتهي هكذا: ((يسقينا، تتاجينا..)) إلخ.

ومن ذلك¹:

سَهَرْتُ بَعَيْنِ الدَّمْعِ أَرْعَى رُبُوعَهُ
وَحَسْبِي مِنَ الْأَحْبَابِ رَعْيُ الْمَنَازِلِ
يُنَافِحُنِي عَرَفٌ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَيُقْنِعُنِي طَيْفُ الْحَبِيبِ الْمُرَاسِلِ

والأقويلُ في ذلك أكثرُ من أن يُحاطَ بها كثرة؛ وما سوى هذه الجهة فغير لاحق به الرتبة؛ مما مُعَوَّلُهُ² على مَحْضِ الفائدة [وصريح العائدة]³. وتذهب هذه الغُروس المغروسة قِبْلَةً، ثُمَّ يَفِيضُ تَيَّارُهَا إِلَى غَرْبِ الْمَدِينَةِ؛ وَقَدْ تَرَكْتَ بِهَا الْجِبَالَ الشَّاهِقَةَ، وَالسُّفُوحَ الْعَرِيضَةَ، وَالْبُطُونَ الْمُتَدَّةَ، وَالْأَغْوَارَ الْخَائِفَةَ؛ مُكَلَّلَةً بِالْأَعْنَابِ، غَاصَّةً بِالْأَدْوَاخِ، مُتَزَاحِمَةً بِالْبُيُوتِ وَالْأَبْرَاجِ؛ بَلَغَ - إِلَى هَذَا الْعَهْدِ - عَدْدُهَا فِي دِيْوَانِ الْخَرْصِ⁴؛ إِلَى مَا يَنَاهِزُ أَرْبَعَةَ عَشْرَةَ أَلْفًا؛ نَقَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَطٍّ مِنْ يُشَارُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ

¹ الطويل.

² هكذا في ك، أما في ج؛ فكتبت: ((معوضه)).

³ وردت هذه العبارة المحصورة بين حاصرتين في ك؛ بينما سقطت في ج.

⁴ يقوم هذا الديوان بخرص الثمار والغلال؛ ثم تقدير ما يلزم أصحابها من مغارم.

الوَظِيفَةَ. وَقَاهَا اللَّهُ مَضَرَّةَ السِّنِينَ ، وَدَفَعَ عَنْهَا عُيَابَ¹ الْقَوْمِ
الظَّالِّمِينَ ، وَعُدُوَّانِ الْكَافِرِينَ.

¹ في ج: ((عياب)).

فصل

ويحيط بما خلف السّور من المُنَى¹، والجَنّات، - في سهل المدينة - العقار الثمين²، العظيم الفائدة، المتعاقبة الغلّة، الذي لا يعرف الجِمام، ولا يفارق الزّرع من الأرض البيضاء؛ ينتهي ثمن المرجع منها العلى، إلى خمسة وعشرين ديناراً من الذهب العين؛ لهذا العهد فيه مستخلص السلطان، ما يضيق عنه نطاق القيمة، دُرْعاً وغِبْطَةً وانتظاماً؛ يرجع إلى دورِ ناجمة، وبروج سامية، وبيادر فسيحة، ومصاب³ للحمائم والدواجن ماثلة، منها في طوق البلد، وحمى سورها، جملة؛ كالدار المنسوبة إلى هُذَيْل، والدار المنسوبة إلى أم مرضى، والدار البيضاء⁴، والدار المنسوبة إلى السّنينات، والدار المعروفة بِنَبْلَةٍ وَوَكْر؛ وبالمَرَج ما يساير جرية النّهر كقرية وكر وبها

¹ مفردها مَنِيّة؛ وهي البستان أو الحديقة المتسعة.

² في ك، ج: ((التمن)).

³ في اللّحة البدرية: ((وقصاب)).

⁴ الدار البيضاء يتواجد اليوم في موضعها بغرناطة الحي الذي يسمى بالإسبانية: **Cuarto real de San Domingo**.

حصن خزير¹، وبستان وبشرعيون، والدار المنسوبة إلى خلف، وعين الأبراج؛ والحش² المنسوب إلى الصُّحاب، وقرية رومة؛ وبها حصن وبستان؛ والدار المنسوبة إلى العطشي؛ وبها حصن؛ والدار المنسوبة لابن جُزي؛ والحش المنسوب لأبي علي، وقرية ناجرة؛ ومنها فضل ابن مسلمة الحسني؛ وبها حصن، وحوله³ ربض فيه من الناس أمة؛ وقرية سنيانة؛ وفيها حصن، وقرية أشكر، وقرية: بيش، وواط؛ وبها حصنان، وقرية واط عبد الملك بن حبيب.

وفي هذه القرى الجمَلُ الضخمة من الرجال، والفحول من الحيوان الحارث لآثار الأرض، وعلاج الفلاحة. وفي كثير منها الأرحى والمساجد⁴، وما سوى هذه من القرى؛ المستخلص من فضلة الإقطاع؛ وقصرت به الشهرة عن هذا النمط، فكثيرٌ. ويتخلل هذا المتاع

¹ في الملكية: ((جرين)).

² الحش: البستان.

³ في ك: ((وحوطه)).

⁴ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الأرجلي، الأرجلي والمساجد)).

الغبيط¹ الذي هو لباب الفلاحة؛ وغير هذه المدرة² الطيبة؛ سائر القرى التي بأيدي الرعية مجاورة لهذه الحدود؛ وبنات لهذه الأمهات؛ منها ما انبسط وتمدد؛ فاشترك فيه الألوف من الخلق، وتعددت منه الأشكال؛ ونحن نوقع الإسم منه على البقعة من غير ملاحظة للتعدد، ومنها ما انفرد بمالك واثنين فصاعداً؛ وهو قليل؛ وتنيف أسماؤها على ثلاثمائة قرية؛ ما عدا ما يجاور الحضرة؛ من كثير من قرى الإقليم أو ما استضافته حدود الحصون المجاورة³. فمن ذلك حَوْز الساعدين⁴ وفيه القرى؛ وحَوْز وَّثر⁵؛ ومنها إبراهيم بن زيد المحاربي،

¹ الغبيط: الأرض الواسعة المستوية.

² أي القرية الفلاحية.

³ قام محمد عيد الله عنان بجهد كبير؛ حين تولى البحث والتحري عن القرى التي سيذكرها ابن الخطيب؛ والتي تصل إلى مائة وأربعين قرية، حيث تتبعها في الميدان؛ فاستطاع معرفة عدد كبير منها بعد أن تحولت أسماؤها إلى الإسبانية، وعليه سننقل عنه الأسماء الحالية لتلك القرى كلما استدعى الأمر ذلك، بينما بقيت قرى أخرى ذكرها ابن الخطيب ولم يتمكن عنان - أو غيره - من تحديدها ومعرفتها؛ بحكم اندثارها أو تغيير أسمائها بشكل جذري.

⁴ يسمى الآن **El Zaidin** ويتواجد في الجهة الجنوبية من غرناطة قريباً من قرية **Huetor** التي سيأتي ذكرها.

⁵ يعرف الآن بـ **Huetor de le Vega**، وتقع جنوب غرناطة.

وقرية قُلْجَار¹، وقرية ياجُر الشَّامِيِّينَ، وقرية ياجُر
 البلْدِيِّينَ²، وقرية قَشْتَالَة³؛ ومنها قاسم بن إمام من
 أصحاب سحْنُون، ونزل بها جده عطية بن خالد المحاربي.
 وقرية أَجْجَر⁴، وقرية أَرْمَلَة الكبرى، وقرية أَرْمَلَة
 الصغرى⁵، وقرية رِقَاق وهَمْدَان⁶؛ منها الغريب بن يزيد
 الشُّمَر جَدُّ بني أَضْحَى؛ وقرية الغَيْضُون، وقرية لَسَّانَة⁷،

¹ وتسمى الآن **Cojar** وتقع في الجنوب من غرناطة؛ وبالتحديد على ضفاف نهر شنييل.

² توجد الآن ضاحية تسمى **Yajar** تقع على مقربة من غرناطة.

³ تسمى الآن **Gastella** وهي قديمة؛ واندثرت.

⁴ وضع عنان احتملين: الأول هو أن تكون بالحاء؛ أي (أججر)؛ وبذلك تكون هي القرية الموجودة الآن بالقرب من قرية قولر **Cullar Vega**؛ وتسمى (**Hijar**). أما إذا كانت بالجيم أي (أججر)؛ فتكون هي (**Ugijar**) التي تربض جنوب وادي آش؛ في الجنوب الشرقي.

⁵ وهما الآن يجتمعان ضمن اسم واحد هو: **Armilla**؛ وتقع على الضفة الجنوبية من نهر شنييل؛ في ضاحية غرناطة. وفي هذا الموقع تتواجد آثار قصر شنييل المنسوب إلى السيد أبي إسحاق يوسف؛ أحد أمراء الموحدين؛ الذي ولي غرناطة سنة 615هـ/1218م. ويعرف هذا القصر الآن باسم **Alcazar Genil**.

⁶ هذان الإسمان تجمعهما الآن قرية تسمى **Alhendin**. وتقع إلى الجنوب الشرقي من أرميليا.

⁷ يعتقد عنان أنها (اللسانة) التي اشتهرت في الحروب الأخير التي وقعت وقعت حول غرناطة، ويرى أنها الآن هي **Lucena**؛ المتواجدة في آخر الولاية؛ إلى الشمال الغربي من لوشة. ولكنه يعود فيضع احتمالاً آخر؛ لا يستبعد فيه تواجدها في شكل قرية صغيرة قريبة من غرناطة. وبذلك تكون - كما أشار إلى ذلك يوسف علي طويل - هي المدينة التي يسكنها اليهود وكانت السبابة إلى طاعة يوسف بن تاشفين؛ حين عول على امتلاك الأندلس، ومحاصرة غرناطة.

وحارة الجامع ؛ وحارة الفراق ؛ وقرية غرليانة ؛ وحش¹
 البُكر¹، وغدير الصغرى وغدير الكبرى، من إقليم
 البلاط ؛ منها يُربوع بن عبد الجليل، ونزل بها جده يُربوع
 ابن عبد الملك بن حبيب، وقرية قولر²، وقرية جُريانة³،
 جُريانة³، وقرية حارة عمروس⁴؛ وحش⁵ الطلم، وقرية
 وقرية المطار، وقرية الصرْمُورْتَة⁶، وقرية يلسانة⁷، وقرية
 الحِبْشَان ؛ وقرية شوش⁸، وقرية جيجانة⁹، وقرية السَّيْجَة،
 السَّيْجَة، وقَنْب قيس¹⁰، وقرية يرْدَنار¹، وقرية دوير

¹ توجد - في الشمال الغربي من غرناطة؛ بالقرب من قربسانة؛ بلدة تسمى **Bucor** يرجح عنان أنها هي حش¹ البُكر. ويرى عبد الهادي التازي في تعليقاته على كتاب ((المن بالإمامة)): أن حش البكر هو قرية بُزْقر التابعة لغرناطة؛ والتي تربض على ضفة النهر جنوب غربي غرناطة.

² تسمى الآن **Cullar Vega**؛ وتتواجد إلى الجنوب الغربي من غرناطة.
³ وتسمى في الوقت الحاضر **Churriana de la Vega**؛ وهي في الجنوب الغربي من غرناطة؛ وهي أيضاً جنوب شرقي سانتانبا.

⁴ موجودة الآن في شكل قرية بالقرب من جريانة؛ وتسمى **Ambrox**.
⁵ ويتمثل اليوم في قرية تسمى **Macharatalan**؛ وتربض الآن في مرج غرناطة محاذية لضفة نهر شليل؛ وهي مقبلة لأحد الأحياء الحديثة بـ **Sagrario**

⁶ وتقع الآن في الشمال الغربي من غرناطة؛ وتسمى **Sierra Murada**.
⁷ تسمى حديثاً **Belicena**؛ وتقع في غرب غرناطة، وتجاور قرية سانتافيه، سانتافيه. وقد رسمت محرفة في المخطوطتين.

⁸ يرجح عنان أن قرية الشوش هي القرية المسماة الآن بـ **El Jau**؛ وتربض في المرج القريب من سانتافيه.

⁹ وتسمى الآن **Chauchina**؛ وموقعها في شمال غربي سانتافيه.
¹⁰ تسمى الآن **Cambea**.

تارش، وقرية آقلة²، وقرية أحجر³، وقرية تَجَرُ جُر⁴،
 وقرية والة، وقرية أنقر، وقرية الغُرُوم⁵، وقرية دار
 وهدان، وقرية بيرة⁶، وقرية القصيبة، وقرية أنطس،
 وقرية فنتيلان⁷، وقرية سنودة، وحُش زُنْجِيل، وقرية
 أشر، وقرية غَسَّان⁸؛ منها مطربن عيسى ابن الليث،
 وقرية شوذر⁹، وقرية سُنْتَشَر¹⁰، وقرية ابن ناطح، وقرية
 الملاحه¹¹؛ ومنها محمد بن عبد الواحد الغافقي أبو القاسم
 الملاح، وقرية القُمُور؛ منها أصْبَغ ابن مطرّف، وقرية
 نفجر وغرُنْطِلَة¹²، وقرية بيرة؛ وبها مسجد قراءة ابن

¹ تسمى الآن **Beznar**؛ وهي تبعد عن غرناطة في اتجاه الجنوب بما يقارب 50 كيلو. وقد رسمت محرفة في ك.

² وتسمى الآن **Acula**.

³ تسمى اليوم **Lachar**؛ وتقع بين تجرجر والعقولة.

⁴ تسمى الآن **Tajarija**؛ وهي بلدة صغيرة تربض في غرب غرناطة في اتجاه لوشة؛ وتقع في منتصف الطريق بينهما.

⁵ تبعد هذه القرية بـ 40 كيلو تقريباً عن غرناطة؛ في الجنوب الغربي منها وتسمى حالياً **Agron**؛ وهي قريبة من الحامة.

⁶ وتسمى الآن **Baira**.

⁷ ثمة احتمالان بالنسبة لقرية فنتيلان: الأول أن تكون هي **Fontanar**، الثاني أن تكون **Fuentallana**.

⁸ وتعرف اليوم بـ **Cacin**؛ في سفح جبل الحامة، على نهاية المرج.

⁹ تسمى الآن **Jodar**؛ وهي ليست شوذر المتواجدة في أعمال جيان شمال غرناطة.

¹⁰ يعتقد عنان أنها ربما كانت هي **Conchar** المتواجدة جنوب غرناطة.

¹¹ تسمى الآن **La Mala** وهي جنوب غرناطة وبالقرب من همدان المسماة **Alhendin**.

¹² تسمى اليوم باسم مركب أيضاً **Naujar Grandilla**.

الحبيب ؛ وقرية قُولْجَر¹؛ منها سهلُ بن مالك ، وقرية شور²؛ منها محمد بن هانيّ الأزدي الشاعر المُفلق ، ومحمد ومحمد بن سهل جَدُّ هذا البيت ؛ بني سهل بن مالك ، وقرية بُليانة³، وقرية برقلش⁴، وقرية ضوجر⁵، وقرية البَلُّوط⁶، وقرية أنتيانة⁷، وقرية مُرسانة⁸، وقرية الدُّوِير، الدُّوِير، وقرية الشَّلان، وقرية طُغْنَر⁹؛ منها الطُّغْنَرِي صاحب الفلاحة، وقرية حُش الدجاج، [وقرية حُش نوح، وقرية حُش خليفة، وحُش الكُوباني]¹⁰، وحُش المعيشة، وحش السلسلة ؛ وقرية الطُرف¹¹، وقرية

¹ وتسمى الآن **Gojar**؛ وتقع في الجنوب من غرناطة؛ بالقرب من أرميلية.
² يحتمل أن تكون هي بلدة بلدة شور **Jun** الرابضة في الضاحية الشمالية من غرناطة؛ ويسمونها بعضهم ((جند)).
³ لا يختلف كثيرا اسمها الآن عن السابق؛ إذ تسمى **Pulianas**؛ وهي على مقربة من قرية شور القريبة من غرناطة.
⁴ تسمى الآن **Peligros**؛ التي تقع بالقرب من بليانة المذكورة.
⁵ في الملكية: ((قوجر)).
⁶ وتسمى الآن **Albolote**؛ وهي على مقربة من غرناطة مقابلة لبليانة ووبرقلش.
⁷ قد تكون - حسب رأي عنان - هي **Fontanar**.
⁸ وتسمى الآن **Maracena** ؛ وتربض في الشمال الغربي من غرناطة.
⁹ وطغْنَر هي **Tignar**؛ اندثرت الآن؛ وموقعها كان في الشمال الغربي من غرناطة؛ بالقرب من البيرة. حُرِفَتْ في الخطوطين؛ فكتبت: ((طعن)).
¹⁰ الأسماء الثلاثة المحصورة بين حاصرتين؛ كتبت: ((حش))؛ فرجج عنان أنها: ((حش))، وحُرِفَتْ.
¹¹ وهي بنفس اسمها السابق؛ إذ تسمى **Atarfe**، وهي بالقرب من مرسانة المذكورة.

إلبيرة¹، وقرية الشُّكْرُوجَة²؛ ومنها عيسى بن محمد بن أبي
أبي زَمِين، وعين الحورة، وحُش البومل، وقرية
بلومال³، وقرية رِقْ المَخِيض، وقرية الغَيْضُون الحُورَة؛
وقرية أشقَطمر، وقرية الدِّيمُوس الكبرى، وقرية الدِّيمُوس
الصغرى⁴، وقرية دار الغازي، وقرية الرُّكن، وقرية
أُفْنَت⁵؛ ومنها صخر بن أبان، وقرية الكُذِيَة⁶، وقرية
لاقِش⁷، وقرية قَرْبَسَانَة⁸، وقرية برسانة برياط، وقرية
الوَلْجَة، وقرية ماس، وحُش علي، وحُش بني الرُّسَيْليَة،
وحُش رقيب، وحُش البَلُوطَة، وحُش الرُّوَّاس، وحُش
مَرْزُوق، وقرية قُبَالَة⁹، وقرية نَبَالَة، وقرية العَيْرَان، وبُرْج

¹ وتسمى الآن **Elvira**؛ وهي قريبة من الطرف في ضواحي غرناطة. ولا
علاقة لها بإلبيرة القديمة.
² وتسمى الآن **Asquerosa**.
³ وتسمى الآن **El Palomar** التي تقع جنوب غرناطة؛ على مقربة من
شاطئ البحر المتوسط. وهي مجاورة لبلدة **Albnol**.
⁴ تجتمع الديموس الكبرى، والصغرى الآن في بلدة واحدة هي **Adamuz** أو
Adamucejo؛ وهي على مقربة من غرناطة.
⁵ وتسمى الآن **Daifontes** تبعد عن غرناطة نحو الشمال بعشرين كيلو.
⁶ وتسمى الآن **Alcudia**؛ وتقع في جنوب وادي آش.
⁷ وهي أحد الأحياء في ضاحية غرناطة؛ ويسمى **La Cruz de Lagos**؛ يبعد
يبعد عن مركز المدينة بكيло ونصف تقريبا.
⁸ تسمى الآن **Caparacena**؛ وترىض إلى الغرب من غرناطة؛ على
ضفاف فرع من نهر شنيل. في ج؛ فكتبت: ((قرسانة)).
⁹ وتسمى الآن **Cubillas**.

هلال¹، وقرية قلتيش²، وقرية القنار³، وقرية أربل، وقرية
 وقرية برّبل؛ وقرية قَرْبَاسَة، وقرية أشكن، وقرية
 قلنيرة⁴، وقرية سَعْدَى، وقرية قلقاجج⁵، وقرية فَنَن⁶،
 فَنَن⁶، وقرية مرنيط، وقرية ددشطر، وقرية شُثْمَانِس،
 وقرية أرنالش، وقرية وابشر⁷، وقرية قَقْلُولِش⁸، وقرية
 وقرية النّيبِل⁹، وقرية الفخّار¹⁰، وقرية القصر¹¹؛ منها
 محمد بن أحمد ابن مرعيّاز الهلالي، وقرية بشر، وقرية
 بَنُوط¹²، وقرية كورة، وقرية لَصْ، وقرية يَيْش¹، وقرية

¹ يسمى الآن **Purchil**؛ ويبعد عن غوناطة نحو الغرب بـ 3 كيلو تقريباً.
² وتسمى الآن **Cortes** التواجدة غرب مدينة وادي أش.
³ وتسمى الآن **Canar** وتتواجد شمال مدينة أرحبة برذنان.
⁴ وتسمى الآن **Colomera**؛ وتربض شمال غرناطة على بعد 30 كيلو؛
 بالقرب من مولكين.
⁵ قد تكون الآن هي **Calicasas** التي تقع شمال غرناطة.
⁶ قد تكون هي **Fatinafar**.
⁷ هي الآن كما نقل عنان **Guejar** الواقعة شمال شرق غرناطة.
⁸ وتسمى الآن **Gogollos**؛ الواقعة شمال غرناطة.
⁹ وتسمى اليوم **Nivar** الواقعة إلى الشمال الغربي من غرناطة بين ققلوش
 ققلوش والفخار.
¹⁰ وتسمى الآن **Alfacar** الواقعة شمال شرق غرناطة. وهي منسوبة إلى
 جبل الفخار الرابضة عليه.
¹¹ وتسمى الآن **Akcazar**؛ وهي في الجنوب الشرقي من غرناطة؛ وهي
 على مقربة من قرية أرحبة.
¹² يحتمل أن تكون إما: بلدة **Pinos Puente** أو بلدة **Fent – Binox** التي
 تقع باقرب من قرسانة والبلوط.

قَنْتَر، وقرية دور، وقرية قلنقر، وقرية غُلْجَر²؛ ومنها هشام بن عبد العظيم بن يزيد الخَوْلاني، وقرية دُرْدَر³، وقرية ولجر، وقرية قنالش⁴، وقرية إبتائلس، وقرية سَج، وقرية منشال⁵، وقرية الوَطَا⁶، وقرية واني، وقرية قُرَيْش، وقرية الزَّاوِيَة⁷.

وقد ذكرنا أن أكثر هذه القرى أمصار، فيها ما يناهز خمسين خُطبة؛ تُنصب فيها لله المنابر، وتُرفع الأيدي، وتتوجّه الوجوه⁸.

¹ وتسمى الآن **Beas**؛ وهي في الشمال الشرق من غرناطة؛ وقرية من الفخار وبرقش.
² يرجح عنان أنها **Cojar**؛ التي تقع في ضواحي غرناطة الجنوبية؛ على مقربة من الزاوية **Zubia** الآتي ذكرها.
³ وتسمى الآن بلدة **Dudar** الواقعة شرق غرناطة بالقرب من قنتر.
⁴ وتسمى اليوم **Caniles**؛ وتقع في جنوب مدينة بسطة، وبالقرب منها.
⁵ وتسمى اليوم **Monachil**؛ بمعنى الدير بالإسبانية؛ وتقع هذه البلدة في ضواحي غرناطة باتجاه الجنوب الشرقي؛ بالقرب من الوطا **Huetor** الآتي ذكرها.
⁶ تسمى اليوم **Huetor Vega** صاحبة في الجنوب الشرقي من غرناطة؛ وهي في شمال أرمليا وبجوارها.
⁷ وتسمى اليوم **La Zubia**؛ وتقع في صاحبة غرناطة؛ إلى الجنوب الشرقي منها، في شمال أرمليا وبالقرب منها.
⁸ يقصد أن خمسين بلدة منها كبيرة؛ بحيث يوجد بها مسجد جامع؛ تصلى فيه صلاة الجمعة؛ بخطبتها ودعاء المصلين به. ويلاحظ عنان أن ثمة عدد آخر من البلدان الباقية إلى الآن، ولم يشر إليها ابن الخطيب؛ بينما ورد ذكرها في مواضع أخرى؛ مثل: الجابية الكبرى **Gabia Grande**، والجابية الصغرى **Gabia Chica**، والبذول **Padul**، وموكلين **Moclin**.

وجملة المراجع العلمية¹؛ المرتفعة فيها؛ في الأزمنة؛
في العام بتقريب؛ ومعظمها السقي الغبيط السمين،
العالى؛ متا ألف ثنان² وستون ألفاً، وينضاف إلى ذلك
مراجع الأملاك السلطانية، ومواضع أحباس المساجد،
وسبل الخير، وما ينيف على ما ذكر؛ فيكون الجميع
باحتياط: خمسمائة ألف وستون ألفاً؛ والمستفاد فيها من
الطعام المختلف الحبوب للجانب السلطاني، وثلاثمائة ألف
قدح ويزيد؛ ويشتمل سورها وما وراءه من الأرحاء
الطاحنة بالماء؛ على ما ينيف على مائة وثلاثين رَحَى.
الحَفَها الله جَنَاح الأَمَنة، ولا قَطَعَ عنها مادّة الرحمة؛
بفضله وكرمه.

وحصن البلوش **Bellillos**، والبلاط **Veleto**، وبلدة حصن اللوز الكبيرة **Iznallos**، وتقع هذه القرى كلها في احوار غرناطة.

¹ في ك: ((العملية)).

² سقط حرف: الواو.

فصل

وقد فرغنا من ذكر رسوم هذا القطر ومعاهده،
وفرغنا من تصويره وتشكيله، وذكر قراه، وأجنّاته،
وقصوره، ومنتزهاته¹. فنحن - الآن - نذكر بعضاً من سير
أهله، وأخلاقهم، وغير ذلك من أحوالهم بإجمال،
واختصار؛ فنقول²: أحوال هذا القطر في الدين وصلاح
العقائد³؛ أحوال سنيّة⁴، والنحل⁵ فيهم معروفة⁶؛
فمذاهبيهم⁷ على مذهب مالك بن أنس⁸ - إمام دار الهجرة

¹ كتب في المخطوطتين: ((منتزهاته)).

² معظم ما جاء في هذا الفصل ذكره أيضاً في اللوحة البديرة؛ حيث نقل
جلّ ما فيه من كتابه - المفقود الآن - الإمطة عن وجه الإحاطة فيما أمكن
من تاريخ غرناطة.

³ في ج: ((إصلاح)). وفي ك: ((وصلاح العقائد)).

⁴ حرفت في ج؛ فكتبت: ((سنة)).

⁵ وضع المقرئ فقرة هامة في كتابه عنوانها: (الأندلسيون والتشريع). وهي تزيد الموضوع وضوحاً؛ جاء فيها: ((وأما قواعد أهل الأندلس في ديانتهم؛ فإنها تختلف بحسب الأوقات، والنظر إلى السلطان. ولكن الأغلب عندهم إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتعطيلها؛ وقيام العامة في ذلك وإنكاره إن تهاون فيه أصحاب السلطان. وقد يلج السلطان في شيء من ذلك ولا ينكره؛ فيدخلون عليه قصره المشيد، ولا يعاؤون بخيله ورجله؛ حتى يخرجوه من بلدهم. وهذا كثير في أخبارهم)). (نفح الطيب؛ مج: 1، ص ص: 220 - 221).

⁶ في اللوحة: ((معدومة)).

⁷ في اللوحة: ((ومذاهبيهم)).

⁸ هو إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أنس بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث وهو ذي أصبح

الهجرة - جارية، وطاعتهم للأمراء مُحكمة، وأخلاقهم في احتمال المعاون¹ الجبائية جميلة، وصورهم حسنة، وأنوفهم معتدلة غير حادة، وشعورهم سُودٌ مُرسلة²، وقدودهم متوسطة معتدلة؛ إلى القصر، وألوانهم زُهر مُشربة بِحُمرة، وألسنتهم فصيحة عريية، يتخللها غُرب³ كثير، وتَغلب عليهم⁴ الإمالة، وأخلاقهم أيَّة في معاني⁵ المنازعات، وأنسابهم عريية، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير، ولباسهم الغالب على طرقاتهم⁶ الفاشي بينهم، الملفُ المصبوغ⁷ شتاء. وتتفاضل أجناس البز⁸ بتفاضل

الحميري؛ أحد أقبال اليمن. ولد بالمدينة المنورة سنة 93هـ/712م، وتوفي بها سنة 179هـ/795م. وقد انتشر مذهب مالك في الأندلس أيام الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل؛ وكان معاصراً للإمام مالك.

¹ هكذا كتبت في: ج، والملكية، واللحة البدرية. أما في: ك فكتبت: ((المعاور)).
² في ك: ((مترسلة)). وكتبت العبارة في اللحة البدرية: ((معتدلة أنوفهم، بيض ألوانهم، مسودة غالبيهم شعورهم، متوسطة قدودهم)).
³ في المخطوطين: ((عرب)). وفي اللحة: ((غُرب)).
⁴ في اللحة: ((عليها)).

⁵ نفسه: مغاني.

⁶ نفسه: ((طبقاتهم)).

⁷ نفسه: ((المصبغ)).

⁸ لكي تتضح الصورة أكثر، وتتوسع الفائدة؛ ثبت هنا ما قاله المقرئ في هذا الباب: ((وأما زي أهل الأندلس؛ فالغالب عليهم ترك العمام؛ لا سيما في شرق الأندلس؛ فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقيهاً مشاراً إليه إلا وهو بعمامة. وقد تسامحوا بشرقها في ذلك. وقد رأيت عزيز بن خطاب [هو الزاهد المتعبد أبو بكر عزيز بن عبد الملك بن

الجدة، والمقدار¹؛ والكتان والحريز، والقطن، والمرعزي،
والأردية الإفريقية، والمقاطع التونسية، والمآزر المشفوعة²
صيفاً؛ فتُبصرهم في المساجد - أيام الجمع - كأنهم الأزهار
المفتحة؛ في البطاح الكريمة؛ تحت الأهوية المعتدلة³.

محمد بن خطاب القيسي السرقسطي] أكبر عالم بمرسية؛ حضرة
السلطان في ذلك الأوان؛ وإليه الإشارة؛ وقد خُطب له بالملك في تلك
الجهة؛ وهو حاسر الرأس؛ وشبيهه قد غلب على سواد شعره. وأما
الأجناد وسائر الناس؛ فقليل منهم من تراه بعومة في شرق منها أو غرب،
وابن هود؛ الذي ملك الأندلس في عصرنا؛ رأيت في جميع أحواله ببلاد
الأندلس وهو دون عمامة، وكذلك ابن الأحمر؛ الذي معظم الأندلس الآن
في يده؛ وكثيراً ما يتزيا سلاطينهم وأجنادهم بزي النصارى المجاورين
لهم... ولا تجد في خواص الأندلس، وأكثر عوامهم؛ من يمشي دون
طيلسان؛ إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلاّ الأشياخ المعظمون، وغفائر
الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً؛ والصفير مخصوصة باليهود؛
ولا سبيل إلى اليهودي أن يتعمّم البتّة، والذؤابة؛ لا يرخيها إلاّ العالم؛ ولا
يصرفونها بين الأكتاف؛ وإنما يسدلونها من تحت الأذن اليسرى، وهذه
الأوضاع التي بالمشرق لا يعرفها أهل الأندلس. وإن رأوا في رأس مشرقي
داخل إلى بلادهم شكلاً منها أظهروا التعجب والاستظراف، ولا يأخذون
أنفسهم بتعلمها لأنهم لم يعتادوا، ولم يستحسنوا غير أوضاعهم، وكذلك في
تفصيل الثياب)). (نفج الطيب، مج: 1، ص: 222 - 223.

¹ كتبت هذه العبارة في اللوحة هكذا: ((ليز منه بتفاضل الجدات
والمقادير)).

² أي الطويلة.

³ في المخطوطين: ((المعتز)).

وأنسابهم¹

حسبما يظهر من الإستراعات²،
والبيعات السلطانية، والإجازات؛ عريضة؛ يكثر
فيها³: القُرشي⁴، والفهري⁵،
والأموي⁶، والأُمِّي⁷، والأنصاري⁸،

¹ لم يكن هذا العنوان في الأصل وقد وضع للحاجة والضرورة.
² استرعاء الشيء: طلب حفظه، ولكن عنان يرى أنها حرفت؛ إذ المقصود هي: ((الإستراعات))؛ ومفردتها إشراع: أي ظهير أو مرسوم بالمعنى المتعارف عليه الآن. ويعتقد أنها تعبير أندلسي قديم؛ المراد به الاشتراعات.
³ لقد استخلص ابن الخطيب - هنا - ما وجده في وثائق الدُول النصرية؛ من إشارات تخص بعض سكان تلك المملكة. لذا فقد تطرق للموضوع بشكل مختصر؛ ليس الغرض منه البحث بعمق في أصول السكان القبلية والجنسية. كما أنه يشير إلى الذين ينتمون إلى فصائل، وأفخاذ، وعشائر؛ ثم ينسب آخرين إلى القبيلة الأم؛ مع أنه في إمكانه ذكرهم ضمن اسم القبيلة الجامعة.
⁴ قريش: اسم مجازي لقبيلة؛ بينما يضعها الناسابة في طبقة عِمارة؛ تجمع بطون عديدة؛ وهذه العمارة هي حي الرسول محمد عليه الصلاة والسلام؛ وموطنها مكة بالحجاز.
⁵ فهر: ينتمون لفهر بن مالك؛ من بني عدنان؛ وهم بطن كقريش من كنانة. ينتمي إلي فهر؛ الفاتح عقبة بن نافع.
⁶ أمية: فخذ من بطن عيد مناف القريشيين. ومنهم خلفاء الدولة الأموية.
⁷ الأمي: نسبة إلى عشيرة عربية تسمى: ((أمة)). إذ جاء في كتاب الأنساب لابن دريد: ((في بني نصر بن معاوية بطن يقال له بنو أمة)) الاشتقاق؛ ص: 54.
⁸ الأنصار: هم الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ في مواجهة المشركين؛ ولم يكونوا قبيلة بعينها؛ وإنما هم من قبائل عديدة؛ أشهرها الأوس والخزرج؛ بالمدينة المنورة.

والأوسي¹، والخزرجي²، والقحطاني³،
والحميري⁴، والمخزومي⁵، والتثوخي⁶،
والغساني⁷، والأزدي⁸، والقيسي⁹،

¹ الأوس: المقصود هنا هم الأوس بن حارثة؛ بطن من الأزدي؛ وهم الأوس ابن حارثة القحطانيون؛ سكنوا يثرب منذ زمن بعيد؛ وناصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

² الخزرج: المقصود بالخزرج هنا هم الخزرج بن حارثة القحطانيون؛ بطن من الأزدي؛ سكنوا يثرب مع إخوانهم الأوس؛ وناصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضد المشركين.

³ القحطانيون: أكثر من مرتبة قبيلة؛ ربما يكونون ضمن طبقة عمارة، وتتقابل في مرتبتها بعدنان أبو عرب الشمال؛ بينما يعدّ قحطان أبا لليمن كلها. تقول المصادر العربية أن عدد أحياء قحطان تفوق 3000 حي.

⁴ حمير: هم أبناء حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ من عرب اليمن. قد تكون مرتبتهم تعادل مرتبة مضر لدى عرب الشمال.

⁵ مخزوم: المقصود بمخزوم هنا؛ هم مخزوم بن يقظة؛ أبناء لؤي بن غالب بن فهر بن مالك. بطن من بطون قريش؛ تعادل مرتبتهم مرتبة عبد مناف. ومن مخزوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

⁶ تنوخ: اختلف النسابون في انتماء تنوخ؛ غير أن أشهر الآراء تقول أنهم من اليمن؛ وينتسبون إلى قضاة. وتنوخ هم الذين حاربوا خالد بن الوليد في دومة الجندل سنة 12هـ.

⁷ غسان: اختلفت الآراء حول كلمة غسان؛ فمن قائل أنها ماء نزلت عليه بعض أحياء العرب فسموا غساسنة، ومن قائل أنها قبيلة من مازن بن الأزدي بن الغوث. المهم؛ أنهم حي من عرب اليمن استوطن أرض الشام؛ حيث أصبحوا عمالاً للدولة البيزنطية.

⁸ الأزدي: وهم الأزدي بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من القحطانيين اليمنيين؛ توزعوا في منازل؛ بين غسان في بلاد الشام، وجبال السراة، وعمان.

⁹ قيس: المقصود به هنا هو: قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان. ويتفرعون إلى أحياء كثيرة في شمال الجزيرة العربية؛ وتتحدّر عنهم معظم عشائر الشمال.

والمُعَافِرِي¹، والكِنَانِي²، والتَّمِيمِي³،
والهُذَلِي⁴، والبَكْرِي⁵، والكِلَابِي⁶،
والكِلاَبِي⁶، والنُّمَرِي⁷، واليَعْمُورِي⁸،
واليَعْمُورِي⁸، والمَازَنِي⁹،

¹ معافر: هم معافر بن يعفر بن مالك؛ أحد بطون زيد بن كهلان بن سبأ، سبأ، من عرب اليمن.
² كنانة بن خزيمة: يحتلون مع قريش مرتبة عمارة في ترتيب الطبقات القبلية. وهم كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. منازلهم الأولى في جهات مكة.
³ تميم: المقصود بها هنا؛ تميم بن مُرّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهم من عرب الشمال ومنازلهم بين نجد والبحرين إلى العراق. وتتفرع عن تميم بطون كثيرة.
⁴ في الملكية: ((الهذيلي)). والهذلي: هنا نسبة إلى هذيل بن مدركة بن إلياس العدنانيين. ومنازلهم في الحجاز بالسراوات وجبل غزوان وتهامة؛ وفي محيط الطائف ومكة. واشتهر الهذيليون برقة شعرهم.
⁵ ثمة كثير من الأحياء العربية المسماة باسم بكر؛ إلا أن المقصود - كما يبدو هنا - هم بكر بن وائل بن قاسط المعديون العدنانيون. ومنازلهم الأولى في نجد والبحرين والعراق.
⁶ كلاب: المقصود بهم هنا؛ هم كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة؛ من العدنانيين عرب الشمال. ومنازلهم الأولى في نواحي المدينة المنورة وفدك والحوالي؛ وحتى بلاد الشام.
⁷ توجد عشائر عربية كثيرة باسم ((نمر)) غير أن المؤلف هنا يقصد - كما يبدو - نُمير: هم نُمير بن عامر بن صعصعة؛ أحد بطون هوازن العدنانيين؛ من عرب الشمال. ومنازلهم الأولى في نجد والعراق.
⁸ ((اليعموري)). ويعمر: حيّان؛ الحيّ الأول: يعمر بن عوف بن كعب بن عامر؛ وهم بطن من كنانة. والحيّ الثاني هم: يعمر بن عبد مناف بن هلال بن عامر؛ من العدنانيين أيضاً. ومنازلهم في الحجاز؛ من الطائف إلى تخوم الشام.
⁹ ومازن: أحياء كثيرة تسمى بهذا الاسم؛ منهم من القحطانيون ومنهم من العدنانيون.

والثَّقَفِي¹، والسَّلَمِي²،
 الفَزَارِي³، البَاهِلِي⁴، والعَبْسِي⁵،
 والعَبْسِي⁵، والعَنْسِي⁶، والعُذْرِي⁷،
 والعُذْرِي⁷، والحَجَجِي⁸، والضَّصَبِي⁹،
 والضَّصَبِي⁹، والسُّكُونِي¹، والتَّيْمِي²،

- ¹ ثَقِيف: قبيلة كبيرة؛ لها بطون كثيرة. ومنازل ثقيف الأول بالحجاز بين الطائف ومكة
- ² السَّلَمِي يقصد بها: السليمي؛ وهم بنو سليم من منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان؛ يتعادلان مع بني هلال في طبقة واحدة. ولهم عدة بطون منتشرة شرقاً غرباً. ومنازلهم الأولى في الحجاز.
- ³ في المخطوطين: ((والفازري)). فزارة: هم فزارة بن ذبيان بن بغيض ابن ريث بن غطفان؛ وهم من القبائل العدنانية؛ منازلهم الأول في نجد ووادي القرى.
- ⁴ البَاهِلِي: نسبة إلى باهلة؛ وهي قبيلة كبيرة تنتسب إلى قيس بن عيلان العدنانيين؛ وهم بنو سعد مائة بن مالك. منازلهم الأولى في اليمامة بنجد.
- ⁵ ثمة عدد من العشائر العربية التي تُسمَّى عبس؛ غير أن المقصود هنا هم: بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان. وهم بطن عظيم؛ ينتمون إلى عدنان. منازلهم الأولى في نجد واشتهرت عبس بحرب داحس والغبراء؛ كما اشتهرت بالشاعر الأسطورة عنترة بن شداد.
- ⁶ وهم عنس بن مالك (هو مذحج) بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد ابن كهلان؛ من قبائل اليمن القحطانية. منازلهم الأولى في اليمن.
- ⁷ ثمة عُذْرَة من غطفان بن سعد، وعُذْرَة بن زيد اللات؛ من كلب القضاعيين؛ غير أن المقصود هنا هم بنو عُذْرَة بن سعد بن هذيم بن زيد من قضاعة. واشتهر بنو عُذْرَة هؤلاء بالعشق الروحي الصافي. وهم من القبائل اليمنية القحطانية.
- ⁸ كلمة الحججي؛ غير مفهومة؛ وربما يقصد المؤلف بها: الحجاج؛ فإن كان هذا؛ ففي بلاد الشام عشائر عديدة تسمى الحجاج. وعلى هذا لا يمكن تحديد أيها يقصد.
- ⁹ ضبة: حي من أحياء العرب العدنانيين؛ ينسب إلى ضبة بن أد بن طابخة ابن إليس بن مضر. وتناقلت الرواة عن ضبة بن أد أمثالا سائرا منها:

والتَّيْمِي 2، والعَبْشَمِي 3، والمُرِّي 4، والعُقَيْلِي 5،
والْفَهْمِي 6، والصَّرِيحي 7، والجَزَلِي 8، والقُشَيْرِي 9،

((أسعد أم سعيد)). إذ يقال أنه بعث بولديه ((بَعْدَ وَسْعَيْد)) في مهمة ما؛ فقتل سعد؛ فكان إذا رأى راكباً قال: ((أسعد أم سعيد)) فذهب مثلاً، ومعناه أن الإنسان عندما يخير بين أمرين؛ أحدهما أجل من الآخر؛ قال: ((أسعد أم سعيد)). وله أيضاً: ((والحديث ذو شجون))؛ أي ذو طرق متشعبة؛ و((سيق السيف العذل)). ولكل ذلك قصة لا يستوعبها هذا المجال¹ قد يقصد بالسكوني: السَّكُون بن أَشْرَس بن ثور وهو كندة بن عفير من كهلان بن سبأ؛ وكان لهم ملك بدومة الجندل ويرأسهم عبد المغيث السكوني؛ الي أسره خالد بن الوليد؛ وقدم به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فحقن دمه وصالحه على الجزية.
² توجد أحياء عديدة تسمى ((تيم))؛ منهم القحطانيون ومنهم العدنانيون؛ وهؤلاء أكثر عدداً، وعليه لا يعرف المقصود
³ عيشمسي: قبيلة من بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم، وعرفت بالموقعة التي تسمى ((يوم اللهاية)). غير أن بعضهم أضحى يطلق اسم عيشمية على الدولة الأموية؛ نسبة إلى جدّهم عيد شمس.
⁴ ثمة عدد كبير من القبائل العربية التي تسمى مرّة؛ منهم القحطانيون، ومنهم العدنانيون؛ ولا يعرف المقصود هنا.
⁵ ثمة عدد من قبائل العرب التي تسمى ((عقيل))؛ لكن يبدو أن المقصود هنا هم: عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، منازلهم الأولى في البحرين والعراق.
⁶ ثمة عدد من القبائل العربية (قحطانية وعدنانية) التي تسمى ((فهم))؛ وربما كان المقصود هنا هم: فهم بن عمر بن قيس بن عيلان العدنانيين.
⁷ لعل المقصود هم: بنو صريم (بالميم في الآخر وليس بالحاء المهملة) ابن سعد بن ضبة، أو صريم بن مقاعس (الحارث) بن عمر بن سعد من أولاد كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.
⁸ الجزلي: نسبة إلى جزيلة بن لخم القحطانيين، ولهم بطون كثيرة تفرعت عنهم.
⁹ القشيري: نسبة إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة؛ من العدنانيين، ومنازلهم الأولى في نجد وأرض اليمامة، ومنهم بَلَّج بن بشر القشيري؛ أمير الأندلس.

والكلبي¹، والقضاعي²، والأصباحي³، والهواري⁴،
 والهواري⁴، والرُعيني⁵، واليخصبي⁶، الثجبي⁷،
 الثجبي⁷، والصدفي⁸، والحضرمي⁹، والحمي¹⁰،
 والحمي¹⁰، والجذامي¹، والسلولي²، والحكمي³،

¹ الكلبي؛ نسبة إلى كلب؛ ويوجد بين القبائل العربية عدد منها يسمى باسم
 باسم كلب؛ ولا يعرف هنا المقصود.
² قضاة؛ حيّ عظيم من أحياء العرب؛ تتعدى مرتبته درجة القبيلة؛ لأن
 ما تحتها قبائل. وقد اختلف النسابة في نسبتهم. فمنهم من ينسبهم إل
 قحطان، ومنهم من يرى أنهم من عدنان؛ غير أن أرجح الآراء تضعهم
 ضمن القبائل القحطانية؛ ومنازلهم الأولى موزعة بين الشحر ونجران؛ ثم
 الحجاز والشام.
³ الأصباحي؛ نسبة إلى الأصباح؛ وهم من القبائل القحطانية؛ ينتسبون إلى
 أصبح بن عمرو بن الحارث بن أصبح بن مالك؛ ويرتفعون إلى حمير.
 وينتمي إلى أصبح هذه؛ إمام دار الهجرة مالك بن أنس.
⁴ الهواري؛ نسبة إلى قبيلة هواره الأمازيغية. ومنازلها من المغرب
 الأوسط (لجزائر حالياً) إلى مناطق في مصر الغربية. وهم من البرانس؛
 وينتسبون إلى أوريغ بن برنس.
⁵ الرعيني؛ نسبة إلى رعين من حمير اليمنيين.
⁶ وينتسبون إلى يخصب بن ذهمان بن عامر بن حمير. وثمة من ينسبهم
 إلى يحصب بن ذي يزن بن ذي أصبح. وهم بطن من بكيل الهمدانيين
 القحطانيين.
⁷ تجيب؛ بطن من كندة ينتسبون إلى أشرس بن شبيب بن السكون بن
 كندة؛ منازلهم الأولى في حضرموت.
⁸ الصدفي؛ نسبة إلى الصدّف؛ ثمثلها ثلاثة أحياء من اليمن؛ الأول الصدّف
 الصدّف ابن أسلم بن زيد بن مالك من حضرموت، والثاني الصدّف بن
 سهلة بن عمرو بن قيس؛ من حمير باليمن. والثالث الصدّف بن مالك من كندة
 وكهلان.
⁹ حضرموت؛ قبيلة قحطانية؛ سميت بها مقاطعة بكاملها في اليمن؛
 واشتهرت بها إلى الآن.
¹⁰ الحمي؛ نسبة إلى حمي بن عامر؛ وهم فخذ من تجيب.

والْحَكَمِي³، وَالْهَمْدَانِي⁴، وَالْمَذْجِي⁵،
وَالْخُسْنِي⁶، وَالْبَلْوِي⁷، وَالْجُهْنِي⁸، وَالْمَزْنِي⁹،

¹ جَذَام: بطنان؛ الأول جذام بن الصدف من حضرموت ويعرفون بالأجذوم، والبطن الثان هو المقصود حسيما ييدو؛ وهم جَذَام بن عدي بن الحارث ابن مرة بن أد؛ من كهلان القحطانيين. ومنازلهم بين مدين وتبوك في الحجاز وطبرية بالأردن.

² سلول: قبيلة عدنانية؛ انتسبت إلى أمهم سلول. بينما هم بنو مرة بن صعصعة بن معوية بن بكر بن هوازن.

³ الحكمي: نسبة إلى من يسمى حكم، وثمة عدد من أحياء العرب العدنانية والقحطانية؛ من ينتسبون إلى ((حكم))، غير أن المقصود - هنا حسيما يظهر - هم الحكم بن سعد العشيرة من مذحج الكهلانيين القحطانيين.

⁴ ربما تكون همدان المقصودة هنا؛ هي قبيلة همدان بن ملك بن زيد من كهلان القحطانيين. ومنازلهم الأولى في اليمن الشرقية؛ وبعد الإسلام انتشروا في شمال البلاد ثم العراق ومصر فالمغرب والأندلس.

⁵ الْمَذْجِي: نسبة إلى مَذْجِج (اسمه مالك) بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وهم قبيلة قحطانية، وأغلبهم يسكن اليمن.

⁶ ثمة بطن من يزيد بن زغبة الهلاليين؛ يسمى ((الخشنة))؛ ومنازلهم بعد الفتح الإسلام غدت في إفريقيا الشمالية، وثمة أيضاً حي من قحطان؛ يسمى خُسَيْن بن التمر؛ وهم من قضاة؛ ولا يعرف المقصود.

⁷ البلوي: نسبة إلى بَلِيّ بن عمرو بن الحافي؛ قبيلة كبيرة من قضاة، ومنازلهم موزعة بين الحجاز والشام ومصر، وإلى بلي هذه ينتسب زهير ابن قيس البلوي؛ الذي خلف عقبة بن نافع بعد وفاته.

⁸ ثمة قبائل عربية عديدة تحمل اسم جهينة؛ ولكن الراجح هم جهينة بن زيد بن ليث من قضاة؛ ومنازلهم الأولى ما بين ينبع ويثرب في الحجاز.

⁹ المزني هنا: نسبة إلى القبيلة العدنانية مزينة قال بعضهم إنها تنتمي لعمر بن أد بن طابخة، منازلهم الأولى في وادي القرى والروحاء؛ ثم انتقلوا إلى العراق بعد الفتح.

والطَّائِي¹، والغافقي²، والأسدي³،
والأشجُعي⁴،

والعاملي⁵، والخولاني⁶، والأيادي⁷،
والأيادي⁷، والليثي⁸، والخثعمي⁹، والسكسكي¹⁰،

- ¹ الطيئي: نسبة إلى قبيلة طيء القحطانية. وطيء اسمه جلهمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. ومنازلهم الأولى في اليمن ثم انتقلوا إلى شمال الجزيرة؛ حيث استقروا في العراق والشام.
- ² ثمة الغافق بن أنمار بن أراش؛ وهم بطن من كهلان القحطانيين. وثمة أيضاً بطن من عكّ يسمى غافق بن الشاهد بن عكّ بن عدنان بن عبد الله بن الأزد. وهم الذين يقصدهم المؤلف كما يبدو.
- ³ ثمة عدد من القبائل القحطانية والعذنانية التي تسمى ((أسد))؛ غير أن المقصود هنا - كما يبدو - هم أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. ومنازلهم بديار نجد.
- ⁴ ثمة أشجع من عدنان؛ وهم بنو أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد ابن ابن قيس بن عيلان. ومنازلهم الأولى في نواحي المدينة المنورة؛ ثم النقل بعضهم إلى بلاد المغرب. وهم المقصودون كما يبدو. وليس بطن أشجع ابن عمرو القحطانيين.
- ⁵ العاملي: نسبة إلى عاملة بن الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد؛ من كهلان القحطانيين؛ سكنوا الشام بعد خروجهم من اليمن.
- ⁶ الخولاني: نسبة إلى خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد؛ أبناء كهلان بن سبأ. منازلهم الأولى في اليمن.
- ⁷ ثمة حيان عريبان سميان ((إياد)). الأول قحطاني؛ وهم بطن من الأزد والثاني عدناني؛ وهم بنو إياد بن نزار بن معد بن عدنان. ومنازلهم في العراق.
- ⁸ ثمة حيّ يحضرموت يسمى ((الليث))، وحيّ آخر من قضاعة يسمى ليث ليث ابن سؤد بن أسلم بن الحافي. ولكن المقصود - كما يبدو - هم أبناء ليث ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة العدنانيين. ومنازلهم حول مكة، وينبع.
- ⁹ المقصود هنا كما يبدو هم أبناء خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث؛ من كهلان القحطانيين. ومنازلهم بجبال السراة.

والسَّكْسَكِي¹، والزُّيْدِي²، والتَّغْلَبِي³، والثَّعْلَبِي⁴،
والثَّعْلَبِي⁴، والكَلَاعِي⁵، والدَّوْسِي⁶، والحَوَارِي⁷،
والسَّلْمَانِي⁸.

هذا؛ يرد كثير في شهادتهم؛ ويقلُّ من ذلك
السَّلْمَانِي نسباً: كالدَّوْسِي، والحَوَارِي، والزُّيْدِي. ويكثر
فيهم: كالأَنْصَارِي، والحَمِيدِي، والجُدَامِي، والقَيْسِي،

¹ المقصود هنا هم السكاسك (حميس) بن أشرس بن ثور؛ من كهلان القحطانيين.
القحطانيين.

² ثمة أحياء عربية عديدة تسمى ((زبيد)). والمقصود هنا حسيما يبدو - هم
هم أبناء زبيد الأكبر ابن صَعْب من كهلان القحطانيين. لهم حصون
باليمن.

³ ثمة حيان عريبان يسميان ((تغلب))؛ الأول هو تغلب بن حلوان بن
عمران من قضاة القحطانيين. أما الحي الثاني فهو تغلب بن وائل؛
قبيلة عدنانية كبيرة. منازلهم بجزيرة الفراء.

⁴ ثمة عدد من الأحياء العربية التي تسمى ((الثعلبية)). غير أن المقصود -
كما يبدو- هم أبناء تغلب بن بكر من بني هلال العدنانيين. منازلهم بعد
الفتح في المغرب الأوسط.

⁵ الكلاعي: نسبة إلى ذي الكلاع الحميريين القحطانيين.

⁶ المقصودج هنا هم بنو دوس بن عُدْثان بن عبد الله بن زهران من الأزد
الأزد القحطانيين. منازلهم في تهامة ثم العراق.

⁷ ثمة من يسمى: الحوارات؛ حي في منطقة البلقاء، ومن يسمى: الحوارثة؛
من بني الحارث الحجازيين. ولا يعرف بالضبط المقصود بـ((الحواري)).

⁸ السلماني: نسبة إلى عدد من أحياء العرب؛ لكن المقصود هنا هم أبناء
سَلْمَان بن يَشْكُر بن ناجية بن مراد القحطانيين. وهم قبيلة ابن الخطيب.

والغساني. وكفى بهذا شاهداً على الأصالة، ودليلاً على العروبة¹.

¹ وصل العرب - لأول مرة - إلى الأندلس مع بدء الفتح الإسلامي؛ في ركاب موسى بن نصير؛ لأن الجيش الفاتح مع طارق بن زياد كان جيشاً أمازيغياً؛ باستثناء أفراد قلائل؛ أرسلهم موسى مع طارق. وقد أشار ابن الخطيب - في هذا الفصل - إلى القبائل العربية المتواجدة في مملكة غرناطة، لذا فقد رأيت إضافة ما قاله المقري عن العرب المتواجدين بالأندلس كلها، ويمكن أجمال ما قاله باختصار في: - خُذِفَ وقريش من العدنانيين، ومنهم: بنو هاشم؛ ويمثلهم بنو حمود الحسنيون؛ من ولد إدريس بن عبد الله الخلفاء بالأندلس، وبنو أمية؛ يمثلهم بنو مروان الخلفاء بالأندلس، ثم بنو زهرة أعيان إشبيلية، وبنو مخزوم؛ منهم أبو بكر المخزومي الشاعر الأعمى؛ وهو من أهل حصن المدور، ومنهم كذلك الشاعر الوزير أبو الوليد بن زيدون وزير ابن عباد وابنه الوزير الشاعر أبو بكر بن زيدون، وثمة أيضاً من ينتسب في الأندلس إلى بني عبد الدار، والمنتسبون إلى الفهرين أعدادهم كثيرة في الأندلس؛ كبني محارب بن فهر؛ ومنهم عبد الله بن قطن أمير الأندلس، ويوسف بن عبد الرحمن الفهري أمير الأندلس (جده عقبة بن نافع)، والمنتسبون إلى كنانة الوقشيين؛ أعدادهم كثيرة أيضاً؛ ومنازلهم على الأكثر في طليطلة؛ ومنهم القاضي والوزير أبو الوليد، أبو جعفر، وأبو الحسن بن جبير الرحالة، أما بنو هذيل بن مدركة؛ فمنازلهم في جهات أربولة من كورة تدمير، أما بنو تميم بن مر بن أد؛ فهم كثيرون في الأندلس؛ ومنهم أبو طاهر صاحب المقامات اللزومية، أما بنو ضبة بن أد فهم قليلون بالأندلس - أما قيس عيلان؛ فهم كثيرون بالأندلس؛ فمنهم من ينتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة؛ كالفقيه عبد الملك بن حبيب السلمي (صاحب الإمام ملك)، وكقاضي قرطبة أبي حفص بن عمر، ومن قيس أيضاً من ينتسب إلى هوازن بن عكرمة؛ ولهم عدد كبير في إشبيلية، ومن قيس كذلك من ينتسب إلى بكر بن هوازن؛ يتواجد منهم خلق كثير في إشبيلية، ومنهم بنو حزم (ليس منهم أبو محمد بن حزم الظاهري؛ إذ هو فارسي)، ثم يوجد بعضهم شمال بلنسية، ومنهم أيضاً من ينتسب إلى سعد بن بكر بن هوازن؛ ولهم وجود عريض في غرناطة؛ كبني جُودِيّ الرؤساء، ومنهم أيضاً من ينتسب إلى امرأة امها سُلُول؛ بينما أبوهم هو مُرَّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ومنهم من ينتسب إلى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ومنهم من

ينتسب إلى ثَمَيْر بن عامر بن صعصعة؛ وهم كثيرون في غرناطة، ومنهم من ينتسب إلى قَشِير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة؛ وينتمي إليهم بَلَّاج بن بشر القشيري أمير الأندلس، وبنو رشيق، ومنهم من ينتسب إلى قَزَّارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان، ومنهم من ينتسب إلى أشجع بن ريث بن غطفان؛ كمحمد بن عبد الله الأشجعي أمير الأندلس ومنهم من ينتسب إلى ثَقِيف قَسَّ بن منبه بن بكر بن هوازن؛ كالحرَّ بن عبد الرحمن الثقفي أمير الأندلس، - أما ربيعة ابن نزار؛ فمنهم من ينتسب إلى أسد بن ربيعة بن نزار؛ كبنّي أسد بن خزيمة بن مدركة القاطنين شمال وادي آش، ومنهم بنو محارب بن عمرو ابن وداعة؛ ومن هؤلاء بنو عطية أعيان غرناطة، ومنهم من ينتسب كذلك إلى الثَّومِر بن قاسط بن هنب من جديلة بن أسد؛ كبنّي عبد البر عشيرة الحافظ أبو عمر بن عبد البر، ومنهم أيضاً من ينسب إلى تغلب ابن وائل؛ كبنّي حمدين أعيان قرطبة، ومنهم من ينسب إلى بكر بن وائل؛ كالبيكرين أصحاب أونية وشلطيش؛ وينتمي إليهم أبو عبيد البكري المؤلف، - وأما إيباد بن نزار؛ فمنهم بنو زُهْر الأعلام في إشبيلية، - أما القحطانيون فهم أكثرية بديار الأندلس، وصنفهم ابن حزم إلى جذمين رئيسين: كهلان، وحمير. فمن كهلان الأزدي؛ وإليهم ينسب محمد بن هاني شاعر المعز لدين الله الفاطمي؛ وأصله من بني المهلب الإيريين، وبنو مازن من الأزدي؛ ومنهم بنو القليعي أعيان غرناطة، ومعظمهم ببلدة صالحة القريبة من غرناطة على طريق مالقة، وأكثر الأزدي في الأندلس ينتسبون إلى الأنصار، ومنهم أيضاً الخزرج؛ وعرف في الأندلس منهم أبو بكر عبادة بن عبد الله سليل عبادة صاحب رسول الله؛ اشتهر بالموشحات، وإلى قيس بن سعد بن عبادة ينتمي بنو الأحمر سلاطين غرناطة، ومنهم أيضاً الأوس، ومنهم أيضاً من ينسب إلى غافق بن عك ابن عدنان من الأزدي؛ ومنهم أبو عبد الله بن أبي الخصال الكاتب المعروف؛ كما ينتمي إلى غافق أكثر سكان شقورة، ومن كهلان أيضاً بنو همدن في نواحي غرناطة؛ ومنهم بنو أضحي أصحاب غرناطة، ومن كهلان بنو مذحج؛ وهي أم مالك بن أد بن زيد بن كهلان؛ ومنهم بنو سِرَّاج أعيان قرطبة، أما مالك بن أد من كهلان فهم متواجدون جنوب مرسية؛ وينتسبون إلى طي من كهلان، ومنهم من ينتسب إلى مالك بن أد، ومنهم من ينتسب إلى مراد؛ ويتواجد خلق كثير منهم في حصن مراد بين إشبيلية وقرطبة، ومنهم ومن ينتسب إلى عَنَس بن مالك بن أد؛ وبنو سعيد أشهرهم بكتابهم المَغْرِب في حُلَى المَغْرِب؛ وهم أصحاب قلعة بني سعيد التابعة لغرناطة، وبنو زييد من كهلان، ومنهم من ينتسب إلى عاملة (وهي امرأة من قضاة) زوجة الحارث بن مرة بن أد من

وَجُنْدُهُمْ صِنْفَانِ: أُنْدَلَسِي، وَبَرْبَرِي:

وَالْأُنْدَلَسِي - مِنْهَا - يَقُودُهُمْ¹ رَئِيسٌ مِنَ الْقِرَابَةِ أَوْ
حَصِيٍّ¹ مِنْ شِيُوخِ الْمَمَالِكِ؛ وَزَيْهُهُمْ - فِي الْقَدِيمِ - شَبَهَ زِيٍّ

كهلان؛ منهم بنو سيماك القضاة من غرناطة. ومن كهلان أيضاً خولان ابن عمرو بن الحارث بن مرة؛ وقلعة خولان مشهورة؛ وتتواجد بين الجزيرة الخضراء وإشبيلية؛ ومنهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة، كما أن منهم من ينتسب إلى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة؛ وينتمي إليهم المنصور بن أبي عامر الملك المستبد في الأندلس. ومنهم من ينتسب إلى لحم بن عدي؛ كبنو عباد ملوك إشبيلية، وبنو الباجي أعيان إشبيلية وبنو وافد أيضاً الأعيان في إشبيلية. ومنهم من ينتسب إلى جذام من كهلان كتوابة بن سلامة أمير الأندلس، وبنو هود سلاطين الأندلس، وبنو مردنيش الأمراء في الأندلس. ومنهم من ينتسب إلى تاجيب؛ وهي امرأة أشرس بن السكون بن أشرس بن كندة. ومن كهلان من ينتسب إلى خثعم بن أنمار؛ ومنهم عثمان بن أبي يعسرة أمير الأندلس. أما حمير ابن سبأ؛ فمنهم من ينتسب إلى ذي رعين؛ ومنهم أبو عبد الله الحناط الشاعر الأعمى. ومن حمير أيضاً من ينتسب إلى ذي أصبح (ثمة من ينسب إلى أصبح إلى كهلان)؛ والأصحيون أعيان في قرطبة. ومنهم أيضاً من ينسب إلى يحصب؛ وتتواجد منهم كثير في قلعة يحصب؛ لأنهم إخوان مع بني سعيد. ومنهم من ينسب إلى هوزن بن عوف؛ وهم أعيان بإشبيلية. ومنهم من ينسب إلى قضاة بن مالك بن حمير (ثمة من يقول أنه قضاة بن معد بن عدنان)؛ وينتسب إليهم أبو بكر الوزير الشاعر ابن عمار. ومنهم من ينسب إلى خشين بن نمر. ومنهم من ينتسب إلى تنوخ ومنهم من ينسب إلى يعلّى بن عمرو؛ ولهم وجود في إشبيلية. ومنهم من ينسب إلى جهيبة بن سود بن أسلم؛ ولهم جماعة في قرطبة. ومنهم من ينسب إلى كلب بن وبرة؛ ومنهم بنو عبدة بقرطبة؛ وينتمي إليهم بنو جهور أمراء قرطبة ووزراؤها. ومنهم من ينتسب إلى عذرة بن سعد؛ وفي الجزيرة الخضراء جماعة منهم. وثمة في الأندلس أيضاً من ينسب إلى حضرموت بن قحطان؛ (وقال بعضهم أن حضرموت بن قيس بن معوية من حمير. ومن أهل الأندلس أيضاً من ينسب إلى سلامان؛ يتواجدون في: إشبيلية وبطليوس وقرطبة وغرناطة. (أنظر نفح الطيب؛ مج: 1، ص ص: 290 - 298).

¹ في اللوحة: ((الأندلسي منه يقوده)).

أَقْتَالَهُمْ²، وَأَضْدَادِهِمْ؛ مِنْ جِيرَانِهِمْ الْفَرَنْجُ: إِسْبَاغُ
الدُّرُوعِ، وَتَعْلِيقُ التَّرْسَةِ، وَحَفَا³ الْبِيضَاتِ، وَاتِّخَاذُ
عُرَاضِ الْأَسْنَةِ، وَبِشَاعَةِ قَرَايِسِ السُّرُوجِ، وَاسْتِرْكَابُ
حَمَلَةِ الرَّايَاتِ خَلْفَهُ⁴؛ كُلُّ مِنْهُمْ بِصِفَةٍ تَخْتَصُّ
بِسِلَاحِهِ⁵، وَشُهْرَةٍ يُعْرَفُ بِهَا. ثُمَّ عَدَلُوا - الْآنَ - عَنْ هَذَا
الَّذِي ذَكَرْنَا⁶، إِلَى الْجَوَاشِنِ الْمُخْتَصِرَةِ، وَالْبِيضَاتِ
الْمَرْهَفَاتِ⁷، وَالسُّرُوجِ الْعَرَبِيَّةِ⁸، وَالْبَيْتِ⁹ اللَّطِيفَةِ، وَالْأَسَلِ
الْعَطِيفَةِ¹⁰.

¹ الحصي بالحاء المهملة: الرجل الراجح العقل وقد كتبت العبارة في اللوحة هكذا: ((أو أخطياء الدولة)).

² أي من يقاتلونهم، وكتبت هذ العبارة في اللوحة هكذا: ((شبيه بزي جيرانهم وأمثالهم من الروم في إسباغ)).

³ في اللوحة البدرية: ((وجفاء)).

⁴ في اللوحة البدرية: ((عن هذا الزي خلفهم)). وعبارة ((حملة الرايات)) حرفت في ت؛ فكتبت: ((جملة الرايات)).

⁵ نفسه: ((بسمه تخص سلاحه)).

⁶ كلمة ((ذكرنا)) سقطت في ك، وفي اللوحة البدرية: ((عن هذا الزي)).

⁷ في اللوحة: ((المذهبة)).

⁸ حرفت في المخطوطات الثلاثة؛ فكتبت: ((والروج والعربية)).

⁹ هكذا، وهو خطأ؛ والصحيح ما جاء في اللوحة؛ وهو ((اليلاب)). ومعناه: الجلد، والترسة اللطيفة أو الدروع.

¹⁰ في اللوحة: ((اللطيفة)). وكتبت في ت: ((اللطيفة، اللطيفة)).

والبربري - منه - يرجع إلى قبائله المريئية¹، والزَّناتية²،
والزَّناتية²، والتَّجانية، والمغراويَّة³، والعَجِسيَّة، والعرب
المغربيَّة؛ إلى أقطاب، ورؤوس؛ يرجع أمرهم إلى رئيس،
على رؤسائهم، وقطب لعرفائهم من كبار القبائل المريئية؛
يُمْتُ إلى ملك المغرب ينسب⁴.

¹ نفسه: ((ترجع قبائله المريئية)).

² نفسه: ((الزَّيانية)). وهو الصحيح؛ لأن المريبيين من زناتة، كما أن
الزَّيانيين هم ملوك تلمسان المنافسين للمريبيين؛ وهم من زناتة أيضاً.
³ سقطت كلمة: ((والمغراويَّة)) في اللوحة البدرية.

⁴ لمزيد من الفائدة؛ نلخص ما قاله أبو محمد علي بن حزم؛ بخصوص
القبائل الأمازيغية المتواجدة في الأندلس قبل سقط الدولة الأموية في تلك
الديار. ((وزداجة)): منهم بنو دليم الفقهاء، و((ملزوزة)): منهم عوسجة؛
المنسوب إليه بلاط عوسجة بشت برية، وبنو تيه؛ الأمراء بشت برية،
وبنو الأخطل الأمراء بها وبشذونة أيضاً، وآل عامر بن وهب (أو عمران
ابن وهيب)، و((مغيلة)): منهم إلياس؛ رهط أحمد الوزير أحمد بن إلياس،
و((مكناسة)): منهم بنو وانسوس؛ رهط الوزير سليمان بن وانسوس،
و((زناتة)): منهم بنو الخروبي، وأصلهم من لقت، وبنو الليث؛ من شنت
قبيلة؛ ومنهم يحيى بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك؛ يقولون أنهم
موالي الوليد بن عبد الملك، ومن زناتة أيضاً بنو عزون أمراء شنت
برية، وبنو برزال؛ أمراء المتنانية، وبنو عيدوس من سُرْتة، ومن
((أهاسة من نفزة)): وبنو فرفدن من ماردة، وبنو طرينة بن غزلون؛
أمراء تيروال، وبنو عميرة بشاطبة، وبنو نعمان؛ رهط عامر بن فرج بن
نعمان بشت برية، وبنو الفرّج من وادي الحجارة، ومن ((مديونة)): ثابت
ابن عامر المديوني؛ خال بني ذي النون، وبنو الزجالي الوزراء في
قرطبة، والقاضي منذر بن سعيد السوماتي، وبنو الخليع بتاكرنا، وزغلل
(أو رغال) بن يعيش بن فرانك؛ الذي ينسب إليه مسجد قرانك بقرطبة،
وبنو هذيل أمراء الثغر ينسبون إلى مديونة أيضاً. ومن ((هواره)): بنو
القرمطي؛ في الجانب الغربي من قرطبة، ومنهم بنو ذا النون؛ أمراء
أقليش ووبذة، وبنو رزين أمراء السهلة، ومنهم بنو فرفرين ولالة مدلين،
ومنهم بنو جهور المرشانيون؛ وهم ولد الفقيه أبي موسى عبد الرحمن بن

والعمائم تقل في زي أهل هذه الحضرة؛ إلا ما شاد¹
 في شيوخهم، وقضاتهم، وعلمائهم؛ والجُند العربي²
 منهم؛ وسلاح جُمهورهم العصي الطويلة المثناة بعصي

موسى؛ الذي يشبه بالشعبي في زمانه. و((مصمودة)): منهم بنو سفيان بن عبد ربه الحاجب، وبنو يحيى بن كثير؛ صاحب مالك؛ وبنو طريف؛ من أشونة، والمتنبي في برغواطة، ومنهم محمود وأخته جميلة المشهورة بالشجاعة والفروسية والنجدة؛ وهما أبناء عبد الجبار بن زائلة القائم بماردة، وبنو دانس بن عوسجة؛ أصحاب لُتَيْيْرَة؛ وإلى جدهم ينسب قصر أبي دانس في الشمال، ومسعود بن تاجيت بن محمد بن تاجيت صاحب ماردة هو وأبوه وجده؛ وكانوا يمتلكون قورية ولجداية؛ قبل أن يتغلب النصراني على تلك الجهة، وبنو مَضَى بن تَيْهَلْت أمراء قصر مَضَى، وبنو سالم الذين تنسب إليهم مدينة سالم؛ كما تنسب مدينة الفرج إلى ابنه الفرج بن سالم، ومنهم أبو جعفر تميم بن عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرج (قال ابن حزم أنه: "صاحبنا رحمه الله")؛ وقد عرف باسم التميمي؛ وكان لأبي جعفر ابنان بطرسونة القريبة من تطيلة في الثغر؛ وهما: عبد الله وأحمد؛ لهما عقب هناك. و((أوربة)): ولي منهم اليشة؛ وهما صبرون بن شبيب، وابنه وكيل بن صبرون. و((زواوة وكتامة)): منهم بنو مشرف الشَّقْدِيُون، وبنو مهلب الكتاميون أصحاب قَرْ دَيْرَة، وأشْبَر غَيْرَة من عمل البيرة؛ ومنهم محمد بن مهلب كاتب الوزير مفرج؛ ومنهم أيضاً بنو قاسم أصحاب أَلْبُونْت؛ وهم أحلاف الفهريين. و((صنهاجة)): ومنهم بنو الغليظ؛ رهط الأديب أبي عبد الله محمد بن عبد الأعلى، ثم بنو رَاج؛ رهط الشاعر أبي عمرو أحمد بن محمد بن دَرَّاج القسطلي، ومنهم محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان، ومنهم يحيى بن ضريس؛ الذي ضرب ابن حفصون بالضربة المشهورة؛ فشل يده اليمنى تماماً، ويوجد منهم أيضاً بأشونة؛ بنو عبد الوهاب؛ وهم من ولد ميمون ابن أبي جميل؛ وهو ابن أخت طارق بن زياد؛ وكانت لهم ثروة وعدد؛ وكان منهم قواد وكتاب وفقهاء؛ منهم خطيب جامع قرطبة؛ المقرئ الرحالة عبد الوهاب بن محمد بن عبد القدوس بن يوسف بن أحمد، ومنهم أيضاً بنو طاهر بأشونة.

¹ أي ما اشتهر ذكره؛ غير أن ما كتب في اللمحة هو: ((ما شذ)). وهو الصحيح كما يبدو.

² في اللمحة: ((الغربي))؛ بالغين الموحدة الفوقية.

صغار؛ ذوات عُرَى في أواسطها¹؛ تُدفع بالأنامل عند قذفها؛ تسمى (بالأمّداس). وقسيّ الإفرنجة²؛ يُحْمَلون على التّدريب³ بها على الأيام⁴. ومبانيهم⁵ متوسطة، [وأعيادهم]⁶ حسنة؛ مائلة إلى الاقتصاد. والغنى بمدّيتهم فاش⁷، حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها؛ كثيراً من الأحداث، كالخفافين⁸، ومثلهم. وقوتهم الغالب، البرّ الطيّب؛ عامّة العام⁹، وربما اقتات - في فصل الشتاء الضّعفة، والبوادي، والفعلة في الفلاحة - الدّرة العريّة¹⁰؛

¹ نفسه: ((ذات عرى في أواسطها)).

² نفسه: ((الفرنجة)).

³ نفسه: ((التدريب)).

⁴ قال المقرئ في حروب أهل الأندلس وأسلحتهم: ((ومحاربهم بالتراس، والرماح الطويلة الطعن؛ ولا يعرفن الدبابيس، ولا قسيّ العرب؛ بل يعدون قسيّ الإفرنج للمحاصرات في البلاد؛ أو تكون للرجال عند المصافاة للحرب. وقليلًا ما تصير الخيل عليهم أو تمهلهم؛ لأن يوترها)). (نفج الطيب؛ مج: 1، ص: 223).

⁵ في ج: ((ومنانهم))، وفي ك: ((ومناسهم)). وقد صوبت من اللّمة.

⁶ هذه الكلمة سقطت من الملكية، وت.

⁷ هكذا في المخطوطات الثلاثة؛ وربما يكون الصحيح هو ما جاء في اللّمة؛ وهو: ((والغاء في بمدّيتهم فاش)).

⁸ وهم: الخرازون، والأسكافة؛ ومفردها: الإسكاف؛ الذين يصنعون الخفاف؛ ومفردها: خف. وكتبت هذه العبارة في اللّمة هكذا: ((حتى بالدكاكين التي تجمع كثيراً من الأحداث، كالخفافين)).

⁹ في المخطوطات الثلاثة واللّمة: ((العامّة)).

¹⁰ كتبت هذه العبارة في اللّمة هكذا: ((الضعفة والفلة الذرة العذبة)).

أُمَثَّلَ أصناف القطاني¹ الطيبة. وفواكههم اليابسة عامّة العام؛ متعدّدة؛ يدّخرون العنب - سَلِيمًا من الفساد - إلى شَطْرِ العام²؛ إلى غير ذلك³ من: التّين، والزّيب، والتّفاح، والرّمان، والقسطل⁴، والبُلوط، والجُوز، واللّوز؛ إلى غير ذلك مما لا يَنفَد ولا ينقطع مدده؛ إلّا في الفصل الذي يُزهد في استعماله⁵. وصَرَفَهُم فِضَّة خالصة، خالصة، وذهبٌ إبريزٌ طيّب⁶ محفوظ، ودرهمٌ مُربّع الشكل؛ من وزن⁷ المهدي؛ القائم بدولة الموحدين⁸؛ في الأوقية منه سبعون درهماً؛ يختلف الكتب فيه؛ فعلى عهدنا؛ في شِقِّ: ((لا إله إلا الله محمد رسول الله))، وفي

¹ أي ما يدخره الناس في بيوتهم من أنواع الحبوب.

² في اللّحة: ((إلى ثلثي العام)).

³ نفسه: ((إلى غيره)).

⁴ وهو: الكستنا.

⁵ في اللّحة: ((مما لا ينقطع مدده إلا بفصل يزهد في استعماله)).

⁶ حُرِفَتْ في ك؛ فكتبت هكذا: ((وذهباً وإبريزاً طيباً)). وعند كلمة

((محفوظ)) انتهى النص المشابه في اللّحة البدرية.

⁷ كتبت في المخطوطين: ((لون))؛ فصوبها عنان.

⁸ دولة الموحدين أسست على أنقاض الدولة المرابطية؛ تولى الدعوة إليها إليها أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهرغي المصمودي المعروف بالمهدي؛ وكان ساعده الأيمن عبد المؤمن بن علي هو المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين التي قامت بعد استيلاء الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي على مراكش عاصمة الدولة المرابطية سنة 541هـ/1146م.

شِقَّ آخِر: ((لا غالبَ إِلَّا اللهُ، غَرْنَاطَة)). ونِصْفُه وهو القيراط؛ في شِقِّ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)¹، وفي شِقِّ: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾²، ونِصْفُه هو الرُّبْع؛ في شِقِّ: ﴿هُرَى اللَّهُ هُوَ الْهُرَى﴾³، وفي شِقِّ: ﴿الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾⁴.

ودينارُهم في الأوقية منه؛ ستة دنانير وثلاثا دينار؛ وفي الدينار الواحد؛ ثُمْنُ أوقية وخُمُسُ ثُمْنِ أوقية. وفي شِقِّ منه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ بَيْرِكَ الْخَيْرِ﴾⁵، ويستدير به

¹ الآية: 2؛ من سورة الفاتحة.

² أخطأ الدكتور طويل؛ حين نسب هذا الذكر الحكيم إلى سورة آل عمران؛ الآية 122؛ بينما الصحيح؛ هي أنها جزء من الآية: 10؛ من سورة الأنفال. وهذه الآية كاملة هكذا: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَيَنْظِمْنَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

سورة الأنفال؛ الآية: 10.

³ الآية كاملة هكذا: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. سورة البقرة؛ الآية: 120.

⁴ الآية كاملة هكذا: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. سورة طه؛ الآية: 132.

⁵ قطعت الآية هنا؛ وانتخب منها مقاطع. والآية كاملة هكذا: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. الآية: 26 من سورة آل عمران.

قوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾¹، وفي شق: ((الأمير عبد الله² يوسف، بن أمير المسلمين أبي الحجاج، بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن نصر، أَيْدَ الله أَمْرَهُ))، ويستدير به شعار هؤلاء الأمراء: ((لا غالب إلا الله)). ولتاريخ تمام هذا الكتاب؛ في وجهه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾³، ويستدير به: ((لا غالب إلا الله))؛ وفي وجهه: ((الأمير عبد الله الغني بالله، محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر، أَيْدَ الله وأَعَانَهُ))، ويستدير برُبع: ((بمدينة غرناطة حَرَسَهَا الله)).

وعادة أهل هذه المدينة؛ الانتقال إلى حُلُل⁴ العصور؛ أوان إدراكه؛ بما تشتمل عليه دُورهم، والبروز إلى الفحوص⁵ بأولادهم¹؛ مُعَوِّلِينَ - في ذلك - على

¹ الآية: 163 من سورة البقرة. وقد أسقطوا حرف الواو في بداية الآية.

² رأى يوسف طويل أن هذا النص سقط منه في هذا الموضع: ((محمد ابن))؛ وحجته في ذلك ما ورد في النص الآتي الشبيه به. مع أن هذا النص لا يدل أنه للغني بالله.

³ الآية: 200 من سورة آل عمران.

⁴ الحل مفرد لها حلة؛ وهي المحلة. وكتبت في اللوحة: ((الحلال)).

⁵ الفحوص مفرد لها: الفحص؛ وهو - عند الأندلسيين - المرج. وربما سُمِّيَ بذلك عندهم كل موضع يزرع؛ سهلاً كان أم هضبة.

شهامتهم² وأسلحتهم، وعلى كُتب دورهم³، واتّصال
أمصارهم بحدود أرضه.
وحلّيتهم في: القلائد، والدّمالج، والشُّنوف⁴،
والخلائل الذهب الخالص؛ إلى هذا العهد، في أولى⁵
الجدة، واللّجين؛ في كثير من آلات الرّجلين؛ فيمن
عدهم. والأحجار النفيسة من الياقوت⁶،

¹ في اللّحة: ((بأولادهم وعيالهم)).

² هكذا في ك؛ أما ج؛ فكتب فيها: ((سهامتهم)).

³ في ج، والملكية: ((على كتب على دورهم)). في اللّحة: ((على كتب عدوّهم)). ويبدو أنه الصحيح حسب سياق المعنى.

⁴ في اللّحة: ((والخلايل والشنوف)).

⁵ نفسه: ((لي)).

⁶ الياقوت اسم فارسي معرب لحجر كريم، وصنف من الجواهر؛ لياقوت ألون عديدة؛ منها: الأصفر، والأزرق، والاسمانجوني؛ كما يتولد منها ألوان كثيرة؛ أعدلها وأهمها الأحمر الخالص الرماني؛ التذي يشبه حب الرمان الأحمر، ومنه أيضاً الأحمر الممزوج ببياض، ثم الوردي، ثم الخمرى، ثم العصفري، وأردؤ الياقوت هو الياقوت الأزرق.

والزَّبْرَجَد¹، [والزُّمُرْد]² ونفيس الجَوْهر، كثير من³ ترتفع طبقاتهم المُستندة إلى ظِلٍّ، أو أصالةً معروفةٍ مُوفِّرة⁴. وحرِيمُهم، حريم جميل، موصوف بالسَّحر⁵، وتَنَعُّم وتَنَعُّم الجُسوم، واسترْسَال الشُّعور، ونَقَاء الثُّغُور، وطِيب النَّشْر⁶، وخَفَّة الحركات، ونبْل الكلام، وحُسْن المحاورَة، إِلَّا أَنَّ الطُّول يَنْدُرُ فِيهِنَّ⁷، وقد بَلَغْنَ مِنَ التَّقْنِ فِي الزَّيْنَةِ لهذا العهد؛ والمظاهرة بين المَصْبَغَات، والتَّنْفِيس⁸ بالذَّهَبِيَّات والذِّيَابَجِيَّات، والتَّمَاجُنُ فِي أَشْكَالِ الحُلِيِّ؛ إلى غَايَةٍ؛ نَسْأَلُ الله أَنْ يُغَضِّ عَنْهِنَّ - فِيهَا - عَيْنَ الدَّهْرِ،

¹ الزبرجد أو الزبرجدج: هو حجر كريم أخضر اللون. قال فيه الشاعر:
دُرّاً مِنَ الْيَاقُوتِ وَالزَّبْرِجَدِ * أَحْصَتْهَا فِي يَافِعٍ مُمَرِّدٍ

² هذه الإضافة وردت في الملكية. اسمه ((الزمرد)) بالذال المعجمة؛ وليس بالذال المهملة، والزُّمُرْدُ صنف من الجواهر؛ جاء اسمه من اللغة اللاتينية Emerald؛ ويشمل مشتقات اللون الأخضر كلها. ويتراوح بين الأخضر الغامق والأخضر الفاتح.

³ في اللوحة: ((فيمن ترفع من طبقاتهم)).

⁴ نفسه: ((أو أعرق أصالة موفورة)).

⁵ في ج، والملكية: ((بالحسن)). أما في اللوحة فوردت العبارة هكذا: ((باعتدال السَّمَنِ)).

⁶ أي الرائحة الطيبة. وقد حُرِفَتْ فِي ج، والملكية؛ فكتبت: ((الشراء))، وفي ك: ((النشراء)). وفي اللوحة: ((الشذا)).

⁷ علق عنان على وصف ابن الخطيب لنساء غرناطة؛ فقال إنهن إلى الآن الآن يتصفن بالأوصاف التي ذكرها ابن الخطيب.

⁸ في اللوحة: ((التنافس في الذهبيات)).

وَيُكَفِّفُ الْخَطْبَ، وَلَا يَجْعَلُهَا مِنْ قَبِيلِ الْإِبْتِلَاءِ وَالْفِتْنَةِ،
وَأَنْ يَعَامَلَ جَمِيعَ مَنْ بِهَا بَسْتَرَهُ، وَلَا يَسْلُبَهُمْ خَفَى لُطْفِهِ،
وَبِعِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ .

فصل فيمن تراول هذه المدينة من لرن أصبحت وار إمارة باختصار واقتصار

قال المؤلف: أول من سكن هذه المدينة¹، سكنى
استبداد، وصيرها دار ملكه، ومقر أمره؛ الحاجب،
المنصور؛ أبو مثنى زاوي بن زيري بن مناد²؛ لما تغلب
جيش البربر - مع أميرهم سليمان بن الحكم³ - على

¹ أي غرناطة.

² حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: (((رمدي))). وزاوي هو: أبو مثنى زاوي
زاوي ابن زيري بن مناد التلكتاتي الصنهاجي. لم تذكر المصادر تاريخ
ولادته ولا تاريخ وفاته؛ وكل ما جاء: أنه ترك الأندلس عائداً إلى إفريقية
سنة 416هـ/1025م في قول؛ و420هـ/1029م في قول آخر؛ وهو في سن
متأخرة. وورد في كتاب الذخيرة في محاسن الجزيرة؛ نقلاً عن ابن حبان
قوله: ((ونعي إلينا عدو نفسه؛ زاوي بن زيري موقد الفتنة بعد الدولة
العامرية؛ ورد النبأ بمهلكه في القيروان وطنه)). ولكن النص يخلو من
التاريخ. وقد خصص له ابن الخطيب ترجمة في الإحاطة.

³ هو أبو أيوب، المستعين بالله، الظافر بحول الله، سليمان بن الحكم بن
عبد الرحمن الناصر الأموي؛ ولد سنة 354هـ/965م وتوفي سنة
407هـ/1016م؛ بويع على ملك بني أمية في قرطبة بعد مقتل هشام المؤيد
ابن سليمان سنة 399هـ/1008م؛ ودخل قرطبة سنة 400هـ/1009م؛ وفي
وقته وقعت الفتنة الكبرى في الأندلس التي أدت إلى انقسامات خديرة؛
انبثقت عنها كيانات عديدة عرفت بدول الطوائف، له ترجمة في الإحاطة.

قُرْبَة، واستولى على كثير من كُور الأندلس؛ عام ثلاثة وأربعمائة¹؛ فما بعدها، وظهر على طوائف الأندلس²، واشتهر أمره، وبعُد صيته. ثم اجتاز البحر إلى بلد قومه بإفريقية؛ بعد أن ملك غرناطة سبع سنين، واستخلف ابن أخيه حُبوس بن ماكسن³؛ وكان حازماً داهية؛ فتوسَّع النظر إلى أن مات؛ سنة تسع وعشرين وأربعمائة⁴. وولي بعده حفيده عبد الله بن بُلْغِين⁵ بن باديس⁶؛

¹ الموافق لـ 1012م. هكذا في اللوحة البدرية، وإعمال الأعلام؛ بينما كتب في ترجمة حبس بن ماكسن بالإحاطة: ((توفي بغرناطة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة)).

² يقصد بطوائف الأندلس؛ زعماء الفرق المختلفة، والثوار الذين توزعوا بلاد الأندلس - بعد سقوط الدولة الأموية - واقتسموها حصصاً ومنايات، بحيث استولى كل واحد منهم على بمدينة أوجهة؛ وأقام بها كياناً؛ سمي أحياناً إمارة، وأحياناً أخرى مملكة؛ بل تناول بعضهم فنسب إلى نفسه مرتبة الخلافة.

³ هو حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد؛ توفي بغرناطة سنة 429هـ/1037م حسب بعض الأقوال؛ خلف عمه زاوي بن زيري في ملك غرناطة، وقد خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة.

⁴ 1037م. ذكر في ترجمة حبوس بن ماكسن بالإحاطة أنه توفي بغرناطة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة). فلزمت المقارنة والتأكد.

⁵ حُرِفَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ فَكُتِبَتْ: ((ملقن)).

⁶ هنا خطأ؛ قد يكون من النسخ؛ لأن ابن الخطيب ذكر خلافة باديس بن حبوس لوالده في القسم الثاني من أعمال الأعمال؛ كما خص باديس أيضاً بترجمة في الإحاطة على أنه تولى ملك غرناطة بعد أبيه. وياديس هو الحاجب، المظفر بالله، الناصر لدين الله، أبو مناد باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري؛ توفي بغرناطة سنة 465هـ/1072م؛ حسب بعض الأقوال. أما عبد الله بن بلكين بن باديس المذكور؛ فهو المظفر بالله، الناصر لدين الله، عبد الله بن بلكين؛ فهو آخر ملوك بني زيري في

إلى أن خلع عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة¹. وتصير أمرها إلى أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك لمتونة²؛ عند تملكه الأندلس، ثم إلى ولده علي بن يوسف³. تنوب إمارتها جملة من أبناء الأمراء اللمتونيين⁴، وقرابتهم: كالأمير أبي الحسن علي بن الحاج⁵، وأخيه موسى⁶،

الأندلس تولى المملكة وهو صغير في الحلم، وسقطت دولته في قبضة يوسف بن تاشفين سنة 483هـ/1090م. له ترجمة في الإحاطة.

¹ الموافق لـ 1090م.

² هو أمير المسلمين أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت ابن وارتقطين بن منصور اللمتوني الصنهاجي؛ سلطان المرابطين. ولد سنة 410هـ/1019م وتوفي بمدينة مراكش سنة 500هـ/1106م. تولى زمام السلطة في دولة المرابطين سنة 465هـ/1072م. خصص له ابن الخطيب ترجمة في الإحاطة.

³ هو أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين؛ ولد بسبتة سنة 477هـ/1084م وتوفي بمراكش سنة 537هـ/1143م. خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

⁴ اللمتونيون؛ هم أعضاء قبيلة لمتونة الصنهاجية؛ أهم فرع في قبائل الملثمين الصحراويين الذين انضموا في حلف سمي بالمرابطين. ومن بين القبائل الصنهاجية الأخرى: مسوفة وجدالة وغيرهما.

⁵ حرفت في ج؛ فكتبت: ((الحجاج)). وهو الأمير علي بن الحاج بن مجوز. لم أتمكن من ترجمة وإفيه له؛ سوى أنه من قادة لمتونة؛ ولاءه يوسف ابن تاشفين على جيشه بالأندلس سنة 487هـ/1094م؛ بدلاً من ابن أخيه الذي أظهر ضعفاً أمام النصارى؛ ثم أصدر أمراً بتولية ابن الحاج على غرناطة؛ وفي 497هـ/1103م توفي علي بن الحاج في معركة دارت بينه وبين النصارى بالقرب من مدينة طليخة، وقد يكون تولى الكتابة في بلاط الدولة أيضاً.

⁶ أبو عبد الله موسى بن الحاج تولى أمر غرناطة بعد استشهاد أخيه سنة 497هـ/1103م؛ ولكنه أعفي عن مهمه سنة 499هـ/1105م.

والأمير أبي زكريا يحيى بن أبي بكر بن إبراهيم¹، والأمير
أبي الطاهر تميم²، والأمير أبي محمد مزدلي³، والأمير
أبي بكر بن أبي محمد⁴؛ وأبي طلحة الزبير بن عمر⁵؛
وعثمان بن بدر اللثموني⁶؛ إلى أن انقرض أمرهم عام
أربعين وخمسمائة⁷. وتَصَيَّر الأمر للمُوحِّدين⁸، وإلى

¹ أبو بكر بن إبراهيم اللثموني؛ ويسميه ابن الخطيب في الترجمة التي خصه بها: أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيى المسوفي الصحراوي، ولي على غرناطة سنة 500هـ/1106م؛ وأعفي من مهمه في السنة نفسها، كان من أجود الناس؛ توفي بسرقسطة سنة 510هـ/1116م.

² هو الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين اللثموني، وله أخوه أمير المسلمين علي بن يوسف على غرناطة سنة 501هـ/1107م.

³ هو مزدلي بن سلنكان بن حمي بن محمد بن ترقوت اللثموني الصنهاجي؛ وهو ابن عم يوسف بن تاشفين؛ تولى الاستيلاء على بلنسية سنة 494هـ/1100م؛ وبعدها استدعي ليتولى ولاية تلمسان سنة 497هـ/1103م، ثم أسندت إليه ولاية قرطبة، وغرناطة، والمرية سنة 505هـ/1111م؛ وتوفي أثناء غزوة له بالقرب من حصن قسطانة؛ وذلك سنة 508هـ/1114م، وقد خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

⁴ هو أبو بكر بن عبد الله؛ وليها في 535هـ/1144م. وفي وقته ظهرت الدعوة الموحدية بالأندلس، والظاهر أن ابن الخطيب لم يذكر ولاية غرناطة بالكامل؛ واكتفى بما ذكره.

⁵ لم تتوفر عنه معلومات أكثر من اسمه؛ الذي جاء هكذا في كتاب مفاخر البربر.

⁶ هو - في الحقيقة - ميمون بن بدر اللثموني؛ وليس عثمان. وتوفي ميمون ابن بدر في قرطبة سنة 543هـ/1148م؛ ودفن بها.

⁷ الموافق لـ 1145م.

⁸ حُرِفَتْ في ج؛ فكتبت: ((الموحد))؛ وفي ك؛ كتبت: ((الموحدون)). وهم الذين لبوا دعوة ابن تومرت، وشيدوا دولتهم بإمرة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي؛ بعد أن أطاحوا بالدولة المرابطية بمراكش سنة 541هـ/1146م.

ملكهم أبي محمد بن عبد المؤمن بن علي¹؛ فتناوبها جُملة من بنيه وقرابته: كالسيد أبي عثمان ابن الخليفة²، والسيد أبي إسحاق ابن الخليفة³، والسيد أبي إبراهيم ابن الخليفة⁴، الخليفة⁴، والسيد أبي محمد ابن الخليفة⁵، والسيد أبي عبد عبد الله⁶؛ إلى أن انقرض منها أمر الموحدين.

¹ هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان الكومي توفي برباط سلا - بينما كان متجهاً إلى الأندلس للجهاد - سنة 558هـ/1162م؛ أما مولده فكان في بلدة قريبة من تلمسان يقال لها تاجرت، ويعتبر عبد المؤمن بن علي هو المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية في بلاد المغرب والأندلس، له ترجمة في الإحاطة.

² نسخ خطأ؛ وهو أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن علي؛ (وليس أبو عثمان كما نسخ)؛ تولى قرطبة ثم غرناطة، في عهد أخيه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن.

³ هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد المؤمن بن علي والي غرناطة من قبل أخيه أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي.

⁴ هو أبو إبراهيم إسماعيل بن عبد المؤمن بن علي؛ ولاء أخوه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي والياً على إشبيلية سنة 561هـ/1165م.

⁵ هو الأمير أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن بن علي، كان في عهد أبيه والياً على بجاية.

⁶ هو أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن بن علي؛ يعرف بالمخلوع؛ لأنه كان ولي عهد أبيه، وخلع. كان في وقت أبيه والياً على قرطبة.

وَتَمَلَّكَهَا الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ؛ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَبُو
عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ يُوسُفُ بْنُ هُوْدٍ¹ فِي عَامِ سِتَّةِ
عَشْرِينَ وَسِتْمِائَةَ².

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ³ أَنْ تَمَلَّكَهَا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ؛ الْغَالِبُ
بِاللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ نَصْرِ الْخَزْرَجِيِّ⁴؛ جَدُّ هَؤُلَاءِ
الْأَمْراءِ الْكِرَامِ مَوَالِينَا؛ رَحِمَ اللَّهُ مَنْ دَرَجَ مِنْهُمْ، وَأَعَانَ
مَنْ خَلَفَهُ، إِلَى أَنْ تُوْفِيَ عَامَ أَحَدٍ وَسَبْعِينَ وَسِتْمِائَةَ⁵.

¹ هو المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي (ت: سنة 634هـ/1237م). كان في سرقسطة، ثم ثار على الموحدين سنة 625هـ/1227م؛ حين شاخت دولتهم، واستولى على مرسية وأعلن الدعوة إلى الخلافة العباسية ببغداد، وبعد فترة تمكن من توسيع إمارته؛ حتى شملت إشبيلية وقرطبة والجزيرة الخضراء؛ ولكن ابن الأحمر ثار عليه في قرطبة؛ داعياً لبني أبي حفص بإفريقية؛ فالتحقت به قرطبة سنة 629هـ/1231م، له ترجمة في الإحاطة.

² الموافق لـ 1228م.

³ أي لم يلبث.

⁴ هو الغالب بالله أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري المعروف بمحمد الشيخ ولد بحصن من حصون قرطبة يسمى أرجونة سنة 595هـ/1199م وتوفي بقرطبة سنة 671هـ/1273م؛ هو مؤسس دولة بني الأحمر في الأندلس المعروفة بالدولة النصرية؛ بعد أن ثار على ابن هود

⁵ الموافق لـ 1273م.

ثم ولى الأمر بعده ولده وسَمِيَّه محمد بن محمد¹؛
فقام بها أَحْمَدَ قِيَام، وتوفي عام إحدى وسبعمئة²، ثم
ولى بعده سَمِيَّه محمد³؛ إلى أن خلع يوم عيد الفطر؛
من عام ثمانية سبعمئة⁴، وتوفي عام أحد عشر وسبعمئة⁵؛
وسبعمئة⁵؛ في ثالث من شَوَّال منه، ثم ولى بعده أخوه
نَصْر ابن مولانا أمير المسلمين أبي عبد الله⁶؛ فأرْتَبَ أمره،
أمره، وطلب الملك اللّاحقُ به⁷، مولانا أمير المسلمين أبو
الوليد إسماعيل بن فرج⁸؛ فغَلَبَ على الإمارة، ثاني

¹ ثاني ملوك بني الأحمر؛ وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف ابن نصر؛ ولد بغرناطة سنة 633هـ/1235م، وتوفي بها سنة 7001هـ/1301م، ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة.

² الموافق لـ 1301م.

³ ثالث ملوك بني الأحمر؛ وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ خلع عن الملك؛ وتوفي بغرناطة سنة 711هـ/1311م، خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

⁴ الموافق لـ 1308م.

⁵ الموافق لـ 711هـ/1311م.

⁶ رابع ملوك بني الأحمر؛ وهو أبو الجيوش نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي الأنصاري؛ ولد سنة 686هـ/1287م وتوفي بوادي آش سنة 722هـ/1322م؛ خلع أيضاً عن الملك، خصه ابن الخطيب بترجمة.

⁷ في ج، والملكية: ((إلى أن لحق به)).

⁸ خامس ملوك بني الأحمر؛ وهو أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الخزرجي الأنصاري؛ ولد سنة 677هـ/1279م وتوفي سنة 725هـ/1325م، خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

عشر ذي القعدة؛ من عام ثلاثة عشرة وسبعمائة¹؛ وانتقل
 نصر إلى وادي آش مخلوعاً، مُوَادِعاً فيها إلى أن مات عام
 [اثنين وعشرين]² وسبعمائة³. وتمادى مُلْك السلطان أمير
 المسلمين أبي الوليد إلى السادس والعشرين من رجب؛
 عام خمسة وعشرين وسبعمائة⁴، ووثب عليه بعض قرابته
 قرابته فقتله، وعُوْجِل بالقتل مع مَنْ حضر منهم. وتولَّى
 المُلْك - بعده - ولده محمد⁵؛ واستمر سلطانه إلى ذي الحجة
 من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة⁶، وقتل بظاهر جبل
 الفتح⁷، وولى بعده أخوه مولانا السلطان أبو الحجاج⁸
 لُبَاب هذا البيت، وواسطة هذا العقد، وطرار هذه

¹ الموافق لـ 1313م.

² في ك: ((عام... وسبعمائة))؛ حيث وجد بياض في موضع التاريخ. أما في
 في ج؛ فكتب: ((عام اثنين وسبعمائة)). لذا فقد صحح عنان الخطأ.

³ الموافق لـ 1322م.

⁴ الموافق لـ 1325م.

⁵ سادس ملوك بن الأحمر؛ وهو محمد بن فرج بن إسماعيل بن يوسف
 ابن نصر الخزرجي الأنصاري؛ ولد سنة 715هـ/1314م وتوفي مقتولاً
 سنة 734هـ/1333م. تولى الحكم بعد اغتيال والده سنة 725هـ/1325م.
 خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

⁶ الموافق لـ 1333م.

⁷ هو جبل طارق؛ ويقال أن الذي سماه بجبل الفتح هو عبد المؤمن بن علي.
⁸ سابع ملوك بن الأحمر؛ وهو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج
 ابن إسماعيل بن يوسف بن نصر الخزرجي الأنصاري؛ ولد سنة
 718هـ/1318م وتوفي سنة 755هـ/1354م. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة.

الحلية، ثم اغتاله مَمْرور¹؛ من أخايث السُّوقَة؛ قَيَّضَه الله إلى شهادته؛ ومن جعله سبباً لسعادته؛ فأكَبَّ عليه في الرُّكْعَة الآخرة من ركعتي عيد الفطر؛ بين يدي المحراب؛ خاشعاً، ضارعاً؛ في الحال الذي أقرب ما يكون العبد من ربِّه، وهو ساجدٌ؛ وضربه بخنجر مهيب² للفتك به؛ في مثل ذلك الوقت. كان - زعموا - يحاول شُخْذه³ منذ زمان. ضَرْبَةً واحدةً؛ على الجانب الأيسر من ظهره، في ناحية قلبه، فقضى عليه. وبُودر به فقتل. وولى الأمر بعده محمد⁴؛ ولده أكبر بنيّه، وأفضل ذويه، خَلَقاً، وخُلُقاً، وحياءً، وجوداً، ووقاراً، وسلامةً وخَيْرِيَّةً؛ ودافع دولته

¹ يقصد: حاقد عليه.

² حرقت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((مهيئاً))؛ بالنصب.

³ هكذا؛ ولعله خطأ من الناسخ؛ والصحيح ((شخذه))؛ بالحاء المهملة؛ والمقصود الخنجر؛ فيقال: شخذه: أي أحده.

⁴ ثامن ملوك بني الأحمر؛ وهو الغني بالله محمد أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الخزرجي الأنصاري؛ ولد سنة 739هـ/1339م وتوفي سنة 793هـ/1391م. تولى الحكم بعد وفاة والده سنة 755هـ/1354م؛ فأبقى وزير أبيه ابن الخطيب في منصبه. وبعد فترة انقلب عليه أخوه إسماعيل؛ فهرب إلى وادي آش، ثم إلى إفريقية؛ بينما زج بوزيره ابن الخطيب في السجن؛ إلى أن شفع فيه ملك المغرب أبو سالم المريني؛ فأطلق سراحه. وتمكن الغني بالله من استعادة ملكه سنة 763هـ/1361م؛ فأعاد ابن الخطيب إلى منصبه؛ ولكنه ما فتئ أن سخطه ونكبه، خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

من لا يعبأ الله به ¹؛ ثم تدارك الأمر سبحانه؛ وقد
أشْفَى، ودافع وكفى؛ بما يأتي في محله إن شاء الله. وهو
أمير المسلمين لهذا العهد؛ مَتَّعَ الله به، وأدام مدته، وكتب
سعادته، وأطلق بالخير يده، وجعله بمراسيم الشريعة من
العاملين، ولسلطان يوم الدين من الخائفين، المراقبين،
بفضله. وقد أتينا بما أمكن من التعريف بأحوال هذه
الحَضْرَةِ على اختصار. ويأتي في أثناء التَّعْرِيفِ برجالها كثيرٌ
من تفصيل ما أُجْمِلَ، وتتميم ما بدأ، وإيضاح ما خَفِيَ؛
بحول الله تعالى.

¹ يقصد أخوه إسماعيل الناصر عليه، ومغتصب العرش.

القسم الثاني
في حُلِّي الزَّائِرِ وَالْقَاطِنِ
وَالْمُتَخَرِّكِ وَالسَّائِكِ

أحمد بن خلف

ابن عبد الملك الغساني القليعي¹؛ من أهل غرناطة، يُكنى أبا جعفر؛ من جلة أعيانها؛ تُنسب إليه الساقية الكبرى الجاررة لطوق² الحضرة إلى البيرة، وما والاها.

حاله

قال ابن الصيرفي: كان الفقيه أبو جعفر القليعي - من أهل غرناطة - فريد عصره، وقريع³ دهره؛ في: الخير، والعلم، والتلاوة، وله حزب من الليل، وكان سريع الدّعة⁴، كثير الرواية⁵؛ وهو المشار إليه في كل نازلة، وله: العقد، والحل، والتقدم، والسابقة؛ مع منة في جلائل الأمور، والنهضة بالأعباء، وسُمُو الهمة.

¹ ذكر في الصلة: أنه ((أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني)).

² في ج: ((بطوق))؛ فصوبت من الملكية.

³ في ج: ((مريع))؛ أي وافر المرعى الخصب. أما في (ر، م)؛ فكتبت: ((قريع)).

⁴ في ك، والملكية: ((الذمة)).

⁵ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الراية)).

غريبةٌ في شأنه

قال : كان باديس بن حبّوس - [أمير بلده]¹ - يتفرّس فيه أنّ مُلك دولته ، ينقرض على يديه . فكان ينصب² لشأنه أكُلباً³ ، ويتملّط بسيفه⁴ إلى قتله ؛ فحمّاه الله منه بالعلم ، غلّ يده ، وأغمد سيفه ، ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً .

¹ هذه الإضافة من (ر . م) .

² في المخطوطين : ((نصب)) .

³ يقصد : حبك له ما يضايقه ونصب له بغضاً ، ومعاداة ؛ كقبض الكلاب لبعضها بعضاً .

⁴ أي اختلس سيفه .

مُشِيخَتُهُ

وروى عن: أبي عمر¹ بن القطان، وأبي عبد الله ابن عتاب²، وأبي زكريا القُلَيْعِي³، وأبي مروان بن سراج⁴؛ وكان ثقة صدوقاً؛ أخذ عنه الناس.

مُحَنَّتُهُ

ولما أجاز أمير لَمْتُونَةَ يوسف بن تاشفين البحر [مُسْتَدْعَى إِلَى نَصْرِ الْمُسْلِمِينَ]⁵؛ ثاني حركاته إلى الأندلس، ونازل حصن أليط⁶، وسارع ملوك

¹ في المخطوطين: ((على)). هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال القرطبي شيخ المالكية في قرطبة؛ يعرف بابن القطان؛ ولد سنة 390هـ/999م وتوفي ببلدة باغة أثناء ذهابه من قرطبة إلى المريّة؛ للعلاج من الفالج بالاستحمام في حامتها؛ وذلك سنة 460هـ/1067م.

² هو أبو عبد الله محمد بن أبي عتاب المالكي الأندلسي؛ توفي سنة 462هـ/1069م، وشيعه المعتمد بن عباد كان من أئمة المالكية بديار الأندلس.

³ يبدو أنه يكنى بأبي بكر؛ وهو يحيى بن محمد بن حسين الغساني القليعي الغرناطي؛ فقيه ومحدث؛ توفي سنة 442هـ/1050م.

⁴ هو الحافظ أبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله؛ أمام الأندلس في وقته في علم اللغة العربية؛ توفي سنة 489هـ/1095م.

⁵ هذه الإضافة من (ر. م.).

⁶ يعرف الآن Aledo؛ وهو حصن حصين اتخذته النصارى للمناعة؛ ويقع بين مدينتي: مرسية، ولورقة. أما حصار المرابطين له فكان في سنة 483هـ/1090م. غير أن ملك قشتالة ألفونسو السادس تمكن من إفشال الحصار. وقد أورد د. طویل بعض الأسماء التي نسبت إلى هذا الحصن؛ كما ذكر مدى اختلاف الناس عليها؛ وقد نقل ذلك عن ((كتاب مملكة

الطوائف¹ إلى المسير في جُمْلته ؛ كان ممن وصل إليه
الأمير عبد الله بن بُلُكَيْن² بن باديس ؛ صاحب غرناطة ؛
ووصل صحبته الوزير أبو جعفر بن القُليعي ؛ لرغبته في
الأجر ؛ مع شهرة مكانه ، وعلو منصبه ، ولنهبوض
نظرائه³ ؛ من زعماء الأقطار ؛ إلى هذا الغرض . وكان
مضربُ خيام القُليعي ؛ [قريباً من مضرب] حفيد باديس⁴ .
ولمنزلته عند يوسف بن تاشفين ؛ وله عليها الحفوف⁵ ، وله
به استبدادٌ ، وانفرادٌ كثير ، وتردُّدٌ كثير⁶ ؛ حتى نفى⁷ بذلك

غرناطة في عهد بني زيري البربر))؛ للدكتورة مريم قاسم. ومن تلك
الأسماء: (البيط، وأليط، وليط، والليط، ولييط، ويلبط، ولبيط، ولبيط،
¹ ملوك الطوائف: اسم يطلق - في الأندلس - على مجموعة من زعماء
العشائر والطوائف؛ المختلفة الأصول والأعراق والأنساب؛ انتهزت تلك
الفئات الوضع المتردي الذي سقطت فيه الدولة الأموية بالأندلس؛ حين
ظهرت بوادر الانقسام في وسط العائلة المالكة؛ فانتزى كل زعيم وتأثر
بمقاطعة أو مدينة؛ ثم أعلنوا أنفسهم ملوكاً وأمراء في شتى البقاع
بالأندلس. فعرفوا منذئذ بملوك الطوائف.

² في المخطوطين: ((بلقين)). وبالكاف أكثر استعمالاً.

³ في الملكية: ((قرايته)).، وصوبت من (ر.م).

⁴ أي سلطان غرناطة عبد الله، ما بين الحاصرتين وردت في (ر.م) عوضاً
عنها: ((في محلة)).

⁵ الحفوف - هنا - الاحتيج.

⁶ سقطت في ت.

⁷ أي أنكر وتبرم.

حفيد باديس، وأنهم عني¹. قال المؤرخ: وكيفما دارت الحال؛ فلم يخل من نصح الله، ولأمير المسلمين.

قلت: حفيد باديس كان أذرى بدائه، قصر الله خطانا من مدارك الشرور. فلما صدر² حفيد باديس إلى غرناطة؛ استحضره، ونجّه³؛ وقام من مجلسه مغضباً؛ وتعلقت به الخدمة، وحفت به الوزعة⁴ والحاشية⁵، وهموا وهموا بضربه؛ إلا أن أم عبد الله تطارحت على ابنها في استحيائه؛ فأمره بتخليصه، وسجنه في بعض بيوت القصر؛ فأقبل فيه على العبادة، والدعاء، والتلاوة؛ وكان جهير الصوت، حسن التلاوة، فارتج القصر، وسكنت - لاستماعه - الأصوات، وهدأت له الحركات، واقشعرت الجلود، وخافت أم عبد الله على ولدها؛ عقاباً من الله بسببه؛ فلاطفته حتى حلّ عقاله، وأطلقه من سجنه. ولما تخلص؛ أعدّها⁶ غنيمته. وكان اجزلاً، قوي

¹ أنهم: زجر ولجم، عني: أي لجامه. وفي المخطوطين: ((غيبه))؛ وصوت من ت.

² في (ر. م) والملكية: ((صار)).

³ نجه: نجه الرجل: رده أقبح الرد.

⁴ الوزعة: من يزع، ويدفع المكاره ويصد الشر.

⁵ في ك: ((الحارسية))، وفي ت: ((الجلسة))؛ وقد صوت من (ر. م).

⁶ في: (ر. م): ((اعتدها)).

القلب¹، شديد الحزم². فقال: الصَّيِّدُ يُغْرَابُ أَكَيْس³؛ فاتخذ الليل جملاً⁴؛ فطلع له الصباح بقلعة يَصْحُبُ؛ وهي لنظر ابن عبَّاد⁵؛ وحث - منها - السير إلى قرطبة؛ فخاطب - منها - يوسف بن تاشفين بملئ فيه؛ بما حرَّكه، وأطعمه؛ فكان من حركته إلى الأندلس، وخلع عبد الله ابن بُلْكَين من غرناطة، واستيلائه عليها، ما يرد في اسم يوسف بن تاشفين إن شاء الله. وبدا لحفيد باديس في أمر أبي جعفر القُلَيْعي، ورأى أنه أضاع الحزم في إطلاقه؛ فبحث⁶ عنه من الغد⁷، وتقصت⁸ عنه البلدة؛ فلم يقع

¹ حرفت في (رم) فكتبت: ((جولا قلباً)).

² في ت: ((الحزم)).

³ يقصد أنه قال لنفسه: عاش من عرف قدره؛ واتبع سبيل الغراب الكيس. إذ اشتهر عن الغراب أنه لا يجيد الصيد؛ وعليه فهو كيس في تحقيق غرضه من الطعام.

⁴ فاتخذ الليل جملاً: مثل يضرب للذي يتخذ الليل وقتاً للقراءة أو الصلاة أو غيرهما؛ الأمر الذي يسدعي ركوب الليل. ولكنه هنا يقصد أنه ركب الليل مثل ركوبه للجمل في خروجه من غرناطة؛ فراراً.

⁵ هو أبو القاسم المعتمد على الله محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي؛ ولد في باجة (توقع حالياً في البرتغال) سنة 431هـ/1040م، وتوفي في أغمات بالمغرب الأقصى سنة 488هـ/1095م. وابن عباد هذا ملك إشبيلية وأحد الشعراء الفحول بالأندلس.

⁶ ما بن الحاصرتين ورد في (رم)؛ بينما وجد في موضعه بياض في ك. أما أما في ج؛ فكتبت: ((في البحث)).

⁷ في المخطوطين: ((العدو)).

⁸ حرفت في المخطوطين فكتبت: ((نقصت)).

يقع له خَبَر؛ إلى أن اتَّصل به خبر نجاته، ولحاقه بمأمنه؛
فرجع باللائمة على أمّه، ولات حين منّدم¹. ولم يزل أبو
جعفر مدّته في دول الملوك - من مُتونة - معروف الحقّ، بعيد
الصّيت والذكر، صَدَرَ الحضرة، والمُخصوص يُعلوُّ المرتبة
إلى حين وفاته².

¹ أي لا يفيد النعم.

² نقل د. طویل عن کتاب الصلة تاریخ وفاته؛ وهو: في شهر ربيع الآخر
سنة ثمان وتسعين وأربعمائة. [الموافق لسنة 1104م].

أحمد بن محمد

(ابن وزير الهمراني اللخمي
من أهل غرناطة).

حاله

كان فقيهاً وزيراً وجليلاً حسيباً حافلاً.

وفاته

توفي بالبيرة قبل الثلاثين وأربعمائة¹. ذكره أبو قاسم
الغافقي² في تاريخه، وابن اليسر³ في مختصره، وأثنى
عليه⁴.

¹ الموافق لـ 1038م.

² هو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقي الملاحى؛ نسبة إلى قرية في مقاطعة غرناطة؛ ولد سنة 549هـ/1154م وتوفي في سنة 619هـ/1222م. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة. وكتابه في التاريخ عنوانه: تاريخ علماء البيرة؛ سقت الإشارة إليه.

³ هو أبو سهل اليسر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن مروان بن اليسر القشيري؛ من علماء النصف الأول من القرن السابع الهجري الموافق للنصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي. وهو أحد علماء الحديث بالأندلس.

⁴ وردت هذه الترجمة في (ر. م) قبل ترجمة ابن أضحى؛ بينما لم ترد في باقي المخطوطات. وعليه رأى عنان أن يثبتها في موضعها؛ حيث وجدت.

أحمد بن محمد

(ابن أضحى¹ بن عبر اللطيف بن غريب بن يزير

(ابن الشمر بن عبر شمس بن غريب

(الهمداني اللبيري).

من نزلاء قرية همدان²؛ ذكره ابن حيّان، والغافقي³،
وابن مسعدة⁴، وغيرهم. وقال جميعهم: كان من أهل
البلاغة، والبيان، والأدب، والشعر البارع.

¹ توجد ترجمة أحمد بن محمد بن أضحى أيضاً في الذيل والتكملة، والحلة السيرة؛ حيث كتب ((خالد)) بدل ((غريب))؛ وقد شرح ذلك ابن الأبار حين قال: ((وخالد يقال له: الغريب)).

² تعرف الآن بـ **Alhendin**. وقد عرفت في السابق.
³ ابن حيّان: صاحب المقتبس، والغافقي: صاحب تاريخ علماء البيرة؛ سبق الحديث عنهما.

⁴ هو أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مسعدة الغرناطي؛ توفي بمالقة سنة 699هـ/1299م. له كتاب سماه ابن الخطيب: تاريخ قومه وقرابته. وستأتي - في الصفحات الآتية من الإحاطة - ترجمة له.

مناقبه

قدم على الخليفة أبي مطرف عبد الرحمان¹؛
فقام خطيباً بين يديه، فقال²: الحمد لله المحتجب بنور
عظمته، عن أبصار برّيته، والدالّ بحدوث خلقه على
أوليّته، والمنفرد بما أثقن من عجائب دهره ومن³
صمديّته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له
إقراراً بوحْدانيّته⁴، وخضوعاً لعِزّه⁵ وعظمته؛ وأشهد أن
محمداً عبده ورسوله⁶؛ انتخبه من أطيب⁷ البيوتات،
واصطفاه من أطيب البيوتات⁸؛ حتى قبضه الله إليه،
واختار له ما لديه؛ وقد قبل سعيه، وأدّى أمانته، فصلى
الله عليه وسلم تسليماً. ثم إن الله لما أن بعثه⁹ من أكرم

¹ يقصد بأبي المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك
ابن مروان الأموي؛ المعروف بعبد الرحمن الداخل، وبصقر قريش؛ ولد
في دمشق سنة 113هـ/731م وتوفي بقرطبة سنة 172هـ/788م. وهو الذي
أسس دولة الأمويين بالأندلس؛ بعد دخوله قرطبة سنة 138هـ/755م.

² توجد هذه الخطبة أيضاً في الذيل والتكملة.

³ في الذيل والتكملة: ((وسنن)).

⁴ في ك، وفي الذيل والتكملة: ((بربوبيته)).

⁵ في الذيل والتكملة: ((لعزته)).

⁶ نفسه: ((عبده الأمي، ورسوله المكي)).

⁷ نفسه: ((من أكرم الأرومات)).

⁸ هكذا كتبت في ج، والملكية؛ بينما وجد في موضعها بياض في: ك.

⁹ في ج، والملكية: ((ابتعثه)).

خلقه، وأكرمه¹ برسالته، وأنزل عليه مُحْكَمَ تَنْزِيلِهِ، واختار له من أصحابه وأشياعه مَخْلَفاً²؛ جعل منهم أئمة يَهْدُونَ بِالْحَقِّ³، وبه يَعْدِلُونَ؛ فجعل الله الأمير - أعزه الله - وارث ما خَلَّفَوه من معاليهم⁴، وبانى ما أسَّسَوه من مشاهدهم؛ حتى أَمَّنَ المسالك⁵، وسكَّن الخائف؛ رحمة من الله؛ أَلْبَسَهُ، وطوقه فضيلتها⁶.

¹ في ج: ((وكرمه)).

² أي من يخلفه. وفي الذيل والتكملة: ((وأشياعه فمن بعدهم خلفاء)).

³ إحالة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾. سورة الأنبياء؛ الآية: 73. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾. سورة السجدة؛ الآية: 24.

⁴ في الذيل والتكملة: ((معالمهم)).

⁵ في ك: ((المناسك)).

⁶ في الذيل: ((مجد فضيلتها)).

(وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ) ¹، (وَالْفَضْلُ الْعَظِيمُ) ²

الله ³ أعطاك التي لا فوقها

وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها

إليك حتى قلدوك طوقها

ثم أردف قوله بهذه الأبيات ⁴:

أيا ملكاً ترمى به قُضِبُ الهند ⁵

إذا لمعت بين المغافر والصرد ⁶

¹ الآية كاملة هكذا: ﴿قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. سورة البقرة؛ الآية: 247. وفي النسخة التي ضبطها وشرحها يوسف طويل؛ أورد آية أخرى غير هذه؛ وهي الآية: 105 من سورة البقرة؛ وهي التي يقول فيها سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. ولا ندري من أين أتى الدكتور طويل بهذه الآية؛ مع أن أصل النص أورد الآية السابقة.

² وردت في غير هذه الآية؛ في سور عديدة، ومنها التي ذكرها الدكتور يوسف أنفأً.

³ هذان البيتان من بحر الرجز. وفي الذيل كتبت: ((قاله)).

⁴ هذه القصيدة من البحر الطويل.

⁵ في الذيل كتبت ((تزهى)) بدلاً من ترمى. وورد هذا الشطر في المخطوطين هكذا:

((أيا ملكاً تزهى به قلوب الهند)). أما في الملكية فكتب:

((أيا ملكاً تزهى قلوب الهدى به)). والتصويب من الحلة السراء؛ لأبن الأبار.

⁶ في الذيل: ((الررد)).

وَمَنْ بِأُسْهُ فِي مَنْهْلِ الْمَوْتِ وَارِدٌ
 إِذَا أَنْفُسُ الْأَبْطَالِ¹ كَلَّتْ عَنِ الْوَرْدِ
 وَمَنْ أَلْبَسَ اللَّهَ الْخِلَافَةَ نِعْمَةً
 بِهِ فَاقَتْ النِّعْمَا وَجَلَّتْ عَنِ الْحَدِّ²
 فَلَوْ نَظِمْتَ مَرْوَانَ فِي سِلْكِ فَخْرِهَا
 لِأَصْبَحَ مِنْ مَرْوَانَ وَاسِطَةِ الْعَقْدِ
 تَجَلَّى عَلَى³ الدُّنْيَا فَأَجَلَّى⁴ ظَلَامَهَا
 كَمَا انْجَلَتْ الظُّلُمَاءُ عَنْ قَمَرِ السَّعْدِ
 إِمَامٌ هَدَى أَضْحَتْ بِهِ الْعُرْبُ غَضَّةً⁵
 مُلَبَّسَةً نُورًا كَوَاشِيَةً الْبُرْدِ⁶

¹ هكذا في ج، والحلة السبراء؛ أما الملكية فكتب: ((الأعداء)). أما ((كلت)) التي بعدها فكتبت في الذيل: ((كَلَّتْ)).
² في الذيل والحلة: ((تت. النعمى فجَلَّتْ عَنِ الْعَدِّ)).
³ في الملكية، والذيل: ((عن)).
⁴ في الذيل، والحلة: ((فَجَلَّى)).
⁵ في الحلة السبراء والذيل: ((إمام هدى زيدت به الأرض بهجة)).
⁶ في الذيل والحلة: ((كموشية البرد)).

كَفَانِي لَدَيْهِ¹ أَنْ جَعَلْتُ وَسَائِلِي²
 ذِمَاماً شَامِي³ الْهُوَى مَخْلَصَ الْوَدِّ
 يُوَكِّدُ مَا يَدْلِي بِهِ مِنْ مَثَابَةِ⁴
 خُلُوصِ⁵ أَبِيهِ عَبْدِ الْفَارِسِ الْجَنْدِ⁶
 تَأْمَلْ رُؤَاهُ⁷ وَالرَّمَّاحَ شَوَاجِرُ
 وَخَيْلٌ إِلَى خَيْلٍ بِأَبْطَالِهَا تُرْدِي
 رَأَى أَسْداً وَرِداً يَخْفُ⁸ إِلَى الْوَعَى
 وَرَأَيْتُهُ⁹ أَرْبَى عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ
 فَأَنْعِمَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ¹⁰ يَا خَيْرَ مُنْعِمٍ
 بِإِظْهَارِ تَشْرِيفِ¹¹ وَعَقْدِ يَدٍ عِنْدِي

¹ ((لديه)) سقطت في المخطوطتين وثبتت في الحلة السيرة.
² في الحلة السيرة والذيل: ((وسيلتي)).
³ ((شامي)) سقطت في المخطوطتين والملكية؛ ووردت في الحلة السيرة. بينما ورد هذا الشطر في الذيل والتكملة هكذا: ((ذمام هشامي الهوى خالص الود)).
⁴ في الذيل والتكملة: ((متانة)).
⁵ نفسه: ((لباس)).
⁶ نفسه: ((الجد)).
⁷ نفسه: ((فتى من رآه)).
⁸ في الذيل: ((يخب)).
⁹ نفسه: ((وربتما)).
¹⁰ في الذيل: ((في)).
¹¹ نفسه: تشريفي.

وَلَا تُشْمِتِ الْأَعْدَاءَ أَنْ جِئْتُ قَاصِداً
إِلَى مَلِكِ الدُّنْيَا فَأُحْرِمَ مِنْ¹ قَصْدِي
فَعِنْدَ الْإِمَامِ الْمُرْتَضَى كُلُّ نِعْمَةٍ
وَشُكْرًا لِمَا يُلْحِيهِ² مِنْ نِعْمَةٍ عِنْدِي
فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا سَعِيداً مُظْفَراً
وَبُؤَى فِي دَارِ الْعُلَى جَنَّةُ الْخُلْدِ

¹ في الذيل: ((في)).

² في ل: ((يليه)). وفي الذيل: ((يوليه)).

وكان من بيت سماحة¹، وفصاحة، وخطابة؛ فعلا²
شرفه بهذه الخصال؛ فسُجِّل له على أرحية³؛ وحِصْنِ
نبيلِ بني هود⁴، وغير ذلك؛ فانقلب مَرْعِيَّ الوسائل،
ومَقْضِيَّ الرِّسائل⁵.

قال المؤلف أرى ابن فركون قبل الست عشرة
والثلاثمائة⁶.

¹ في الذيل: ((بسالة وحماسة)).

² حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فإلى)). وفي الذيل كتب: ((فإلى شرفه بهذه الخصال أشار)).

³ الأرحية: الخصلة التي تجعل الإنسان في غاية الرضى حين يقوم بأفعال حميدة.
⁴ بنو هود: قبيلة قحطانية؛ من بطن جُذَام؛ ظهرت لهم قوة وشأن في عصر الطوائف؛ حين أقاموا إمارة لهم بسرقسطة الأندلسية.

⁵ كتب في الذيل والتكملة: ((مقضي المسائل)). وتلت هذا - مباشرة - عبارة في غير موضعها، ولا معنى لها؛ فارتأيت وضعها في الهامش؛ منعاً لكل التباس. وهذه العبارة هي: ((قال المؤلف: أرى ابن فركون قبل الست عشرة والثلاثمائة)).

⁶ علق عنان بقوله بما معناه: العبارات المذكورة ما بين الحاصرتين؛ وردت في المخطوطات الأربعة؛ بعد هذه الترجمة. غير أن إثبات هذه العبارات هنا لا تعني شيئاً؛ ومبهمة؛ إذ لا علاقة لها بما تقدم أو تأخر بعده من ترجمة ابن فركون التالية؛ ومع هذا لا نرى أي مانع من إبقائها كما هي.

أُحْمَرِ بْنِ مَحْمَر

ابن أُحْمَرِ بْنِ هِشَامِ الْقُرَشِيِّ مِنْ أَهْلِ غَرْناطَة. يُكْنَى أَبَا جَعْفَرٍ،
وَيُعْرَفُ بِابْنِ قَرْوُون¹.

أُولَيْتُهُ

وَكَفَى بِالنَّسَبِ الْقُرَشِيِّ² أَوْلِيَّةً.

حَالُهُ

من (عائد الصلة)³: كَانَ مِنْ صُدُورِ الْقَضَاةِ⁴ بِهَذَا
الصُّقْعِ⁵ الْأَنْدَلُسِيِّ؛ اضْطِلَاعاً⁶ بِالْمَسَائِلِ، وَمَعْرِفَةً بِالْأَحْكَامِ
بِالْأَحْكَامِ مِنْ مِثْلِهَا⁷؛ كَثِيرَ الْمِطَالَعَةِ وَالِدُّرُوبِ، وَحِي⁸
الْإِجْهَازِ فِي فَصْلِ الْقَضَايَا، نَافِذَ الْمَقْطَعِ، كَثِيرَ الْإِجْتِهَادِ

¹ توجد ترجمة أحمد بن محمد بن فركون أيضاً في الكتيبة الكامنة،
واللمحة البدرية، وتاريخ قضاة الأندلس، ونيل الابتهاج.

² قريش أشهر من علم؛ فهي قبيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وموطنهم مكة.

³ عنوان كتاب لابن الخطيب؛ سبقت الإشارة إليه.

⁴ في تاريخ قضاة الأندلس: ((صدور الفقهاء بهذا القطر الأندلسي)).

⁵ في ك: ((السقع)).

⁶ في تاريخ قضاة الأندلس: ((طلاعا)).

⁷ حرفت في المخطوطات الأربعة؛ فكتبت: ((مضانها)).

⁸ ((الوحي)) معناها العَجَل المُسْرِع. وحرفت في ت؛ فكتبت: ((وحي)).

والنظر، مشاركاً في فنون؛ من: عربية، وفقه، وفرائض؛ طيب النعمة بالقرآن، حسن التلاوة، عظيم الوقار - بين طبع ومكسوب - فائق الأبهة، مُزرياً بمن دونه من الفقهاء، وعاقدي الشروط، مُسقطاً للكُنَى والتَّجَلَّات، يعامل الكهول معاملة الأحداث، ويتهاون بتعاملات¹ ذلك؛ فيجعلها دُبر أذنيه²، وَيَسْتَرْسِلُ في إطلاق عنان النَّادِرَةِ الحارة؛ في مجالس حُكمه؛ فضلاً عن غيرها؛ وجدَّ ذلك مَنْ يحمل عليها سبباً³ للغرض منه.

نباهته

ترشَّح بذاته، وباهر أدواته، إلى قضاء المدن النبيهة، والأقطار الشهيرة: كَرْنَدَة، ومالقة⁴، وغيرها. ثم وُلِّي قضاء الجماعة⁵، في ظلّ جاهٍ، وضمن حُرْمَة.

¹ حُرِفَتْ في ج، والملكية؛ فكتبت: ((بتعامات)).

² في ك: ((أذنه)).

³ في الملكية: ((سبباً)).

⁴ سبق الحديث عن مالقة؛ أما رندة فهي مدينة تقع في مقاطعة مالقة. كانت في السابق حاضرة لإقليم بالأندلس؛ ينتسب إلى رندة الشاعر الأندلسي أبو البقاء الرندي صاحب المراثية التي يقول فيها:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغرن بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدها دول من سرّه زمن ساءته أزمان

⁵ أي قاضي القضاة وكبيرهم.

غريبة في أمره

حدث أنه كان يقرأ - في شبّيته - على الأستاذ الصالح
أبي عبد الله بن مسّثور¹؛ بكرم له² خارج الحضرة، على
أميال منها؛ في فصل العصور. قال: وجّهني يوماً بغلّة من
الرّب³؛ لأبيعه بالبلد؛ فأصابني مطرٌ شديد، وعدت إليه
بحال سيّئة؛ بعدما قضيت له وطره؛ وكان له أخ أسنُّ
منه؛ فعاتبه في شأنه؛ وقال له: تأخذُ صبيّاً ضعيفاً؛
تأتيك لفائدة يستفيدها، وتُعرّضه لمثل هذه المشقّة؛ في حقّ
مصلحتك؛ ليسَ هذا من شيم العلماء، ولا من شيم
الصّالحين؛ فقال له: دعه؛ لا بُدَّ أن يكون قاضي الجماعة
بغرناطة؛ فكان كذلك، وصدقت فراستُه؛ رحمه الله
تعالى.

¹ هو المقرئ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطائفي المعروف بمسّثور،
حرف الاسم في المخطوطين، وفي الملكية؛ فكتب: ((مسغور))؛ وبمراجعة
كتاب قضاة الأندلس؛ يتضح أن اسم ((مسّثور)) أصح.

² أي بمزرعة كرم (عنب) له.

³ ثمار تطبخ، ثم تعصر؛ وهي خالية من الكحول.

مشيخته

قرأ - بالقرية - على الأستاذ أبي القاسم بن الأصفر،
وبغرناطة على العالم القاضي أبي الحسن محمد بن يحيى
ابن ربيع الأشعري¹، وعلى الشيخ المفتي أبي بكر محمد
ابن² أبي إبراهيم بن مفرج الأوسي بن الدبّاغ الإشبيلي³،
وعلى الخطيب الزاهد أبي الحسن العدّال⁴، وعلى الأستاذ
النّحوي أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن
الصّايغ⁵ - بالصاد المهملة، والغين المعجمة - وعلى الأستاذ
أبي الحسن الأُبدي⁶، وأبى عبد الله محمد بن إبراهيم
الطّائي، عُرف بابن مستقور⁷. ولما دالت الدولة؛ كان له

¹ يسميه أيضاً أبا الحسن بن أبي الربيع؛ توفي سنة 687هـ/1287م. وهو فقيه له مشاركة في الفرائض والنحو؛ تولى قضاء غرناطة في حدود سنة 640هـ/1242م.

² ما بين الحاصرتين؛ سقط في ج.

³ ستأتي ترجمته في الإحاطة.

⁴ لعله الخطيب الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن فضيلة؛ توفي في أوائل سنة 696هـ/1296م.

⁵ كل ما عرف عنه أنه نسب إلى إشبيلية، ومتخصص في علوم العربية والنحو؛ وقد تتلمذ عليه كثير من علماء وأعيان الأندلس في وقته؛ وهو من أعيان الثلث الأول من القرن الثامن الهجري الموافق للثلث الأول من القرن الرابع عشر الميلادي.

⁶ بتشديد الباء وفتحها؛ نسبة إلى مدينة أبدة. وتسمى بالإسبانية: **Ubeda**؛ وتتواجد في الشرق من قرطبة؛ على مسافة قريبة من منابع نهر الوادي الكبير.

⁷ سبقت الإشارة إليه.

في مُشَايعة مَخْلُوعِهَا¹ أُمُور اقْتَضَتْهَا مِنْهُ أَرْيَحِيَّة²، وحسن وفاء؛ أوجبت عليه الخمول؛ بعد استقرار دايِلِهَا؛ السلطان **أبي الوليد**³ رحمه الله؛ [وأصابته]⁴ أيام الهَيْجِ مِحَنٌ، ونُسِبَتْ إِلَيْهِ نَقَائِصٌ؛ زَوَّرَتْهَا حَسَدَتْهُ⁵؛ فَصُرِفَ عن القضاء، وبقي مدة مهجور الفناء، ومضاع المكان، عاطِلَ الدَّوْلَةِ، مُتَبَذِّلاً في ملك له؛ خارج الحضرة؛ يَنْحَنِي على خَرَّتِي⁶، ساقط القيمة، ودفاتر ساقطة الثمن؛ يتعلَّلُ بَعْلَالَتِهَا، ويرجي الوقت بيسيرها.

حدثني الوزير **أبو بكر بن الحكيم**⁷؛ قال: زرُّهُ في منزله بعد عَزْلِهِ⁸، ونسبة الأمور التي لا تليق بمثله؛ فأَنشدني بما يُنبئ عن ضجره، وضيق صدره⁹:

¹ يقصد دولة بني نصر؛ والسلطان المخلوع الذي أشار إليه هو أبو الجيوش نصر بن محمد بن يوسف. ستأتي ترجمة له في الإحاطة.
² حرفت في ج؛ فكتبت: ((رحبية))؛ فصوبها عنان.
³ هو السلطان أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف. ستأتي ترجمة له في الإحاطة.
⁴ هذه الكلمة أضافها عنان؛ ليستقيم المعنى.
⁵ في الملكية: ((حسده)).
⁶ الْخُرَّتِي: أَرَادَ المتاع وساقطه، وخرثي الكلام؛ ما لا فائدة فيه.
⁷ ستأتي ترجمة له في الإحاطة.
⁸ في ك: ((بعد عزله)).
⁹ هذه الأبيات من بحر المجتث.

أنا من الحُكْم تائبٌ وعن دعاويه هاربٌ¹
 بعد التَّفَقُّهِ عُمري² ونَيْلُ أَسْنَى المَرَاتِبِ
 وبعد ما كُنْتُ أَرْقى على المنابر خاطِبٌ³
 أَصْبَحْتُ أُرْمَى بَعَارٍ لِلْحَالِ غَيْرِ مُنَاسِبِ
 أَشْكُو إِلَى اللَّهِ أَمْرِي فهو المُثِيبُ المُعَاقِبُ

وثبت اسمه في التاريخ المسمى ((بالتاج))⁴؛ تأريخي؛
 تأريخي؛ بما نصه: شيخ الجماعة وقاضيهَا، ومُنْفَذُ
 الأحكام ومُمَضِيهَا، وشايم⁵ سيوفها الماضية ومُنْتَضِيهَا،
 رأس بفضيلة نفسه، وأحيا دارس رسم القضاء بدرسه،
 وأودع في أرض الإجهاد، بذر السُّهَاد؛ فجنى ثمرة غَرْسه؛
 إلى وقار يَوْدُ رَضْوَى رجاحته⁶، وصدر تحسُّد الأرضِ
 الغبيطة ساحتَه، ونادرة يدعوها فلا تتوقَّف، ويُلقِي عصاها
 فتتلقَّف. ولم يزل يَطْمَحُ بأمانيه، ويضطلع بما يعانيه؛

¹ في الكتيبة الكامنة: ((راغب)).

² نفسه: ((دهري)).

³ سقط هذا البيت في الكتيبة الكامنة.

⁴ كتاب التاج المحلي في مساجلة القدح المعلى؛ لابن الخطيب؛ وهو ملخص لتاريخ غرناطة. وهو مفقود الآن.

⁵ أي مستل السيف ومُنْتَضِيه.

⁶ حرفت في ك؛ فكتبت: ((رجاحته)).

حتى رُفِعَ إلى الرُّتبة العالية، وحصل على الحال الحالية.
وكان له في الأدب مشاركة، وفي قريض¹ النظم حصّة
مباركة؛ إنتهى إليّ قوله - يُهَنِّئُ السلطان أبا عبد الله بن
نصر²، بالإبلال من مرض في اقترانٍ: بعيد، وفتح -
وذلك³:

شفاؤك للملّك اعتزازٌ وتأيدٌ
وبُروك مولانا به عيدنا⁴ عيدُ
مرضت فلم تأو النُّفوس لراحةٍ
ولا كان للدُّنيا قرارٌ وتمهيدُ
[ولم تصبر عيني تود مولماً⁵]
ولازمها طول اعتلاك تسهيد

¹ حُرِفَتْ؛ فكتب في ك: ((مريضة))، وفي ج: ((مريضة))؛ والتصويب من الملكية.
² هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ ثالث ملوك بني الأحمر. ستأتي ترجمة له في الإحاطة.
³ هذه الأبيات من البحر الطويل.
⁴ في الكتيبة الكامنة: ((عتدنا)).
⁵ ورد هذا الشطر في ك هكذا: ((ولم تصبر عيني توالى مؤلماً)). وفي الكتيبة الكامنة: ((ولم تستطع عيني ذاك مؤلماً)). وهذا الأخير هو الأقرب للصواب.

وشعره مختلف عن نمط الإجازة التي تناسب محلّه في العلم، وطبقته في الإدراك؛ فاختصرته.

مولده

عام تسعة وأربعين وستمائة¹.

وفاته

في سادس عشر لذي القعدة؛ عام تسعة وعشرين وسبعمائة². ذكرته في كتاب ((عائد الصلّة)) قاضياً، وفي كتاب ((التّاج المحلّى)) قاضياً أدبياً. وذكره أبو بكر بن الحكيم³ في كتاب ((الفوائد المستغربة، والموارد المستعذبة))؛ من تأليفه.

¹ الموافق لـ 1251م.

² الموافق لـ 1328م.

³ أبو بكر ابن الحكيم هذا؛ يعد من بين شيوخ ابن الخطيب؛ وهو - أيضاً - ابن الوزير الذائع الصيت أبي عبد الله محمد بن الحكيم، ولد أبو بكر في سنة 665هـ/1266م؛ وتوفي سنة 750هـ/1349م، تولى بدوره الوزارة في غرناطة، وقد خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

أحمد بن محمد

(ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى
(ابن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيّر بن جزي¹ (الكلبي؛ من أهل
غرناطة؛ ويعرف بابن جزيّ).

أولّيته

معروفة، وأصالته شهيرة؛ تُنظر فيما مر من ذلك
[عند² ذكر سلفه؛ وفيما يأتي في ذلك؛ بحول الله قوته.

حاله

من أهل الفضل والنّزاهة، والهمّة، وحسن السّمة،
واستقامة الطّريقة؛ غرّب في الوقار، ومال إلى الانقباض،
وترشّح إلى رُتب سلفه. له مشاركةٌ حسنة في فنون؛ من:
فقه، وعربيّة، وأدب، وحفظ، وشعر؛ وتسمو³ ببعضه
الإجادة إلى غاية بعيدة.

¹ توجد ترجمة أحمد بن محمد بن جزي أيضاً في الكتيبة الكامنة، ونفج الطيب.

² سقطت كلمة (عند) في المخطوطين؛ فأضافها عنان.

³ في المخطوطين: ((سما))؛ فصوبها عنان.

مشيخته

قرأ على والده الخطيب أبي القاسم¹، ولازمه، واستظهر² ببعض موضوعاته، وتأديب به. وقرأ على بعض معاصري أبيه، وروى؛ واستجلب له أبوه كثيراً من أهل صُقعهِ، وغيرهم.

نباهته

ثم أُرْسِمَ في الكتابة السلطانية؛ لأول دولة السابع من الملوك النُصريين؛ مَنَفَقَ سوق الحِلْيَةِ من أبناء جنسه؛ أبي الحجاج بن نصر³؛ فروى زُنْدَهُ، ودَرَّتْ أحلاب قريحته، وصدر له في مدائحه شعر كثير، ثم تصرف في الخُطَطِ الشرعية؛ فوُلِّيَ القضاء بِبُرْجَةِ، ثم بَأَنْدَرَش⁴؛ وهو الآن قاضي مدينة وادي آش؛ مشكور السيرة، معروف النِّزَاهَةِ؛

¹ ستأتي ترجمة له في الإحاطة.

² في ج: ((استظهره)).

³ هو يوسف بن إسماعيل. ستأتي ترجمة له في الإحاطة.

⁴ الأولى برجة؛ وتسمى الآن Berja، وهي تابعة لمقاطعة ألمرية؛ وتقع غربها؛ على مقربة من شاطئ البحر الأبيض المتوسط. أما الثانية (أندرش)؛ فهي اليوم Andrax، تابعة للمرية، وتقع شمال بلدة برجة. وقد حر فاسم أندرش في المخطوطين وفي الملكية؛ فكتب ((أندش)).

أعانه [ذلك]¹ وسوَّده، وبلغ به رُبَّة سلفه. وجرى ذكره في كتاب التَّاج؛ بما نصه: ((فاضلٌ، تحلَّى بالسكينة والوقار؛ فمدَّت إليه رقاب سلفه يد الافتقار؛ وما شئت من هدوء وسكون، وجنوح إلى الخير ورُكون؛ عني بالمحافظة على سمته من لدُن عَقْل، ولزم خِدْمَة العلم؛ فما عاد ولا انتقل، ووجد من أبيه رحمه الله مرعًى خصباً فابتقل، وعمل على شاكلة² سلفه في سلامة الجانب، وفضل المذاهب، وتحلَّى بتلك المآثر وتوشَّح، وتأهل إلى الرُّتب في سن الشَّيْبَة وترشَّح؛ وله - مع ذلك - في لُجَّة الفقه سَبَحٌ، وعلى بعض موضوعات أبيه شَرَحٌ؛ وأدبه ساطع، وكلامه حَسَن المقاطع؛ فمن ذلك؛ ما كتب به إليَّ؛ وقد خاطبت ما أمكن؛ من نظمه³:

فَدَيْتُكَ يَا سَيِّدِي مِثْلَمَا
فَدَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي زِنْتَهُ

¹ أضاف هذه الكلمة عنان.

² في ج، والملكية: ((شاكلته))؛ فصوبها عنان.

³ هذا البيت من البحر المتقارب.

وقوله في المقطوعات ؛ من ذلك في معنى التورية¹ :
 كم بُكائي لبعدكم وأنيني²
 مَنْ ظَهيري على الأسي مَنْ مُعيني
 جراح³ الخدّ دمع عيني ولكن
 عجب⁴ أن يُجرّح ابن معين
 وقال في الغنى⁵ :

أرى الناس يُؤلّون الغنيَّ⁶ كرامة
 وإن لم يكن أهلاً لرفعة مقدار
 ويؤلّون عن وجه الفقير وجوههم
 وإن كان أهلاً أن يُلاقى بإكبار⁷
 بنو الدهر جاعتهم أحاديث جمّة
 فما صحّحوا إلا حديث ابن دينار⁸

¹ هذان البيتان من البحر الخفيف.

² في الكتيبة الكامنة: ((كم أنيني)).

³ نفسه: ((جرّح))؛ وهي أسلم.

⁴ نفسه: ((لا عجب إن...)).

⁵ هذه الأبيان من البحر الطويل. وقد حرفت هذه الكلمة في المخطوطين؛

فكتبت: ((المعنى)). ويتضح ذلك من خلال ما سيأتي في الشعر.

⁶ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الغبي))؛ فصوبت من نفح الطيب.

⁷ في المخطوطين: ((بأثار)).

⁸ سقط هذا البيت في المخطوطين؛ ونقل من نفح الطيب.

ومن بديع ما صدر عنه ؛ قوله ينسج على منوال
امرئ القيس¹؛ في قصيدته الشهيرة²:
أقول لحزمي³ أو لصالح أعمالي
[ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي]⁴
أما وأعظى شيباً سما فوق لمتي
[سُمُو حباب الماء حالاً على حال]
أنار به ليل الشَّبَاب كأنه
[مصاييح رُهبان تشبُّ نُقَّال]

¹ حُرِفَتْ فِي فِي ج، وَالْمَلَكِيَّة؛ فَكُتِبَتْ: ((السَّقْرَطِينِي))؛ وَالصَّحِيحُ مَا ذَكَرَهُ الْمُقْرِي فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ، الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ الشَّهِيرُ إِمْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرِ بْنِ الْحَارِثِ - مَلِكِ كَنْدَةَ - ابْنِ عَمْرِو بْنِ حَجْرٍ أَكَلَ الْمَرَارَ، وَلَدَ بَنَجْدَ فِي حُدُودِ 500م، وَمَاتَ بِأَنْقَرَةَ حَوْلِي 540م؛ بَيْنَمَا كَانَ يَطْلُبُ الْعَوْنَ مِنْ مَلِكِ الرُّومِ؛ ضِدَّ قَاتِلِي أَبِيهِ، وَهُوَ صَاحِبُ أُولَى الْمَعْلَقَاتِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:
فَقَا نُبُكُ مِنْ ذُكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلُ * بِسَقَطِ اللُّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْلِ
² هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِنَ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ وَقَدْ نَسَجَهَا ابْنُ جَزَّيٍّ بِاقْتِبَاسِهِ أَشْطَرَ مِنْ قَصِيدَةِ امْرِئِ الْقَيْسِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا:

أَلَا عَمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي * وَهَلْ يَعْصَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي
وَقَدْ اقْتَبَسَ ابْنُ جَزَّيٍّ فِي قَصِيدَتِهِ نَصْفَ الْآيَاتِ؛ إِذْ يَخْتَارُ أحياناً صَدْرَ الْبَيْتِ؛ وَلَكِنْ فِي مَعْظَمِ الْأَحْوَالِ؛ يَخْتَارُ عَجْزَ بَيْتِ قَصِيدَةِ امْرِئِ الْقَيْسِ؛ دُونَ أَنْ يَلْتَزِمَ بِالترْتِيبِ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ، وَقَدْ وَضَعْتَ الْأَشْطَرَ الَّتِي اقْتَبَسَهَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ لِلتَّمْيِيزِ.
³ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ وَأَزْهَارِ الرِّيَاضَةِ: ((لِعَزْمِي)).
⁴ هَذَا الشَّطْرُ لِامْرِئِ الْقَيْسِ.

نهاني عن غيِّ وقال مُنبِّهاً
 [أَلَسْتُ تَرَى السُّمَّارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالي]
 يقولون غيِّره لتتعم برهةً
 [يَعْمِنُ بِهِ¹ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي]²
 أَغَالِطُ³ دَهْرِي وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّني
 [كَبُرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنُ اللَّهُ أَمْثَالِي]
 وَمُؤْنِسُ نَارِ الشَّيْبِ وَيَقْبَحُ لَهُوهُ
 [بِأَنْسَةِ كَأَنَّهَا خَطٌّ تَمَثَّال]
 أَشِيخاً وَتَأْتِي فَعْلٌ مِنْ كَانَ عُمُرُهُ
 [ثَلَاثِينَ شَهْراً فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَال]
 وَتُشْغِفُكَ الدُّنْيَا وَمَا أَنْ شَغَفَتْهَا
 [كَمَا شَغَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلَ الطَّالِي]
 أَلَا أَنَّهَا الدُّنْيَا إِذَا مَا اعْتَبَرْتَهَا
 [دِيَارٌ لِسَلَمَى عَافِيَاتٌ بِذِي خَال]

¹ عمن بالمكان: أي أقام به.

² ورد هذا العجز في ديوان امرئ القيس هكذا: ((وَهَلْ يَعْمِنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي)). وهو أسلم للوزن.

³ في الكتيبة الكامنة: ((أخالط)).

فَأَيْنَ الَّذِينَ اسْتَأَثَرُوا قَبْلَنَا بِهَا
 [لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالٍ]
 ذَهَلَتْ بِهَا غِيًّا فَكَيْفَ الْخُلَاصُ مِنْ
 [لَعُوبٍ تُنَسِّينِي إِذَا قُمْتُ سِرْبَالِي]
 وَقَدْ عَلِمْتُ مَنْ مَوَاعِيدِ تَوْبَتِي
 [بَأَنَّ الْفَتَى يَهْذِي وَلَيْسَ بِفَعَّالٍ]
 وَمُذْ وَثِقْتُ نَفْسِي بِحَبِّ مُحَمَّدٍ
 [هَصَرْتُ بُغْصُنِ ذِي شَمَارِيخٍ مَيَّالٍ]¹
 وَأَصْبَحَ شَيْطَانُ الْغَوَايَةِ خَاسِئًا
 [عَلَيْهِ قَتَامٌ² سِيءُ الظَّنِّ وَالْبَالِ]
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَقُولُ عَزَائِمِي
 [لِخَيْلِي كُرِّي [كَرَّةً بَعْدَ]³ إِجْفَالِ]

¹ الشماريخ: مفردھا شمروخ؛ وهو: العنقود
² في المخطوطين، والملكية: ((القتام))؛ وهو ما جاء في ديوان امرئ القيس، والقتام هي الظلمة الناتجة عن الغبار الكثيف.
³ حرفت في المخطوطين فكتبت: ((كرا ذات))؛ فصوبت من الملكية، ونفج الطيب، وأزهار الرياض.

فَأَنْزَلَ دَاراً لِلنَّبِيِّ¹ نَزِيلَهَا
[قَلِيلٌ هُمُومٍ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ]
فَطُوبَى لِنَفْسٍ جَاوَرَتْ خَيْرَ مُرْسَلٍ
[بِئْتَرَبَ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي]
وَمِنْ² ذِكْرِهِ عِنْدَ الْقَبُولِ تَعَطَّرَتْ
[صَبَاءٌ وَشَمَالٌ فِي مَنَازِلٍ قُفَالِ]
جِوَارُ رَسُولِ اللَّهِ مَجْدٌ مُؤَثَّلٌ
[وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلُ أَمْثَالِي]
وَمِنْ ذَا³ الَّذِي يُثْنِي عِنَانَ السُّرَى وَقَدْ
[كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ]
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الظَّبْيَةَ اسْتَشْفَعَتْ بِهِ
[تَمِيلُ عَلَيْهِ هُونَةً غَيْرَ مِجْقَالِ]⁴
وَقَالَ لَهَا عُودِي فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ
[وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي]

¹ في نفح الطيب وأزهار الرياض: ((لِلرَّسُولِ)).

² في الكتيبة الكامنة: ((فَمِنْ)).

³ نفسه: ((وَمَا ذَا الَّذِي)).

⁴ في ديوان امرؤ القيس: ((مِجْبَال)).

فَعَادَتْ إِلَيْهِ وَالْهَوَى قَائِلٌ لَهَا
 [وكان عداء الوحش مني على بالي]
 رثى¹ لبعيرٍ قال أزمع مالكي
 [ليقتلني والمرء ليس بفعال]²
 وثورٍ ذبيح بالرسالة شاهد
 [طويل القرا³ والروق اخنس ذيال]
 وحنَّ إليه الجذع حنة عاطش
 [لغيت من الوسمي رائدُه خالي]
 وأصلين من نخلٍ قد التأما له
 [فما⁴ احتبسًا من لينٍ مسٍّ وتسها]⁵
 وقبضة⁶ ترُبٍ منه ذلت لها الظبا⁷
 [ومسنونة زُرُق كَأنياب أغوال]

¹ في الكتيبة الكامنة: ((وما)).

² سقط هذا البيت في المخطوطين؛ ونقل من نفح الطيب، وفي ديوان امرئ القيس جاء العجز هكذا: ((ليقتلني والمرء ليس بقتال)).

³ في ديوان امرئ القيس: ((القرى)). وفي الكتيبة الكامنة: ((القوى)).

⁴ في ديوان امرئ القيس: ((بما))؛ والكتيبة الكامنة: ((وما)).

⁵ في المخطوطين: ((وتسأل))؛ فصويت من نفح الطيب وأزهار الرياض.

⁶ في نفح الطيب: ((وقبة)).

⁷ في المخطوطين: ((الصبا))؛ فصويت من الملكية ونفح الطيب.

وأضحى ابن جَحْشٍ بالعسيب مقاتلاً
 [وليس بذي رُمَحٍ وليس بنَبَّال]¹
 وحَسْبُكَ من سَيْفٍ² الطُّفيلِ إضاءة
 [كمصباح زيتٍ في قناديل ذُبَّال]
 وبَذَتْ³ به العَجَقَاءُ كلَّ مُطَهَّم
 [له حَجَبَاتٍ مُشْرِفاتٍ على الفال]
 ويا خَسْفَ أرضٍ تحت باغيه إذ علا
 [على هيكَلٍ نهد الجزارة جوال]
 وقد أُخْمِدَتْ نارُ لِفارسٍ طالما
 [أصابَتْ غَضِيَّ [جَزْلاً]⁴ وكَفَتْ بأجزاء]⁵
 أبان سبيل الرُّشْدِ [إذ سُبُلُ الهُدَى]⁶
 [يَقْلُنْ لأهل الحلم ضالاً بتضلال]

¹ جاء العجز في ديوان امرئ القيس: ((وليس بذي سيف وليس بنبال)).

² في نفح الطيب: ((سوط)).

³ في الكتيبة: ((وبرت)).

⁴ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ ونقلت من نفح الطيب، وأزهار الرياض.

⁵ في نفح الطيب: ((بأجذال)). وفي ديوان امرئ القيس ورد العجز هكذا:

((أصاب غُضاً جزلاً وكَفَتْ بأجزاء)).

⁶ ما بين الحاصرتين نقل من نفح الطيب؛ لأن في موضعها بالمخطوطين والملكية عبارة مضطربة؛ هي: ((إذ سبل به)).

لأَحْمَدَ خَيْرَ الْعَالَمِينَ انْتَقَيْتُهَا
[وَرُضْتُ¹ فَذَلَّتْ صَعَةً² أَيِ إِذْلال]
وإنَّ رَجَائِي أَنْ أَلْأَقِيَهُ غَدًا
[وَلَسْتُ بِمَقْلِي الْخَلالَ وَلَا قَالِي]³
فَأَذْرِكُ آمَالِي وَمَا كُلُّ أَمَلٍ
[بِمُدْرِكٍ أَطْرَافِ الْخُطُوبِ وَلَا وَالِي]⁴

ولا خفاء ببراءة هذا النظم، وإحكام هذا التسيج،
وشدة هذه العارضة⁵؛ وله تقييد في الفقه؛ على كتاب
والده؛ المسمى بالقوانين الفقهية، ورجز في الفرائض؛
يتمضن العمل، وإحسانه كثير. وتقدم قاضياً بحضرة
غرناطة؛ وخطيباً بمسجد السلطان؛ ثامن شوال من عام

¹ هكذا في ديوان امرئ القيس. أما نفح الطيب؛ فكتب فيه: ((ورضت)).

² حرفت في المخطوطين: ((طبعة))؛ فصوبت من نفح الطيب.

³ في ديوان امرئ القيس: ((قال)) بدون ياء.

⁴ كتبت كلمة ((والي)) في ديوان امرئ القيس: ((ال)). وكذا الحال في نفح الطيب.

⁵ في المخطوطين: ((المعارضة))؛ فصوبت من نفح الطيب.

ستين وسبعمائة¹؛ ثم انصرف عنها، وأعيد إليها في عام
ثلاث² وستين³، موصوفاً بالنزاهة والمضاء.

مولده

في الخامس عشر من جمادى⁴ الأولى؛ عام خمسة
عشرة وسبعمائة⁵ وهو الآن بقيد الحياة.

¹ الموافق لـ 1358م.

² الصحيح: ((ثلاثة)).

³ الموافق لـ 1361م.

⁴ في ك: ((جمادى)).

⁵ الموافق لـ 1315م.

أحمد بن محمد

(بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سَعْدَة بن سَعِير
(بن سَعْدَة بن ربيعة بن صخر بن شراحيل¹ بن عامر بن الفضل
(بن بكر² بن بَقَار بن البربر بن سَعِير بن عبد الله (العاصري؛
يكنى أبا جعفر، من أهل غرناطة .

أوليته

عامر؛ الذي ينتسبون إليه، عامر بن صَعَصَعَة بن
هَوَازِن بن منصور بن عَكْرَمَة بن حفصة³ بن قيس بن
عيلان⁴ بن مُضَر بن نزار بن مَعَد بن عدنان. ومن
مناقبهم؛ مَيْمُونَة أم المؤمنين⁵؛ زوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم، وعَمْرُو بن عامر⁶؛ من أصحابه، وعاصم
ابن عبد الله الجَعْلِي، ويزيد بن الحميري، وغيرهم. مَنْزَل

¹ في لئ: (سراخيل)، وفي ج: ((سراخيل)).

² حُرِفَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ؛ فَكُتِبَتْ بِدَالٍ؛ لِأَنَّ الْآتِي سَيُثَبِّتُ ذَلِكَ.

³ الصَّحِيحُ: خَصْفَةٌ بِالْخَاءِ.

⁴ فِي قَوْلِهِ: قَيْسٌ عَيْلَانٌ؛ بِدُونِ ((بَنٍ)).

⁵ هِيَ مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ حِزْنٍ؛ يَصْعَدُ نَسَبُهَا إِلَى هَلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ
صَعَصَعَةَ. كَانَ اسْمُهَا بَرَّةً؛ فَسَمَّاها رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَيْمُونَةَ. تَزَوَّجَهَا الرَّسُولُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ؛ فِي عَمْرَةِ الْقَضَاءِ.
تُوفِّيَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي سَنَةِ 51 هـ/671 م عَنْ عَمَرٍ يَصِلُ إِلَى الثَّمَانِينَ عَامًا.

⁶ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ ضَمَّنَ الطَّبَقَةَ الرَّابِعَةَ.

جدّهم الداخل إلى الأندلس ؛ وهو بكر بن بكار بن البدر
ابن سعيد بن عبد الله ؛ قرية طغُنر¹، من إقليم براجلة
ابن خريز²؛ من البيرة.

قال ابن الصيرفي³؛ في تاريخه الصغير⁴: منزل بني
مَسْعَدَة⁵، موضع كرم ومَحْمَدَة، ينتسبون في عامر⁶، وهم
وهم أعيان عِلْية، فرسان أكابر، وحُجَّاب، وكُتَّاب،
ووزراء ؛ ولهم سابقات ومفاخر، وأوائل وأواخر؛ ومنهم
على القَدَم جليل⁷، ونبيه ؛ ومنهم كان وضيعُ بن جَرَّاح
الفقيه⁸؛ لم يُدْخِل أحد منهم في الفتنة يداً، ولا تأذى

¹ ذكرت فيما سبق. وقد حرف اسمها هنا؛ فكتب في المخطوطين:
(طغنس)؛ بينما هي ((طغُنر)) المسماة بالإسبانية: Tignar؛ وممن عرف من
سكانها: الطغُنري مؤلف كتاب الفلاحة. وتتواجد هذه البلدة بالقرب من غرناطة.

² يقال - أيضاً - براجلات Parcelas؛ وهي مواقع في سفوح جبل الثلج
Sierra Nevada. وهذه الأخيرة تتصل بالبيرة. وقد ذكر فيما سبق أن
كلمة براجلات Parcelas هي: الأراضي الممتدة من سفوح جبل سيرا
نيفادا (جبل الثلج). ووبراجلة ابن خريز هذه واحدة من تلك البراجلات؛
أي الأراضي. وتقع بجوار البيرة.

³ حُرِفَت في المخطوطين؛ فكتبت: ((السيرفي)).

⁴ عنوانه الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية. أشير إليه من قبل.

⁵ حي صاحب الترجمة وعشيرته.

⁶ ابن صعصعة.

⁷ كتب في المخطوطين ((جيل ولا نبيه))؛ الأمر الذي اظفى عليه بعض
الغموض؛ فحذف عنان ((ولا)).

⁸ لم أتوصل إلى معرفته.

مُسْلِمًا، وَلَا مُعَاهِدًا¹؛ عَلَى قَدَرْتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ؛ وَكَفَى بِهِ
فَخْرًا لَا يَنْقُطِعُ أَبَدًا. وَدَخَلَ جَدُّهُمْ الْأَنْدَلُسَ؛ بِعَقْدِ بَنِي
مَرْوَانَ² لَهُ؛ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ³. وَيَأْتِي مِنْ
ذِكْرِ أَعْلَامِهِمْ؛ مَا يَدُلُّ عَلَى شَرَفِ بَيْتِهِمْ، وَأَصَالَتِهِ،
وَعُلُوِّهِ وَجَلَالِهِ.

حَالُهُ

كَانَ صَدْرًا جَلِيلًا، فَقِيهًا مُضْطَلَعًا⁴، مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ
السَّدِيدِ، وَالْبَحْثِ؛ قَائِمًا عَلَى الْمَسَائِلِ، مُشَارِكًا فِي كَثِيرٍ
مِنَ الْفَنُونِ، جَزَلًا مَهْمًا، جَارِيًا عَلَى سُنَنِ سَلَفِهِ، رِيَّانَ
مِنَ الْعَرَبِيَّةِ. وَخَتَمَ سَبْيُوِيَهُ تَفْقُّهًا، وَقَرَأَ الْفَقْهَ، وَاسْتَظْهَرَ
كِتَابَ التَّلْقِينِ، وَدَرَسَ الْأَحْكَامَ الْجَيِّدَةَ⁵، وَعَرَضَهَا فِي مَجْلِسِ
مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، وَقَرَأَ أَصُولَ الْفَقْهِ، وَشَرَحَ الْمُسْتَصْفَى شَرْحًا

¹ حُرِفَتْ فِي ج؛ فَكُتِبَتْ: ((عَاهِد))؛ وَكُتِبَتْ فِي ل: ((وَلَا تَأْذَى بِهِ مُسْلِمٌ وَلَا مُعَاهِدٌ)).

² مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، أَيَّ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِدِمَشْقَ.

³ الْمَوَافِقُ لـ 712م.

⁴ حُرِفَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ؛ فَكُتِبَتْ: ((مُصْطَفًى))؛ فَصَوَّبَهَا عَنَا.

⁵ فِي ج: ((الْجَدِيدَةُ)).

حسناً، وقرأ الإرشاد والهداية¹؛ وكان صدرًا في الفرائض والحساب، وألف تاريخ قومه وقرابته.

ولايته

وُلِّيَّ القضاء بمواضع من الأندلس كثيرة² من البشارت³، أقام بها أعواما خمسة؛ ثم لوشة⁴، وأقام بها ثلاثة أعوام؛ ثم بسطة، وبرشانة، ثم انتقل إلى مالقة؛ وأقام بها خمسة أعوام. نبّهت على مقدار الإقامة؛ لما في ضمن طول سني الولاية من استقامة أمر الوالي. وكان له من أمير المسلمين بالأندلس حُظوة لطيفة؛ لم تكن لغيره؛ استنزلها بسحر التلطف، وخطبها بلسان التملُّق؛ حتى استحكمت له أسبابها.

حدثني بعض أشياخي؛ ممن كان يباشر حال السلطان يومئذ؛ قال: وجه ابن مسعدة ابنه من مالقة؛ بكتاب في بعض الأغراض الضرورية، ثم رغب فيه أن

¹ في المخطوطين: ((والنهاية)).

² نفسه: ((كثير)).

³ البشارت **Alpujarras**؛ وهي السهول الملاصقة للسفوح الوسطى لجبل سيرا نيفادا.

⁴ لوشة هي المدينة التي ولد فيها ابن الخطيب؛ وتبعد عن غرناطة بخمسين كلم؛ إلى الغرب منها؛ بينها وبين إشبيلية.

يُنعم على ولده بالمشافهة ؛ لإلقاء أمر ينوب عنه فيه ؛ فلما حضر ؛ تناول رجل السلطان فقبلها ؛ وقال : أمرني أبي أن أنوب في تغيير الوجه ، في هذه الرجل الكريمة الجهادية عنه خاصة ؛ لبعد عهده بها. إلى أمثال هذا ؛ مما اقتضت الانتفاع بعاجل من الدنيا زهيد ؛ لا يدري ما الله صانع فيه ، والإبقاء بما تجاوز الإفراط ؛ في تقدمه بمالقة ؛ بعده دار الأعلام ، وديوان العقد ؛ وهو حدثٌ خليٌّ من العلم ، قريب العهد بالبلوغ ؛ فكانت على أنها غاية الصدور ملعباً ؛ إلى أن ضرب الدهر ضرباته ، وانتقلت الحال.

1 مشيخته

أولهم قاضي الجماعة ، أبو الحسن بن عامر بن ربيع² ، وثانيهم القاضي أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن

¹ جل المشايخ الذين ذكرهم ابن الخطيب لا يعرف عنهم أكثر مما قاله هو ؛ لأنه لا يذكر إلا كناههم دون الأسماء. كما أنه يكرر تسمية بعضهم في كل مرة ؛ في سياق تعداد شيوخ كل شخصية يترجم لها. وعلى هذا ؛ فسنتضيف - ما أمكن - بعض المعلومات إلى بعض الأعيان ؛ إذا توفرت المادة الضرورية ؛ مع الاعتذار عند استحالة ذلك.

² ثمة عدد من القضاة والفقهاء يسمون بابن ربيع ؛ غير أنني لم أعر من بينهم عمن يكنى ويسمى بابي الحسن وينسب لعامر. ولعل في الأمر التباس.

ابن ربيع¹، وثالثهم أبو يحيى بن عبد المنعم الخزرجي²؛
ورابعهم العدل، الرواية؛ أبو الوليد العطّار، وخامسهم
أبو إسحاق بن ابراهيم بن أحمد³ الخشني، وسادسهم
الأستاذ أبو الحسن الكِناني الإشبيلي، وسابعهم محمد بن
إبراهيم بن مُفرّج الأوسي الدبّاغ، وثامنهم أبو جعفر
أحمد بن علي الرُّعَني، وتاسعهم أبو علي بن أبي
الأخوص⁴.

وصمته

فروى الناس؛ أنه وُجد بخزانتة - بعد وفاته - زمام؛
يشتمل على مثالب أهل غرناطة؛ مما يحدثُ - على الأيام
في أفرادهم - من فلتات؛ يُجريها عدم الإِتّصاف بالعصمة.

¹ أبو عامر يحيى هذا؛ هو شقيق آخر قضاة قرطبة ربيع بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري. كان أبو عامر في وقته في مقدمة علماء الأندلس؛ له في علم الكلام مؤلفات مرموقة؛ ولاه سلطان بني نصر الغالب بالله ولاية قضاء الجماعة في غرناطة؛ وتوفي في مالقة سنة 639هـ/1241م.

² في الملكية: ((المخزومي)).

³ في الملكية: ((مفرج)).

⁴ سماه في موضع آخر من الإحاطة: القاضي أبي علي بن أبي الأخوص؛ بينما ذكره النباهي - صاحب كتاب قضاة الأندلس - بين فئة الخطباء والمحدثين؛ فقال: ((وحدثنا به عن الخطيب المحدث أبي علي بن عبد العزيز بن أبي الأخوص القرسي...)).

استقرَّ عند ولده الفضل ؛ زعموا ؛ ثم خفي أثره. ستر الله
عيوبنا برحمته.

وفاته

توفي بمالقة ؛ قُرب صلاة المغرب ؛ يوم الأحد الموفى
عشرين لذي الحجة ؛ عام تسعة وتسعين وستمائة¹؛ ودفن
بخارج باب قُباله ؛ في مالقة المذكورة ؛ بمقربة من رابعة بني
عمَّار، وبالروضة المنسوبة لبني يحيى. نقلت من خط ولده
الفضل.

¹ الموافق لـ 1299م.

أحمد بن محمد

(بن أحمد بن قنّب الأزوي؛ يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن قنّب).

أوليته

ذكر الأستاذ ابن الزبير؛ في ((صلته))¹ وغيره: أن قوماً - بغرناطة - يعرفون بهذه المعرفة؛ فإن كان منهم؛ فله أوليته؛ لا بأس بها.

حاله

كان من شيوخ كتاب الشروط معرفة بالمسائل، واضطلاًعاً بالأحكام، وانفرد بصحة الوثيقة؛ باقعة² من بواقع زمانه، وعيابة³ في مشايخ قطره؛ يالف النادرة الحارة في ملاء من النوك⁴ والغفلة، فلا يهتز لموقع نادرة،

¹ هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي؛ ولد بحيان سنة 627هـ/1230م وتوفي بغرناطة سنة 807هـ/1308م. يصنف من بين المحدثين والمؤرخين وعلماء العربية والتفسير والأصول؛ من مؤلفاته: ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل، والبرهان في ترتيب سور القرآن، والإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام، ومعجم لشيخ وتراجمهم، ثم الكتاب المذكور المعنون بصلة الصلة؛ ويعتبر بمثابة ذيل لكتاب الصلة لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الأنصاري الأندلسي (494هـ/1101م - 578هـ/1183م).

² أي العظيم الذكاء والشديد الدهاء.

³ أي كثير العيب للناس.

⁴ أي الحمق.

ولا يضحك عقب عقد صرعة ؛ لقلقه غير ما مرة ؛ غير
مجلس من مجالس القضاء من بني مسعود المزاراة¹
أحكامهم ، المرمية بتهكمه وإزدرائه ؛ فتقّع² في طريق
حكمهم خطأ منفسحة ؛ غير مكترث بهوانه ، ولا غاص
بلسانه. وربما قال لبعض الوزعة³ من قاداته بمجسه ؛ وقد
توقفوا به في بعض الطريق ؛ توقعاً لسكون غضب
قاضيهم ؛ ابعثوا بعضهم إلى هذا المحروم ؛ لنرى ما عزم
عليه ؛ بكلام كثير الفتور والاستكانة. له في هذا الباب
شهرة.

ذكر بعض نزعاته

حدّثني ملازمه ؛ وقف عليه أبو قاسم بن الشيخ
الرئيس أبي الحسن بن الجيّاب⁴ ؛ وقد أعمل والده رحلة
إلى مالقة ؛ لزيارة شيخه ؛ الذي تلمّذ له ، وشهر بالتشيع

¹ في الملكية: ((المزاراة)).

² أي ذل وخنغ.

³ أي من يزعم الناس من الحراس والحجاب.

⁴ أبو الحسن علي بن محمد بن الجياب وزير الدولة النصرية ، ومعلم ابن الخطيب. ستأتي ترجمة له في الإحاطة.

فيه ؛ أبي عبد الله السَّاحلي¹، صاحب الأتباع والطريقة، وكان مفرط الغلوّ فيه، واستصحب ولده الصغير؛ فسأله عن سفر أبيه [وسعيه]²؛ فقال: نعم؛ واحتمل أخي؛ فقال: أظنه منذ وُلد كان غير مغتطس، فحمله الشيخ؛ فغطّسه؛ واستغرب كل من حضر ضحكاً؛ فلم يتسم هو؛ كأنه لا شعور عنده بما ذهب إليه؛ فكانت إحدى الطَّوام عند الشيخ. وحدثني؛ قال: جاءت امرأة تخاصم مَيَّاراً³؛ أوصلها من بعض المدن؛ في أمرٍ نشأ بينهما؛ ويده عَقْد؛ فقال بعض جيرانه؛ من نصه حاكياً: ((وأنه جا معها من موضع كذا إلى كذا))؛ ولم يرسم المدّ على ألف جاء. فقال الشيخ للمرأة: أتعرفين أن هذا الميَّار جامعك في الطريق؟ أي فعل بك. فقالت: معاذ الله، ونفرت من ذلك. فقال كذا شهد عليك الفقيه، وأشار إلى جاره. ومثل ذلك كثير.

¹ هو الولي الصالح الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن السَّاحلي؛ توفي سنة 735هـ/1334م.

² أضيفت هذه الكلمة من الملكية.

³ الميَّار: الذي يجمع الميروة.

ولِّيَ القضاء بآماكن عديدة: كلوشة، وبسطة،
والمسند، وبرجة، وأرجبة¹، وغير ذلك .

مشيخته

يحمل عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير²، والخطيب
الصالح أبي عبد الله بن فضيلة، وأبي محمد بن سيماك،
وأبي الحسن بن مستقور.

مولده

عام سبعين وستمائة³.

¹ أرجبة تسمى الآن **Orgiva**؛ وتقع في الجنوب الشرقي من غرناطة. أما
المسند فغير معروفة؛ وما بقي فقد سبق ذكره.
² هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي؛ ولد بجان سنة
627هـ/1229م وتوفي برناطة سنة 708هـ/1308م. هو صاحب كتاب صلة
الصلة. خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة.
³ الموافق لـ 1271م.

وفاته

توفي قاضياً بـ¹برجة؛ بعد علّة سدّكت² به في السادس عشر من شعبان؛ من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة³، وانتقل منها في وعاء خشب، ودفن بمقبرة البيرة، تجاوز الله عنه ورحمه.

¹ بَرَجَة: مدينة أندلسية من أعمال البيرة؛ وثمة بلدة أخرى تابعة لأعمال المريّة تسمى أيضاً بـرجة؛ ولكن المقصودة هنا هي المدينة الأولى التابعة لأعمال البيرة.

² سَدَّكَ سَدَّكَ بالأمْر: لزمه ولم يفارقه.

³ الموافق لـ 1329م.

أحمد بن محمد

(ابن سكير¹ بن زير الغافقي.
من أهل غرناطة، وجلة بيوتها، ويأتي من ذلك ما فيه لفاية.

حاله

هذا الرجل ؛ ممن صُرِفَتْ إلى الله رُجْعاه، وخلصت
له معاملته، وخلص إليه انقطاعه ؛ نازع - في ذلك - نفساً
جامحة في الحزم، عريقة في الغفلة ؛ فكتب الله له النصر
عليها دَفْعَةً ؛ فشمر، وفوت الأصول للحضرة في باب
الصدقة، ونبد الشواغل، وحفظ كتاب الله على الكبرة،
واستقبل المحراب ؛ ملغياً سواء. درأ به ؛ فأتفق على فضله،
وغبط في حسن فيئته. وله ديوان نبيل ؛ يتضمن كثيراً من

¹ وضعت هذه الترجمة حسب الترتيب الذي اختاره عنان؛ لأنها كانت في
أحد الهوامش؛ في غير هذا الموضع.

فقه النفس والبدن ؛ دَلَّ على نبه ؛ وهو بحاله الموصوفة
إلى هذا العهد. نفعه الله تعالى.

مولده

بغرناطة ؛ عام تسعين وستمائة¹.

¹ الموافق لـ 1291م.

أحمد ابن أبي سهل

(ابن سعيد بن أبي سهل الحنرجي من أهل الحمّة¹، يكنى أبا جعفر.

حاله

من أهل الخير، والعفاف، والطهارة، والانقباض،
والصحة، والسلامة. أصيل البيت، معروف القدم ببلده،
حر² النادرة. قرأ بالحضرة، واجتهد، وحصل؛ ولازم
الأستاذ أبا عبد الله الفخار³، وغيره من أهل عصره. وولي
القضاء ببلدة الحمّة، ثم بغربي مالقة. وهو - الآن - قاضي
بها؛ مشكور السيرة.

¹ تسمى أيضاً الحامة؛ وتسمى الآن **Alhama**؛ وموقعها في الجنوب الغربي
من غرناطة؛ وعلى بعد 40 كيلو منها. أضحت الآن بلدة متواضعة بعد أن
كانت مدينة هامة بين مدن دولة غرناطة.

² في لئ: ((حاد)).

³ هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن
الفخار الجذامي؛ ولد بحصن أركش ما بين 630هـ/1232م -
640هـ/1242م وتوفي بمالقة سنة 723هـ/1323م. فقيه ومحدث وراوي
وأديب؛ له مؤلفات عديدة منها: تحبير نظم الجمان في تفسير أم القرآن،
وانتفاع الطلبة النبهاء في إجماع السبعة القراء، والأحاديث الأربعون فيما
ينتفع به القارئون والسمعون... وكتب أخرى. وقد خصه ابن الخطيب
بترجمة له في الإحاطة.

أحمد بن عمر

(ابن يوسف بن إدريس بن عبر الله بن ورو التميمي
من أهل القرية¹. يكنى أبا القاسم،
ويعرف بابن ورو

حاله

قال الملاح: كان من جلة الفقهاء المحدثين. قال
ابن الزبير كذلك؛ وزاد: موفور الحظ من الأدب،
والنحو، والتاريخ؛ متقدماً في علم الأصول والتفسير؛
حافظاً متقناً. ويقال: إن علم المالكية؛ انتهت إليه الرياسة
فيه، وإلى القاضي أبي بكر بن العربي²، في وقتها؛ لم
يتقدمها - في الأندلس - أحد [بعد]³ وفاة أبي الوليد بن

¹ هكذا في ك؛ بينما كتب في ج: ((غرناطة))؛ ويرجح عنان الأولى. طبقاً لسياق الكلام.
² هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي
المعافري الإشبيلي؛ ولد بإشبيلية سنة 468هـ/1076م، وتوفي بفاس سنة
543هـ/1148م. وليس المقصود - هنا - محيي الدين محمد بن علي بن
عربي الحاتمي الطائفي الأندلسي؛ المولود بمرسية سنة 558هـ/1164م.
وليس هو أيضاً أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر الغساني المعروف
بابن العربي؛ الذي توفي في بلدة الحمة بالأندلس سنة 748هـ/1347م.
وهذا الأخير خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة.
³ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فأضافها عنان.

رشد¹. قال: أخبرني الثقة أبو عبد الله بن جَوهر عن أبي
عمر بن عات؛ قال: حديث ابن العربي، اجتمع بابين
ورَد، وتبايتا ليلة، وأخذنا في التناظر والتذاكر؛ فكانا
عجباً؛ يتكلم أبو بكر؛ فيظن السامع أنه ما ترك شيئاً إلا
أتى به، ثم يجيبه أبو القاسم؛ بأبداع جواب يُنسي
السامعين ما سمعوا قبله؛ وكانا أعجوبتي دهرهما. وكان
له مجلسٌ يتكلم فيه على الصَّحيحين، ويخصُّ² الأخمسة
بالتفسير.

حلوله غرناطة³

قال المؤرخون: وليَّ قضاء غرناطة سنة عشرين⁴، فعُدل
وأحسن السيرة، وبه قال طلبتها إذ ذاك.

¹ هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (الحفيد) الأندلسي؛ ولد
بقرطبة سنة 520هـ/1126م وتوفي بمراكش سنة 595هـ/1198م. يعتبر
من كبار فلاسفة المسلمين وفقهائهم؛ حاول التوفيق بين الدين والفلسفة.
² حُرِّفَت في المخطوطين؛ فكتبت: ((ويحضر)).
³ حُرِّفَت في ج، وفي ك؛ فكتبت: ((حلوله عن غرناطة)).
⁴ 520هـ/1126م.

ومشيخته

روى عن: أبي علي الغساني، وأبي الحسن بن سراج - وأكثر عنه - وأبي بكر بن سابق الصقلي، وأبي محمد بن عبد الله بن فرج المعروف بالعسال الزاهد، ولازمه؛ وهو آخر من روى عنه. ورحل إلى سجلماسة، وناظر عند ابن العواد؛ وروى أيضاً عن أبي الحسن المبارك المعروف بالخشاب؛ وكان الخشاب يحمل عن أبي بكر بن ثابت الخطيب، وغيره.

من روى عنه

روى عنه جماعة: كأبي جعفر بن الباقر، وأبي عبيد الله، وابن رفاعه، وابن عبد الرحيم، وابن حكيم، وغيرهم؛ وآخر من روى عنه أبو القاسم بن عمران الخزرجي بفاس.

وفاته

توفي بالمریة في الثاني عشر لرمضان ؛ سنة أربعين
وخمسمائة¹.

¹ الموافق لـ 1145م.

أحمد بن محمد

(ابن علي بن أحمد بن علي الأموي¹ يكنى أبا جعفر،
ويعرف بابن برطال²)

أصله من قرية تعرف بحارة البحر من وادي طرش³
نصر حصن مُتّماس ؛ من شرق مالقة ؛ من بيت خير،
وأصالة. وانتقل سلفه إلى مالقة ؛ فتوشّجت لهم بها
عروقٌ، وصاهروا إلى بيوتات نبيهة.

حاله

كان من أهل الخير، وكان على طريقة مثلى من
الصمت، والسّمت، والانقباض، والذكاء، والعدالة،
والتخصّص؛ محوّلاً في الخير، ظاهر المروءة، معروف
الأصالة، خالص الطّعمة، كثير العفّة، مشهور الوقار
والعفاف، تحرّف بصناعة التوثيق على انقباض.

¹ في المخطوطين: ((الأمدي))؛ والتصويب من كتاب قضاة الأندلس.
وتوجد ترجمة أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن برطال أيضاً في
الكتيبة الكامنة، واللمحة ابدرية، وتاريخ قضاة الأندلس.

² حُرِفَت في المخطوطين وفي الملكية؛ فكتبت: ((ابن بطال)).

³ يطلق على سهل شرق مالقة يحاذي البحر الأبيض المتوسط؛ حيث
تربض فيه بلدة تسمى الآن Torrox.

دخوله غرناطة

تقدم قاضياً بـغرناطة؛ بعد ولاية القضاء ببلده، وانتقل إليها، وقام بالرسم المضاف إلى ذلك؛ وهو الإمامة بالمسجد الأعظم منها، والخطابة بجامع قلعتها الحمراء؛ واستقل - بذلك - إلى تاسع جمادى الثانية؛ من عام إحدى وأربعين وسبعمائة¹؛ على قصور في المعارف، وضعف في الأداة، وكلال في الجد. ولذلك يقول شيخنا أبو بركات بن الحاج²:

إِنَّ تَقْدِيمَ ابْنِ بُرْطَالِ دَعَا
طَالِبَ³ الْعِلْمِ إِلَى تَرْكِ الطَّلَبِ
حَسِبُوا الْأَشْيَاءَ عَنْ⁴ أَسْبَابِهَا
فَإِذَا الْأَشْيَاءُ عَنْ غَيْرِ سَبَبٍ
إِلَّا إِنَّهُ أَعَانَهُ⁵ الدَّرْبَةَ، وَالْحَنْكَةَ⁶ عَلَى تَنْفِيزِ الْأَحْكَامِ؛
فَلَمْ تَوْثِرْ عَنْهُ فِيهَا أَحْدُوثة؛ واستظهر بجزالة؛ أمضت

¹ الموافق لـ 1340.

² خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة. وهذان البيتان من بحر الرمل.

³ في الكتيبة الكامنة، وتاريخ قضاة الأندلس: ((طالب)).

⁴ في الكتيبة الكامنة: ((من)).

⁵ في الملكية وفي ج: ((إعاده)). وفي تاريخ قضاة الأندلس: ((فأعنته)).

⁶ هكذا؛ ربما يقصد: أعانتته الدربة والحنكة.

حُكمه، وانقباض عافاه عن الهوادة؛ فرضيت سيرته،
واستقامت طريقته.

مشيخته

لقي والده؛ شيخ القضاة، وبقية المُحدثين. وله
الرّواية العالية، والدرجة الرفيعة؛ حسبما يأتي في اسمه؛
ولم يؤخذ عنه شيء¹ فيما أعلم.

شعره

أنشدني الوزير أبو بكر ابن ذي الوزارتين؛ أبي عبد
الله بن الحكيم²؛ قال: أنشدني القاضي أبو جعفر بُرطال
لنفسه؛ مُودّعاً في بعض الأسفار³:
أستودع الله [من لودعهم]⁴
قلبي وروحي إذ دنى الوداع⁵

¹ حُرفت في المخطوطين فكتبت: ((شيئاً)).

² هو أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى ابن
الحكيم اللخمي؛ ووالده هو ذو الوزارتين محمد بن عبد الرحمن اللخمي،
وقد وردت لهما ترجمتان في الإحاطة.

³ هذه الأبيات من بحر الكامل.

⁴ في ت، والزيتونة: ((الأولى أودعتهم)). وفي الكتيبة الكامنة: ((الرحمن)).
وكتب هذا الشطر في تاريخ قضاة الأندلس هكذا: ((أستودع الله من
لوداعهم)). وهو الأسلم.

⁵ في الكتيبة الكامنة: ((قلبي وصبري أدنا بوداع))؛ وهو أسلم.

بانوا وطرفي¹ والفؤاد ومقولي
باكٍ ومسلوب العزاء وداع
فتولَّ يا مولاي حفظهم ولا
تجعل تفرقنا فراق وداع

وفاته

توفي رحمه الله، وعفا عنه، أيام الطاعون الغريب
بمالقة²؛ في منتصف ليلة الجمعة؛ خامس صفر؛ عام
خمسین وسبعمئة³؛ وخرجت جنازته في اليوم التالي؛ ليلة
وفاته في ركبٍ من الأموات؛ يناهز الألف، وينيف
بمائتين، واستمر ذلك مدة. وكان مولده عام تسعة وثمانين
وستمئة⁴. رحمه الله تعالى.

¹ في الكتيبة الكامنة: ((طرفي)).

² أصاب هذا الوباء سنة 749هـ/1349م بلداناً كثيرة بالشرق والمغرب؛
وكتب ابن الخطيب رسالة خصصها لهذا الوباء؛ سماها: ((مقنعة السائل
عن المرض الهائل)).

³ الموافق لـ 1349م.

⁴ الموافق لـ 1290م.

أحمد بن عبد الله

(ابن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي¹؛ بلنسي شقوري²
(الأصل؛ يكنى أبا مطرف.

أوليته

لم يكن من بيت³ نباهة؛ ووقع لابن عبد الملك⁴ - في ذلك - نقل؛ كان حقه التجافي عنه؛ لو وُفق.

حاله

قال ابن عبد الملك⁵: كان أول طلبه العلم؛ شديد العناية بشأن الرواية؛ فأكثر من سماع الحديث، وأخذه عن مشايخ أهله، وتفنن⁶ في العلوم، ونظر في العقليات⁷ وأصول الفقه، ومال إلى الأدب فبرع فيه⁸، براعة؛ عُدد

¹ توجد ترجمة أحمد بن عبد الله بن عميرة أيضا في بغية الوعاة، وأزهار الرياض، والذيل والتكملة؛ حيث كتبه اسمه: ((أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عميرة المخزومي)).

² سبقت الإشارة إلى بلنسية وشقورة.

³ هكذا في ك؛ وهو الأقرب إلى الصحة. أما في ج، وفي الملكية فكتبت: ((أهل)).

⁴ هو قاضي مراكش أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي؛ ولد سنة 634هـ/1234م وتوفي سنة 703هـ/1303م. من مؤلفاته: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة.

⁵ سبقت الإشارة إليه أعلاه.

⁶ في الذيل والتكملة: ((ثم تفنن)).

⁷ نفسه: ((المعقولات)).

⁸ نفسه: ((الأدب فبرع فيها)).

فيه من كبار مُجيدي النَّظم. وأما الكتابة ؛ فهو¹ عَلمُها المشهور، وواحدها الذي عجزت عن ثانيه الدهور²؛ ولا سيما في مخاطبة الإخوان ؛ هنالك استولى على أمد الإحسان³؛ وله المطوَّلات المنتخبة، والقصار المقتبضة، وكان يُلمح⁴ كلامه - نظماً ونثراً - بالإشارة إلى التاريخ⁵؛ ويُودعه إلماعات بالمسائل العلمية مُنوعة المقصد⁶.

قلت: وعلى الجملة ؛ فذاتُ أبي المطرّف - فيما ينزع إليه - ليست من ذوات الأمثال ؛ فقد كان نسيج وحده ؛ إدراكاً، وتفناً؛ بصيراً بالعلوم، مُحَدَّثاً، مكثراً، راوية ثباً، سَجراً⁷، في التاريخ والأخبار؛ رَيَّان، مضطلعاً بالأصليين، قائماً على العربية واللغة ؛ كلامه كثير الحلاوة والطَّلاوة؛ جَمَّ العيون، غزير المعاني والمحسن، وافد أرواح المعاني، شفاف اللفظ، حرّ المعنى، ثاني بديع

¹ في الذيل والتكملة: ((فأما الكتابة فإنه)).

² نفسه: ((التي عجزت عن الإتيان بثانيه الدهور)).

³ في المخطوطين: ((الإنسان))؛ وقد صوبت من الذيل والتكملة، ومن ت.

⁴ في المخطوطين: ((يعلم))؛ وصوبت من الذيل والتكملة.

⁵ نفسه: ((التواريخ)).

⁶ نفسه: ((بمسائل علمية متنوعة المقاصد)).

⁷ السجر: هو الملىء. وقد كتبت في ك: ((شجراً)).

الزمان ؛ في شكوى الحرفة ، وسوء الحظ ، ورونق الكلام ،
ولُطْف المأخذ ، وتبريز الشر على النظم ، والقصور في
السُّلْطانيات .

مشيخته

روى عن : أبي الخطاب بن واجب ، وأبي الربيع بن
سالم ، وأبي عبد الله بن فرج ، وأبي علي الشُّلُوبين ، وأبي
عُمَر بن عات ، وأبي محمد بن حَوْط الله ؛ لقيهم ، وقرأ
عليهم ، وسمع منهم ، وأجازوا له ؛ وأجاز له - من أهل
المشرق : أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج ، وغيره .

من روى عنه : روى عنه ابنه القاسم ، وأبو بكر بن
خطّاب ، وأبو إسحاق البُلُقَني الحفيد ، والحسن بن طاهر
ابن الشُّقُوري ، أبو عبد الله البرِّي . وحدّث عنه : أبو جعفر
ابن الزُّبير ، وابن شقيف ، وابن ربيع ، وغيرهم ؛ مما يطول
ذكره .

نباهه

صحب أبا عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن خطاب، قبل توليته ما تولى من رئاسة بلده، وانثفع به كثيراً؛ وكتب عن الرئيس أبي جميل زيان بن سعد¹، وغيره من أمراء شرق الأندلس. ثم انتقل إلى العُدوة²، واستكسبه الرشيد أبو محمد عبد الواحد³؛ بمراكش مدة يسيرة؛ ثم صرفه عن الكتابة، وولاه

¹ هو أبو جميل زيان بن أبي الحملات مدافع بن يوسف بن سعد بن مردنيش الجذامي؛ تأمر على أمير بلنسية عقب تلاشي دولة الموحدين بالأندلس أوائل القرن السابع الهجري؛ وفي وقته؛ حوصرت بلنسية من قبل ملك نصارى الأراغون خايمي الأول سنة 635هـ/1137م. وقد حفظت لنا كتب التاريخ خبر استتجاد أبي جميل زيان بالسلطان الحفصي أبي زكرياء؛ حين أرسل إليه أبي عبد الله بن لأبار القضاعي؛ فألقى أمامه قصيدته الشهيرة ومطلعها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلساً * إن السبيل إلى منجاتها درسا
فلم يجد أبو زكرياء في قدرته سوى إرسال بعض السفن؛ محملة بالأغذية والأموال والمياه. ولكن المدينة لم تصمد طويلاً؛ حيث سقطت سنة 636هـ/1138م. حيث طويت بها صفحة كنيية من صفحات الأندلس. أي بلاد المغرب.

³ هو الرشيد عبد الواحد بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن؛ ولد سنة 616هـ/1219م وتوفي بمراكش غرقاً سنة 640هـ/1242م. ولي إمارة المؤمنين بمراكش بعد وفاة أبيه سنة 630هـ/1232م.

قضاء مليانة¹؛ من نظر مراكش [الشرقي]²؛ فتولاه قليلاً، ثم نقله إلى أقصى رباط الفتح؛ وتوفي الرشيد؛ فأقره على ذلك الوالي بعده؛ أبو الحسن المعتضد³ أخوه؛ ثم نقله إلى قضاء مكناسة الزيتون؛ ثم لما قُتل المعتضد لحق بسبته؛ وجرى عليه - بطريقها - ما يذكر في محنته، ثم ركب البحر - منها - متوجهاً إلى إفريقية؛ فقدم بجاية؛ على أبي زكريا يحيى بن الأمير أبي زكريا⁴. ثم توجه إلى تونس؛ فنجحت بها وسائله، وولى قضاء مدينة الأرش⁵. ثم انتقل إلى قابس⁶؛ وبها طالت مدة ولايته؛ واستدعاه

¹ مليانة مدينة تابعة لولاية عين الدفلى؛ تبعد عن العاصمة الجزائرية بحوالي 120 كيلو. اختلفت آراء الباحثين حول أصل اسمها؛ لكن الراجح في الآراء هو أنها منسوبة إلى قبيلة صنهاجية أمازيغية تسمى مليانة، والذي بناها هو بلكين بن زيري الصنهاجي.

² هذه الإضافة من الملكية.

³ هو أبو الحسن علي السعيد بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن؛ لقب بالمعتضد بالله؛ توفي في معركة بينه وبين يغمراسن بن زيان سنة 646هـ/1248م.

⁴ هو أمير بجاية الحفصي أبو زكرياء يحيى بن أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد سلطان الحفصيين بتونس.

⁵ هكذا؛ يبدو أن تحريفاً حدث وقد تكون هي الأربس؛ وهي كورة بإفريقية قديماً؛ وكانت موجودة إلى الغرب من القيروان.

⁶ قابس مدينة ساحلية ومركز ولاية بالجمهورية التونسية؛ تبعد عن مدينة تونس بـ 405 كيلو. اسست هذه المدينة من قبل الفينيقيين.

المُستنصر بالله¹ محمد بن أبي زكريا²؛ ولطف محله منه؛ حتى كان يحضر مجالس أنسه؛ وداخله بما قرفته³ الألسن بسببه؛ حسبما يذكر في وصمته.

مناقبه

وهي الكتابة والشعر. كان يذكر أنه رأى في منامه، النبي صلى الله عليه وسلم؛ فناولته أقلاماً؛ فكان يُروى له؛ أن تأويل تلك الرؤيا؛ ما أدرك من التبريز في الكتابة، وشياع الذكر؛ والله أعلم. ومن بديع ما صدر عنه، فيما كتب في غرض التورية؛ قطعة من رسالة، أجاب بها العباس بن أمية؛ وقد أعلمه باستلاء الروم على بلنسية⁴؛ فقال: ((بالله؛ أيّ نحو ننحو، أو مسطور نُثبث أو نمحو؛ وقد حُذف الأصل والزائد، وذهبت الصلّة والعائد؛ وباب التّعجب طال، وحال اليأس لا تخشى الانتقال؛ وذهبت

¹ حُرِفَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ؛ فَكُتِبَتْ: ((المنتصر بالله)).

² هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَكْرِيَاءَ يَحْيَى؛ وَلِي سُلْطَنَةِ الْحَفْصِيِّينَ بَتُونَسَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ سَنَةَ 647هـ/1249م وَتُوفِيَ سَنَةَ 675هـ/1276م. لَقِبَ بِالْمُسْتَنْصَرِ بَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ خِلَافَتَهُ؛ جَرَاءِ انْقِرَاضِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِبَغْدَادَ.

³ فِي الْمَلِكِيَّةِ: ((قَرِيبَتَهُ)).

⁴ وَتَارِيخُ سَقُوطِ بِلَنَسِيَّةٍ فِي قَبْضَةِ الْأَرَاغُونِ هُوَ سَنَةُ 636هـ/1238م.

عَلَامَةُ الرَّفْعِ، وَفُقِدَتْ نُونُ الْجَمْعِ؛ وَالْمُعْتَلُّ أَعْدَى
الصَّحِيحِ، وَالْمُثَلَّثُ أَرْدَى الْفَصِيحِ؛ وَأُمْتَنَعَتِ الْجُمُوعُ مِنْ
الصَّرْفِ، وَأُمْنَتْ زِيَادَتُهَا مِنَ الْحَذْفِ؛ وَمَالَتِ قَوَاعِدُ الْمَلَّةِ،
وَصَرْنَا جَمْعَ الْقَلَّةِ، وَظَهَرَتْ عَلَامَةُ الْخَفْضِ، وَجَاءَ بَدَلُ
الْكُلِّ مِنَ الْبَعْضِ)). وَمِنْ شَعْرِهِ؛ فِي الْمَقْطُوعَاتِ الَّتِي وَرَى
فِيهَا بِالْمَعْلُومِ؛ قَوْلُهُ¹:

قَدْ عَكَفْنَا عَلَى الْكِتَابَةِ حِينًا
وَجَاءَتْ² خُطَّةُ الْقَضَاءِ تَلِيهَا
وَبِكُلٍّ لَمْ يَنْقِ لِلْجُهْدِ إِلَّا
مَنْزِلًا نَابِيًا وَعِشًا كَرِيهَاً
نِسْبَةً بُدِّلَتْ وَلَمْ تَتَغَيَّرْ
مِثْلُ مَا يَزْعُمُ الْمُهَنْدِسُ فِيهَا

¹ هذه المقطوعة من البحر الخفيف.

² في الملكية: ((ثم جاءت)). وقد صوب هذا الشطر نقلاً عن المجلد الثاني من الإحاطة؛ خلال ترجمة أبي البركات البليقي؛ حيث وردت هذه الأبيات بشكل مختلف. يمكن مقارنة ذلك بالرجوع إلى المجلد الثاني.

وكقوله مما افتتح به رسالة¹.

يا غائباً سَلَبْتَنِي الأُنْسَ غَيْبَتُهُ
فكَيْفَ صَبَّرِي وقد كَابَدْتُ بَيْنَهُمَا
دَعَوَايَ أَنَّكَ فِي قَلْبِي فَعَارَضَهَا²
شَوْقِي إِلَيْكَ فَكَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا

وفي مثل ذلك استفتاحُ رسالته أيضاً³:

إِنَّ الْكِتَابَ⁴ أَتَى وَسَاحَةً طَرُسُهُ
رُوحَ مُوشَى⁵ بِالْبَدِيعِ مُرْتَعٍ⁶
وَلَهُ حَقُوقٌ ضَاقَ وَقْتُ وَجُوبِهَا
وَمِنْ الْوُجُوبِ ضَيْقٌ⁷ وَمُوسَعٌ

¹ هذان البيتان من البحر البسيط وقد وردا أيضاً في كتاب الذيل والتكملة.

² في الذيل والتكملة: ((يعارضها)).

³ الكامل.

⁴ في الذيل والتكملة: ((أفدي الكتاب)).

⁵ في ت، والزيتونة: ((موشج)).

⁶ في ك: ((مرتبع)). وورد هذا الشطر في الذيل والتكملة هكذا:

((رُوحُ مُوشَى بِالْبَدِيعِ مُوسَعٍ)).

⁷ في الذيل: ((مضيق))؛ وهو أسلم.

وفي مثل ذلك في استفتاح رسالته أيضاً¹:
كَبَّرْتُ بِالْبَشْرِىَ² أَتَتْ وَسَمَاعُهَا
عَيْدِي الَّذِي لَشُهُودِهِ تَكْبِيرِي
وكذلك الأعياد سنة يومها
مختصة بزيادة التَّكْبِيرِ

وفي أغراض أُخَرُ³:
بايعونا مَوْدَّةً هِيَ عِنْدِي
كالمرآة⁴ بيعها بِالْخِذَاعِ
فسأقضي بِرَدِّهَا ثُمَّ أَقْضِي
بعدها⁵ من مدامعي⁶ أَلْفَ صَاعٍ

¹ الكامل.

² في الذيل: ((البشرى)).

³ البحر الخفيف.

⁴ في ك، وفي ت: ((كالممرات، كالممارات)). وفي الذيل والتكملة:

((كالمصرأة)).

⁵ في الذيل والتكملة: ((معها)).

⁶ في ج: ((مدامتي))، وفي ك: ((قدامني)).

وله في معنى آخر ¹:

شَرَطْتُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ تَسْلِيمِ مُهْجَتِي
وعند انعقاد البيع قُرباً يُواصل
فلما أردتُ الأخذَ بالشَّرْطِ أعْرَضُوا
وقالوا يَصِحُّ الْبَيْعُ وَالشَّرْطُ بَاطِلٌ

تصانيفه

له تأليف في كائنة مُيرَقة²، وتغلب الروم عليها؛ نحى
فيه مَنَحَى العِمَادِ الْأَصْفَهَانِي؛ في الفتح القدسي³؛ وكتابه؛
في تعقيبه على فخر الدين بن الخطيب الرازي؛ في كتاب
المعالم في أصول الفقه⁴ منه؛ وردّه على كمال الدين أبي
محمد بن الكريم السُّماكي؛ في كتابه المسمى بالتبيين في علم

¹ الطويل.

² يقصد استيلاء نصارى الأراغون؛ بقيادة ملكهم خايمي الأول على كبرى جزر البليار المسماة ميورقة؛ وذلك في سنة 627هـ/1228م.

³ يسمى هذا الكتاب الفتح القسي في الفتح القدسي؛ شرع في كتابته عماد الدين بن محمد الكاتب الأصبهاني سنة 583هـ/1187م.

⁴ الكتاب يسمى معالم أصول الدين؛ كتبه أبو عبد الله محمد بن العمر ابن الحسين التميمي الطبرستاني الرازي؛ الملقب بفخر الدين الرازي.

البيان¹؛ واقتضابُه النبيل² في ثورة المريدين³؛ إلى غير ذلك من تعاليق⁴، والمقالات؛ ودون الأستاذ أبو عبد الله ابن هانئ السبتي⁵ كتابته، وما يتخللها من الشعر في سفرين بديعين؛ أتقن ترتيبهما؛ وسمى ذلك ((بُغية المُستطرف وغُنية المُتطَرَّف⁶ من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرَّف)).

¹ في المشهور أن كتاب التبيان في علم البيان المُطالِع على إعجاز القرآن؛ هو للقاضي أبي المكارم كمال الدين عبد الواحد بن عيد الكريم بن خلف الأنصاري الزمלקاني الدمشقي؛ يعرف بابن خطيب زملكا؛ توفي بدمشق سنة 651هـ/1253م.
² حُرِفَ في ج، وفي ك؛ فكتب في الأولى: ((السميل))؛ وفي الثانية: ((النسيل)).
³ ثورة المريدين؛ قامت ضد المرابطين بدءاً بمنطقة شلب جنوب البرتغال؛ بزعامة أبي القاسم أحمد بن الحسين بن قسي؛ وسمى أتباعه بالمريدين. وابن قسي هذا من المولدين ذي الأصول النصرانية؛ اتبع الطرق الصوفية؛ حيث أُلِفَ فيها بعض الكتب؛ مثل كتاب خلع النعلين، وتمادى في ادعاءاته حتى خرج عن الحدود المقبولة.
⁴ حُرِفَ في المخطوطين؛ فكتبت: ((العماليق)).
⁵ هو الأستاذ أبو عبد الله محمد بن هانئ السبتي (ت 733 هـ/1332 م).
⁶ في ج: ((المطرَّف)).

دخوله غرناطة

[قال]¹ شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب: عمير أخبر بذلك من شيوخه؛ والرجل ممن يُرَكَن إليه في أخباره؛ فيما أحقُّوا² على سبيل الرواية والإخبار؛ من شرق الأندلس، إلى غرناطة، إلى غربها إلى غير ذلك؛ عند رحلته؛ وهو الأقرب. وقال: قال المخبر، عهدي به طويلاً، نحيف الجسم، مُصَفَّرًا، أقنى الأنف؛ أصيب بمالقة ما أحوج ما كان إليه؛ وقد استقبل الكبرة³، ونازعه⁴ سوء الحظ. قال الشيخ أبو الحسن الرُّعَيْنِي، إنّه كتب إليه يُعلمه بهذه الحادثة عليه، وأن المنهوب من ماله، يُعَدل أربعة آلاف دينار عُشْرِيَّة، وكان ورقاً وعيناً وحُلِيّاً؛

¹ هذه الكلمة سقطت في النسخ الثلاث، فأضافها عنان.

² هكذا في المخطوطين؛ أما في ت؛ فكتبت: ((مما أخفوا)).

³ يقصد: كبر السن.

⁴ في ك: ((وقارعه)).

وذلك أنه لما قُتل المعتضد¹، اغتنم الفطرة²، وفصل عن
مكناسة³؛ قاصداً سبتة؛ فلقي الرفقة؛ التي كان فيها جمعٌ
من بني مرين⁴؛ سلبوه، وكلّ من كان معه.

مولده

بجزيرة شُقر⁵؛ وقيل ببلنسية؛ في رمضان اثنين
وثمانين وخمسمائة⁶.

¹ هو علي السعيد الملقب بالمعتضد؛ قتله بنو زيان. وقد سبقت الإشارة إليه.

² في ك: ((الفطرة)).

³ مكناس وهي مدينة في شمال شرق المملكة المغربية؛ وتبعد عن الرباط بـ 130 كيلو؛ تسمى أيضاً بمكناسة الزيتون.

⁴ بنو مرين؛ قبيلة أمازيغية زيناتية من بني واسين؛ أبناء عم بني زيان. تمكنوا من إسقاط دولة الموحدين بمراكش، وتأسيس دولتهم على أنقاضها.

⁵ أي Jucar بالإسبانية. وهي من أعمال بلنسية؛ وتسمى أيضاً جزيرة شكر وتقع شرقي الأندلس، وتعرف الآن Alcira. ولد فيها شاعر الأندلس أبو إسحاق إبراهيم ابن خفاجة سنة 450هـ/1058م.

⁶ الموافق لـ 1186م

وفاته

توفي بتونس ؛ ليلة الجمعة الموفية عشرين¹ ذي الحجة ؛ عام ستة وخمسين وستمائة². قال ابن عبد الملك : وَوَهْم ابْن الزبير في وفاته ؛ إذ جعلها في حدود الخمسين وستمائة أو بعدها.

¹ في ج ، ت : ((عشر)).

² الموافق لـ 1258م. وفي الذيل والتكملة : ((الحجة ؛ ثمان وخمسين وستمائة)). وفي بغية الوعاة : ((رابع ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وستمائة)).

أحمد بن عبد الحق

(ابن محمد بن يحيى بن عبد الحق الجزلي¹؛ من أهل مالقة،
ويكنى أبا جعفر، ويعرف بابن عبد الحق).

حاله

من صدور أهل العلم والتفنن؛ في هذا الصُّقع²
الأندلسي، نسيج وحده في الوقار والحصافة، والتزام
مُثلى الطريقة، جُمُّ التحصيل، سديد النظر، كثير
التخصُّص، محافظ على الرسم، مقبوض العنان في
التَّطْفِيف في إيجاب الحقوق لأهلها، قريب من الاعتدال في
معاملة أبناء جنسه، مقتصد في ثروته³، مؤثر للترتيب⁴ في
كافة أمره، متوقد الفكرة مع سكون، لَيِّن العريكة مع
مَضَاء؛ مجموع خِصال حميدة مما يفيد التجريب⁵
والحنكة؛ مضطلع بصناعة العريية، حائز قصب السبق
فيها، عارف بالفروع والأحكام، مشارك في فنون من:

¹ في الكتيبة الكامنة، وبغية الوعاة ((الجدلي))؛ بالذال المهملة.

² تحرف باستمرار في ك؛ فتكتب: ((بالسقع))؛ بالسين المهملة.

³ في ج: ((تورته))؛ وهو تحريف.

⁴ في ك: ((لل قريب)).

⁵ في المخطوطين: ((التحريج))، و((التخريج)).

أصول، وطب، وأدب؛ قائم على القراءة¹، إمام في الوثيقة²، حسن الخط، مليح السّمة والشّبة³، عذب الفكاهة، حسن العهد، تام الرجولية⁴.

نباهته

تصدر للإقراء ببلده على وفور أهل العلم؛ فكان سابق الحلبّة، ومناخ الطّيّة: إمتاعاً، وتفناً، وحسن إلقاء⁵. وتصرف في القضاء ببلش⁶، وغيرها من غربي بلده، فحسنت سيرته، واشتهرت طريقته، وحُمِدَت نزاهته. ثم وُلّي خطة القضاء بمالقة، والنظر في الأحباس⁷ بها؛ على سبيل من الحظوة والتّباهة؛ مرجوعاً إليه في كثير من مُهمّات بلده، سائمة وجود السعادة، ناطقة ألسن الخاصة والعامة بفضلله، جمّاعة نزاهته، آوياً إلى فضل بيته. وأُتّصلت ولايته إيّاها إلى هذا العهد؛ وهي أحد

¹ في بغية الوعاة: ((القراءات)).

² أي كتابة العقود وشئون التوثيق.

³ في ج: ((الشبيهة))، وفي ك: ((الشبيبة))؛ فصوبها عنان.

⁴ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الرجولية)).

⁵ حرفت في ج؛ فكتبت: ((اللقاء)).

⁶ سبق التعريف ببلش؛ (بلش مالقة)؛ وتسمى بالإسبانية Velez Malaga.

⁷ أي الأوقاف.

محامد¹ الوالي ؛ طول مدة الولاية ؛ لاسيما القاضي ؛ مما يدل على الصبر، وقلة القُدْح، وسد أبواب التُّهم. والله يعينه، ويمتّع به بمنه.

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن بكر، وهو نجيب حَلَبته، والسَّهْمُ المصيب من كِنانتِه ؛ لازمه، وبه تفقّه وانتفع، وتلا القرآن عليه وعلى محمد² بن أيوب، وعلى أبي القاسم بن درهم ؛ علّمي وقتهما في ذلك، وعلى غيرهما، وتعلّم الوثيقة على العاقد القاضي أبي القاسم ابن العريف، وروى عن الخطيبين المحدثين: أبي عثمان بن عيسى، وأبي عبد الله الطنجالي، وغيرها.

دخوله غرناطة

تردّد إليها غير ما مرّة ؛ منها في أمور عَرَضت في شئونه الخاصة به، ومنها مع الوفود الجلّة، من أهل بلده ؛

¹ في ج: ((المحامد)).

² في بغية الوعاة: ((على أبي محمد)).

تابعاً قبل الولاية، متبوعاً بعدها، ومن شعره؛ قوله في
جدول¹:

ومُقاربُ الشَّطين² أحكم صَقْلَه³
كالمشْرِقي إذا اكتسى بفرْنَدِه
فحمائل⁴ الدَّيباج منه خَمائلُ
ومعانق⁵ فيها البَهَارُ بورده
وقد اختفى طرف⁶ له في دَوْحَةٍ
كالسَّيفِ رُدَّ ذبابه في غمده
وقوله في شجر نارنج مزهر⁷:
وثمار نارنج نرى أزهارها
مع نائى⁸ النَّارنج في تنْضيد

¹ البحر الكامل.

² في المخطوطين: ((ومنهم الشيطان)).

³ ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا:

((ومنم الشَّطين منه حمائل)).

⁴ في الكتيبة الكامنة: ((فحمائل)).

⁵ نفسه: ((متعانق)).

⁶ نفسه: ((طوق)).

⁷ البحر الكامل.

⁸ في الكتيبة: ((نرى أزهاره مع قانئ)).

فإذا نظرت إلى تألفها¹ أتت
كمباسم² أومت للنم حدود

وفاته

في زوال يوم الجمعة ؛ السابع³ والعشرين لرجب ؛
عام خمسة وستين وسبعمائة⁴.

مولده

ثامن شوال ؛ عام ثمانية وتسعين وستمائة⁵.

¹ في الكتيبة: ((تألفها)).

² في المخطوطتين: ((كملاسم)).

³ في بغية الوعاة: ((الجمعة ثامن عشرين رجب)).

⁴ الموافق لـ 1363م.

⁵ الموافق لـ 1298م.

أحمد بن عبد الرحمن

(بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري الحزرجي¹؛
يكنى أبا العباس، من أهل الثغر الأعلى²)

أوليته

من سرقسطة³، حيث منازل الأنصار هنالك؛ انتقل
جدُّ أبيه عبد الرحمن بابنه الصغير⁴ منها؛ لحدوث بعض
الفتن بها؛ إلى بلنسية، فولد له ابنه عبد الرحمن؛ أبو
العباس هذا⁵؛ ثم انتقل أبوه إلى المريّة⁶؛ فولد أبو العباس
العباس بها؛ ونقله أبوه إلى سبتة؛ فأقام بها مدة⁷.

¹ توجد ترجمة أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر أيضاً في التكملة،
والمقتضب من كتاب تحفة القام، والوافي بالوفيات، والذيل والتكملة،
والديباج المذهب، ونفح الطيب.
² يقصد بعبارة الثغر الأعلى المناطق والمدن الشمالية المتاخمة لدول
النصارى؛ مثل: سرقسطة، وتطيلة، ووشقة، ولاردة، وطركونة، وطرطوشة.
³ سرقسطة تسمى عند الإسبان زاراغوزا Zaragoza؛ وتقع على ضفاف
نهر إبرو؛ وهي عاصمة لمقاطعة في الشمال الشرقي من الأندلس؛
وتتأخمها شمالاً دولة الأراغون النصرانية.
⁴ يسمى هذا الابن - كما ورد في الذيل والتكملة - محمد.
⁵ في الذيل: ((أبو أبي العباس هذا)).
⁶ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((القرية)).
⁷ في الذيل والتكملة: ((سبتة ابن نحو سبعة أعوام، وأقام فيها به مديدة)).

حاله

كان محدثاً مُكثرًا ثقةً، ضابطاً، مقرئاً، مُجوداً، حافظاً للفقهِ، ذاكرًا للمسائل¹، عارفاً بأصولها²، متقدماً في علم الكلام، عاقداً للشروط، بصيراً بعللها، حاذقاً بالأحكام، كاتباً بليغاً، شاعراً محسناً، أتقن³ أهل عصره خطاً، وأجلهم منزعاً، ما اكتسب قط شيئاً من متاع الدنيا، ولا تلبس بها، مُقتنعاً باليسير، راضياً بالدُّون؛ مع الهمّة العليّة⁴، والنفس الأيّّة، على هذا؛ قطع عمره، وكتب من دواوين العلم ودفاتره، ما لا يحصى كثرة، بجودة وضبط⁵، وحسن خطّ، وعُنيَ به أبوه في صغره؛ فأسمعه كثير من الشروح، وشاركه في بعضهم. نفعه الله.

¹ في الذيل: ((المسائل)).

² في المخطوطين، وفي الذيل والتكملة: ((بأصوله))؛ فصوبها عنان.

³ في الذيل: ((أنق)).

⁴ في الملكية: ((العالية)).

⁵ في الذيل: ((جودة وضبطاً)).

نباهته

استدعاه أبو عبد الله بن حسُون، قاضي مَرَّاكش، إلى كتابته؛ إلى أن صُرف، واستقر هو ومتولي حكمها وأحكامها، والصلاة في مسجدها، ثم ترك الأحكام، واستقر في الإمامة. ولما تصيّر الأمر إلى الموحّدين؛ ألحقه عبد المؤمن¹ - منهم - بجملة طلبة العلم، وتحفّا به، وقَدّمه إلى الأحكام بحضرة مَرَّاكش؛ فقام بها مدّة، ثم ولّاه قضاء غرناطة، ثم نقله إلى إشبيلية؛ قاضياً بها؛ مع ولي عهده. ولما صار الأمر إلى أبي يعقوب²؛ ألزمه خدمة الخزانة العلمية؛ وكانت عندهم من الخطط التي لا يُعَيَّن لها إلا كبار أهل العلم وعليّهم. وكانت مواهب³ عبد المؤمن له جَزْلة، وأعطياتُهم مُترافهة كثيرة.

¹ عبد المؤمن بن علي؛ سبق الحديث عنه.

² هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي. حكم من سنة 558هـ/1162م إلى سنة 580هـ/1184م؛ سنة وفاته؛ متأثراً بجراح أصيب بها في معركة شنترين؛ التي هزم فيها الموحّدون.

³ حُرِفَت في ج، والملكية؛ فكتبت: ((مذاهب)).

مشيخته

قرأ القرآن على أبيه، وأكثر عنه، وأجاز له، وعلى أبي الحسن التُّطيلي¹. قال: وهو أول من قرأت عليه.

من روى عنه

روى عنه: أبو عبد الله، وأبو خالد يزيد بن يزيد بن رفاعه، وأبو محمد بن محمد بن علي بن وهب القضاعي.

دخوله غرناطة

صحبة القاضي أبي قاسم بن حمزة؛ ونوّه به، واستخلفه إذ وليها، وقبض عليه بكلتي يديه؛ ثم استُقضي بها أبو الفضل عياض بن موسى؛ فاستمسك به، واشتمل عليه؛ لصحبة كانت بينهما، وقرابة؛ إلى أن صُرف عنها أبو الفضل عياض؛ فانتقل إلى واد آش؛

¹ نسبة إلى مدينة تطيلة؛ في الثغر الأعلى؛ الواقعة في الشمال الغربي من سرقسطة؛ والمحاذية لنهر إبيرو؛ وتسمى بالإسبانية: Tudela.

فتولى أحكامها، والصلاة بها؛ ثم عاد إلى غرناطة سنة
سِت وثلاثين¹، إلى أن استقضى بغرناطة؛ في دولة أبي
محمد بن عبد المؤمن بن علي؛ فحُمِدَت سيرته، وشُكِر
عدله، وظهرت نزاهته؛ ودام بها حتى ظن من أهلها.

شعره

وشعره في طريقة الزهد [وهي]² لا يَنْفُذُ فيها إلاّ من قويت
عارضته، وتوفرت مادّته³:

إِلَهِى لَكَ الْمُلْكُ الْعَظِيمُ حَقِيقَةً
وَمَا لِلْأُورَى مَهْمَا مَنَعْتَ نَقِيرَ
تَجَافِي بَنُو الدُّنْيَا مَكَانِي فَسَرَّتْنِي
وَمَا قَدْرُ مَخْلُوقٍ جَدَاهُ⁴ حَقِيرَ

¹ 536هـ/1141م.

² كلمة ((هي))؛ وردت في ك، وسقطت في ج.

³ هذه الأبيات من البحر الطويل.

⁴ في المخطوطين: ((جداه))، وفي الملكية: ((جزاه)).

وقالوا فقير وهم¹ عندي جلالة
نعم صدقوا إني إليك فقير

وشعره في هذا المعنى كثير؛ وكله سلس المقادة، دالاً على
جودة الطبع. ومن شعره؛ قوله²:
إِرْضِ الْعَدُوَّ بظاهر مُتَصَنِّعٍ
إِنْ كُنْتَ مُضْطَرّاً إِلَى اسْتِرْضَائِهِ³
كَمْ مِنْ فَتًى أَلْقَى بَوَّجَهُ⁴ بِاسْمِ
وَجْوانِحي تَتَقَدَّ⁵ مِنْ بَغْضَانِهِ

تصانيفه

له تصانيفه مفيدة، تدل على إدراكه وإشرافه،
كشرحه الشَّهاب؛ فإنه أبدع فيه، وكتابه ((أنوار الأفكار

¹ في الذيل والتكملة: ((وهو))؛ وذلك أسلم.

² الأبيات التالية من البحر الكامل.

³ في الذيل: ((إلى إرضائه)).

⁴ نفسه: ((يُبْغِر)).

⁵ نفسه: ((تَقْدُّ))؛ وهو أسلم.

فيمَن دخل جزيرة الأندلس من الزهَّاد والأبرار))؛ ابتداءً
تأليفه؛ وتوفي دون إتمام غرضه فيه؛ فكمَّله عبد الله ابنه.

محتنه

كان ممن وقعت عليه المحنة العظمى بمراءكش؛ يوم
دخول الموحدين إياها؛ يوم السبت لإثني عشر ليلة بقيت
من شوال؛ [عام] ¹ إحدى ² وأربعين وخمسمائة ³؛ على
الوجه المشهور؛ في استباحة دماء كل من اشتملت عليه
من الذكور البالغين؛ إلا من تسَّتر بالاختفاء في سِرْب، أو
غرفة ⁴، أو مخبأ. وتمادى القتل فيها ثلاثة أيام؛ ثم نُوديَ
بالعفو عَمَّنْ أشارته الفتكة الكبرى؛ فظهر من جميع
الخلق بها؛ ما يناهز السبعين رجلاً؛ ويبيعوا أسارى
المشركين؛ هم وذرايرهم؛ وعُفي [عنهم] ⁵. فكان أبو
العباس مِّنْ تخطته المنيَّة، واستنقذه من الرقِّ العفو.

¹ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ ووضعها عنان.

² في الذيل: ((أحد))؛ وهو أصح.

³ الموافق لـ 1146م.

⁴ هذه الإضافة من ك.

⁵ سقطت في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

وحسبك بها محنة. نفعه الله ؛ وضاعت له - في ذلك ، وفي غيره - كتب كثيرة بخطّه ، وبغير خطه ؛ مما تجلّ عن القيمة.

مولده

بالمريّة ؛ في أواخر شهر ربيع ؛ سنة اثنين¹
 وخمسائة².

وفاته

توفي بمراكش ؛ بين صلاة الظهر والعصر ؛ في يوم
الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى ؛ سنة تسع
 وخمسين وخمسائة³. دفن يوم الإثنين - بعده - عقب⁴
 صلاة الظهر ؛ وصلى عليه القاضي أبو يوسف حجاج ؛
 وكانت جنازته عظيمة المحفل ، كثيرة الجمع ؛ برز إليها
 الرجال والنساء ، ورفعوا نعشه على الأيدي. رحمه الله.

¹ في الذيل: ((اثنين))؛ وهو أصح.

² الموافق لـ 1108م.

³ الموافق لـ 1183م. في التكملة والذيل والتكملة، والمقتضب: كانت وفاته

سنة 569هـ الموافق لسنة 1173م.

⁴ في المخطوطين: ((بعد عقب))؛ وقد صوبت من الملكية.

ومما رثاه به جاره وصديقه أبو بكر بن الطفيل¹؛ وهو
باشبيلية؛ بعث بها إلى ابنه؛ مع كتاب في غرض العزاء²:

لأمرٍ ما تغيّرت الدُّهور
وأظلمت الكواكبُ والبُدُور
وطال على العُيون اللَّيْلُ حتّى³
كأنَّ النّجْمَ فيه لا يَغُور

¹ هو الفيلسوف أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي؛ ولد في وادي آش سنة 494هـ/1100م وتوفي بمراكش سنة 581هـ/1185م. خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة.

² هذان البيتان من البحر الوافر.

³ في الذيل: ((هال على نجيّ الهَمَّ ليل)).

أحمد بن أبي القاسم

(ابن عبد الرحمن)؛ يعرف بابن (القَبَاب) من أهل فاس؛
ويكنى أبا العباس.

حاله

هذا الرجل، صَدُرَ عدول¹ الحَضْرَةِ الفَاسِيَّةِ، وناهضُ
عُشْمِهِم؛ طالب، فقيه، نبيه، مُدْرِك، جيد النظر، سديد
الفهم؛ حضر الدرس بين يدي السلطان، وولِّيَ القضاء
بجبل الفتح²؛ متَّصفاً فيه بجزالة وانتهاض. تعرفت به في
مدينة فاس؛ فأعجبني سميته؛ ووصل مدينة سلا؛ في
غرض اختبار، واستطلاع الأحوال السلطانية؛
واستدعيته؛ فاعتذر ببعض ما يُقبل؛ فخاطبته بقولي³:
أَبَيْتُمْ دَعْوَتِي إِمَّا لِشَأْوٍ⁴
وتأبى لومه مثلى الطريقة

¹ وظيفة العدل في الأندلس وبلدان المغرب - آنذاك - تشبه وظيفة كاتب الضبط القضائي الآن؛ إذ يقوم العدل عندهم بصياغة الوثائق القضائية وتوثيقها بعد أن يقرها القاضي، ومعنى العدل لغة هو من يلتزم العدل؛ ولا ينجر مع الهوى؛ حتى يجور أو يظلم.

² جبل طارق.

³ هذه القطعة من البحر الوافر.

⁴ في نفح الطيب: ((لباؤ)).

وبالمختار للناس اقتداء
وقد حضر الوليمة والعقيقة
وغير غريبة أن رقَّ حُرٌّ
على من حاله مثلي رقيقة
وإما زاجرُ الورع اقتضاها
ويأبى ذاك دُكان الوثيقة
وغشيانُ المنازل لاختبار
يطالب بالجليلة والدقيقة
شكرت مخيلة كانت مجازاً
لكم وحصلت بعدُ على الحقيقة¹

وتفرَّغ الكلام على قولي: ((ويأبى ذلك دُكانُ
الوثيقة))؛ بما دعى إلى بيانه بتصنيفي² - فيه - الكتاب
المسمَّى ((مُثْلَى الطريقة في دَمِّ الوثيقة))³.

¹ حدث تحريف لهذه الأبيات في المخطوطين؛ وقد صوبت من نفج الطيب؛ كما أضاف عنان البيت الثاني نقلاً عن نفج الطيب أيضاً.

² حرقت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بتعنيف))؛ فصوبها عنان.

³ هذا الكتاب عالج فيه ابن الخطيب موضوع التوثيق ووظيفته.

دخوله غرناطة

في عام اثنين وستين وسبعمائة¹، موجهاً من قبل
سلطان المغرب أبي سالم بن أبي الحسن²؛ لمباشرة صدقة؛
عهد بها لبعض الرباط³؛ وهو - إلى الآن - عدلٌ بمدينة
فاس؛ بحال تجلّة وشهرة. ثم تعرّفت أنه نسك، ورفض
العيش⁴ من الشهادة؛ ككثير⁵ من الفضلاء.

¹ الموافق لـ 1360م.

² هو أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان المريني؛
سلطان بني مرين. وردت ترجمة له في الإحاطة.

³ الرباط مفرداً رباط؛ وهي مواضع يقيم فيها المجاهدون في سبيل الله
استعداداً وتحفراً لكل طارئ من الأعداء. وقال بعضهم: ((معنى الرباط،
الإقامة بالثغر مقوّياً للمسلمين على الكفار، والثغر كل مكان يخيف أهله
العدو ويخيفهم. وأصل الرباط من ربط الخيل، لأن هؤلاء يربطون
خيولهم، كلٌّ يُعدُّ لصاحبه، فسُمّيَ المقام بالثغر رباطاً، وإن لم يكن فيه ...
وأفضل الرباط المقام بأشد الثغور خوفاً، لأنهم إليه أحوج، ومقامه به
أنفع .. (المغني (203/9) وما بعدها).

⁴ في المخطوطين: ((التمتعش))؛ فصوب هذا التحريف من ت، ومن الزيتونة.

⁵ في ك، وفي ت: ((الكثير))، وفي ج: ((للكثير)).

أحمد بن إبراهيم

(ابن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن)

(ابن الحسين بن الزبير بن عاصم)

(ابن مسلم بن كعب الثقفي¹).

يلكنى أبا جعفر.

أوليته

كعبٌ - الذي ذكر - هو كعب بن مالك بن علقمة بن حباب² بن مسلم بن عدي بن مرة بن عوف بن ثقيف ؛ أصله من مدينة جيان³، منزل قنسرين ، من العرب الداخلين الأندلس ؛ ونسبه بها كثير ، وحسبه أصيل ، وثروته⁴ معروفة. خرج به أبوه عند تغلب العدو عليها ؛ عام ثلاثة وأربعين وستمائة⁵. ولأبيه - إذ ذاك - إثراء⁶، وجدة ؛ أعانته على طلب العلم ، وإرفاد⁷ من أحوجته

¹ توجد ترجمة أحمد بن إبراهيم الثقفي أيضاً في الذيل والتكملة، وشذرات الذهب، وبغية الوعاة، والوافي بالوفيات.

² في الصلة: ((حيان)).

³ سبقت الإشارة إلى جيان. وهي قاعدة من القواعد الأندلسية الهامة.

⁴ في المخطوطين: وثورته.

⁵ الموافق لـ 1245م.

⁶ في ج: ((أثر)).

⁷ إرفاد: أي العون والمساعدة والعطاء.

الأزمة في ذلك الزمان ؛ من جالية العلماء عن قرطبة وإشبيلية ؛ كأبي الحسن الصائغ¹، وغيره ؛ فنصحوا له ، وحطّبوأ في حبله.

حاله

كان خاتمة المحدثين ، وصدور العلماء والمقرئين ، نسيج وحده ، في حسن التعليم ، والصبر على التّسميع ، والملازمة للتدريس ، لم تختل له مع تخطي الثمانين ، ولا لحقته سامة ؛ كثير الخشوع والخشية ، مُستَرسَل العبرة² ، صلياً في الحق ، شديداً على أهل البدع ، ملازماً للسنّة ، جَزْلاً ، مُهيأً ، معظماً عند الخاصة والعامة ، عذب الفكاهة ، طيب المجالسة ، حلّو النادرة ؛ يؤثر عنه في ذلك حكايات ؛ لا تُخَلّ بوقار ، ولا تحل بجلال مَنْصِب.

¹ ابن الصائغ هو الفيلسوف ابن باجة يسميه الإفرنج **Avempace**. واسمه بالكامل هو أبو بكر محمد بن باجة التجيبي الأندلسي. ويعتبر من أبرز علماء الأندلس في الرياضة والفلك والطبيعة. بلدته هي سرقسطة في الثغر الأعلى. توفي مسموماً بمدينة فاس سنة 533هـ/1138م. تعاطى الفلسفة؛ واتهم بالإلحاد.

² في ج ، وفي الملكية: ((الدمعة)).

فنونه

إليه انتهت الرياسة بالأندلس في صناعة العربية،
وتجويد القرآن، ورواية الحديث؛ إلى المشاركة في الفقه،
والقيام على التفسير، والخوض في الأصلين.

مشيخته

أخذ عن الجلّة المقرئين؛ كالمقرئ أبي عبد الله محمد
ابن إبراهيم بن مستقور¹ الغرناطي الطائي.

نباهته وخططه

وُلّي قضاء المناكح، والخطبة بالحضرة؛ وبلغ من
الشهرة والإشادة بذكره؛ ما لم يبلغ سواه.

تصانيفه

من تأليفه كتاب ((صلة الصلّة لابن بشكّوال))؛ التي
وصلتها بعده، وسمّيت كتابي ((بعائد الصلّة))²؛
وافتحت أول الأسماء فيه باسمه؛ وكتاب ((ملاك التأويل

¹ في المخطوطين: ((مشهور))؛ وصوب من كتاب المرقبة العليا، وابن
مستقور من قضاة الأندلس المشهورين بالبلاغة والخطابة والنظم.

² كتاب لابن الخطيب؛ سبقت الإشارة إليه.

في متشابه اللفظ في التنزيل))؛ غريب في معناه؛ [والبرهان في ترتيب سُور القرآن]¹؛ وشرح الإشارة للباجي (في الأصول)؛ وسبيل الرّشاد في فضل الجهاد؛ ورَدَع الجاهل عن اغتيال المجاهل (في الرد على الشودية)²، وهو كتاب جليل يُنبئ عن التفنن والأضطلاع؛ وكتاب الزمان والمكان، (وهو وصمةٌ؛ تجاوز الله عنه.

شعره

وشعره مختلف عن نمط الإجادة؛ مما حقّه أن يثبت،
أو بُتّ في كتاب شيخنا أبي البركات؛ المسمى شِعْرُ مَنْ لَا
شِعْرَ لَهُ؛ مما رواه، ممن ليس الشعر له بضاعة؛ من
الأشياخ الذي عُدَّ صدرُ عنهم؛ هو. فمن شعره³:
مالي وللتسألِ لا أمَّ لي⁴
إن سألتُ⁵ من يُعزل أو من يلي

¹ العبارة الواردة بين الحاصرتين؛ ذكرت فقط في ك؛ بينما سقطت في ج، وفي ت، وفي الملكية.

² الشودية؛ إحدى الفرق الصوفية بالمغرب.

³ هذه الأبيات من البحر السريع.

⁴ حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((أملّي)).

⁵ في بغية الوعاة: ((إن سلت)).

حَسْبِي ذُنُوبٌ¹ أَثْقَلْتُ كَاهِلِي
مَا إِنْ أَرَى إِظْلَامَهَا² يَنْجَلِي
يَا رَبِّ عَفِّوْا إِنَّهَا جَمَّةٌ
إِنْ لَمْ يَكُنْ عَفْوَكَ لَا أَمَّ لِي

مَحْنَتُهُ

نشأت بينه وبين المتغلب بمالقة من الرؤساء التَّجِيبِينَ
- من بني إِشْقِيلُولَةَ³ - وحشة؛ أكدتها سعاية بعض من
استهواهم؛ رجلٌ مُمَخَّرَقٌ⁴ من بني الشعوذة، ومنتحلي
الكرامة؛ يمتطيها؛ زَعَمُوا إلى النبوة؛ يعرف بالفزاري؛
واسمه إبراهيم؛ غريب المنزَع، فذُّ المآخذ، أعجوبة من
أعاجيب الفتن، يخبر بالقضايا المستقبلية، ويتصور سور
حمى العادة في التطور⁵؛ من التقشف والخلابة؛ تبعه ثاغية

¹ في بغية الوعاة: ((ذنوبي)).

² نفسه: ((غماءها)).

³ بنو إشقيلولة هؤلاء؛ يلتزمون في أسرة أندلسية من المولدين؛ نافذة ونشطة. تربطهم بيني نصر أواصر مصاهرة؛ فولوهم على كثير من القواعد الأمر الذي أغرى بعضهم بالثورة والاستقلال ببعض المدن والتغور.

⁴ أي كذاب.

⁵ في المخطوطين: ((الطور))؛ وصوبت من ت.

ثاغية وراغية¹، من العوام الصم البكم؛ مستفزين فيه حياته؛ وبعد زمن²؛ من مقتله؛ على يد³ الأستاذ بغرناطة؛ قرعه بحقه، وبادره بتعجيل نكيره؛ فاستغاث بمفتونه الرئيس؛ ظهير مُحاله؛ فاستعصى⁴ له؛ وبلغ الأستاذ النياحة؛ ففر لوجهه⁵؛ وكبس منزله لحينه؛ فاستولت الأيدي على ذخائر كتبه، وفوائد تقييده عن شيوخه؛ على ما طالت له الحسرة، وجلت فيه الرزية⁶، ولحق بغرناطة آوياً إلى كنف سلطانها؛ الأمير أبي عبد الله بن الأمير الغالب بالله ابن نصر؛ فأكرم مثواه، وعرف حقه. واثال عليه الجم الغفير؛ لالتماس الأخذ عنه؛ إلى أن نالته لديه سعاية؛ بسبب جارٍ له؛ من صلحاء القراية النصرية؛ كان ينتابه لنسبة الخيرية؛ تُميت عنه في باب تفضيله، واستهالت للأمر كلمة؛ أوجبت امتحانه؛ وتخلل

¹ شبه أتباعه بالغنم والإبل، إذ يقولون: ((ما له ثاغية ولا راغية))؛ أي لا شاة ولا ناقة.

² حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((ونفرن من))، وفي ت: ((ونفذت))، و صوب ذلك من الصلة.

³ لم ترد هذه الكلمة إلا في ك.

⁴ في ج: ((فاستعص))، وفي ك: ((فاستفص))، و صوب ذلك من ت.

⁵ في المخطوطين: ((لوجه))؛ و صوبت من ت.

⁶ في ك: ((المردية)).

تلك الأُلقيَّة¹ من الشك ؛ ما قصر المحنة على إخراجهم من منزله ؛ المجاور لذلك المتهم به ، ومنعه من التصرف ، والتزامه قعر منزل ؛ انتقل إليه بحال اعتزال من الناس ؛ محجوراً عليه مداخلتهم ؛ فمكث على ذلك زمناً طويلاً ؛ إلى أن سُرِّيت عنه النكبة ، وأقشعت الموجدة ؛ فتخلص من سرارها بدره ، وأقلَّ من شكاتها جاهه ، وأحسنَت أثرها حاله ، وكثر ملتسمه ، وعظمت في العالم غاشيته ؛ فدَوَّن ، واستمع ، وروى ، ودرب ، وخرَّج² ، وأدب وعلم ، وحلَّق ، وجهَر ؛ وكانت له الطائلة على عدوه ، والعاقبة للحسن ؛ بعد ثبات³ أمره ، والظفر بكثير من منتهب كتبه . وآلت الدولة للأمير أبي عبد الله نصر بمالقة ؛ فطالب الفزاري المذكور ، واستظهر بالشهادات عليه ، وبالع في دحض دعوته ؛ إلى أن قتل على يده بغرناطة .

حدثنا شيخنا أبو الحسن بن الجياب ، قال : لما أمر بالتأهب للقتل - وهو في السجن الذي أخرج منه إلى

¹ الأُلقيَّة جمعها أُلقيّ؛ ما أُلقي من مسائل شريرة.

² في ك: ((وأخرج)).

³ في ك: ((التيات)).

مصرعه - جهر بتلاوة ياسين؛ فقال له أحد الدَّعرة؛ ممن جمع السجن بينهم: إقرأ قرآنك؛ على أي شيء تتطفل على قرآننا اليوم؟ أو ما هو معناه. فتركها مثلاً لِلْوَدْعِيَّة.

مولده

ببلدة جيان؛ في أواخر عام سبع وعشرين وستمئة¹.

وتوفي

بغرناطة؛ في الثامن لشهر ربيع الأول؛ عام ثمانية وسبعمئة². وكانت جنازته [جنازة]³ بالغة أقصى مبالغ الاحتفال⁴؛ نفر لها الناس من كل أوب، واحتمل طلبه العلم نعشه على رؤوسهم، إلى جدته؛ وتبعه ثناء جميل، وجزع كبير؛ رحمه الله. ورثاه طائفة من طلبته؛ ومن أخذ عنه؛ منهم القاضي أبو جعفر بن أبي حبل في قصيدة أولها⁵:

¹ الموافق لـ 1229م.

² الموافق لـ 1308م.

³ هذه الإضافة من ك.

⁴ في ك: ((احتفال)).

⁵ هذه الأبيات من البحر الطويل.

عزيزٌ على الإسلام والعلم ماجدٌ
فكيف لعيني أن يُلمَّ بها الكرا
وما لمآقي لا تفيض شئونها
نجيعاً¹ على قدر المصيبة أحمر
فو الله ما تقضي المدامع بعض ما
يحق ولو كانت سيولا وأبحرا
حقيقٌ لعمري أن تفيض نفوسنا
وفرضٌ على الأكباد أن تتفطرا

¹ حرفت في المخطوطين فكتبت: ((نجيباً)).

أحمد بن عبد الوالي

(ابن أحمد الرعيني)

يكنى أبا جعفر؛ ويعرف بالعلوّ؛ صنعة لأبيه (الكاتب الصالح)

حاله

هو من بيت تَصَاوُن، وعفاف، ودين، والتزام
السنة، كانوا في غرناطة في الأشعار، وتجويد القرآن،
والامتياز بحمله، وعكوفهم عليه، نظراء بني عزيمة
ياشيلية، وبني الباذش بغرناطة. وكان أبو جعفر هذا؛
المرجم له ممن تطوى عليه الخناصر، معرفة بكتاب الله،
وتحقيقاً¹ لحقه، واتقاناً لتجويده، ومثابةً على تعليمه²،
ونصحاً في إفادته، على سنن الصالحين، انقباضاً عن
الناس، وإعراضاً عن ذوي الوجاهة، سنيّاً في قوله وفعله،
خاصيّاً في جميع أحواله، مُخْشَوْشِناً في ملبسه، طويل
الصمت إلا في دَسْت تعليمه، مقتصرّاً في مكسبه، مُتَّقِياً
لدينه، محافظاً على أواده. سأل منه رجل يوماً كَتَبَ رقعة؛
ففهم من أمره؛ فقال: يا هذا؛ والله ما كَتَبْتُ قطّ يميني

¹ في الملكية: ((وتعريفاً)).

² في ج: ((تجويده مرة أخرى)).

إلا كتاب الله ؛ فأحبُّ أن ألقاه على سجليتي ؛ بتوقيقه إن شاء الله وتسديده.

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والأستاذ أبي جعفر الحزموني الكفيف، وأبي عبد الله بن رُشيد¹، وغيرهم.

وفاته

توفي في شهر ذي الحجة؛ من عام خمسين وسبعمائة²، ودفن بجمانة باب الفخارين³؛ في أسفل السفح تجاه القصور الحكمية، وأتبعه الناس أحسن الثناء.

¹ في ل: ((رشد)).

² الموافق لـ 1349م.

³ وهو أحد أبواب غرناطة في العهد الإسلامي؛ وموقعه كان مقابل القرية التي تسمى الفخار؛ المتواجدة في الطرف الشمالي من غرناطة. واسمها الآن هو Alfacar.

أحمد بن علي

(ابن أحمد بن خلف الأنصاري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا جعفر؛
ويعرف بابن البافوش¹).

أوليته

أصله من جيان من بيت خيرية، وتَصَوَّن

حاله

قال القاضي أبو محمد بن عطية: إمام في المقرئين،
ومقدم في جهابذة الأستاذين، راوية²، مكثراً، متفنناً في
علوم القراءة، مستبحراً، عارف بالأدب والإعراب، بصير
بالأسانيد، نقاد لها، مميّز لشاذّها من معروفها. قال ابن
الزبير: وما علمت فيما انتهى إليه نظري وعلمي، أحسن
انقياداً لطرق القراءة، ولا أجل اختياراً منه، لا يكاد أحد
من أهل زمانه، ولا ممن أتى بعده؛ أن يبلغ درجته في
ذلك.

¹ توجد ترجمة أحمد بن علي بن الباذش أيضاً في كتاب الصلة؛ بينما ذكره
ابن الأبار في التكملة؛ ضمن ترجمة أخته مَسْعُودَة بنت علي بن أحمد الباذش
² في المخطوطين: ((رواية)).

مشيخته

تفقه بأبيه الإمام أبي الحسن، وأكثر الرواية عنه، واستوفى ما كان عنده، وشاركه في كثير من شيوخه. أخذ القراءات عرضاً عن الإمام المقرئ أبي القاسم بن خلف ابن النحاس؛ رحل إلى قرطبة، ولزمه؛ وعلى المقرئ أبي جعفر هابيل بن محمد الحلاسي، وأبي بكر بن عياش ابن خلف المقرئ، وأبي الحسن بن زكريا، وأبي الحسن شريح بن محمد، وأبي محمد عبد الله بن أحمد الهمداني الجياني؛ [رحل إليه إلى جيّان]¹، وتلا على جميع من ذكر، وروي بالقراءة والسماع والإجازة على عالم كثير: كأبي داود، وأبي الحسن بن أخي الرش المقرئين؛ أجازا له؛ وأبي علي الغساني في الإمامة والإتقان؛ وقد أسمع عليه؛ وأبي القاسم خلف بن صواب المقرئ، وأبي عامر محمد بن حبيب الجياني، وأبي عبد الله محمد بن أحمد التجيبي الشهير، وأبي محمد بن السيد، وأبي الحسن بن

¹ توجد هذه الإضافة في ج، وفي الملكية.

الأخضر، وأبي محمد عبد الله بن أبي جعفر الحافظ،
وعالم كثير غير هؤلاء يطول ذكرهم.

من روي عنه

روي عنه أبو محمد عبد الله، وأبو خالد بن رفاعه،
وأبو علي القلعي المَعْدِّي وأبو جعفر بن حكم، وأبو
الحسن بن الضحاك، وابنه أبو محمد عبد المنعم؛ وهو آخر
من حدث عنه.

تصانيفه

ألف كتاب ((الإقناع)) في القراءات؛ لم يؤلف في بابه
مثله، وألف كتاب ((الطرق المتداولة)) في القراءات، وأتقنه
كل الإتيان، وحرر أسانيده وأتقنها، وانتقى لها؛ ولم
يتسع عمره لفرش حروفهم وخلافهم من تلك الطرق.
وألف غير ما ذكر.

مولده

في ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وأربعمائة¹.

وفاته

توفي ثاني جمادى الآخرة؛ سنة أربعين وخمسمائة²،
وكان عمره تسعاً وأربعين سنة.

¹ الموافق لـ 1097م.

² الموافق لـ 1145م. ورد في الصلة أنه توفي سنة 542هـ الموافق لسنة 1147م.

أحمد بن عبد النور

(ابن أحمد بن راشد رحمه الله¹؛

يكنى أبا جعفر، من أهل مالقة ويعرف بيته - بها - ببني راشد، قال شيخنا أبو البركات: نقلت اسم هذا من خطه، ولا نعلم له نسباً (أو لم يكتبه، وشهره بابن عبد النور).

حاله

كان قيماً على العربية إذ كانت جلّ بضاعته ؛ يشارك مع ذلك في المنطق ؛ على رأي الأقدمين ، وعروض الشعر ، وفرايض العبادات من الفقه ، وقرض الشعر. وكان له اعتناء بفك المعمى ، والتنقيح عن اللُّغوز. وكان ذكياً الصَّوت عند قراءة القرآن ، خاشعاً به. رحل من بلده مالقة إلى سبتة، ثم انتقل² إلى الأندلس، وأقرأ بوادي آش مدة، وتردد بين إلمرية وبرجة، يُقرئ بها القرآن، وغير ذلك مما

¹ هكذا في المخطوطين.

² حُرِفَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ؛ فَكُتِبَتْ: ((نَقْل)).

كان يشارك فيه. وناب عن بعض القضاة وقتاً، ودخل
غرناطة أثناء هذا السفر¹.

مشيخته

قال: أخذ القرآن - قراءة - على طريقة أبي عمرو
الدّاني²؛ على الخطيب أبي الحسن الحجاج بن أبي ربحانة
المربلي³، ولا يعلم له في بلده شيخ سواه؛ إذ لم يكن له
اعتناء بقاء الشيوخ، والحمل عنهم؛ ومن علمي أنه لقي
أبا الحسن بن الأخضر المقرئ العروضي بسبته، وذاكره في
العروض، ولا أعلم هل أخذ عنه أم لا. ورأيت في
تقايميدي؛ أن القاضي⁴ أبا عبد الله بن برطال حدثني أن

¹ في ك: ((السفرة)).

² حرفت في ج؛ فكتبت: ((أبي عمر)). وهو أبو عمرو عثمان بن سعيد
ابن عثمان بن سعيد بن عمر الدّاني القرطبي الأموي بالولاء؛ المعروف
بابن الصيرفي. وهو أحد كبار الأئمة في القراءات والتفسير بالأندلس؛ ولد
سنة 371هـ/981م وتوفي سنة 444هـ/1052م. من مؤلفاته: "التيسير" في
القراءات، و"جامع البيان".

³ مربلة أو ماربلة: تقع جنوب غربي مالقة على شاطئ البحر الأبيض
المتوسط. وتسمى الآن Marbella.

⁴ في ج، والملكية: ((الشيخ)).

ابن النور قرأ معه الجزولية¹ على ابن مفرج المالقي تفقهاً،
وقيد عليه تقييداً؛ عرضه بعد ذلك، على ابن مفرج
هذا؛ وهو محمد بن يحيى بن علي بن مفرج المالقي. وروي
عن أبي الحجاج - المتقدم الذكر - تيسير أبي عمرو الداني،
وجمل الزجاجي، وأشعار الستة، وفصيح أحمد بن يحيى
ابن ثعلب، وقفت في ذلك على رق؛ أجاز فيه بعض
الآخذين عنه، ولم ينص فيه على كيفية أخذه لهذا
الكتيب عن أبي الحجاج. قال: ورأيت في ذلك الرق
أوهاماً؛ تدل على عدم شعوره بهذا الباب جملة، وقبول
التلقين فيها، فلا ينبغي أن يركن إلى مثله فيه. ورأيت بخط
بعض أصحابه، أنه تفقه على أبي ربحانة؛ ولعل ذلك في
صغره؛ قبل أن يتحكم طلبه ويتفنن؛ إذ الفنون التي كان
يأخذ منها؛ لم يكن أبو ربحانة، ملياً بها، ولا منسوباً
إليها.

¹ الجزولية هي رسالة في النحو؛ وضعها أبو موسى عيسى بن عبد
العزيز بن يليخت الجزولي المراكشي؛ توفي بمراكش سنة
706هـ/1210م، ومن مؤلفاته أيضاً: شرح أصول ابن السراج، وشرح قصيدة
بانت سعاد، والأمال في النحو، ومختصر شرح ابن جني لديوان المتنبي.

تصانيفه

منها: كتاب الحلية في ذكر البسملة والتصلية. وكتاب رَصَف¹ المباني في حروف المعاني؛ وهو أجل ما صنف؛ ومما يدل على تقدمه في العربية. وجزء في العروض، وجزء في شواذه، وكتاب في شرح الكوامل لأبي موسى الجزولي، يكون نحو الموطأ في الجرم، وكتاب شرح معرب أبي عبد الله ابن هشام الفهري المعروف بابن الشواش؛ ولم يتم؛ انتهى [فيه]² إلى همزة الوصل، يكون نحو الإيضاح لأبي علي. وله تقييد على الجمل غير تام.

شعره

قال: وشعره وسط، بعيد عن طرفي الغث، والشمين أبعد؛ وكان لا يعتني فيه ولا يتكلفه، ولا يقصد قصده؛ وإن ذلك لعذر في عدم الإجادة. قال الشيخ: ولدي جزء

¹ حرفت في ج؛ فكتبت: ((رصف))، وفي ك؛ فكتبت: ((وصفي)).
² سقطت هذه الكلمة في ج.

منه¹؛ تصفحته على أن أستجيد² منه شيئاً؛ أثبتته له في هذا التعريف، فرأيت به بعضه أشبه ببعض من الغرابة؛ فكتبت من ذلك؛ لا مؤثراً له على سواه من شعره؛ بل لمرجح³ كونه أول خاطر بالبال، ومُتلّمح خطه بالبصر. فمن ذلك قوله من قصيدة؛ ومن خطه نقلت⁴:

محاسنُ من أهوى يضيقُ لها الشَّرْحُ
له الهمة العلياء والخلقُ السَّمْحُ
له بهجةٌ يغشى البصائر نورها
وتعشى⁵ بها الأبصار إن غلَسَ الصُّبْحُ
إذا ما رنَى فاللَّحْظُ سَهْمٌ مَفُوقٌ
وفي كُلِّ عَضْوٍ من إصابته جُرْحُ
إذ ما انثنى زهواً وولّى تَبَخُّراً
يغارُ لذاك القَدُّ من لينه الرُّمَحُ

¹ في المخطوطين: ((من)).

² نفسه: ((تجيد))؛ وقد صوبت من ت.

³ حرفت في ج؛ فكتبت: ((لمحج)).

⁴ من البحر الطويل.

⁵ في المخطوطين: ((وتغشى))؛ فصوبها عنان.

وإن نَفَحَتْ أَزْهَارُهُ عِنْدَ رَوْضَةٍ
فِيخْجِلُ رِيًّا زَهْرَهَا ذَلِكَ النَّفْحُ
هُوَ الزَّمَنُ الْمَأْمُولُ عِنْدَ ابْتِهَاجِهِ
فَلَمَّتْهُ لَيْلٌ وَغُرَّتْهُ صُبْحُ
لَقَدْ خَامَرَتْ نَفْسِي مُدَامَةَ حَبِّهِ
فَقَلْبِي مِنْ سُكْرِ الْمُدَامَةِ لَا يَصْنَحُ
وَقَدْ هَامَ قَلْبِي فِي هَوَاهُ فَبَرَّحَتْ
بِأَسْرَارِهِ عَيْنٌ لِمَدَمَعِهَا سَبْحُ

غفلته ونوكه¹

كان هذا الرجل من البله في أسباب الدنيا؛ له في ذلك حكايات دائرة على ألسنة الثقة من الملازمين له وغيرهم؛ لولا تواترها لم يصدق أحد بها؛ تشبه ما يحكى عن أبي علي الشلوين. منها أنه اشترى فضلة ملف²؛ فبلّها، فانتقصت كما يجري في ذلك، فذرّعها بعد البل؛

¹ أي حمقه.

² في الملكية: ((هلفا)).

فوجدوها تنقصت ؛ فطلب بذلك بائع الملف ؛ فأخذ يبين له سبب ذلك ؛ فلم يفهم. ومنها أنه سار إلى بعض بساتين المريّة ؛ مع جماعة من الطلبة ، واستصحبوا أرزاً ، ولبناً ؛ فطلبوا قدراً لطبخه ؛ فلم يجدوا ؛ فقال: اطبخوا في هذا القدر؛ وأشار إلى قدر بها بقية زفت ؛ مما يُطلى به السّواني¹ عندهم ؛ فقالوا له: وكيف يسوغ الطبخ بها؟ ولو طبخ بها شيء مما تأكله البهائم لعافته ؛ فكيف [الأرز بالبن]²؛ فقال: لهم، اغسلوا معائدكم ؛ وحينئذ تدخلون فيها الطعام ؛ فلم يدروا مما يعجبون ؛ هل من طيب نفسه بأكله مما يطبخ في تلك القدر؟ أم من قياسه المعدة عليها. ومنها أنهم حاولوا طبخ لحم - مرة أخرى في بعض النّزه - فذاق الطعام من الملح بالمغرفة ؛ فوجده محتاجاً للملح ؛ فجعل فيه ملحاً وذاقه على الفور ؛ قبل أن ينحل الملح ، ويسري في المرقّة الأولى ؛ فزاد ملحاً إلى أن جعل فيه قدر ما³ يَرْجُح اللحم ؛ فلم يقدرُوا على أكله. ومنها أنه أدخل

¹ في ج: ((السواقي)). والسواني مفرد سانية؛ وهي آلة لرفع الماء؛ من أجل السقي.

² حُرِفَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ؛ فَكُتِبَتْ: ((الررز بلبن)).

³ سَقَطَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي ج.

يده في مِفْجَرٍ صهريج ؛ فصادفت يده ضفدعاً كبيراً ؛ فقال لأصحابه : تعالوا إن هنا حَجَراً رَطْباً. ومنها أنه استعار يوماً من القائد أبي الحسن بن كماشة جواداً ملوكياً، قرطاسي اللون ؛ من مراكب الأمراء ؛ فقال : وَجَّه لي تلك الدَّابة ؛ فتَخَيَّل أنه يريد الرُّكوب إلى بعض المواضع ؛ ثم تَفَطَّن لغفلته ؛ وقال : أي شيء تصنع به ؟ قال : أجعله يُسَنِّي شيئاً يسيراً في السَّانِيَةِ ، فقال : تُقْضَى الحاجة إن شاء الله بغيره ، ووجه له حِمَاراً برسم السَّانِيَةِ ؛ وهو لا يشعر بشيء من ذلك كله.

قلت : وفي موجودات الله تعالى عِبَرٌ، وأغربها عالم الإنسان ؛ لما جُبلوا عليه من الأهواء المختلفة، والطباع المشتتة¹، والقصور عن فهم أقرب الأشياء، مع الإحاطة بالغوامض. حدثنا غير واحد ؛ منهم : عمِّي أبو القاسم، وابن الزبير ؛ إذناً في الجُمْلَةِ ؛ قالوا : حدثنا أبو الحسن بن سراج عن أبي القاسم بن بشكوال : أن الفقيه ؛ صاحب الوثائق ؛ أبا عمر بن الهندي ؛ خاصم - يوماً عند صاحب

¹ في المخطوطين: ((المشتتة)).

الشرطة والصلاة - إبراهيم بن محمد؛ فنكّل، وعجز عن
حُجَّتِهِ؛ فقال له الشرطي¹: ما أعجب أمرك أبا عمر!!
أنت ذكيّ لغيرك، بكي² في أمرك؛ فقال أبو عمر: ﴿كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾³. ثم أنشد متمثلاً⁴:
صُرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبْتُ
تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

قال: وحدثني الشيخ أبو العباس بن الكاتب
ببجاية؛ وهو آخر من كتبنا معه الحديث من أصحاب ابن
العمّار؛ قال: كنت أويأى إلى أبي الحسن حازم القرطجاني⁵

¹ حرّفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الشرفي)).

² أي عاجز.

³ الآية كاملة هكذا: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَتْبَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. سورة البقرة؛ الآية: 187.

⁴ في المخطوطين: ((مثلاً)). والبيت التالي من البحر المنسرح.

⁵ نسبة إلى قرطاجنة.

بتونس؛ وكنت أحسن الخياطة؛ فقال لي: إن المستنصر
خلع عليّ جبة جربية¹ من لباسه، وتفصيلها ليس من
تفصيل أثوابنا بشرق الأندلس، وأريد أن تحل أكمامها،
وتصيرها مثل ملابسنا. فقلت له: وكيف يكون العمل؟
فقال: تحل رأس الكم، ويوضع الضيق بالأعلى، والواسع
بالطرف. فقلت: وبم يُحير الأعلى؛ فإنه إذا وضع في
موضع واسع؛ سَطَتْ علينا فُرَج² ما عندنا؛ ما يصنع
فيها إلا أن رقعنا بغيرها؛ فلم يفهم. فلما يئست منه تركته
وانصرفت. فأين هذا الذّهن الذي صَنَعَ المَقْصُورَة وغيرها
من عجائب كلامه؟

مولده

في رمضان من عام ثلاثين وستمئة³.

¹ نسبة إلى جزيرة جربة بالجمهورية التونسية. وتسمى أيضاً جزيرة
الأحلام. وتقع في الجنوب الشرق من العاصمة تونس؛ في خليج قابس.

² في ك: ((فوج)).

³ الموافق لـ 1232م.

وفاته

توفي بالمرية يوم الثلاثاء؛ السابع والعشرين لربيع
الآخر؛ من عام اثنين وسبعمئة¹، ودفن بخارج باب
بجاية؛ بمقبرة من تربة الشيخ الزاهد أبي العباس بن مكنون.

¹ الموافق لـ 1302م.

أحمد بن محمد

(بن علي بن محمد بن يحيى [بن محمد]¹
(بن مضاف بن عبد الله؛ يكنى أبا جعفر؛ ويعرف بابن مضاف؛
من أهل بسطة، واستوطن غرناطة، وقرأ وأقرأ بها.

حاله

من أهل الطلب والسلطة والاجتهاد، ومن يقصر
مُحصّله عن مدى اجتهاده؛ خلوب² اللسان، غريب
الشكل، وحشيّه، شتيت الشعر مُعفيه، شديد الاقتحام
والتسور، قادر على اللصوق بالأشراف. رمى بنفسه على
مشيخة الوقت؛ يطرقهم طروق الأمراض الوافدة، حتى
استوعب الأخذ عن أكثرهم؛ يفك عن فايدته فكّ
المتبرم³، ويتزعمها بواسطة الحيا⁴، ويسلّط⁵ على قنصها
جوارح التبذل والإطراء؛ إلى أن ارتسم في المقرين

¹ هذه الإضافة واردة في ك فقط

² حرفت في المخطوطين فكتبت: ((خلوب)). والخلوب معناه: خلاب وجذاب، وفاتن.

³ في ج: ((التبرم)).

⁴ في ك: ((الجيا))؛ والتصويب متن عنان.

⁵ في المخطوطين: ((وسلّط))؛ فصوبها عنان.

بغرناطة؛ محولاً¹ عليه بالنَّحْب والملق، وسد الترتيب المدني²؛ ولوثة تعتاده في باب الرُّكوب والثَّقافة³؛ وهو لا يستطيعُ أَنْ يَسْتَقَرَّ بين دَفَتَي السَّرَج، ولا يُفِرَق بين مَبْسُوط الكف⁴؛ أَخَذَ نَفْسَهُ في فنون؛ من: قرآن، وعربية، وتفسير؛ وامتحن مرات لجر أحركة القَلْقَلَة⁵ الذي لا يملك يملك عنانه، ثم تخلص من ذلك؛ وهو على حاله إلى الآن.

مشيخته

قرأ على الخطيب ببسطة، وأبي الأصبع بن عامر، والخطيبين بها: أبي عبد الله، وأبي إسحاق ابن عمه، وأبي عبد الله بن جابر، وعلى أبي عثمان بن ليون بالمرية، والخطيب أبي عبد الله [ابن الغربي]⁶ بحمة⁷، وتلا وتلا القرآن بقراءاته السبع على شيخنا أبي عبد الله بن

¹ في ت: ((فحولاً))، وفي ك: ((محمولاً)).

² في ت: ((المديني)).

³ أي الركوب للحرب والضرب بالسيف.

⁴ في ك: ((الكيف)).

⁵ قلقل الشيء: حركه فتحرك واضطرب.

⁶ في ت: ((من الغرب)).

⁷ هي بلدة الحمة؛ الواقعة جنوب غربي غرناطة. سبق ذكرها.

الوالي العواد، وروى عن شيخنا أبي الحسن بن الجياب، وعلى الحاج أبي الحجاج الساحلي؛ فكتب الإقراء، وأخذ الفقه عن الأستاذ أبي عبد الله البياني¹، وقرأ على قاضي الجماعة أبي القاسم الحسني، ولازم أستاذ الجماعة أبا عبد الله الفخار، وقرأ عليه العربية، وصاهره على بنته الأستاذ المذكور، وانتفع به، إلى أن ساء ما بينهما عند وفاة الشيخ؛ فرماه بترمية بيضاء تخلّقها²، مُثيرة عَجَبٍ، مُرَّة. وحاله متصلة على ذلك؛ وقد ناهز الاكتهال.

¹ بيانة: مدينة تقع في الجنوب الشرقي من قرطبة؛ بالقرب من مدينة قبرة؛ وتسمى الآن Baena.

² في ك: ((تخلّفت))؛ وقد صوبت من ت:

أُحْمَر بن حَسَن

ابن باصّة الأسَلَمي؛ المُوْتت بالمسجِد الأعظم بغرناطة؛ أصله من شرق الأندلس؛ وانتقل إليها والده؛ يُكنى أبا جعفر.

حاله

كان نسيج وحده، وقريع دهره، معرفة بالهيئة، وإحكاماً للآلة الفلكية؛ ينحت منها بيده ذخائر؛ يقف عندها النظر والخبر¹؛ جمال خط، واستواء صنعة، وصحة وضع، بلغ في ذلك درجة عالية، ونال غاية بعيدة، حتى فَضِّل بما ينسب إليه من ذلك كثيراً من الأعلام المتقدمين؛ وأزرت آلاته² بالحمایريات³ والصفاريات، وغيرها من آلات المحكمين، وتغالى الناس

¹ في ل: ((الحيرة)).

² في المخطوطين: ((إلا أنه))؛ وقد صوبت من ت.

³ في ت: ((الجمایريات)).

في أثنائها. أخذ ذلك عن والده [الشيخ المتفّن]¹ شيخ
الجماعة في هذا الفن.

وفاته

في عام تسع² وسبعمئة³.

¹ هذه الإضافة من الملكية.

² هكذا، والصحيح: ((تسعة)).

³ الموافق لـ 1309م.

أحمد بن محمد

(ابن يوسف الأنصاري؛ من أهل غرناطة؛
يكنى أبا جعفر، ويعرف بالجبالي).

حاله

عكف صدرًا من زمانه منتظمًا في العدول¹، آوياً إلى
تخصيص وسكون ودماثة، وحسن معاملة؛ له بصر
بالمساحة والحساب، وله بصر بصناعة التعديل وجداول
الأبراج²، وتدرَّب في أحكام النجوم؛ مقصودٌ في العلاج
بالرُّقَا والعزائم، من أولي المس³ والخبال⁴؛ تعلق - بسبب
هذه المنتحلات - بأذيال الدُّول، وانبَتَّ من شيمته الأولى؛
فنال استعمالاً في الشهادات المخزنيَّة، وخبر منه أيام قُرْبِه
من مبادئ الأمور والنواهي، ومُدَاخلة السُّلطان؛ صمتٌ،
وعقلٌ، واقتصارٌ على معاناة ما امْتَحَن به؛ وهو الآن بقيد
الحياة.

¹ مفردة: عدل، وهو القائم بالتوثيق. وقد سبق التعريف به.

² في ك: ((الأرياح)).

³ في ت: ((اللمس)).

⁴ في ك، و في ت: ((الخيال)).

مشيخته

أخذ تلك الصناعة عن الشيخ أبي عبد الله الفخار؛ المعروف بأبي خزيمة؛ أحد البواق¹؛ الموسومين بصحة الحكم فيها؛ وعلى أبي زيد بن مُثْنَى، وقرأ الطب على شيخنا أبي زكريا هذيل رحمه الله، ونسب إليه - عند الحادثة على الدولة، وانتقالها إلى يد المتغلب - اختيار وقت الثورة، وضمان تمام الأمر؛ وشهد بذلك بخط، وغيب من إثارها. فلما عاد إلى السلطان المزعج بسببها إلى العدو؛ أوقع به نكيراً كثيراً، وضربه بالسَّياط التي لم يخلصه منها إلا أجله، وأجله² إلى تونس في جملة المغربين؛ في أواخر عام ثلاثة وستين وسبعمائة³. وأخبرني السلطان المذكور: أن المترجم به؛ كتب إليه بمدينة فاس؛ قبل شروعه في الوجهة؛ يخبره بعودة الملك إليه، وبإيقاعه

¹ بواقع مفردتها باقعة: أي الإنسان الداهية الذكي.

² في المخطوطين: ((وجلاه)).

³ الموافق لـ 1361م.

المكروه الكبير به ؛ بما شهد بمهارته في الصنعة ؛ إن صح
ذلك كله من قوانينها. نسأل الله أن يضيف علينا لبوس
ستره ، ويقينا شرَّ عشرات الألسن ؛ يَمْنُهُ.

أحمد بن محمد الكنزي¹ من أهل غرناطة

حاله

شيخ الأطباء بغرناطة على عهده، وطبيب الدار السلطانية. كان نسيج وحده، في الوقار والنزاهة، وحسن السمّت²، والتزام مُثَلَى الطريقة، واعتزاز الصنعة؛ قائماً على صناعة الطب، مقرئاً لها، ذاكراً لنصوصها، موفقاً في العلاج، مقصوداً فيه، كثير الأمل والمثاب، مكبوح العنان عما تثبت به أصول³ صناعته من علم الطبيعة، سنياً، مقتصراً على المداواة. أخذ عن الأستاذ أبي عبد الله الرُّقُوطي، ونازعه بالباب السلطاني؛ لما شدّ؛ واحتيج إلى ما لديه في حكم⁴ بعض الأموال المعروضة على الأطباء؛

¹ في ج: ((الكنزي)). والصواب ما جاء في أصل النص.

² في الملكية: ((السمة)).

³ حُرِفَتْ في المخطوطين؛ فكتبت: الطول، الصول))؛ وقد صوبت من ت.

⁴ في ك: ((أحكام)).

منازعةً أوجبت من شيخه يميناً؛ أن [لا]¹ يحضر معه بمكان؛ فلم يجتمعا بباب السلطان بعد؛ مع التمسك بما لديهما؛ وأخذ عن ابن عروس وغيره، وأخذ عنه جملةً من شيوخنا: كالطبيب أبي عبد الله بن سالم، والطبيب أبي عبد الله بن سراج، وغيرهما.

حدثني والدي بكثير من أخباره؛ [في]² الوقار، وحسن الترتيب. قال: كنت آنس به، ويعجبني استقصاؤه أقوال أهل هذا الفن من صنعه؛ على مشهوره³؛ فلقد عرض عليه - لعليل لنا - بعض ما يخرج؛ وفيه حية؛ فقال على فتور، وسكونة، ووقار كثير: هذا العليل يتخلص؛ فقد قال الرئيس ابن سينا⁴؛ في أرجوزته:

¹ لم ترد هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

² لم ترد هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

³ حُرِفَتْ فِي ج؛ فَكُتِبَتْ: ((مصوره)).

⁴ هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا. ولد في قرية أفشنة القرية من بخارى بأزباكستان الحالية سنة 370هـ/980م وتوفي بهمدان الإيرانية سنة 424هـ/1037م. اشتهر باسم الشيخ الرئيس؛ بحكم رئاسته في الطب والفلسفة؛ كما سماه الغربيون بأمير الأطباء، وأبو الطب الحديث؛ وصل عدد مؤلفاته إلى 200 تأليفاً؛ في مختلف المواضيع؛ منها كتاب الشفاء، وكتاب القانون في الطب.

إِنْ خَرَجَ الْخَلَطُ مَعَ الْحَيَّاتِ
فِي يَوْمِ بُحْرَانَ فَعَنْ حَيَاةٍ

وهذا اليوم من أيام البُحرانية ؛ فكان كما قال.

وفاته

كان حياً سنة تسعين وستمائة¹.

¹ الموافق لـ 1291م.

أحمد بن محمد

ابن أبي الخليل مُفَرِّج الْأُمُوي¹؛ مولاهم؛
من أهل إشبيلية، يكنى أبا العباس؛ وكناه ابن فرتون² أبا جعفر
وتفرو بزلك؛ يعرف بالعشاب، وابن الرومية، وهي أشهرهما
والصقهما به.

أوليته

قال القاضي أبو عبد الله³، كان والد⁴ جده أحد
أطباء قرطبة، وكان قد تبناه؛ وعن مولاه أخذ علم
النبات.

حاله

كان نسيج وحده، وفريد دهره، وغرة جنسه؛ إماماً
في الحديث، حافظاً ناقدًا، ذاكرًا تواريخ المحدثين،
وأنسابهم وموالدهم ووفاتهم، وتعديلهم، وتجريحهم؛

¹ توجد ترجمة أحمد بن محمد الأموي بن الرومية أيضاً في اختصار
القدح المعلى، والذيل والتكملة، ونفح الطيب.

² حرفت في ج؛ فكتبت: ((فرقون)). واسم ((ابن فرتون)) شائع في
الأندلس؛ حرف هذا الاسم عن الكلمة القشتالية: Fortum؛ ويكثر استعماله
بين المنحدرين من أصول نصرانية.

³ هو محمد بن عبد الملك المراكشي؛ صاحب الذيل والتكملة.

⁴ في الذيل والتكملة: ((ولاء)).

عجبية نوع الإنسان في عصره، وما قبله، وما بعده، في معرفة علم النبات، وتمييز العشب، وتحليلتها، وإثبات أعيانها؛ على اختلاف أطوار منابتها؛ بمشرق أو مغرب؛ حساً، ومشاهدةً وتحقيقاً، لا مدافع له في ذلك، ولا منازع؛ حجة لا ترد ولا تدفع؛ إليه يسلم في ذلك ويرجع. قام على الصنعتين؛ لوجود القدر المشترك بينهما؛ وهما الحديث والنبات، إذ موادهما الرحلة¹ والتقييد، وتصحيح الأصول وتحقيق المشكلات اللفظية، وحفظ الأديان والأبدان، وغير ذلك. وكان زاهداً في الدنيا، مؤثراً بما في يديه منها، موسعاً عليه في معيشته، كثير الكتب، جماعاً لها، في كل فن من فنون العلم، سمحاً لطلبه العلم، ربما وهب منها لمتلمسه² الأصل النفيس؛ الذي يعزُّ وجوده؛ احتساباً وإعانةً على التعليم، له في ذلك³ أخبار منبئة عن فضله، وكرم صنعه⁴، وكان كثير

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الرحلة)).

² في المخطوطين: ((لمتلمسه))؛ فصوبها عنان.

³ وردت في المخطوطين بعد ((في ذلك)) كلمة ((في)) مرة أخرى؛ فحذفها عنان؛ لأنها زائدة.

⁴ في الملكية: ((صفته)).

الشغف بالعلم، والدؤوب على تقييده، ومداومته؛ سهر الليل من أجله، مع استغراق أوقاته، وحاجات الناس إليه؛ إذ كان حسن العلاج في طبه المورود، الموضوع، لثقتة ودينه.

قال ابن عبد الملك¹؛ إمام المغرب قاطبة فيما كان سبيله، جال الأندلس، ومغرب العدو، ورحل إلى المشرق؛ فاستوعب المشهور من إفريقية، ومصره، وشامه، وعراقه، وحجازه، وعاین الكثير مما ليس بالمغرب، وعامض كثيراً فيها، كل ما أمكنه، بمن يشهد له الفضل في معرفته؛ ولم يزل باحثاً على حقائقه، كاشفاً عن غوامضه؛ حتى وقف منه على ما لم يقف عليه غيره؛ ممن تقدم في الملة الإسلامية؛ فصار واحد عصره فرداً؛ لا يجاريه فيه أحد؛ بإجماع من أهل ذلك الشأن.

¹ صاحب الذيل والتكملة.

مذاهبه

كان سنياً، ظاهري المذهب¹، مُنجياً على أهل
الرأي، شديد التعصب لأبي محمد علي بن أحمد بن
سعيد بن حزم²؛ على دين متين، وصلاح تام، وورع
شديد؛ انتشرت عنه تصانيف أبي محمد بن حزم،
واستنسخها³، وأظهرها، واعتنى بها، وأنفق عليها أموالاً
جمّة؛ حتى استوعبها جملة؛ حتى لم يشذ له منها إلا ما
لا خطر، متقدماً ومقتدراً⁴ على ذلك بجذته⁵ ويساره؛ بعد

¹ المذهب الظاهري: هو المذهب السني الخامس؛ قام هذا المذهب ونمى على عاتق رجلين؛ الأول هو مؤسس هذا المذهب؛ وهو أبو سليمان داود ابن علي بن خلف الأصفهاني؛ المولود بالكوفة سنة 202هـ/817م وتوفي سنة 270هـ/883م. أما الرجل الثاني فهو ابن حزم الأندلسي. يستند المذهب الظاهري على الظاهر من نصوص الكتاب والسنة؛ دون تأويل، أو رأي؛ ولا قياس ولا استحسان ولا ذرائع.

² هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري؛ ولد بقرطبة سنة 384هـ/994م وتوفي ببادية لابلّة بالأندلس سنة 456هـ/1064م. يعتبر من أهم العلماء والمحققين؛ يتحلى بالجرأة في تناول المواضيع؛ الأمر الذي ضاعف من أعدائه، له مؤلفات كثيرة تصل إلى الأربعمئة (400). منها: الفصل في الملل والأهواء والنحل، وكتاب المحلى؛ في الفقه، وجمهرة أنساب العرب، وغيره.

³ في الذيل والتكملة: ((واستحسنها)).

⁴ في ك: ((متقدراً))، وفي ج: ((متقدماً))؛ بينما وردت الكلمتان معاً في الملكية.

⁵ في المخطوطين: ((بجذته)).

أن تفقه طويلاً على أبي الحسن¹ محمد بن أحمد بن زرقون²؛ في مذهب مالك.

مشيخته

البحر الذي لا نهاية له: روى بالأندلس عن أبي إسحاق الدمشقي، وأبي عبد الله اليأبري³، وأبي البركات ابن داود⁴، وأبي بكر بن طلحة، وأبي عبد الله بن الحر⁵، الحر⁵، وابن العربي، وأبي علي الحافظ، وأبي زكريا بن مرزوق، وابن يوسف، وابن ميمون الشريشي، وأبي الحسن بن زرقون، وأبي ذر مُصعب، وأبي العباس بن سيد الناس، وأبي القاسم البراق⁶، وابن جمهور، وأبي محمد بن محمد ابن الجثنان، وعبد المنعم بن فرس، وأبي الوليد بن عُفير؛ قرأ عليهم وسمع. وكتب إليه مُجيزاً⁷

¹ في الذيل والتكملة: ((أبي الحسين)).

² هو أبو الحسن محمد بن أبي عبد الله أحمد بن محمد بن سعيد بن زرقون الأنصاري الإشبيلي؛ توفي سنة 621هـ/1224م. شيخ المالكية في الأندلس؛ امتحن من قبل الموحدين بسبب مذهبه. من مؤلفاته كتاب المعلى؛ في الرد على المحلى لابن حزم.

³ في الذيل والتكملة: ((ابن عبد الله اليافري)).

⁴ سمي في الذيل والتكملة: ((أبو البركات عبد الرحمن بن داود الزيزاري)).

⁵ في الملكية: ((الحدوي)).

⁶ نفسه: ((البارقي)).

⁷ حرفت في ج؛ فكتبت: ((مخبراً)).

من أهل الأندلس والمغرب: أبو البقاء بن قديم، وأبو جعفر حكم الجفّار، وأبو الحسن الشَّقُورِي، وأبو سليمان بن حَوْط الله، وأبو زكريا الدمشقي، وأبو عبد الله الأندَرَشِي، وأبو القاسم ابن سمجون، وأبو محمد الحجري. ومن أهل المشرق جملةٌ؛ منهم: أبو عبد الله الحمداني بن إسماعيل بن أبي صيف، وأبو الحسن الحُوَيْكِر نزيل مكة. وتأذى إليه أذن طائفة من البغداديين والعراقيين؛ له في الرواية، منهم: ظفر بن محمد، وعبد الرحمن بن المبارك، وعلي بن محمد اليزيدي، وفناخُسرو فيروز بن سعيد، وابن سَنِيَّة، ومحمد ابن نصر الصَّيْدَلَانِي، وابن تيمية. وابن عبد الرحمن الفارسي، وابن الفضل المؤذن، وابن عمر بن الفخار، ومسعود بن محمد بن حسان المنيغي، ومنصور بن عبد المنعم الصاعدي، وابن هوازن القشيري، وأبو الحسن النيسابوري. وحج سنة اثني عشر¹ وستمئة²، فأدى

¹ الأصح هو: ((اثنتي عشرة))؛ وقد صححها الدكتور طويل.

² الموافق لـ 1215م.

الفريضة ثلاث عشر¹، ولقب بالمشرق بحب الدين. وأقام في رحلته نحو ثلاثة أعوام، لقي فيها - من الأعلام العلماء - أكابر جملة؛ فمنهم - بيجاية - أبو الحسن بن نصر²، وأبو محمد بن مكى³، وبتونس أبو محمد المرجاني⁴، وبالإسكندرية أبو الأصبغ بن عبد العزيز⁵، وأبو الحسن بن جبير الأندلس⁶، وأبو الفضل بن جعفر بن أبي الحسن بن أبي البركات، وأبو محمد عبد الكريم الربيعي⁷، وأبو محمد العثماني؛ أجاز له؛ ولم يلقه، ويمصر أبو محمد بن سحنون الغماري؛ ولم يلقه، وأبو الميمون بن هبة الله القرشي، وبمكة أبو علي الحسن بن محمد بن الحسين، وأبو الفتوح نصر بن أبي الفرج الحصري، وبيغداد أحمد ابن أبي السعادات، وأحمد بن أبي بكر، وابن أبي خَط⁸ طلحة، وأبو نصر القرشي، وإبراهيم بن أبي

¹ الأصح هو: ((ثلاث عشرة))؛ وقد صحح الخطأ الدكتور طويل.

² في الذيل: ((أبو الحسن علي بن أبي نصر بن عبد الله)).

³ نفسه: ((بيكي)).

⁴ نفسه: ((أبو محمد عبد الله بن المرجاني)).

⁵ نفسه: ((أبو الأصبغ عيسى بن عبد العزيز بن سليمان)).

⁶ نفسه: ((أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير)).

⁷ في ج: ((الربيعي)).

⁸ في الذيل: ((وابن أبي في خط طلحة)).

ياسر القطيبي، ورسلان¹ المسندي،
والأسعد بن بقاقا²، وإسماعيل بن باركش
الجوهري، وإسماعيل بن أبي البركات. وبرنامج مرويته
وأشياخه، مشتملٌ على مئتين عديدة؛ مرتبة أسماؤهم
على البلاد العراقية، وغيرها؛ لو تتبعتها، لاستبعدت
الأوراق، وخرجت عما قصدت. قال القاضي أبو عبد الله
المراكشي³ بعد الإتيان على ذلك، مُتَّهِى الثَّقا أبو العباس
العباس النباتي؛ من التَّقييد الذي قيَّد، وعلى ما ذكره في
فهارس له منوعة؛ بين بسط، وتوسط، واقتضاب؛
وقفت منها بخطه، وبخط بعض أصحابه، والآخذين عنه.

من أخذ عنه

حدث ببغداد⁴، برواية واسعة؛ فأخذ عنه بها أبو
عبد الله بن سعيد اللُّوشي، ومصر الحافظ أبو بكر القط.

¹ نفسه: ((وأرسلان السدي)).

² في ج: ((فارقا))، وفي ك: ((فاقا))، وفي الملكية: ((نفاق))؛ و صوب ذلك
من الذيل والتكملة.

³ صاحب الذيل والتكملة.

⁴ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((حديث بغداد)).

وبغيرها من البلاد أمة؛ وقفل برواية واسعة، وجلب كتباً
غريبة¹.

تصانيفه

له فيما ينتحله من هذين الفنين تصانيف مفيدة²،
وتنبهات نافعة، واستدراكات نبيلة³ بديعة، منها في
الحديث ((رجالة⁴ المعلم بزوائد البخاري على مسلم))،
و((اختصار غريب حديث مالك للدارقطني))، و((نظم
الدّراري فيما تفرد به مُسلم عن البخاري))، و((توهين
طرق حديث الأربعين))⁵، و((حكم الدعاء في إدبار
الصلوات))، و((كيفية الأذان يوم الجمعة))، و((اختصار
الكامل في الضعفاء والمتروكين)) لأبي محمد بن عدي⁶،
و((الحافل في تذييل الكامل))، و((أخبار
محمد بن إسحاق)). ومنها في النبات:

¹ حرفت في ك؛ فكتبت: ((عربية))؛ لأن كتب ذلك الوقت؛ في تلك الديار عربية أصلاً.

² في ك: ((مفيدات)).

³ في الملكية: ((نبهه)).

⁴ في الذيل: ((منها في الحديث ورجاله:)) ((المعلم بزوائد...)).

⁵ في ك: ((توهين حديث طرق الأربعين)).

⁶ حرف اسم هذا الكتاب واسم مؤلفه هكذا: ((اختصار الكامل في الضعفاء
الضعفاء والمتكبرين لأبي أحمد بن علي)).

((شرح حشائش دياسقوريدوس¹ وأدوية جالينوس²، و ((التنبيه على أوهام ترجمتها³))، و((التنبيه على أغلاط الغافقي⁴))، و((الرحلة النباتية [والمستدرکه]⁵))؛ وهو الغريب الذي اختص به؛ إلا أنه عدم عينه بعده. وكان معجزة في فنه؛ إلى غير ذلك؛ من المصنفات الجامعة، والمقالات المفيدة المفردة، والتعاليق المنوعة.

¹ دياسقوريدوس (دياسقوريدس) **Dioscorides**؛ من أطباء اليونان ومن المهتمين بالكيمياء والصيدلة. عاش في القرن الأول الميلادي؛ من أهم مؤلفاته كتاب: ((الأعشاب العلاجية)). عرف العرب هذا الطبيب والصيدلي عندما أهدى الأمبراطور قسطنطين السابع كتابه إلى عبد الرحمن الناصر؛ حيث عربه ابن الرومية وشرحه.

² جالينوس **Galen**؛ طبيب يوناني؛ حيث عاش في القرن الثاني الميلادي؛ له شهرة كبيرة في ميدان الطب والصيدلة. عرف العرب أعماله وعربت.

³ في الذيل: ((مترجميها)).

⁴ نفسه: ((الغافقي في أدويته)).

⁵ هذه الكلمة وردت في الملكية؛ بينما ترك في موضعها بياض في المخطوطين.

مناقبه

قال ابن عبد الملك، وابن الزبير، وغيرهما: عُني تلميذه، الآخذ به، الناقد، المحدث؛ أبو محمد بن [قاسم] الحرار¹؛ وتهمم بجمع أخباره، ونشر مآثره؛ وضمن ذلك؛ مجموعاً حفيلاً نبيلاً.

شعره

ذكره أبو الحسن بن سعيد - في القدح المعلى - وقال: جَوَّالٌ بالبلاد المشرقية²، والمغربية؛ جالسُهُ ياشيلية - بعد عودهِ³ من رحلته - فرأيتُه متعلقاً بالأدب، مرتاحاً إليه ارتياح البُحْثري لِحَلَب⁴؛ وكان غير متظاهر بقول الشعر؛ إلا أن أصحابه يسمعون منه، ويروون عنه؛ وحملت عنه⁵ عنه⁵ - في بعض الأوقات - فَقَيَّدْتُ عنه هذه الأبيات⁶:

¹ حُرِفَتْ فِي كُفْتُيْتِ: ((الحوار))، وَكَذَلِكَ فِي الْمَلَكِيَّةِ؛ حَيْثُ كُتِبَتْ: ((الجزار)).

² فِي الْقَدْحِ الْمَعْلَى: ((بِالْبِلَادِ الْمَغْرِبِيَّةِ وَالْمَشْرِقِيَّةِ)).

³ نَفْسُهُ: ((عُودَتُهُ)).

⁴ حَلَبُ: مَدِينَةُ تَقَعُ فِي شِمَالِ سُورِيَا وَهِيَ مَقَرُّ مَحَافِظَةٍ. وَلِحَلَبِ تَارِيخٍ عَرِيقٍ، وَبِهَا أُنَارٌ قَدِيمَةٌ جَدًّا.

⁵ فِي ج: ((عَلَيْهِ))؛ وَصُوِّبَتْ مِنَ الْمَلَكِيَّةِ. وَفِي الْقَدْحِ الْمَعْلَى: ((وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهِ)).

⁶ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ مِنَ الْبَحْرِ الْبَسِيطِ.

خَيْمٌ تَخْلُقُ¹ بَيْنَ الْكَأْسِ وَالْوَتَرِ
فِي جَنَّةٍ هِيَ مَلَأَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَمَتَّعَ الطَّرْفَ فِي مَرَأَى مُحَاسِنِهَا
بِرَوْضٍ² فَكَرَّكَ بَيْنَ الرِّوْضِ وَالزَّهْرِ
وَانْظُرْ إِلَى ذَهَبِيَّاتِ الْأَصِيلِ بِهَا
وَاسْمَعْ إِلَى نَعَمَاتِ الطَّيْرِ فِي السَّحَرِ³
وَقُلْ لِمَنْ لَامَ فِي لَذَاتِهِ بَشَرًا
دَعْنِي فَإِنَّكَ عِنْدِي مِنْ سِوَى الْبَشَرِ

قال: وكثيراً ما يُطنَّب على دمشق⁴، ويصف
محاسنها؛ فما انفصل عني إلا⁵ وقد امتلأ خاطري من
شكلها⁶؛ فأتمنى أن أحلَّ مواطنها؛ إلى أن أبلغ الأمل قبل
المنون⁷.

¹ في القدح المعلقة ((خلق))؛ وهو اسم من أسماء دمشق.

² نفسه: ((برَوْض))

³ في القدح المعلقة ((الشجر)).

⁴ نفسه: ((وكان كثيراً ما يطنَّب في الثناء على دمشق)).

⁵ نفسه: ((فلا انفصل عنه إلا...)).

⁶ حُرِّفَتْ فِي ج؛ فَكُتِبَتْ: ((ثكلها)).

⁷ في القدح المعلقة: ((بلغ الله الأمل ولأمني قبل المنون)). والبيت التالي من بحر الوافر.

ولو أني نظرتُ بألف عَيْنٍ¹
لما استَوَقَّفتُ محاسنها العُيُون

دخوله غرناطة

دخلها غيرَ ما مرّة؛ لسماع الحديث، وتحقيق
النبات، ونَقَرَ عن عيون النبات بجبالها؛ أحد خزائن
الأدوية، ومظان² الفوايد الغريبة؛ يجري ذلك في تواليه؛
بما لا يفتقر إلى شاهد.

مولده

في محرم سنة إحدى وستين وخمسمائة³.

¹ ورد هذا الشطر في القدح المعلى هكذا: ((وإني لو نظرت بألف عين)).

² حُرِفَتْ في المخططين؛ فكتبت: ((مضان، ومضان)).

³ الموافق لـ 1165م.

وفاته

توفي بإشبيلية؛ عند مغيب الشفق؛ من ليلة الاثنين؛
مستهل ربيع الآخر؛ سنة سبع وثلاثين وستمائة¹. وكان
مما رُئي. قال ابن الزبير: ورثاه جماعة من تلامذته: كأبي
محمد الحرّار، وأبي أمية إسماعيل بن عفير، وأبي الأصبغ
عبد العزيز الكتوري²، وأبي بكر محمد بن محمد بن جابر
السقطي، وأبي العباس بن سليمان؛ ذكر جميعهم الحرّار -
المذكور - في كتاب ألفه؛ في فضائل الشيخ أبي العباس،
رحمه الله.

¹ الموافق لـ 1239م، ذكر في القدح المعلى: ((وكانت وفاته ببلده في سنة
إحدى وثلاثين وستمائة)). أما في الذيل والتكملة؛ فكتب: ((توفي بين
الظهر والعصر من يوم الأحد الموفي ثلاثين من ربيع الأول؛ واتفقوا أن
ذلك كان سنة سبع وثلاثين وستمائة)).
² كبتور أو قبتور؛ وهي بلدة بالقرب من إشبيلية.

أحمد بن عبد الملك¹

(بن سعيبر بن خلف بن سعيبر بن خلف بن سعيبر بن محمد
(بن عبد الله بن سعيبر بن الحسن بن عثمان بن محمد
(بن عبد الله بن سعيبر بن عمار بن ياسر
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

أوليته

بيت بني سعيد الغنسي²؛ بيت مشهور في الأندلس
بقلعة يَحْصُب³؛ نزلها⁴ جدهم الأعلى⁵، عبد الله بن
سعيد بن عمار بن ياسر؛ وكان له حظوة؛ لمكانه من
اليمانية بقرطبة؛ وداره - بقرب قنطرتها - كانت معروفة؛
وهو بيت القيادة، والوزارة، والقضاء، والكتابة،
والعمل؛ وفيما يأتي، وما مرَّ كفاية من التنبيه عليه.

¹ توجد ترجمة أحمد بن عبد الملك بن سعيد في المغرب، ورايات
المبرزين، ونفح الطيب، والحلل الموشية، ويكنى أبا جعفر.
² حرفت في ج فكتيت: ((الغنسي))، وفي الملكية: ((الغساني)).
³ تسمى أيضا: قلعة بني يحصب، وقلعة يعقوب، أو قلعة بني سعيد؛ بينما
تعرف الآن باسم Alcala la Real. وقد عرفت من قبل.
⁴ في المخطوطين: ((نزلهم)).
⁵ لم ترد هذه الكلمة في ج، ولا في الملكية.

حاله

قال الملاحى: كان من جلة الطلبة، ونبهائهم، وله حظ¹ بارع من الأدب، وكتابة مفيدة، وشعر مدوّن. قال أبو الحسن بن سعيد²: - في كتابه المسمى بالطالع³ - نشأ محباً في الأدب، حافظاً للشعر، وذاكراً لنظم الشريف الرضى، ومهيار، وابن خفاجة، وابن الزقاق⁴، فرقت طباعه، وكثر اختراعه وإبداعه؛ ونشأت معه حفصة بنت

¹ حرفت في ك، والملكية؛ فكتبت: ((خط)).

² هو أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد العنسي المدلجى الأندلسى المغربى؛ ولد بقلعة يحصب سنة 610هـ/1214م وتوفي بتونس سنة 685هـ/1286م. عالم وأديب وشاعر ومؤرخ. له مؤلفات كثيرة؛ منها: المشرق فى حلى المشرق، والمغرب فى حلى المغرب، والمرقصات والمطربات، والطالع السعيد فى تاريخ بني سعيد، وغيره. وفى الإحاطة ترجمة له.

³ أى كتاب ((الطالع السعيد فى تاريخ بني سعيد)).

⁴ الشريف الرضى هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الكاظم؛ ولد فى بغداد سنة 359هـ/969م وتوفي بها سنة 406هـ/1015م؛ شاعر وفقه؛ عمل نقيباً للطالبيين حتى وفاته. أما مهيار فهو أبو الحسن مهيار ابن مرزويه الديلمي؛ توفي سنة 428هـ/1037م؛ من الشعراء الكبار؛ جيد المعنى قوى الأسلوب غزير الابتكار. أصله من فارس؛ كان مجوسياً ثم دخل الإسلام إلى يد الشريف الرضى. أما ابن خفاجة فهو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله الجعوارى الأندلسى؛ ولد فى بلدة أشقر التابعة لبلنسية سنة 450هـ/1058م. شاعر بارع، ونائر جيد؛ عاش فى أيام ملوك الطوائف وفى العصر المرابطى. أما ابن الزقاق فهو أبو الحسن علي بن عطية بن مطرف اللخمى البلسى؛ ولد سنة 490هـ/1096م توفي سنة 528هـ/1134م؛ شاعر مجيد؛ يمتاز بغزل رقيق، كما اشتهر ببعض المدائح.

الحاج الركوني¹؛ أدبية زمانها، وشاعرة أوانها؛ فاشتد بها غرامه، وطال حبه وهيامه؛ وكانت بينهما مناديات ومغازلات؛ أربت على ما كان بين علوة وأبي عبادة²؛ يمر- من ذلك - إمام في شعر حفصة؛ إن شاء الله.

نباهته وحظوته

ولما وفدت³ الأندلس؛ على صاحب أمر الموحدين؛ في ذلك الأوان؛ وهو محتل بجبل الفتح⁴، واحتفل شعراؤها في القصائد، وخطبائها في الخطب بين يديه⁵؛ كان في وفد غرناطة؛ أبو جعفر هذا؛ المترجم به؛

¹ حرف اسمها في المخطوطين؛ فكتب: ((حفصة بنت الحاج)). وهي تنسب إلى بلدة ركونة الواقعة غربي بلنسية؛ وتسمى الآن Requena. وتعتبر حفصة فريدة في زمانها حسناً وأدباً وطرفاً ولودعية؛ فهي جيدة الشعر، سريعة البديهة. توفيت بمراكش سنة 581هـ/1185م. وقد خصها ابن الخطيب بترجمة لها في الإحاطة.

² أبو عبادة هو البحتري الوليد بن عبيد بن يحيى التتوخي الطائي؛ ولد بمنبج - القريبة من حلب - سنة 206هـ/821م وتوفي بها سنة 284هـ/898م؛ أحد كبار شعراء العصر العباسي. يعتبر ثالث ثلاثة؛ من شعراء العرب في العصر العباسي؛ وهم؛ المتنبّي وأبو تمام والبحتري. أما علوة؛ فهي مغنية حلبية شغف بها البحتري وذكرها في قصائده.

³ في المخطوطين: ((وفد))؛ والتصويب من عنان.

⁴ يشير هنا إلى وفود الأندلسيين الذين قدموا إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي في جبل طارق؛ للاحتفال بالمدينة التي شيدها في ذلك الموضع؛ وذلك في سنة 556هـ/1161م.

⁵ في المخطوطين: ((يد)).

وهو حدث السنّ؛ في جملة أبيه، وإخوته، وقومه؛
 فدخل معهم على الخليفة، وأنشده قصيدة؛ قال: أبو
 الحسن بن سعيد: كتبت منها - من خط والده - قوله¹:
 تكلّم فقد أصغى إلى قولك الدهر
 وما لسواك اليوم² نهى ولا أمر
 ورُم كل ما قد شئتّه فهو كائن
 وحاول فلا برّ يفوت ولا بحر
 وحسبك هذا البحر فالأ³ فإنه
 يُقبّل ترّباً داسه جيشك الغمر⁴
 وما صوته⁵ إلاّ سلام مُردّد
 عليك وعن بشرٍ بقربك⁶ يفتّر

¹ هذه القصيدة من البحر الطويل. وقد وردت في الحلل الموشية؛ ونسبت إلى أبي حفص بن سعيد العنسي.

² في المغرب: ((الآن)).

³ في الحلل الموشية: ((لا)).

⁴ نفسه: ((النجر)).

⁵ في المغرب: ((صوتها)).

⁶ وردت هنا في الملكية كلمة ((اليوم)). ولكنها زيادة لا داعي لها. وكتبت كلمة ((مفتّر)) في الحلل الموشية بدلاً من ((يفتّر)). أما صدر البيت فقد ورد في المغرب هكذا: ((وفي كل قلب من تصعّدها ذعر)).

بجيش لكي يلقى أمامك من غدا
يُعَانِدُ أَمْرًا لَا يَقُومُ لَهُ أَمْرٌ
أَطْلَّ¹ عَلَى أَرْضِ الْجَزِيرَةِ سَعْدُهَا
وَجَدَدَ فِيهَا ذَلِكَ الْخَبَرَ الْخُبْرُ²
فَمَا طَارِقٌ إِلَّا لِذَلِكَ مُطَرِقٌ
وَلابنُ نُصَيْرٍ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ النَّصْرُ
هُمَا مَهْدَاهَا كَيْ تَحُلَّ بِأَفْقِهَا³
كَمَا حَلَّ عِنْدَ التَّمِّ بِالْهَالَةِ الْبَدْرُ

قال: فلما أتمها أننى عليه الخليفة⁴، وقال لعبد الملك
الملك أبيه: أيهما خيرٌ عندك في ابنيك؛ فقال: يا سيدنا:
محمدٌ دخل إليكم مع أبطال الأندلس وقوادها، وهذا مع
الشعر؛ فانظروا ما يجب أن يكون خيراً⁵ عندي؛ فقال
الخليفة: كلٌّ ميسرٌ لما خُلِقَ له؛ وإذا كان الإنسان متقدماً
في صناعة؛ فلا يُؤسَفُ عليه؛ إنما يُؤسَفُ على مُتَأَخَّرِ

¹ في الحلل المشية: ((أطيل)).

² ورد في الحلل الموشية عجز البيت هكذا: ((ويمدها ذلك المخبر الخبر)).

³ في ك: ((بأرضها)).

⁴ وردت بعدها عبارة ((كل ميسر))؛ ولما كانت زائدة فقد تركها عنان.

⁵ في ك: ((ميسر)).

الْقَدْر، محروم الحظّ. ثم أنشد فحول الشعراء، والأكابر¹؛
ثم لما ولي غرناطة؛ ولده السيد أبو سعيد؛ استوزر أبا
جعفر المذكور، واتصلت حظوته² إلى أن كان ما يذكر من
نكته.

محتته

قال قريبه وغيره: فَسَدَ ما بينه وبين السيد أبي
سعيد؛ لأجل حَفْصَة الشاعرة؛ إذ كانت محل هَوَاهُ³، ثم
اتَّصَلَت بالسَّيِّد؛ وكان له بها [علاقة]⁴؛ فكان كل منهما
على مثل الرِّضْف⁵ للآخر، ووجد حساده السبيل إلى
إغراء السيد به؛ فكان مما نُمِيَ به عنه: أن قال لحفصة
يوماً: وما هذا الغرام الشديد به؛ يعني السيد؛ وكان
شديد الأُذْمَة⁶؛ وأنا أقدر أن أشتري لك من المَعْرُض أسوداً
أسوداً خيراً منه بعشرين ديناراً. فجعل السيد يتوسّد له

¹ كتب بعدها: ((ابن أبي مروان))؛ ولما كانت زائدة فقد أغفلها عنان.

² في المخطوطين: ((حضرته))؛ فصوبها عنان.

³ في ك: ((هداه)).

⁴ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين، بينما ذكرت في الملكية.

⁵ الرِّضْف مفرد هَارِضَة؛ هي الحجارة المحماة؛ ويقولون: ((هو على

الرِّضْف))؛ أي قلق. ويقصد هنا أن كل واحد منهما يحمل حقداً للآخر.

⁶ شديد الأُذْمَة: أي شديد السُّمْرَة.

المهالك¹، وأبو جعفر يتحفظ كل التحفظ. وفي حالته تلك يقول²:

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي الْحَيَاةَ وَطَيِّبَهَا
وَوَزَارَتِي وَتَأْدِيبِي وَتَهْدِيبِي
بِمَحَلٍّ رَاعٍ فِي ذُرَى مَلْمُومَةٍ
زُوِيَتْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَقْصَى مَرْتَبٍ
لَا حُكْمَ يَأْخُذُهُ بِهَا إِلَّا لِمَنْ
يَعْقُو وَيَرُوفُ دَائِمًا بِالْمُذْنِبِ
فَلَقَدْ سَمِيتُ مِنَ الْحَيَاةِ مَعَ امْرِئٍ
مُتَغَضِّبٍ³ مُتَغَلِّبٍ مُتَرْتِّبٍ
الْمَوْتُ يُلْحَظُنِي إِذَا لَاحَظْتُهُ
وَيَقُومُ فِي فِكْرِي أَوْانَ تَجَنَّبِي
لَا أَهْتَدِي مَعَ طَوْلٍ مَا حَاوَلْتُهُ
لِرِضَاهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا لِلْمَهْرَبِ

¹ أي لا ينال في نصب المهالك له.

² هذه الأبيات من بحر الكامل.

³ في المخطوطين: ((مغضب))؛ فصوبها عنان.

وأخذ في أمره - مع أبيه وأخوته - وفتنة ابن مردنیش¹ مضطربة؛ فقال له أخوه محمد، وأبوه: إن حركنا حركة؛ كنا سبباً لهلاك هذا البيت؛ ما بقيت دولة هؤلاء القوم، والصبر عاقبته حميدة؛ وقد كنا ننهك عن الممارسة²؛ فلم تتركب إلا هواك؛ وأخذ مع أخيه عبد الرحمن؛ واتفقا على أن يثورا - في القلعة³ - باسم ابن مردنیش، وساعدهما قريبهما - على ذلك - حاتم بن حاتم بن سعيد؛ وخطبوا ابن مردنیش؛ وصدر لهم جوابه بالمبادرة؛ ووصلت منه خيل ضارية؛ وتهيأ لدخول القلعة؛ وتهيأ الحصول في القلعة؛ وخافوا من ظهور الأمر؛ فبادر حاتم وعبد الرحمن إلى القلعة؛ وتمّ لهما المراد؛ وأخّر الجبن أبا جعفر؛ ففاتاه؛ وتوقع الطلب في الطريق إلى القلعة؛ فصار متخفياً إلى مالقة؛ ليركب منها

¹ هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنیش الجذامي؛ أمير شرق الأندلس؛ ولد سنة 518هـ/1124م وتوفي سنة 567هـ/1171م، ولي مرسية؛ فضم إليها بلنسية وشاطبة ودانية؛ واستعان في ثورته على الموحدين بالنصارى؛ ولكنه انتهى بالفشل؛ حيث يقال أن أمه هي سمته، وقد خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة.

² أي الفتنة والفساد.

³ أي قلعة يحصب.

البحر إلى جهة ابن مردنيش؛ ووضع السيد عليه العيون
في كل جهة؛ فقبضَ عليه بمالقة، وطولع بأمره؛ فأمر
بقتله صبراً؛ رحمه الله.

جزالته وصبره

قال أبو الحسن بن سعيد: حدثني الحسين ابن
دويرة؛ قال: كنت بمالقة؛ لما قبض على أبي جعفر،
وتوصلت إلى الاجتماع به؛ ريثما استؤذن السيد في
أمره؛ حين حبس؛ فدَمَعَت عيني لما رأيته مكبلاً؛ قال:
أعليّ تبكي؛ بعد ما بلغت من الدنيا أطيب لذاتها؛
فأكلت صدور الدجاج، وشربت في الزجاج، وركبت كلَّ
هَمَلَج¹، ونمت في الديباج، وتمتعت بالسّراري والأزواج،
واستعملت من الشمع، السّراج الوهّاج؛ وها أنا في يدِ
الحجّاج²؛ منتظراً محنة الحلاج³؛ قادمٌ على غافرٍ؛ لا يُحْجِج
إلى اعتذار ولا احتجاج. فقلت: ألا أبكي على من ينطق

¹ يوصف الجواد الأصيل بالهملاج؛ لحسن سيره.

² أي في يد من يشبه الحجّاج التقفي في الظلم والقسوة.

³ الحلاج؛ هو أبو مغيث الحسين بن منصور؛ وُلِدَ بقريّة قريبة من
البيضاء الفارسية سنة 244هـ/858م وتوفي سنة 309هـ/922م. ويعد من
أقطاب المتصوفة؛ ولكنه اتهم بالردة؛ فأعدم بأمر من الخليفة العباسي المقتدر.

بمثل هذا؛ ثم تُفقد؛ فقامت عنه؛ فما رأيته إلاً مصلوباً؛
رحمه الله.

شعره¹

أتاني كتابٌ منك يحسُّدُه الذَّهْرُ²
أما حِرُّه ليلٌ أما طِرسُه فجُرُّ
به جمع الله الأمانِيَّ لناظري
وسمعي وفكري فهو سِحْرٌ ولا سِحْرُ
ولا غَرُّ أن أبدى العجايب ربُّه
وفي ثوبه برٌّ وفي كفِّه بَحْرُ
ولا عَجَبَ إن أُنْعَ الزَّهْرُ طِيَّه
فما زال صَوْبُ القَطْرِ يبدو به الزَّهْرُ

¹ الأبيات التالية من بحر الطويل.

² في ج: ((الزهر)).

ومن شعره ما يَجْري مَجْرَى المَرْقُص؛ وقد حضر
 مع الرُّصافي¹، والكُتُندي²؛ [ومعهم مغن بروطة³]:
 لِلَّهِ يَوْمَ مَسَرَّةٍ أَضْوَى وَأَقْصَرُ مِنْ ذُبَالِهِ
 لَمَّا نَصَبْنَا لِلْمُنَى فِيهِ مِنْ أَوْتَارٍ حِبَالِهِ⁴
 ظِلَّ⁵ النَّهَارِ⁶ بِهَا كَمُرٌ تَاعٍ وَأَجْفَلَتِ الْغَزَالَةُ
 وشعره مدون كما قلنا، وهذا القدر عنوانٌ على نبذه.

غريبةٌ في أمره مع حفصة

قال حاتم بن سعيد: وكان قد أجرى الله على
 لسانه؛ إذا حركت الكأس بها غرامه؛ أن يقول: والله لا
 يقتلني أحدٌ سواك؛ وكان يغني بالحب، والقدر؛ مُوَكَّل
 بالمنطق؛ قد فرغ من قتله بغيره من أجلها. قال: ولما بلغ

¹ هو أبو عيد الله محمد بن غالب الرفاء الرصافي الأندلسي؛ توفي
 بغرناطة سنة 572هـ/1177م؛ ينسب إلى رصافة بلنسية، شاعر فحل؛
 عزيز النفس، ولا يتكسب بالشعر، خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة.
² هو أبو بكر محمد بن عيد الرحمن الأتتدي؛ وكنتدة قرية من قرى مرسية؛
 تسمى أيضاً قنتدة (بالقاف) توفي سنة 584هـ/1188م، شاعر من النباه في وقته.
³ ما بين الحاصرين ذكر في ج وفي الملكية بينما سقط في ك، أما روطه
 فهي قرية من قرى غرناطة، والأبيات الموالية من مجزوء الكامل.
⁴ ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا: ((لما نصبنا للمنى * فيه بأوتار حباله)).
⁵ في المغرب ونفح الطيب: ((طار))؛ وهو الأصح.
⁶ النهار هنا هو ذكر الحبارى.

حفصة قتله ؛ لبست الحداد، وجهرت بالحزن، فتوَعَّدت
بالقتل ؛ فقالت في ذلك¹:

هَدَّوْنِي مِنْ أَجْلِ لِبْسِ الْحِدَادِ
لِحَبِيبٍ أَرَدُوهُ لِي بِالْحِدَادِ
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ يَجُودُ بِدَمْعٍ
أَوْ يَنْوَحُ عَلَى قَتِيلِ الْأَعَادِ
وَسَقَّتْهُ بِمِثْلِ جُودِ يَدِيهِ
حَيْثُ أَضْحَى مِنَ الْبِلَادِ الْغَوَادِ
وَلَمْ يُتَنَفَّعْ بَعْدُ بِهَا، ثُمَّ لَحِقَتْ بِهِ بَعْدَ قَلِيلٍ.

وفاته

توفي - على حسب ما ذكر - في جمادى الأولى من
سنة تسع وخمسين وخمسمائة².

¹ هذه الأبيات من بحر الخفيف.

² الموتفق لـ 1163م.

أحمد بن سليمان

(بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشي؛ المعروف بابن فركون¹؛
يلكنى أبا جعفر

أوليته

قد مرّ ذلك في اسم جدّه؛ قاضي الجماعة، وسيأتي
في اسم والده.

حاله

شعلة من شعل الذكاء والإدراك، ومجموع خلال
حميدة؛ على الحداثة؛ طالب نبيل، مدرك، نجيب، بدّ
أقرانه كفاية، وسما إلى المراتب، فقرأ وأعرب، وتمرّ²،
وتدرب، واستجاز له والده شيوخ بلده؛ فمن دونهم،
ونظم الشعر، وقيد كثيراً، وسبق أهل زمانه في حسن
الخط؛ سبقاً أفرد به بالغاية القصوى؛ فبراعته اليوم، المشار
إليه، بالظرف³، والإتقان، والحواء، والإسراح⁴؛ اقتضى

¹ توجد ترجمة أحمد بن سليمان بن فركون في الكتيبة الكامنة؛ ولم يثن
عليه كما هو الحال في الإحاطة، وله ترجمة أيضاً في نفح الطيب.

² أي أتمر.

³ في ك: ((باللطف)).

⁴ حوى الشيء: احتزره وجمعه. والإسراح: السهولة.

ذلك - كله - ارتقاؤه إلى الكتابة السلطانية ؛ ومزية الشُّفوف
بها ؛ بالخلع والاستعمال ، واختصَّ بي ، وتأدب بما انفرد
به من أشياخ توالي في ؛ فأثرت به فوائد جمّة ، وبَطْن¹
حوضه من تحلُّمه ، وترشح إلى الاستيلاء على الغاية.

شعره

أنشد له بين يديّ السلطان في الميلاد² الكريم³ :
حيّ المعاهد بالكثير وجادها
غيثٌ يروّي حيّها وجمادها

مولده

في ربيع الآخر من عام سبعة وأربعين وسبعمائة⁴.

¹ في ج: ((ونطق)).

² حرفت في المخطوطين وفي الملكية؛ فكتبت: ((البلاد)).

³ هذا البيت من البحر الكامل.

⁴ الموافق لـ 1346م.

أحمد بن إبراهيم

(بن أحمد بن صفوان؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا جعفر؛
ويعرف بابن صفوان¹).

حاله

بقية الأعلام، أديب لمن أدباء²، هذا القطر، وصدرٌ
من صدور كتابه، ومشیخة طلبته، ناظمٌ، ناثر، عارف،
ثاقب الذهن، قوي الإدراك أصيل النظر، إمام الفرائض
والحساب والأدب والتوثيق، ذاكرٌ للتاريخ واللغة، مشارك
في الفلسفة والتصوف، كلفٌ بالعلوم³، الإلهية، آية الله
في فك المَعَمَّى، لا يجاريه في ذلك أحد ممن تقدمه، شأنه
عجبٌ، يفك من المعميات⁴ والمستنبطات، مفصلاً وغير
مفصول، شديد التعصب لذي⁵ ودٍّ، وبالعكس، تام
الرجولة، قليل التهيب، مقتحم حمى أهل الجاه والحمد
والمضايقة، إذا دعاه لذلك داع، حبل⁶ نقده على غاربه،

¹ توجد ترجمة أحمد بن إبراهيم بن صفوان أيضاً في الكتيبة الكامنة، ونفج الطيب.

² هذه الإضافة من الملكية.

³ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بالعموم)).

⁴ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((المعايات)).

⁵ في الملكية: ((الأهل)).

⁶ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((حل)).

راضٍ بالخمول، متبلغ بما تيسر، كثير الدؤوب والنظر،
والتقييد والتصنيف، على كلال الجوارح، وعائق الكبرة¹،
مقارب نمطي² الشعر والكتابة، مجيد فيهما، ولنظمه
شفوف على نثره.

مشيخته

قرأ على الأستاذ [أبي محمد]³ الباهلي، أستاذ الجملة
من أهل بلده، ومولى النعمة عليهم، لازمه وانتفع به،
ورحل إلى العدو، فلقي جملة، كالقاضي المؤرخ أبي
عبد الله بن عبد الملك، والأستاذ التعالمي أبي العباس بن
البناء⁴، وقرأ عليهم بمراكش.

¹ أي الكبر في السن.

² في ج: ((بمضي))؛ وصوبت من الملكية.

³ سقطت هذه العبارة في ج، وفي الملكية.

⁴ هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العدوي؛ عرف باسم
ابن البناء؛ نسبة لمهنة أبيه. ولد في مراكش سنة 654هـ/1256م وتوفي بها
سنة 721هـ/1321م. له دراية بعلوم شتى؛ كالرياضة، والمنطق، وعلم
الأصول، والفلك، وغيره.

نباهته

استدعاه السلطان، ثاني الملوك من بني نصر¹ إلى الكتابة عنه مع الجلة²، ببابه، وقد نما عشه، وعلا كعبه، واشتهر ذكاؤه وإدراكه. ثم جنح إلى العودة³، لبلده. ولما ولي الملك، السلطان أبو الوليد⁴، ودعاه إلى نفسه، ببلده مالقة، استكتبه رئيساً مستحقاً، إذ لم يكن ببلده، فأقام به واقتصر على كُتب الشروط، معروف القدر، بمكان من القضاة ورعيهم، صدرأً في مجالس الشورى، وإلى الآن يجعل إلى زيارة غرناطة، حظاً من فصول بعض السنين، فيُنصب⁵، بها العدالة، ثم يعود إلى بلده في الفصل الذي لا يصلح لذلك. وهو الآن ب قيد الحياة، قد علقته أشراك⁶ الهرم، وفيه بعد مستمتعٌ بديع، كبير.

¹ هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ الملقب بالفقيه؛ ولد بغرناطة سنة 633هـ/1235م وتوفي بها سنة 701هـ/1301م. ستأتي ترجمة له في الإحاطة.

² في ك، وفي الملكية: ((الجملة)).

³ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((العدوة)).

⁴ وهو إسماعيل بن فرج بن نصر؛ ولد سنة 677هـ/1278م. وتوفي سنة 725هـ/1324م. ستأتي ترجمة له في الإحاطة.

⁵ في المخطوطين: ((فتنصب))؛ وصوبها عنان.

⁶ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((اشتراك)).

تصانيفه

من تواليفه: ((مطلع الأنوار الإلهية))، ((وبغية المستفيد))، ((وشرح كتاب القرشي في الفرياض))؛ لا نظير له. وأما تلاميذه على أقوال يعترضها، وموضوعات ينتقدها؛ فكثيرة.

شعره

قال في غرض¹ التصوف؛ وبلغني أنه نظمها بإشارة من الخطيب؛ ولي الله، أبي عبد الله الطنجالي؛ كلف بها القوالون، والمُسمِّعون بين يديه²:

بان الحَمِيمُ فما الحِمَى والبانُ
بشفاء مَنْ عَنْهُ الأحيَّة بانوا
لم يَنْقُضُوا عهداً بَيْنَهُمْ ولا
أنسأهم ميثاقَكَ الحَدَثَانُ

¹ في المخطوطين: ((عرض)).

² هذه القصيدة من البحر الكامل.

لكن جَنَحْتَ لغيرهم فأزالهم
عن أنسِيهم بك مَوْحِشٌ غَيْرَان
لو صَحَّ حُبُّكَ ما فَقَدْتُهُم ولا
سَارَتْ بهم عن حُبِّكَ الأَظْعَان
تَشْتَأُقُهُم، وَحْشَاكَ هَالَةٌ بَذَرَهُم
والسَّرُّ مِنْكَ لِخِلَّاهُمْ¹ مِيدَانُ
ما هَكَذَا أَحْوالُ أَرْبابِ الهَوَى
نَسَخَ الْغَرَامَ بِقَلْبِكَ السُّلْوانُ
لا يَشْتَكِي أَلَمَ البُعَادِ مُتَيِّمٌ
أَحْبَابُهُ فِي قَلْبِهِ² سَكَّانُ
ما عِنْدَهُم إِلَّا الْكَمالُ وَإِنَّمَا
غَطَّى عَلَى مِرْآئِكَ³ النُّقْصَانُ
شَغَلَتْكَ بِالْأَغْيَارِ عَنْهُمْ مُقَالَةٌ
إِنْسَانُهَا عَنْ لَمَحِهِمْ وَسَنانُ

¹ في الكتيبة الكامنة: ((لخيلهم)).

² في المخطوطين: ((بقلبه))؛ فصوبها عنان.

³ في الكتيبة الكامنة: ((مرأتها)).

غَمَضَ جُفُونَكَ عَنْ سِوَاهُمْ مُعْرِضاً
 إِنَّ الصَّوَارِمَ حَجَبُهَا الْأَجْفَانُ
 وَاصْرِفْ إِلَيْهِمْ لِحْظَ فِكْرِكَ شَاخِصاً
 تَرَهُمْ¹ بِقَلْبِكَ حَيْثُ² كُنْتَ وَكَانُوا
 مَا بَانَ³ عَنْ مَغْنَاكَ مِنْ أَلْطَافِهِ
 يَهْمِي عَلَيْهَا سَحَابُهَا الْهَتَّانُ
 وَجِيَادُ أَنْعُمِهِ بِبَابِكَ تَرْتَمِي
 تَسْرِي إِلَيْكَ بِرَكْبِهَا الْأَكْوَانُ
 جَعَلُوا دَلِيلاً فَيْكَ⁴ مِنْكَ عَلَيْهِمْ
 فَبَدَا عَلَى تَقْصِيرِكَ الْبُرْهَانُ
 يَا لَامِحاً سِرَّ الْوُجُودِ بِعَيْنِهِ
 السِّرُّ فَيْكَ بِأَسْرِهِ وَالشَّانُ
 ارْجِعْ لَذَاثِكَ إِنْ أَرَدْتَ تَنْزُهَاً
 فِيهَا لَعَيْنِي ذِي الْحِجَا بُسْتَانُ

¹ في الكتيبة الكامنة: ((ترسم)).

² نفسه: ((كيف)).

³ نفسه: ((ما غاب)).

⁴ نفسه: ((منك فيك)).

هِي رَوْضَةٌ مَطْلُولَةٌ بَلْ جَنَّةٌ
 فِيهَا الْمُنَى وَالرَّوْحُ وَالرَّيْحَانُ
 كَمْ حِكْمَةٌ صَارَتْ تَلُوحُ لِنَظِيرٍ
 حَارَتْ لِبَاهِرٍ صُنْعُهَا الْأَذْهَانُ
 حُجِبَتْ بِشَمْسِكَ¹ عَنْ عَيَانِكَ شَمْسُهَا
 شَمْسٌ مُحَاسِنٌ² ذَكَرَهَا التَّبَيَّانُ³
 لَوْلَاكَ مَا خَفِيتُ عَلَيْكَ آيَاتُهَا⁴
 وَالْجَوُّ مِنْ أَنْوَارِهَا مَلَأَنُ
 أَنْتَ الْحِجَابُ لِمَا تُؤَمِّلُ مِنْهُمْ
 فَفَنَّاؤُكَ الْأَقْصَى لَهُمْ وَجُدَانُ
 فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ عَنْكَ مُفْتَقِرًا لَهُمْ
 إِنَّ الْمُلُوكَ بِالْأَفْتِقَارِ تُدَانُ

¹ في ك: ((بشخصك)). وفي الكتيبة الكامنة: ((بشخصك)).

² في ج، وفي الملكية: ((فمحاسن)).

³ ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا: ((فمحاسن ذكرها النسيان)).

⁴ في ك: ((آيتها)). والأسلم: آياتها؛ كما ذكر الدكتور طويل.

واخضع لعزّهم ولذلّهم¹ يلح
 منهم عليك تعطف² وحنان²
 هم رشحوك إلى الوصول إليهم
 وهم على طلب الوصال عوان³
 عطفوا جمالهم على أجمالهم
 فحلى⁴ المشوق الحُسن والإحسان
 يا مُلبسين عبيدهم⁵ حلّ الضنى
 جسّمي بما تكسونه يزدان
 لا سُخط عندي للذي ترضونه
 قلبي [بذاك مُفرّح]⁶ جذلان
 فبقربكم عين الغنا وبعذكم
 مخض الفنا ومُحيكم ولهان⁷

¹ حرفت في ك؛ فكتبت: ((لذّهم)). في الكتيبة الكامنة: ((لذّ يههم)). وهو أسلم.

² في الكتيبة الكامنة: ((تلطف وحنان)).

³ في الكتيبة الكامنة: ((أعانوا)).

⁴ نفسه: ((فسيا)).

⁵ في المخطوطين: ((عميدهم)).

⁶ في المخطوطين: ((بذلك فرح)). وفي الكتيبة الكامنة: ((فارح)).

⁷ ورد هذا البيت في الكتيبة الكامنة هكذا:

تقريبكم عين البقاء وبعذكم * مخض الفناء وحبكم ولهان

إِنِّي كَتَمْتُ عَنِ الْأَنَامِ هَوَاكُمُ
حَتَّى دُهِيتُ وَخَانَني الْكِتْمَانُ
وَوَشَّتْ بِحَالِي [عند ذاك]¹ مَدَامِعُ
أَدْنَى مَوَاقِعِ قَطْرِهَا طُوفَانُ
وَبَدَتْ عَلَيَّ شَمَائِلُ عُذْرِيَّةِ
تَقْضِي بِأَنِّي فِيكُمْ هَيْمَانُ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَذِكْرُكُمْ لِي مُنْطِقُ
مَا عَنْ² سِوَاكُمْ لِلَّسَانِ بَيَانُ
وَإِذَا صَمْتُ فَأَنْتُمْ سِرِّي الَّذِي
بَيْنَ الْجَوَانِحِ فِي الْفُؤَادِ يُصَانُ
فَبِطَانِي وَبِظَاهِرِي لَكُمْ هَوَى
مِنْ جُنْدِهِ الْإِسْرَارُ وَالْإِعْلَانُ
وَجَوَانِحِي³ وَجَمِيعِ أَنْفَاسِي وَمَا
أُخَوَى عَلَيَّ لِحُبِّكُمْ أَعْوَانُ

¹ سقطت هذه العبارة في المخطوطين؛ بينما وردت ف ت. وفي الكتيبة الكامنة كتب: ((في الغرام)) في مكان ((عند ذاك)).

² في الكتيبة: ((لي)).

³ نفسه: ((وجوارحي)).

وَالْيَكُم مِّنِّي الْمَفَرُّ فَقَصَدُكُمْ
حَرَمٌ بِهِ لِلْخَائِفِينَ أَمَانٌ
وقال يَذُمُّ الدنيا ويمدح¹ عُقْبَى من يُقِلُّ منها²:
حديث الأمان³ في الحياة شجون
إن أرضاك شَأْنٌ أَحْفَظْتُكَ شَأْنٌ
يَمِيلُ إِلَيْهَا جَاهِلٌ بِغُرُورِهَا
فَمِنْهُ اشْتِيَاقٌ نَحْوَهَا وَأُنِينَ
وذو الْحَزْمِ يَنْبُؤُ عَنْ حِجَاهِ فَحَالِهَا
يَقِيهِ إِذَا شَكَّ عَرَاهِ يَقِينٌ
إِلَيْكَ صَرِيحَ الْأَمْنِ سَنَحَةً⁴ نَاصِح
عَلَى نُصْحِهِ سِيْمَا الشَّفِيقِ⁵ تَبَيَّنُ
تَجَافٍ عَنِ الدُّنْيَا وَدِنْ بَاطِرِ أَجْهَا
فَمَرْكَبُهَا بِالْمُطْمَعِينَ⁶ حَارُونَ

¹ في ك: ((يحمد)).

² القصيدة التالية من البحر الطويل.

³ في ك: ((الجمان)).

⁴ في الملكية: ((منحة)).

⁵ حرفت في ج؛ فكتبت: ((السفين)).

⁶ في ج: ((بالمطمعين))، وفي الملكية: ((بالمطمعين)).

وَتَرْفَعُهَا خَفْضٌ وَتَتَعِيمُهَا أَدَى
 وَمَنْهَلُهَا لِلْوَارِدِينَ أَجُونُ
 إِذَا عَاهَدَتْ خَانَتْ وَإِنْ هِيَ أَقْسَمَتْ
 فَلَا تَرْجُ بَرًّا بِالْيَمِينِ يَمِينُ
 يَرُوقُكَ مِنْهَا مَطْمَعٌ مِنْ وَفَائِهَا
 وَسُرْعَانِ مَا إِثْرَ الْوَفَاءِ تَخُونُ
 وَتَمْنَحُكَ الْإِقْبَالَ كَفَّةَ حَابِلٍ
 وَمِنْ مَكْرِهَا فِي طَيِّ ذَاكَ كَمِينُ
 سَقَاهُ لَعْمَرُ اللَّهِ إِمْحَاضَكَ الْهَوَى
 لِمَنْ أَنْتَ بِالْبَغْضَاءِ فِيهِ قَمِينُ
 وَمَنْ تَصْطَفِيهِ وَهُوَ يُقْطِعُكَ الْقِلَا
 وَتُهْدِي لَهُ الْإِعْزَازَ وَهُوَ يُهِينُ
 أَلَا إِنَّهَا الدُّنْيَا فَلَا تَغْتَرِرْ¹ بِهَا
 وَلَوْ الدَّوَاهِيَ بِالْخِدَاعِ تَدِينُ
 يَعُمُّ رَدَاها الْغَرُّ وَالْخَبُّ ذَا الدَّهَا
 وَيُلْحَقُ فِيهَا بِالْكَنَاسِ عَرِينُ

¹ فِي لَك: ((تَغْتَر)).

وَتَشْمَلُ بَلَوَاهَا نَبِيلاً وَخَامِلاً
وَيُلْقَى مُذَالٌ¹ غَذَرَهَا وَمَصُونُ
أَبْنُهَا لَحَاهَا إِلَهُ كَمْ فِتْنَةٍ لَهَا
تُعَلِّمُ صُمَّ الصَّخْرِ كَيْفَ يَلِينُ
فَلَا مَلِكٌ سَامٌ² أَقَالَتْ عِثَارُهُ
وَلَوْ أَنَّهُ لِلْفِرْقَدَيْنِ خَدِينُ
[وَلَا مَعَهْدَ إِلَّا وَقَدْ نَبَهَتْ بِهِ
بَعِيدَ الْكَرَى لِلثَّاكِلَاتِ جُفُونُ
أَبَيْتُ لِنَفْسِي أَنْ يُدْنِسَهَا الْكَرَى
سَكُونٌ إِلَيْهَا مَوْبِقٌ³ وَرُكُونٌ³
فَلَيْسَ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِيهَا سِوَى أَمْرِي
تَلَاهَا رَأَى يَرَاهُ وَدِينُ

¹ هكذا.

² في ج: ((سمى)).

³ هذان البيتان وردا هكذا في ج، وفي الملكية؛ ولكنهما أدمجا في بيت واحد في ك؛ بحيث كتب هكذا:

((وَلَا مَعَهْدَ إِلَّا وَقَدْ نَبَهَتْ بِهِ * سَكُونٌ إِلَيْهَا مَوْبِقٌ وَرُكُونٌ))؛

فتم بذلك؛ حذف عجز الأول، وصدر الثاني.

أَبَيْتَ طَلَّاقَ الْحِرْصِ فَالزُّهْدَ دَائِباً
خَلِيلٌ لَهُ مُسْتَصْنَبٌ وَقَرِينُ
إِذَا أَقْبَلَتْ لَمْ يُؤْلِهْهَا بَشَرَ شَيْقٍ
وَلَا خَفَ لِلْإِقْبَالِ مِنْهُ رَزِينُ
وَإِنْ أَدْبَرَتْ لَمْ يَلْتَفِتْ نَحْوَهَا بِهَا
وَادٍ عَلَى مَا لَمْ تُوَاتِ حَزِينُ
خَفِيفَ الْمَطَا مِنْ حَمَلٍ أَثْقَالَ هَمِّهَا
إِذَا مَا شَكَّتْ ثَقُلَ الْهُمُومُ مُتُونُ
عَلَى حِفْظِهِ لِلْفَقْرِ أَبْهَى مَلَاءَةٍ
سَنَى حَلِيهَا وَسَطَ الزَّرَى يَدِينُ
بِرَجْفٍ تَخَالُ الْخَائِفِينَ مَنَازِلُ
لَهُنَّ مَكَانٌ حَيْثُ حَلَّ مَكِينُ
مَنَازِلُ نَجْدٍ عِنْدَهَا وَتِهَامَةٌ
سَوَى وَاسْتَوَى هِنْدٌ لَدَيْهِ وَصِينُ¹
يَرُودُ رِياضاً أَيْنَ سَارَ وَوَرْدُهُ
زُلَّالٌ اعْتَاضَ الْوُرُودَ مَعِينُ

¹ فِي لَك: ((وَمِين)).

فهذا أثيل¹ الملك لا ملك تائر
 لأعدائه حرباً عليه زبون
 وهذا عريض العز لا عز مترف
 له من مشيدات القصور سجون
 حوت شخصه أوصافها فكأنه
 وإن لم يمت فوق التراب دفين
 فيا خابطاً عشواء والصبح قد بدا
 [إلام تغطي² ناظرينك دجون
 أفق من كرى هذا التعامي ولا تضع
 بجهلك علق³ العمر فهو ثمين
 إذا كان عقبى ذي جدّة إلى بلّ
 وقصارى ذي الحياة منون
 ففيم التفاني والتنافس ضلالة
 وفيم التلاحي والخصام يكون

¹ سقطت هذه الكلمة في ك.

² حرف ما ورد بين الحاصرتين في المخطوطين؛ فكتب: ((إلى تعني، تغني)).

³ في ك: ((علو)).

إلى الله أشكوها نفوساً عميَّةً
عن الرُّشدِ والحقِّ اليقين تَبِينُ¹
وَأَسْأَلُهُ الرُّجْعَى² إِلَى أَمْرِهِ الَّذِي
بِتَوْفِيقِهِ حَبَلَ الرَّجَاءِ مَتِينُ
فَلَا خَيْرَ إِلَّا مِنْ لَدُنْهِ وَجُودُهُ
لِتَيْسِيرِ أَسْبَابِ النَّجَاةِ ضَمِينُ

وجمعتُ ديوان شعره أيام مقامي بمالقة؛ عند
توجُّهي صحبة الرُّكاب³ السلطاني إلى إصراخ الخضراء؛
عام أربعة وأربعين وسبعمائة⁴، وقدمت صدره خطبة،
وسميت الجزء ((بالدُّرَرُ⁵ الفاخرة، واللُّجَجُ الزَّاخِرَةُ))،
وطلبت منه أن يميزني، وولدي عبد الله، رواية ذلك
عنه؛ [فكتب⁶ بخطه الرائق بظهر المجموع ما نصه:
(الحمد لله مستحق الحمد، أجبت سؤال الفقيه، الأجل،

¹ في المخطوطين: ((يكون.

² في ل: ((الرجا)).

³ في ج: ((الركبان)).

⁴ الموافق لـ 1343م.

⁵ حرفت في المخطوطين فكتبت: ((الدار))، وفي الملكية؛ كتبت: ((بالدراري)).

⁶ هذه الكلمة أضافها عنان.

الأفضل، السري، الماجد، الأوحد، الأحفل، [الأديب]¹،
 البارع، الطالع في أفق المعرفة والنباهة، والرفعة المكيّة
 والوجاهة، بأبهى المطالع، المصنف، الحافظ، العلامة،
 الحائز في فني النظم والنثر، وأسلوبى الكتابة² والشعر،
 رتبة الرياسة³، الحامل لراية التقدم والإمامة، مُحلّي جيد⁴
 العصر بتوآليفه⁵ الباهرة الرواء⁶، ومُجلى محاسن بنيه⁷،
 الرائقة على منصّة الإشهاد⁸ والإنباء؛ أبي عبد الله بن
 الخطيب، وصل الله سعاده ومجآدته⁹، وسنى من الخير
 الأوفر، والصنع الجميل الأبهر، مقصده وإرادته، وبلغه
 في نجله الأسعد، وابنه الراقي¹⁰، بمحتده الفاضل، ومنشئه
 الأطهر، محل الفرقد، أفضل ما يؤمل نخلته إياه في¹¹

¹ سقطت هذه الكلمة في ج، وفي الملكية.

² في المخطوطين: ((المكآبة))؛ وفي نفج الطيب: ((الكتابة))؛ وهو أرجح.

³ في نفج الطيب: ((رتبة الرياسة والإمامة)).

⁴ في المخطوطين: جيل).

⁵ في نفج الطيب: ((بتآليفه)).

⁶ في المخطوطين: ((الرواية))؛ وصوبت من نفج الطيب.

⁷ نفسهما: ((ومحل بنيه))؛ بينما أغفلت كلمة: ((محاسن))؛ وقد صوب ذلك

ذلك من نفج الطيب.

⁸ في نفج الطيب: ((الإشارة)).

⁹ نفسه: ((وحرس مجآدته)).

¹⁰ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((إلى اقر)).

¹¹ في نفج الطيب: ((من)).

المكرّمات وإفادته، وأجزت له، ولابنه عبد الله المذكور،
أبقاهما الله تعالى، في عزّة سنية الخلال¹، وعافية ممتدة
الأوفياء، وأرفّة الظّلال، رواية جميع ما تقيّد في
الأوراق، المكتتب على ظهر أول ورقة منها، من نظمي
ونثري، وما توليت إنشاء²، واعتمدت بالارتحال³
والرواية، اختياره وانتقائه، أيام عمري، وجميع مالي من
تصنيف وتقييد، ومقطوعة وقصيدة⁴، وجميع ما أحمله
عن أشياخي رضي الله عنهم، من العلوم، وفنون المنشور
والمنظوم، بأي وجه تأتي ذلك، وصح حملي له، وثبت
إسناده لي، إجازةً تامة، في ذلك كله عامة، على سنن
الإجازات الشرعية⁵، وشرطها المأثور عند أهل الحديث
المرعي، والله ينفعني وإياهما بالعلم وحمله، وينظمننا
جميعاً في سلك حزبه المفلحين⁶ وأهله، ويفيض علينا من
من أنوار بركته وفضله. قال ذلك؛ وكتبه بخط يده الفانية،

¹ في ك: ((الجلال)).

² نفسه: ((إنشاده)).

³ في نفح الطيب: ((بالارتجال)).

⁴ نفسه: ((وقصيد)).

⁵ نفسه: ((الشرعي)).

⁶ نفسه: ((المفلح)).

العبد الفقير إلى الغني¹ به، أحمد بن إبراهيم بن أحمد ابن صفوان، ختم الله له بخير، حامداً لله تعالى، ومصلحاً ومسلماً على محمد نبيه المصطفى الكريم، وعلى آله الطاهرين ذوي المنصب العظيم، وصحبه² البررة، أولي المنصب والأثرة³ والتقديم، في سادس ربيع الآخر عام أربعة وأربعين⁴ وسبعمائة⁵، وحسبنا الله ونعم الوكيل⁶)). الوكيل⁶)).

واشتمل هذا الجزء؛ الذي أذن بحمله عنه من شعره على جملة من المطولات، منها قصيدة يعارض بها الرئيس أبا علي بن سينا في قصيدته الشهيرة في النفس التي مطلعها:

¹ في نفح الطيب: ((إلى الله الغني)).

² نفسه: ((وصحابته)).

³ نفسه: ((أولي الأثرة)).

⁴ حرفت في ج؛ فكتبت: ((أربعة وسبعين)). وهذا مناقض لما ذكره ابن الخطيب من قبل؛ كما يناقض قوله حين ذكر وفاة ابن صفوان؛ سنة 763هـ.

⁵ الموافق لـ 1343م.

⁶ إحالة إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ أجمعُوا لكم فَاخْشَوْهُمْ فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾. سورة آل عمران؛ الآية: 173.

((هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ))؛ أولها:
((أَمَلًا بِمَسْرَاكِ الْمُحِبِّ¹ الْمَوْضِعِ)).
وأول قصيدة²:

لَمَعْنَاكَ فِي الْأَفْهَامِ سِرٌّ مُكْتَمٌ
عَلَيْهِ نَفُوسُ الْعَارِفِينَ تَحُومُ
وأول أخرى³:

أَزْهَى حِجَابِكَ رُؤْيَا الْأَغْيَارِ
فَامْحُ الدُّجَى بِأَشِعَّةِ الْأَنْوَارِ
وأول أخرى⁴:

ثَنَاءٌ وَجُودِي فِي هَوَاكُمُ هُوَ الْخُلْدُ
وَمَحَوُ رُسُومِي حُسْنَ ذَاتِي بِهِ يَبْدُو
ومطلع أخرى⁵:

أَلَا فِي الْهَوَى بِالذُّلِّ تُرْعَى الْوَسَائِلُ
وَدَمَعِي أَنْ أُنَادِيَ مُجِيبٌ وَسَائِلُ

¹ في المخطوطتين: ((الخب)).

² البحر الطويل.

³ البحر الكامل.

⁴ البحر الطويل.

⁵ البحر الطويل.

ومطلع أخرى¹:

هُمُ الْقَصْدُ جَادُوا بِالرِّضَىٰ أَوْ تَمَنَّعُوا²
صَلُّوا اللَّوْمَ فِيمَا أُوذِعُوا الْقَلْبَ أُوذِعُوا

ومن أخرى³:

سَقَى زَمَنَ الرِّضَا هَمٌّ مِنَ السُّحْبِ
وَلِلَّهِ الْعَوْدُ مِنْ أَثَوَابِهِ الْقُشْبِ

ومن أخرى⁴:

يَا فَوْزَ نَفْسِي فِي هَوَاكَ هَوَاؤُهَا
رَقَّتْ مَعَانِيهَا وَرَاقَ مَنَاؤُهَا

ومن أخرى⁵:

أَمَّا الْغَرَامُ فَبِالْفُؤَادِ غَرِيمٌ
هِيَهَاتَ مِنِّي مَا الْعَذُولُ يَرُومُ

¹ البحر الطويل.

² في المخطوطين: (وتمنعوا))؛ فصوبها عنان.

³ البحر البسيط.

⁴ البحر الكامل.

⁵ البحر الكامل.

ومن شعره في المقطوعات قوله¹:
 رَشَقَ² العِذارُ لُجَيْنَه بِنِيالِه
 فَعَدَا يَدورُ³ على المُحِبِّ الوالِه
 خَطَّ العِذارُ بِصَفْحَتَيْه لَامَه
 خَطًّا تَوَعَّدَه بِمَخَوِ جَمَالِه
 فَحَسِبْتُ أَنْ جَمَالِه شَمْسُ الضُّحَى
 حُسْنًا وَذَاكَ الْخَطُّ خَطُّ زَوَالِه
 فَذَنَّا⁴ إِلَيَّ تَعَجُّبًا وَأَجَابَنِي
 وَالرَّوْعُ يَبْدُو مِنْ خِلَالِ مَقَالِه
 إِنَّ الْجَمَالَ آخِرُهُ اللَّامُ فَعُجَّ⁵
 عَنْ رَسْمِه وَأَنْدَبَ عَلَى أَطْلَالِه

¹ هذه المقطوعة من البحر الكامل.

² في الكتيبة الكامنة: وَشَى.

³ نفسه: ((يَرْقُ)).

⁴ في الكتيبة الكامنة: ((فَرْنَا)).

⁵ ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا:

((إنَّ الجمالَ اللامَ آخره فعجَّ)). وهو أسلم للوزن من النص أعلاه.

ومن أبياته في التورية بالفنون قوله¹:
كَفَفْتُ عَنْ الْوَصَالِ طَوِيلَ شَوْقِي
إِلَيْكَ وَأَنْتَ لِلرُّوحِ الْخَائِلِ
وَكَفُّكَ لِلطَّوِيلِ² فَدَتُّكَ نَفْسِي
قَبِيحٌ لَيْسَ يَرْضَاهُ الْخَائِلُ
وَقَالَ فِي التَّوْرِيةِ بِالْعَرُوضِ³:
يَا كَامِلًا شَوْقِي إِلَيْهِ وَافِرُ
وَبَسِيطُ خَدِّي فِي هَوَاهُ عَزِيزُ
عَامَلْتُ أَسْبَابِي لَدَيْكَ فَقَطَّعْتُهَا⁴
وَالْقَطْعُ فِي الْأَسْبَابِ لَيْسَ يَجُوزُ
وَقَالَ فِي التَّوْرِيةِ بِالْعَرِيَّةِ⁵:
أَيَا قَمَرًا مَطَالَعُهُ جَنَانِي
وَعُرَّتُهُ تَوَارَى عَنْ عِيَانِ⁶

¹ هذان البيتان من البحر الوافر.

² في الكتيبة الكامنة: ((الوصال)).

³ هذان البيتان من البحر الكامل.

⁴ هذا الشطر في الكتيبة: ((عاملت أسبابي إليك بقطعتها)).

⁵ هذان البيتان من البحر الوافر.

⁶ هذا العجز في الكتيبة: ((وغرته توارى عن عياني)). وهو أسلم.

أَصْرِفُ فِي هَوَاكَ عَنِ اقْتِرَاحِي
وَسَهْدِي وَانْتِحَابِي عِلَّتَانِ
وقال أيضاً¹:

لَا تَصْنَحَنَّ [يَا صَاحِبِي]² غَيْرَ الْوَفَى
كُلُّ أَمْرٍ عُنْوَانُهُ مِنْ يَصْنَعُ فِي
كَمْ مِنْ خَلِيلٍ بَشَرُهُ زَهْرُ الرَّبِيِّ
وَطِيُّ ذَاكَ الْبِشْرِ حَدُّ الْمُرْهِفِ
ظَاهِرُهُ يُرِيكَ سِرًّا مَنْ رَأَى
وَأَنْتَ مِنْ إِعْرَاضِهِ فِي أَسْفِ
وَوَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَاضِي بَلَدِهِ أَبِي عَمْرٍو ابْنُ الْمَنْظُورِ
مَقَاطَعَةً؛ انْتَبَرَى بِهَا إِلَى مَطَالِبَتِهِ بِمَا دَعَاهُ إِلَى التَّحَوُّلِ
مَضْطَرًا إِلَى غَرْنَاطَةِ، وَأَخَذَ بِكَظْمِهِ³، وَطَوَّقَهُ الْمَوْتَ فِي
أَثْنَاءِ الْقَطِيعَةِ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ مَتَشَفِّيًا؛ وَهُوَ مِنْ نَبِيهِ
كَلَامُهُ؛ وَكُلُّهُ نَبِيهِ⁴:

¹ هذه الأبيات من بحر الرجز.

² أضيفت هذه الكلمة من ت.

³ في المخطوطين: ((بكتفه، بكنطه))؛ فصوبها عنان.

⁴ هذه القصيدة من البحر الطويل.

تَرَدَّى ابْنُ مَنْظُورٍ وَحُمَّ حِمَاهُ
 وَأُسْلِمَهُ حَامٌّ لَهُ وَنَصِيرُ
 تَبَرَّأَ مِنْهُ أَوْلِيَاءُ غُرُورِهِ
 [وَلَمْ يَقِهِ بَأْسٌ] ¹ الْمُنُونِ ظَهِيرُ
 وَأَوْدَعَ بَعْدَ الْأَنْسِ مُوحِشَ بَلَقِعِ
 فَحَيَّاهُ فِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
 وَلَا رِشْوَةً يُدْلِي الْقَبُولُ رِشَادَهَا
 فَيُنْسَخَ ² بِالسَّيْرِ الْمُرِيحِ عَسِيرُ
 وَلَا شَاهِدٌ يُغْضِي لَهُ عَنْ شَهَادَةِ
 تَخَالَّهَا إِفْكَ يُصَاغُ وَزُورُ
 وَلَا خِدْعَةٌ تُجْدِي وَلَا مَكْرٌ نَافِعُ
 وَلَا غِشٌّ مَطْوِيٌّ عَلَيْهِ ضَمِيرُ
 وَلَكِنَّهُ حَقٌّ يَصُولُ وَبَاطِلُ
 يَحُولُ وَمَثْوَى جَنَّةٍ وَسَعِيرُ

¹ وردت هذه العبارة في ج متختلة هكذا: ((ولم يفقه بأن)).

² في المخطوطين: ((فينسخ))؛ فصوبها عنان.

وقالوا قضاء الموت حتم على الورى
يُدِيرُ صَغِيرُ كَأْسَهُ وَكَبِيرُ
فَلَا تَتَنَسِّمُ رِيحَ ارْتِيَا حُ لِفَقْدِهِ
فَإِنَّكَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ تَحُورُ
فَقُلْتُ بَلَى حُكْمُ الْمَنِيَّةِ شَامِلٌ
وَكُلُّهُ إِلَى رَبِّ الْعِبَادِ يَصِيرُ
وَلَكِنْ تَقْدِمُ¹ الْأَعَادِي إِلَى الرَّدَى
نَشَاطٌ يَعُودُ الْقَلْبَ مِنْهُ سُرُورُ
وَأَمِنْ يَنَامُ الْمَرْءُ فِي بُرْدٍ ظِلِّهِ
وَلَا حَيَّةٌ لِلْحَقْدِ ثُمَّ تَتَّحُورُ
وَحَسْبِي بَيِّتٌ قَالَهُ شَاعِرٌ مَضَى
غَدًا مَثَلًا فِي الْعَالَمِينَ يَسِيرُ
وَإِنْ بَقَاءَ الْمَرْءِ بَعْدَ عَدُوِّهِ
وَلَوْ سَاعَةً مِنْ عُمُرِهِ لَكَثِيرُ

¹ هكذا وردت في الملكية؛ بينما ترك في موضعها بياض في ك، أما في ج؛
فالكلمة غير واضحة.

مولده

قال بعض شيوخنا: سألته عن مولده؛ فقال لي:
في آخر خمسة وتسعين وستمائة¹، أظن في ذي قعدة منه
الشك.

وفاته

بمالة في آخر جمادى الثانية؛ من عام ثلاثة وستين
وسبعمائة².

¹ الموافق لـ 1295م

² الموافق لـ 1361م.

أحمد بن أيوب

اللمائي¹ من أهل مالقة؛ يُكنى أبا جعفر.

حاله

قال صاحب الذيل²، كان أديباً ماهراً، وشاعراً جليلاً، وكاتباً نبيلًا³. كتب عن أول الخلفاء الهاشمين بالأندلس: علي بن حمود⁴، ثم عن غيره من أهل بيته؛ وتولى تدبير أمرهم؛ فحاز لذلك صيتاً شهيراً، وجلالة عظيمة. وذكره ابن بسام في كتاب الذخيرة⁵؛ فقال: كان

¹ يكتب أيضاً اللماي؛ نظراً لأسلوب المغاربة والأندلسيين الذين يميلون إلى تخفيف الهمزة؛ ويحولونها ياء. ولماية قبيلة أمازيغية بترية؛ سكنت بعض المناطق في الأندلس سميت باسمها. وبذلك أصبح الإقليم المتواجد في كورة رية يسمى لماية. كما يسمى بها أحد حصون مالقة. وترجمة أحمد بن أيوب اللماي موجودة في جذوة المقتبس، والذخيرة، وبغية الملتبس، والمغرب، والذيل والتكملة، ورايات المبرزين، ومطمح الأنفس، ونفح الطيب.

² كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة؛ وصاحبه هو ابن عبد الملك المراكشي؛ سبقت الإشارة إليه.

³ في الذيل والتكملة: ((كان أديباً ماهراً وكاتباً جليلاً)).

⁴ هو الناصر لدين الله علي بن حمود بن ميمون بن أحمد؛ من الأدارسة الحسينيين؛ ولد سنة 354هـ/965م وتوفي سنة 408هـ/1018م. أول الخلفاء العلويين بقرطبة؛ ومؤسس دولة بني حمود بالأندلس. وكتب في الذيل والتكملة: ((الناصر لدين الله أبي الحسن علي بن حمود)).

⁵ هو أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني الأندلسي؛ ينسب إلى شنترين في غربي الأندلس؛ المسماة الآن Santarem؛ توفي سنة 542هـ/1147م. أما كتابه فهو عبارة عن موسوعة أدبية؛ تضم تراجم ونصوص أدبية هامة، ويسمى: الذخيرة في محاسن الجزيرة.

أبو جعفر هذا - في¹ وقته - أحد أئمة الكتاب، وشهب
الأدب²، ممن سخرت له فنون البيان، تسخير الجنّ
لسليمان³، وتصرف في محاسن الكلام، تصرف الرياح
بالغمام، طلع من ثناياه، واقتعد مطاياها، وله إنشاءات⁴
سرية، في الدولة الحمودية⁵؛ إذ كان علم أدبائها،
والمضطلع بأعبائها⁶، إلّا أنني لم أجد عند تحريري هذه
النسخة، من كلامه، إلّا بعض فصول⁷ من منشور، وهي
ثماد⁸ من بحور.

¹ ((في)) سقطت في الذخيرة.

² في الذخيرة: ((وشهب الآداب)).

³ سيدنا سليمان النبي.

⁴ حرفت في ج؛ فكتبت: ((إنشآت)).

⁵ حرفت في المخطوطين، وفي ج، وفي ك، وفي ك؛ وفي الملكية فكتبت:
((المحمدية، والمحمودية، والمحمدية)). والمقصود هنا هي دولة بني حمود الإدريسية
العلوية تأسست في الأندلس اعتباراً من سنة 403هـ/1012م، وحتى سنة 460هـ/1067م.

⁶ في ك، وفي الملكية: ((بأعيانها))؛ وصوبت من الذخيرة.

⁷ كتب في الذخيرة: ((فصول له)).

⁸ الماء القليل.

فصل

من رقعة خاطب بها أبا جعفر بن العباس : ((غُصْنُ
ذِكْرِكَ عِنْدِي نَاضِرٌ، وَرَوْضُ شُكْرِكَ لَدَيَّ عَاطِرٌ، وَرِيحٌ¹
إِخْلَاصِي لَكَ صَبَاءٌ، وَزَمَانٌ² آمَالِي فِيكَ صَبَاءٌ، فَأَنَا شَارِبٌ
شَارِبٌ مَاءَ إِخَاثِكَ، مُتَفَيٍّ ظِلٌّ³ وَفَائِكَ، جَانُ مِنْكَ ثَمَرَةٌ
فَرْعٍ طَابَ أَكْلُهُ، وَأَجْنَانِي الْبَرُّ قَدِيمًا⁴ أَصْلُهُ، وَسُقَانِي
إِكْرَامًا بَرْقَهُ، وَرَوَانِي أَفْضَالًا وَدَقَهُ، وَأَنْتَ الطَّالِعُ فِي
فَجَاجِهِ، السَّالِكُ لِمَنْهَاجِهِ، سَهْمٌ فِي كِنَانَةِ الْفَضْلِ صَائِبٌ،
وَكَوْكَبٌ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ ثَاقِبٌ، إِنْ أَتَبَعْتَ الْأَعْدَاءَ نُورُهُ
أَحْرَقَ، وَإِنْ رَمَيْتَهُمْ بِهِ أَصَابَ الْحَدَقَ، وَعَلَى الْحَقِيقَةِ
فَلْسَانِي يَقْصِرُ عَنْ جَمِيلِ أَنْشَرِهِ⁵، وَوَصَفِ وَدِّ أَضْمِرِهِ)).

¹ في المخطوطين، وفي الملكية: ((وروح))؛ وصوبت من الذخيرة.

² في الذخيرة: ((وزمن)).

³ نفسه: ((ظلال)).

⁴ حُرِفَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ فَكُتِبَتْ: ((قَدِيم)).

⁵ في الذخيرة: ((أسره)).

شعره

قال : ومما وُجد بخطّه لنفسه¹ :

طلعت طلائع² للرّبيع فأطلعت³
في الرّوض ورداً قبل³ حن أوانه
حيّا أمير المسلمين⁴ مبشراً
ومؤملاً للنّيل من إحسانه
ضنّنت سحائبه عليه بمائها⁵
فأتاه يستسقيه ماء بنانه
دامت لنا أيّامه موصولة
بالعزّ والتّمكن في سلطانه

قال : وأنشدني الأديب أبو بكر بن معن ؛ قال :
أنشدني أبو الرّبيع بن العريف [لجده]⁶ الكاتب أبي جعفر
جعفر اللّمائي ؛ وامتحن بداء النّسمة من أمراض الصّدر،

¹ هذه الأبيات من بحر الكامل.

² في الذخيرة: ((طوالع)).

³ أغفلت ((قبل)) في ك.

⁴ في الذخيرة: ((أمير المؤمنين))؛ وهو أصح؛ لأن لقب أمير المسلمين استعمل لأول مرة في عهد الدولة المرابطية؛ وهو زمن متأخر عن زمن الدولة الحمودية.

⁵ في المخطوطين والملكية، ونفج الطيب: ((بمانه))؛ فصوبت من الذخيرة.

⁶ حرفت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فكتبت ((الحرّة))؛ فصوبت من الذخيرة.

وَأَرْمَنَ بِهِ - نفعه الله - وأعياه علاجه ؛ بعد أن لم يدع فيه
غاية ؛ وفي ذلك يقول¹ :

لَمْ يَبْقَ مِنْ شَيْءٍ أَعَالِجُهَا بِهِ²
طَمَعُ الْحَيَاةِ وَأَيْنَ مَنْ لَا يَطْمَعُ
(وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ)³
ودخل عليه بعض أصحابه فيها ؛ وجعل يُروِّح عليه ؛
فقال له بديهة⁴ :

رَوَّحَنِي عَائِدِي فَقُلْتُ لَهُ⁵
لَا تَزِدْنِي عَلَى الَّذِي أَجِدُ
أَمَا تَرَى النَّارَ وَهِيَ خَامِدَةٌ
عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ تَتَّقِدُ

¹ هذان البيتان من بحر الكامل.

² ورد الشطر في الذخيرة هكذا: ((لم يبق شيء لم أعالجها به)).

³ اقتبس اللماثي هذا البيت الأخير؛ وهو لأبي ذؤيب خويلد ابن خالد بن هذيل؛ وقد أشار إليه صاحب الذيل والتكملة.

⁴ هذان البيتان من بحر المنسرح.

⁵ ورد هذا البيت في الذخيرة والذيل والنفح هكذا:

((وروحني عائدي فقلت له مه لا تزدني على الذي أجد)). إذ سقطت في النص أعلاه كلمة ((مَهْ))؛ وهي اسم فعل مبني على السكون؛ وقد يقولون: مَهْ؛ ومعناها: أكفف.

ودخل غرناطة غير ما مرة ؛ منها متردداً بين أملاكه ،
وبين من بها من ملوك صنهاجة. قالوا ولم تفارقه تلك
الشكاية ؛ حتى كانت سبب وفاته.

وفاته

بالملة ؛ عام خمس وستين وأربعمائة¹. ونقل منها
إلى حصن الورد ؛ وهو عند حصن مُنتِ مَيُور²؛ إذ كان
قد حصَّنه ، واتخذَه لنفسه ملجأ عند شدَّته ؛ فدُفِنَ به ؛
بعَهْدٍ مِنْهُ بذلك ؛ وأمرَ أن يُكْتَبَ على قبره بهذه الأبيات³ :
بَنَيْتُ وَلَمْ⁴ أَسْكُنْ وَحَصَّنْتُ جَاهِداً
فَلَمَّا أَتَى الْمَقْدُورَ صَيَّرَهُ⁵ قَبْرِي
وَلَمْ يَكُنْ⁶ حَظِّي غَيْرَ مَا أَنْتَ مُبْصِرٌ
بِعَيْنِكَ مَا بَيْنَ الذَّرَاعِ إِلَى الشُّبْرِ

¹ الموافق لـ 1072م.

² ومعناه الجبل الكبير .Monte Mayor.

³ هذه الأبيات من بحر الطويل.

⁴ في الذيل: ((فلم)).

⁵ نفسه: ((صيرته)).

⁶ نفسه: ((يك))؛ وهو أسلم.

فيا زائراً قَبْرِي أُوصِيكَ جَاهِداً
عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
فَلَا¹ تُحْسِنَنَّ بِالذَّهْرِ ظَنًّا فَإِنَّمَا
مِنَ الْحَزْمِ أَلَّا يُسْتَتَامَ² إِلَى الدَّهْرِ

¹ في الذيل: ((ولا)).
² نفسه: ((يستسام)).

أحمد بن محمد

(ابن طلحة¹ من أهل جزيرة شقر؛ يكنى أبا جعفر؛
ويعرف بابن جره طلحة.

حاله

قال صاحب القدح المَعْلَى²: من بيت مشهور بجزيرة
شقر؛ من عمل بلنسية. كتب عن ولادة الأمر³؛ من بني
عبد المؤمن، ثم استكتبه ابن هود⁴؛ حين تغلب على
الأندلس؛ وربما استوزره⁵؛ وهو ممن كان والذي يكثر
مجالسته؛ وبينهما مزاورة؛ ولم أستفد منه إلا ما كنت
أحفظه من⁶ مجالسته.

¹ توجد ترجمة أحمد بن محمد بن محمد بن طلحة أيضا في القدح المعلى،
والمقتضب من كتاب تحفة القام، والمغرب، والذيل والتكملة، والوافي
بالوفيات، ونفح الطيب.

² هو ابن سعيد؛ سبقت الإشارة إليه.

³ سقطت في نفح الطيب والقدح المعلى كلمة: ((الأمر)).

⁴ هو المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود؛ أمير
سرقسطة. سبقت الإشارة إليه؛ كما خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

⁵ في نفح الطيب والقدح المعلى: ((استوزره في بعض الأحيان)).

⁶ في نفح الطيب: ((في)).

شعره

قال: سمعته يوماً¹ يقول، تقيمون القيامة بحبيب²،
والبحثري، والمتنبي؛ وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم
يهتد إليه المتقدمون، ولا المتأخرون؛ إفانبرى³ إليه
شخص؛ له همة⁴ وإقدام؛ فقال: يا أبا جعفر: أين⁵
برهان ذلك؛ فما أظنك تعني إلا نفسك؛ فقال⁶ ما أعني
إلا نفسي؛ ولم لا؛ وأنا الذي أقول⁷:
يا هل ترى الظرف⁸ من يومنا
قلد جيد الأفق طوق العقيق

¹ في القدح المعلى: ((سمعته مرة يقول)).

² هو حبيب بن أوس بن حارثة الطائي المعروف بأبي تمام؛ ولد في قرية من قرى سورية تسمى جاسم سنة 188هـ/804م وتوفي بالموصل سنة 231هـ/846م. من فحول الشعراء، وأحد أمراء البيان في عصره؛ من مؤلفاته: ديوان الحماسة، ومختار من أشعار القبائل، ونقائض جرير والأخطل.

³ في القدح المعلى: ((فانبرى له)). وفي نفج الطيب: ((فأهوى له)).

⁴ في النفج، والقدح: ((قحة)).

⁵ نفسيهما: ((فأرنا)).

⁶ في القدح المعلى: ((وما أظنك إلا تعني نفسك، قال)).

⁷ ما ورد بين الحاصرتين هنا سقط في المخطوطين؛ بينما ذكر في الزيتونة، والملكية، وت، والأبيات التالية من بحر السريع. أما القدح المعلى فقد ورد فيه: ((أقول ما لم يهتد إليه متقدم ولا يهدي لمثله متأخر)).

⁸ في القدح، والنفج: ((أظرف))؛ وهو أسلم.

وَأَنْطَقَ الْوُرُقَ بَعِيدَانِهَا
مُطْرِبَةً¹ كُلَّ قَضِيبٍ وَرِيقٍ
وَالشَّمْسُ لَا تَشْرَبُ خَمْرَ النَّدَى
فِي الرَّوْضِ إِلَّا بِكَأْسِ² الشَّقِيقِ

فلم ينصفوه في الاستحسان، وردُّوه في الغَيْظِ³ كما
كما كان. فقلت له: يا سيدي؛ هذا والله⁴ السحر
الحلال، وما سمعت من شعراء عصرنا مثله؛ فبالله ألا ما
لازمتني، وزدتني من هذا التَّمَطِّ؛ فقال لي: لله دُرُّكُ،
ودرُّ أبيك؛ من مُنْصِفِ ابن مُنْصِف. اسمع، وافتح أذنيك.
ثم أنشد⁵:

أَدْرِهَا فَالَسَّمَاءُ بَدَتْ عَرُوساً
مُضْمَخَةً الْمَلَابِسِ بِالْغَوَالِ

¹ في القدح: ((من فضة))، وفي النفج: ((مرقصة)).

² في القدح والنفج: ((بكؤوس))؛ وهو أسلم.

³ في المخطوطين: ((الغيض))؛ وصوبت من ت. ورد في القدح المعلى: ((في
((في الغيظ إلى أشد مما كان)).

⁴ في النفج: ((هذا هو السحر...)).

⁵ هذه الأبيات من بحر الوافر.

وَخَذُ الْأَرْضِ¹ خَفَّرَهُ² أَصِيلٌ
 وَجَفَنُ النَّهْرِ³ كُحِّلُ بِالظَّلَالِ
 وَجِيدُ الْغُصْنِ يُشْرِقُ⁴ فِي لَالٍ
 تُضِيءُ بِهِنَّ أَكْنَافُ اللَّيَالِ
 فَقُلْتُ: بِاللَّهِ أَعَدَّ وَزْدَ⁵؛ فَأَعَادَ وَالْأَرْتِيَا حَقْدَ مَلَأَ⁶ عَطْفَهُ،
 عَطْفَهُ، وَالتَّيَّةَ قَدْ رَفَعَ أَنْفَهُ؛ ثُمَّ قَالَ⁷:
 لِلَّهِ نَهْرٌ عِنْدَمَا زُرَّتَهُ
 عَايَنَ طَرْفِي مِنْهُ سَحَرًا حَلَالٌ
 إِذَا⁸ أَصْبَحَ الطَّلُّ بِهِ لَيْلَةً
 وَجَالَ⁹ فِيهِ¹⁰ الْغُصْنُ مِثْلَ¹¹ الْخِيَالِ

¹ في القدح والمغرب والنفج: ((الروض)).

² في النفج: ((حَمْرَهُ)).

³ في ج: ((النهار)). وفي القدح: ((وَجَفَنُ النَّهْرِ))؛ أي شاطئ النهر.

⁴ في القدح والنفج: ((يشرف)).

⁵ في المخطوطين: ((وأرد)).

⁶ في نفج الطيب: ((ملك)).

⁷ هذان البيتان من بحر السريع.

⁸ في القدح والنفج: ((إِذَا)).

⁹ في ج، وت: ((وخال)). وفي المغرب: ((وخال)).

¹⁰ في القدح: ((منها)).

¹¹ في القدح والمغرب والنفج: ((شبه)).

فقلت: ما على هذا مزيدٌ من الاستحسان¹؛ فعسى
 أن يكون المزيد في الإنشاد؛ فزاد ارتياحه وأنشد²:
 ولما ماج³ بحرُ الليل بيني
 وبينكم وقد جَدَّدْتُ ذكرا
 أراد لِقَاكُمْ⁴ إنسانٌ عَيْنِي
 فَمَدَّ له المنام عليه جسرا
 فقلت⁵: إيه؛ زادك الله إحساناً؛ فزاد⁶:
 ولَمَّا أن رأى إنسانٌ عَيْنِي
 بصَحْنٍ الخَدَّ منه غريقَ ماء
 أقامَ له العِذار عليه جسراً
 كما مَدَّ الظلامُ⁷ على الضياء

¹ في القدح: ((الإحسان)).

² هذان البيتان من بحر الوافر.

³ في ت: ((فاج)).

⁴ في القدح والمغرب والنفح: ((لقاءكم))؛ وهو أسلم.

⁵ في القدح: ((فقلت له)).

⁶ هذان البيتان من بحر الوافر.

⁷ في ت: ((صبح)).

فقلت: فما تكرر¹ ويطول، فإنه مملول؛ إلا ما
أوردته أنفاً؛ فإنه كنسيم الحياة؛ وما أن يُمل؛ فبالله إلا ما
زدتني²؛ وتفضلت علي بالإعادة؛ فأعاد، وأنشد³:
هات المدام إذا رأيت شبيهها
في الأفق يا فرداً بغير شبيهه
فالصُّبحُ قد ذبح الظلام بنصليه
فغدت حمائمهُ تخاصم فيه⁴

دخوله غرناطة

دخلها مع مخدمه المتوكل على الله بن هود؛ وفي
جُمْلته؛ إذ كان يصحبه في حركاته، ويباشر معه الحرب؛
وجرت عليه الهزائم؛ وله في ذلك كله شعر.

¹ في القدح: ((يكرر)).

² ورد في القدح: ((إلا تفضلت بالإعادة والزيادة، فأعاد ثم قال: وهذا حسبك
لئلا تكثر المعاني عليك؛ فلا تقوم بحق فهمها وإنصافها؛ ثم أنشد إذ ذاك)):

³ هذان البيتان من بحر الكامل.

⁴ ورد هذا العجز في القدح والنفج هكذا: ((فغدت تخاصمه الحمام فيه)).

محتته

قالوا: لم يقنع بما أجرى عليه أبو العباس الينشتي¹
من الإحسان؛ فكان يوغر صدره من الكلام فيه، فذكروا
أن الينشتي قال يوماً في مجلسه: رميت يوماً بسهم من
كذا؛ فبلغ إلى كذا. فقال ابن طلحة لشخص كان إلى
جانبه: والله لو كان قوس قزح؛ فشعر أبو العباس إلى
قوله ما يشبه ذلك، واستدعى الشخص، وعزم عليه،
فأخبره بقوله، فأسرّها في نفسه، إلى أن قوى الحقد
عليه، ما بلغه من عنه من قوله يهجوّه²:

سمعنا بالمؤفّق فارتحّنا
وشافعنّاه حَسَبَ وعِلْم
ورُمّتُ يداً أقبلّها وأخرى
أعيشُ بفضلّها أبداً وأسْمو

¹ أو اليناشتي؛ وهو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله بن أبي الفضل مبارك؛ المعروف باسم الينشتي؛ نسبة إلى حصن في الأندلس يسمى ينشته. تغلب هذا الأمير على سبعة وتلقب بالوائق بالله.
² هذه الأبيات من بحر الوافر.

فَأَنْشَدْنَا لِسَانَ الْحَالِ عَنْهُ¹
يَدُ شَلٍّ وَأَمْرٌ لَا يَتِمُّ

فزادت مَوْجِدَّتُهُ² عليه، وراعى أمره إلى أن بلغته
أبياتُ قالها في شهر رمضان؛ وهو على حال الاستهتار³؛
يقول أخو الفضول وقد رآنا
على الإيمان بُلْغًا الْحُجُونُ⁴
أَنْشَكُو⁵ شَهْرَ الصَّوْمِ هَلَّا
حَمَاهُ مِنْكُمْ عَقْلٌ وَدِينُ
فَقُلْتُ اصْحَبْ سِوَانَا فَخُنْ⁶ قَوْمٌ
زَنَادِقَةٌ مَذَاهِبُنَا فُنُونُ
نَدِينُ بِكُلِّ دِينٍ غَيْرِ دِينِ الْـ
رَّعَاعِ فَمَا بِهِ أَبَدًا نَدِينُ

¹ في النفع: ((فيه)).

² حُرِفَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ؛ فَكُتِبَتْ: ((مَوْجِدَّة)). بَيْنَمَا كُتِبَ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ: ((فَزَادَ فِي حَنْقِهِ)). أَمَّا الْقَدْحُ الْمَعْلَى فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ: ((فَزَادَ ذَلِكَ فِي حَنْقِهِ)).

³ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ: ((الْإِسْهَاد)). وَالْأَبْيَاتُ التَّالِيَةُ مِنْ بَحْرِ الْوَافِرِ.

⁴ فِي الْقَدْحِ وَالنَّفْحِ: ((يَغْلِبُنَا الْمُجُونُ)).

⁵ فِي الْقَدْحِ، وَالنَّفْحِ: ((أَتَنْتَهَكُونُ))؛ وَهُوَ أَسْلَمَ.

⁶ نَفْسُهُمَا: ((نَحْنُ))؛ وَهُوَ أَسْلَمَ.

فَنَحْنُ عَلَى صُفُوحٍ¹ الدَّهْرِ نَدْعُو²
وَأَيْلَيْسُ يَقُولُ لَنَا آمِينَ³
أَيَا⁴ شَهْرَ الصَّيَّامِ إِلَيْكَ عَنَّا
فَفِيكَ أَكْفَرُ مَا نَكُونُ⁵
قال: فأرسل إليه من هجم عليه؛ وهو على⁶ هذا⁷
هذا⁷ الحال؛ وأظهر إرضاء العامة بقتله؛ وذلك في سنة
إحدى وثلاثين وستمائة⁸. ولا خفاء أنه من صدور
الأندلس، وأشدّهم عثوراً على المعاني الغربية المخترعة،
رحمه الله.

¹ في ك: ((الصفوح)). وما جاء في النص أعلاه أسلم.
² ورد هذا الشطر في القدح المعلى هكذا: ((فحي على الصبوح الدهر ندعو))؛
وفي النفج كذلك؛ إلا أن كلمة ((فحي)) كتب بدلا منها: ((بحي)).
³ في القدح والنفج: ((أمين))؛ بدون مد؛ وهو أسلم.
⁴ نفسهما: ((فيا)).
⁵ نفسهما: ((إليك ففيك أكفر ما نكون)).
⁶ في ج: ((في)).
⁷ في القدح، والنفج: ((هذه)).
⁸ الموافق لـ 1233م. وقد ورد في النسخ الثلاث: ((وسبعمائة))؛ غير أن
هذا لا يصح؛ لأن ابن هود الذي خدم لديه الشاعر توفي سنة 635هـ أي
بعد مقتل الشاعر. وقد اختلفت المصادر في تاريخ وفاته.

أحمد بن علي

(ابن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري؛ من أهل المربة¹؛
يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن خاتمة²).

حاله

هذا الرجل صدرٌ؛ يشار إليه، طالبٌ متفننٌ،
مشاركٌ، قوي الإدراك، سديد النظر، قوي الذهن، موفور
الأدوات، كثير الاجتهاد، معين الطبع، جيد القريحة، بارع
الخط، ممتع المجالسة، حسن الخلق، جميل العشرة، حسنة
من حسنات الأندلس، وطبقةٌ في النظم والنثر، بعيد
المرقى في درجة الاجتهاد، وأخذ بطرق الإحسان، عقد
الشروط، وكتب عن الوُلاة ببلده، وقعد للإقراء ببلده،
مشكور السيرة، حميد الطريقة، في ذلك كله.

¹ سبق التعريف بالمربة. وتعتبر هذه المدينة من أهم المراكز الحضارية بالأندلس الإسلامية؛ إذ كان سكانها - آنذ يقدر تعدادهم بحدود المائة والخمسين ألفاً - وقد سقطت هذه المدينة في قبضة النصارى سنة 895هـ/1489م.
² راجع ترجمة ابن خاتمة أيضاً في المصادر التالية: الكتيبة الكامنة، ونثير ونثير فرائد الزمان، ونيل الابتهاج، ونفح الطيب.

وَجَرَى ذكره في كتاب التاج¹ بما نصه: ((ناظم درر
الألفاظ، ومقلد جواهر الكلام، نحور الرواة²، ولِّباب³
الحفاظ والآداب⁴، التي أصبحت شوارِدُها، حلم النائم،
وسَمَرُ الأيقاظ، وكم⁵ في بياض طُرْسِها، وسواد مَقْسِها⁶
سِحْرُ الأُلحاظ⁷، رفع⁸ في قطره راية هذا الشأن على وفور
وفور حلبته، وقرع فنه البيان على سمو هضبته، وفوق
سهمه إلى بحر الإحسان، فأثبتته في لَبَّتِه، فإن أطل⁹ شأن
شأن الأبطال، وكاثر المنسجم الهطال، وإن أوجز، فضح
وأعجز، فمن نسيب تهيج به الأشواق، وتضييق عن
زفرتها الأطواق، ودعابه تقلص ذيل الوقار، وتزري

¹ هو كتاب التاج المحلي في مساجلة القدح المعلى؛ لابن الخطيب؛ وهو ملخص لتاريخ غرناطة، وسقت الإشارة إليه.

² أي المصدر للرواة في الحذف والمهارة. وقد وقع تحريف في المخطوطين؛ إذ كتب: ((بحور الرواة)).

³ في لئ: ((لباب)).

⁴ في الكتيبة الكامنة: ((ذو الآداب)).

⁵ نفسه: ((وكم)).

⁶ نفسه: ((نقْسها)) بالنون؛ لأن اللَّيْقَس هو المداد الذي يكتب به، بينما المقس هو ما يغط في الماء.

⁷ في لئ: ((الللحظ)). وفي الكتيبة: ((اللحاظ)).

⁸ من هنا؛ وحتى عبارة: ((السباق جيادها))؛ لم يرد في الكتيبة الكامنة.

⁹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((طال)).

بأكواس العقار، إلى انتماء للمعارف، وجنوح إلى ظلها¹
الوارف؛ ولم تزل معارفه يفسح آمادها، وتحوز خص
السباق جياها².

مشيخته

حسبما نقل بخطه في ثبوت استدعاه منه من أخذ
عنه؛ الشيخ الخطيب، الأستاذ مولى النعمة، على أهل
طبقة بالمرية؛ أبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش
المُرِّي؛ قرأ عليه ولأزمه، وبه جل انتفاعه، والشيخ
الخطيب الأستاذ الصالح أبو إسحاق إبراهيم بن العاص
التنوخى. وروى عن الرواية المحدث المكثّر الرحال؛ محمد
ابن جابر بن محمد بن حسان الوادى آشى، وعن شيخنا
أبي البركات بن الحاج؛ سمع عليه الكثير، وأجازه
[إجازة]³ عامة، والشيخ الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن
الرحمن ابن محمد بن شعيب القيسي من أهل بلده،
والقاضي أبو جعفر القرشي بن فركون. وأخذ عن الوزير

¹ في الملكية: ((طل)).

² هنا تنتهي الفقرة المشار إليها؛ الساقطة في الكتيبة الكامنة.

³ هذه الكلمة سقطت في المخطوطين وفي الملكية؛ وأضافها عنان.

الحاج الزاهد؛ أبي القاسم محمد بن محمد بن سهل بن مالك. وقرأ على المقرئ أبي جعفر الأغر¹، وغيرهم.

كتابه

مما خاطبني به بعد إمام الركب² السلطاني ببلده؛
وأنا صحبته³، ولقائه إياي؛ بما يلقي به مثله من تأنيس،
وبر، وتودد، وتردد⁴:

يَا مَنْ حَصَلْتَ عَلَى الْكَمَالِ بِمَا رَأَتْ
عَيْنَايَ⁵ مِنْهُ مِنَ الْجَمَالِ الرَّائِعِ
مَرَأَى⁶ يَرُوقُ وَفِي عِطَافِي بُرْدِهِ
مَا شِئْتُ مِنْ كَرَمٍ وَمَجْدٍ بَارِعِ
أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ تَحَامُلًا
فِي فَضٍّ شَمَلٍ لِي بِقُرْبِكَ جَامِعِ

¹ في ج: ((الأغن)).

² في ك والنسخ وديوان ابن خاتمة: ((الركاب)).

³ في الديوان: ((في صحبته)).

⁴ هذه الأبيات من بحر الكامل.

⁵ في ج: ((عينان)).

⁶ في نفح الطيب، والديوان: ((قمر)).

هَجَمَ الْبُعَادُ عَلَيْهِ ضَنْأً بِاللَّقَا
 حَتَّى تَقْلَصَ مِثْلَ بَرْقٍ لَامِعٍ
 فَلَوْ أَنَّنِي ذُو مَذْهَبٍ لَشَفَاعَةٌ
 نَادَيْتُهُ يَا مَالِكِي [كُنْ شَافِعِي]¹
 شَكُوَايَ إِلَى سَيِّدِي وَمُعَظَّمِي، أَقَرَّ اللَّهُ تَعَالَى بِسَنَائِهِ
 أَعْيُنَ الْمَجْدِ، وَأَدْرَبَ ثَنَائِهِ أَلْسُنَ الْحَمْدِ؛ شَكُوَى الظَّمَانِ² صُدَّ
 عَنِ الْقِرَاحِ الْعَذْبِ³، لِأَوَّلِ وَرُودِهِ، وَالْهِيمَانِ رُدَّ عَنْ
 اسْتِرْوَاكِ الْقُرْبِ لِمَعْضَلِ صُدُودِهِ، مِنْ زَمَانٍ هَجَمَ عَلَيَّ
 بُعَادُهُ⁴، عَلَى حِينِ الْفَنَادَةِ⁵، وَدَهَمَنِي بِفِرَاقِهِ غَبَّ إِنْارَةِ
 أَفْقِي بِهِ وَإِشْرَاقِهِ، ثُمَّ لَمْ يَكْفِهِ مَا اجْتَرَمَ فِي تَرْوِيعِ خِيَالِهِ
 الزَّاهِرِ⁶، حَتَّى حَرَّمَ عَنْ تَشْيِيعِ كِمَالِهِ الْبَاهِرِ، فَقَطَعَ عَنْ
 تَوْفِيَةِ حَقِّهِ، وَمَنَعَ مِنْ تَأْدِيَةِ مَسْتَحَقِّهِ، لَا جَرَمَ أَنَّهُ أَنْفَ
 لُشَارِعِ⁷ ذِكَائِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَطَالَعِ الْنَافِيَةِ⁸ 1 عَنْ شَرِيفِ

¹ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ، وَالْدِيَوَانِ: ((يَا شَافِعِي)).

² فِي النَّفْحِ، وَالْدِيَوَانِ: ((ظَمَان)).

³ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ: ((الضَّرَّ، الْعَزَّ))؛ وَصُوبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ.

⁴ فِي النَّفْحِ: ((بِابْعَادِهِ)).

⁵ فِي ك: النَّعَاقِ))، وَفِي النَّفْحِ: ((إِسْعَادِهِ)).

⁶ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ وَالْمَلَكِيَّةِ: ((الزَّائِرِ))؛ وَصُوبَ مِنْ النَّفْحِ.

⁷ فِي النَّفْحِ: ((لُشَعَاعُ ذِكَائِهِ)). لِأَنَّ الذِّكَاءَ بَضْمُ الذَّالِ هِيَ الشَّمْسُ.

⁸ نَفْسُهُ: ((النَّائِيَّة)).

الإنارة، وبخل بالإمتاع بذكائه عن هذه المسامع النائية¹،
عن لطيف العبارة، فراجع أنظاره، واسترجع مُعاره²، وإلا
وإلا فعهدي بغروب الشمس إلى طلوع³، وأن البدر
ينصرف⁴ بين الاستقامة والرجوع. فما بال هذا النير
الأسعد، غرب ثم لم يطلع من الغد، ما
ذاك إلا لعدوى⁵ الأيام وعدوانها، وشأنها في
تغطية إساءتها وجه إحسانها، وكما قيل
عادت⁶ هيفاً إلى أديانها⁷؛ أستغفر الله أن لا
يعد ذلك من المغتفر في جانب ما
أوليت⁸ من الأثر⁹، التي أزرى العيان فيها بالأثر،

¹ ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين والملكية؛ وأضيف من النفج.

² في المخطوطين: ((عماره))؛ وصبوب من النفج.

³ في النفج: ((الطلوع)).

⁴ نفسه: ((يتصرف)).

⁵ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.

⁶ في المخطوطين: ((عاد)).

⁷ سقطت كلمة ((إلى)) في المخطوطين. أما المثل فيقول: ((ذَهَبَتْ هَيْفَ
لأديانها)). والهيء هي الرّيح الحارة التي تهب - في الصيف - من جنوب
شبه الجزيرة العربية؛ هي المعروفة أيضاً باسم السموم. أما كلمة
(لأديانها)؛ فالمقصود بها عاداتها. وهذا المثل يضرب عندما يتفرق الناس؛
كل واحد لشأنه؛ ويتمسك كل إنسان بعادته التي اعتاد عليها.

⁸ في النفج: ((أولت)).

⁹ الأثر: مفرداً أثره؛ وهي المكرمة المتوارثة.

وأربى الخُبْر على الخَبَر¹، فقد سرت متشوفات الخواطر،
وأقرت متشرفات² النواظر³، بما جلت⁴ من ذلكم الكمال
الكمال الباهر، والجمال الناضر، الذي قيد خطى
الأبصار، عن التشوف والاستبصار، وأخذ بأزمة القلوب،
عن سبيل كل مأمول ومرغوب، وأنى للعين بالتحول عن
كمال الزين، أو للطرف⁵ بالتحول⁶ عن خلال الظرف، أو
أو للمسح [من]⁷ مراد، بعد ذلك⁸ الإصرار والإيراد، أو
للقلب من مراد، غير تلكم الشيم الرافلة من ملابس
الكرم في حلل وأبراد، وهل هو إلا الحسن جمع في
نظام، والبدر طالع التمام، وأنوار الفضائل⁹ ضمها جنس
جنس اتفاقٍ والتآم، فما ترعى العين منه في غير مرعى
خصيب، ولا تستهدف الآذان¹⁰ لغير سهم في حلق

¹ أربى الخُبْر على الخَبَر: معناه زادت الخبرة على الخبر.

² في النفج: ((مستشرفات)).

³ حرفت في ك؛ فكتبت: ((القواطر)).

⁴ في النفج: ((حوت)).

⁵ في المخطوطين والملكية: ((لطرفه))؛ وفي النفج: ((أو الطرف)).

⁶ في النفج: ((بالتنقل)).

⁷ ((من)) أضيفت من النفج؛ لأنها سقطت في المخطوطين.

⁸ في النفج: ((ذلكم الإصدار الأدبي والإيراد)).

⁹ نفسه: ((الفضل)).

¹⁰ في ك: ((الأذهان)). وفي النفج: ((الأذن بغير سهم)).

البلاغة مصيب، ولا تطلع¹ النفس سوى مطلع له في
في الحسن والإحسان أوفر نصيب. لقد أزرى بناظم حلاه
فيما تعاطاه² التقصير. وانفسح من أعلاه بكل باع [قصير،
[قصير، وسفه حلم القائل: إن الإنسان عالمٌ صغير،
شكراً للدهر على يد أسداها بقلب مزاره، وتحفة³ ثناء
أهداها بمطلع أنواره على تغاليه في ادخار⁴ نفائسه،
وبخله بنفائس⁵ ادخاره، ولا غرو⁶ أن يضيق عنا نطاق
الذكر، ولما يتسع لنا سوار الشكر، فقد عمت هذه
الأقطار بما شاءت من تحفٍ، بين تحف وكرامة، واجتنت
أهلها ثمة الرحلة⁷ في ظل الإقامة، [وجرى الأمر في
ذلك مجرى الكرامة⁸. ألا وإن مفاتيحي لسيدي ومعظمي،
حرس الله تعالى مجده، وضاعف سعده، مفاتيحة من ظفر

¹ في النفج: ((ولا تستطلع)).

² في النفج: ((ينعاطاه)).

³ ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين؛ وأضيف من النفج. غير أن كلمة ((ثناء)) الموالية ساقطة في النفج.

⁴ في النفج: ((ادخاره)).

⁵ في ج: ((بنعائم)).

⁶ في النفج: ((لا غرو)).

⁷ في ك: ((الوحدة)).

⁸ سقطت هذه العبارة في المخطوطين؛ وأضيفت من النفج.

من الدهر بمطلوبه، وجرى له القدر على وفق مرغوبه،
 فشرع له إلى أمله¹ باباً، ورفع له من خجله جلباباً، فهو
 يكلف بالاحتحام، ويأنف من الإحجام، غير أن الحصر
 عن درج قصده يقيده، فهو يقدم² والبصر يبهرج³ نقده
 فيقعده، فهو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، ويجدد عزماً⁴ ثم
 ثم لا يتحرى، فإن أبطأ خطابي فلواضح⁵ الاعتذار⁶،
 ومثلکم لا يقبل حياة الأعذار، والله عز وجل يصل
 إليكم عوايد الإسعاد والإسعاف، ويحفظ لكم⁷ ما للمجد
 من جوانب وأكناف، إن شاء الله تعالى. كتب⁸ في العاشر
 العاشر من ربيع الأول من عام ثمانية وأربعين وسبعمائة⁹.

¹ في النفج: ((أهله)).

² نفسه: ((يقيده؛ والبصر يبهرج نقده فيقعده؛ فهو يقدم رجلاً...)).

³ في المخطوطين: ((بهرج))؛ وصوبت من النفج.

⁴ في ك: ((عزماً)).

⁵ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((لوضح، فلو صج)).

⁶ في النفج: ((الأعذار؛ مثلکم من قبل جليات الأقدار؛ والله سبحانه يصل

لكم عوائداً...)).

⁷ في النفج: ((بكم)).

⁸ في النفج: ((وكتب في عاشر ربيع...)).

⁹ 1347 م.

دخوله غرناطة

دخل غرناطة غير ما مرة؛ منها في استدعاء شمال
الخواصّ من أهل الأقطار الأندلسية؛ عند إعدار الأمراء
في الدولة اليوسفية¹؛ في شهر شعبان؛ من عام إحدى
وخمسين وسبعمائة².

شعره

كان مجلياً³؛ وأنشد في حلبة الشعراء قصيدةً أولها⁴：
أَجْنَانُ خُلِدِ زُخْرِفَتْ أُمَ مَصْنَعُ
والعيدُ عاودَ أُمَ صَنِيعُ يُصْنَعُ
ومن شعره⁵：

من لم يُشاهد مَوْقِفاً لفراق
لم يذُرْ كيف تَوَلَّى العُشَّاق

¹ يقصد دولة أبي الحجاج يوسف سلطان بني الأحمر في غرناطة خلال الفترة الزمنية من 733هـ/1333م إلى سنة 755هـ/1354م، وردت ترجمته في الإحاطة.

² الموافق لـ 1350م

³ سقطت كلمة ((كان)) من ك؛ بينما كتبت العبارة في ج هكذا: ((مجلياً كان)).

⁴ هذا البيت من بحر الكامل.

⁵ هذه القصيدة من بحر الكامل.

إِنَّ كُنْتَ لَمْ تَرَهُ فَسَائِلْ مَنْ رَأَى
 يُخْبِرُكَ عَنْ وَلَهِي وَهَوْلِ سِيَاقٍ¹
 مِنْ حَرِّ أَنْفَاسٍ وَخَفَقِ جَوَانِحِ
 وَصُدُوعِ أَكْبَادٍ وَفَيْضِ مَآقٍ²
 دُهْيِ الْفُؤَادِ فَلَا لِسَانَ نَاطِقٍ
 عِنْدَ الْوَدَاعِ طَائِعٍ³ مُتَرَاقٍ
 وَلَقَدْ أَشِيرُ لِمَنْ تَكَلَّفَ رِحْلَةً
 أَنْ عُجَّ عَلَيَّ وَلَوْ بِقَدْرِ فُؤَاقٍ⁴
 عَلَى أَرَاغِعٍ مِنْ ذِمَائِي حَشَاشَةً
 أَشْكُو بِهَا بَعْضَ الَّذِي أَنَا لَاقٍ
 فَمَضَى وَلَمْ تَعْطِفْهُ نَحْوِي ذِمَّةً
 هِيَهَاتَ لَا بُقْيَا⁵ عَلَى مُشْتَاقٍ

¹ في المخطوطتين: ((وهو سياق))، وفي ت: ((وعن أشواق)). وفي الكتيبة الكامنة وديوان ابن خاتمة: ((سياقي)).

² في الديوان: ((مآقي)).

³ في ك: ((لا يبح))؛ وفي الكتيبة الكامنة: ((ولا يد)). وهو أسلم.

⁴ أي بقدر الوقت؛ ما بين الحلبة والحلبة؛ فإذا كانت الحلبة الأولى صباحاً فالحلبة الثانية مساءً. وثمة من يرى أن الفواق: هو القدر من الوقت ما بين قبض الصرع باليد للحلب، وفتح اليد أثناء تلك العملية.

⁵ في الكتيبة الكامنة، والديوان: ((لا يثني)).

يا صاحِبِيَّ وَقَدْ مَضَى حُكْمُ النَّوَى¹
 رُوحاً عَلَيَّ بِمَشِيْمَةٍ² العُشَّاقِ³
 وَاسْتَقْبَلَا بِي⁴ نَسَمَةً⁵ عَنْ⁶ أَرْضِكُمْ⁷
 فَلَعَلَّ نَفْحَتَهَا⁸ تَحُلُّ وَثَاقَ⁹
 إِنِّي لَيْشْفِيْنِي النَّسِيمَ إِذَا سَرَى
 مَتَّضَوْعاً مِنْ تِلْكَمُ الْآفَاقِ
 مِنْ مُبْلَغٍ¹⁰ بِالْجَزَعِ أَهْلَ مَوْدَتِي
 أَنِّي عَلَى حُكْمِ الصَّبَابَةِ بَاقٍ
 وَلَئِنْ تَحَوَّلَ عَهْدُ قُرْبِهِمْ¹¹ نَوَى
 مَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِي وَلَا مِيثَاقِ¹²

¹ في الكتيبة، والديوان: ((الهُوى)).

² نفسه: ((بشيمة))؛ وهو أسلم.

³ نفسه: ((الإشفاق)).

⁴ نفسه: ((واستقبلاها)).

⁵ نفسه: ((من)).

⁶ في ك: ((أرضهم)).

⁷ في ج: ((نفحاتها)).

⁸ في الديوان: ((وثاقي)).

⁹ في المخطوطين: ((يبلغ)).

¹⁰ في ديوان ابن خاتمة: ((حبهم)).

¹¹ نفسه: ((وعن ميثاقي)).

أَنْفَتْ خَلَائِقِي الْكَرَامَ لَخُلَّتِي
 نَسَباً¹ إِلَى الْإِخْلَاقِ وَالْإِخْرَاقِ¹
 قَسماً بِهِ مَا اسْتَغْرَقْتَنِي فِكْرَةً
 إِلَّا وَفَكْرِي فِيهِ وَاسْتَغْرَاقِ²
 لِي آهَةٌ³ عِنْدَ الْعَشِيِّ لَعْلَهُ
 يُصْنَعِي لَهَا وَكَذَا مَعَ الْإِشْرَاقِ
 أَبْكِي إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ فَإِنْ تَجِدِ
 بَلَاءً بِهِ فَبِدْمَعِي الْمُهْرَاقِ
 أَوْ مَا مَا تَكْتُبُ إِلَيْهِ مَعَ الصَّبَا⁴
 فَالذِّكْرُ كُتُبِي وَالرِّقَاقُ رِفَاقِ⁵

¹ جاء هذا الشطر في الكتيبة الكامنة وديوان ابن خاتمة هكذا: ((نسباً إلى الإخلال والإخلاق)).

² في الديوان: ((استغراقي)).

³ في الكتيبة والديوان: ((لي آهة)).

⁴ هكذا في النسخ الأربع، بينما كتب الشطر في الكتيبة الكامنة وديوان ابن خاتمة هكذا: ((أومي بتسليم إليه مع الصبا))؛ وهذا أسلم.

⁵ في الديوان: ((رفاقي)).

من لي وقد شحط المزار بنازح¹
 أدنى لقلبي من جَوَى أشواق²
 إن غابَ عن عَيْنِي فمَثُواه الحشا
 فسراه³ بين القلب والأحداق
 جارت عليَّ يدُ النَّوَى بفراقه
 أهالما جَنَتِ النَّوَى بفراق
 أحباب قلبي هل لماضي عَيْشنا
 ردُّ فَيُنْسَخُ بَعْدَكُمْ بتلاق⁴
 أم هل لأثواب التَّجَلُّد راقعُ
 إذ ليس من داء المَحَبَّة راق
 ما غابَ كوكبُ حُسْنِكُمْ عن ناظري
 إلا وأمطرتِ الدِّمَا آماق⁵

¹ كتب هذا الشطر في النسخ الثلاث هكذا: ((من لي شحط المزار بنازح أني)).

أما في الكتيبة والديوان؛ فكتب: ((من لي على شحط المزار بنازح)).

² في الديوان: ((أشواقي)).

³ في الكتيبة والديوان: ((وسراه)).

⁴ في الديوان: ((عيشكم بتلاقي)).

⁵ نفسه: ((أمقي)).

إِلَيْهِ أَخِيٍّ أَدِرُّ عَلَيَّ حَدِيثَهُمْ
 كَأَسَا ذَكَتْ عَرَفًا وَطِيبَ مَذَاقٍ
 وَإِذَا جَنَحْتَ لِمَاءٍ أَوْ طَرِبَ فَمَنْ
 دَمَعِي الْهَمُوعُ¹ وَقَلْبِي الْخَفَاقُ
 ذِكْرَاهُ رَاحِي وَالصَّبَابَةُ خُضْرَتِي²
 وَالذَّمْعُ سَاقِينِي وَأَنْتَ السَّاقُ³
 فَلَيْلُهُ⁴ عَنِّي مِنْ لِحَانِي إِنَّنِي
 رَاضٍ بِمَا لَاقَيْتُهُ وَأَلَاقُ⁵
 وَقَالَ⁶:

وَقَفْتُ وَالرَّكْبُ⁷ قَدْ زُمَّتْ رُكَائِبُهُ
 وَلِلنَّفُوسِ مَعَ النَّوَى⁸ تَقْطِيعُ

¹ أي دمعِي السائل مدرارا، والهموع: هو سيلان الدمع.

² فِي الْكُتَيْبَةِ وَالْدِيَّانِ: ((حَضَرَتِي)).

³ وَرَدَ هَذَا الشَّطْرُ فِي الْكُتَيْبَةِ وَالْدِيَّانِ هَكَذَا: ((وَالدَّمَاعُ سَاقِيَّتِي وَأَنْتَ السَّاقِي)).

⁴ فِي الْكُتَيْبَةِ وَالْدِيَّانِ: ((فَلَيْسَ)).

⁵ نَفْسُهُمَا: ((وَأَلَاقِي)).

⁶ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ بَحْرِ الْبَسِيطِ.

⁷ فِي ك، وَالْكُتَيْبَةِ، وَالْدِيَّانِ: ((وَالْبَيْن)).

⁸ فِي ج: ((مَعَ الْأَيَّامِ))، وَفِي الْكُتَيْبَةِ وَالْدِيَّانِ: ((مَعَ الْأَنْفَاسِ)).

وقد تمايل نحوي للوداع وهل
للراحل¹ القلب صَدْر الركب توديع
أضُمُّ منه كما أهدى² لغير نوى
ريحانةً في شذاها الطيبُ مَجْموعُ
يهفو فأذعر خوفاً من تقلُّصها³
إن الشَّفِيق بسوء الظنِّ مَوْلوعُ
هل عند من قد دَعَى بالبين مُقْلَتَه⁴
إن الرَّدَى منه مرَّتِي ومسموعُ
أشَيَّعُ القلب عن⁵ رَغَمِ عليٍّ وما
بقاء جسم له للقلب تشييعُ
أري وُشَاتِي أَنِّي لستُ مُفْتَرَاً⁶
لما جرى وصميم القلب مصروعُ

¹ في الكتيبة، والديوان: ((لراحل)).

² في الديوان، والكتيبة: ((أهوى)).

³ في ج: ((نقضها))؛ بينما كتب الشطر في الملكية هكذا: ((يهفو فؤاداً عن خوفها من نقضها)). أما في الكتيبة والديوان؛

فكتب الشطر هكذا: ((تهفو فأذعر خوفاً من تقلصها)).

⁴ في الكتيبة والديوان: ((مغلبة)).

⁵ نفسها: ((من)).

⁶ في المخطوطين: ((مفترقاً))، وفي الكتيبة والديوان: ((مكترثاً)).

الوجدُ طبعٌ¹ وسلواني مُصانعة
هيهات يشكُلُ مصنوع ومطبوع²
(إن الجديد إذا ما زيد في خلق
تبيّن الناس أن الثوب مرقوع³)
وقال أيضاً⁴:

لولا حيائي من عُيون⁵ النرجس
للتمتُ خدَّ الورْد بين السُّنْدُسِ
ورشفتُ من ثغرِ الأفاحَةِ ريقَهَا
وضممتُ أعطافَ الغُصونِ الميِّسِ
وهتكتُ أستارَ الوقارِ ولمْ أبل⁶
للباقلاء⁷ تلحظ بطرفِ أشوسِ

¹ في الكتيبة والديوان: ((طبعي)).

² نفسهما: مطبوع ومصنوع).

³ هذا البيت مقتبس؛ إذ صاحبه هو إبراهيم بن إسماعيل النسوي؛ وجاء البيت الذي يسبقه هكذا: لو أن موتى تميم كلهم نشروا * وأثبتوك لقليل الأمر مصنوع

⁴ هذه القصيدة من بحر الكامل.

⁵ في المخطوطين: ((العيون))؛ وصوبت من ت.

⁶ يقصد: ((لم أبال)).

⁷ في الديوان: ((للباقلا))؛ وهو أسلم.

مَالِي وَصَهْبَاءُ الدَّنَانِ مُطَارِحاً
 سَجَعَ الْقِيَانِ مُكَاشِفاً وَجْهَ الْمُسِ
 شَتَّانَ بَيْنَ مُظَاهِرٍ وَمُخَاتِلِ
 ثَوْبٍ¹ الْحِجَا وَمُطَهَّرٍ وَمُدْنَسِ
 وَمُجْمَعٍ بِالْعَذْلِ بَاكَرْنِي بِهِ
 وَالطَّيْرِ أَفْصَحُ مَسْعِدَ بَتَانُسِ
 نَزَّهْتُ سَمْعِي عَنْ سَفَاهَةِ نَطْقِهِ
 وَأَعَرْتُهِ صَوْتاً رَخِيمَ² الْمَلَمَسِ
 سَفَّهْتُ فِي الْعَشَّاقِ يَوْماً إِنْ أَكُنْ
 ذَاكَ الَّذِي يُدْعَى³ الْفَصِيحَ الْأَخْرَسَ⁴
 أَعْذُولُ وَجَدِي لَيْسَ عُشَّكَ فَادْرَجِي⁵
 وَنَصِيحَ رُشْدِي بَانَ نَصْحُكَ فَاجْلِسِ

¹ في ج: ((ثوب))، وفي ك: ((مُثَوَّب))، وفي ت: ((ثوب)).

² في المخطوطين: ((حيماً))، وفي ت: ((رخيم)).

³ نفسه: ((يدع)).

⁴ جاء هذا الشطر في الديوان هكذا: ((ذاك الذي يدع الفصيح لأخرس)).

⁵ أخذنا هذا التعبير من المثل القائل:

((ليس هذا بعشك فادرجي))؛ أي فاذهبي وامضي. ودرج: معناه: مشى ومضى. ويضرب هذا المثل لمن لا يعرف قدره، ويضع نفسه في غير مرتبته.

هل تبصر الأشجار والأطيار والـ
 أزهار [تلك]¹ الخافضات الأروُسِ
 تالله وهو [إلّيتي وكفى به]²
 قسماً يُفدّي برّه بالأنفُسِ
 ما ذاك من شكور ولا لخالّة³
 لكن سجود مُسبّح ومُقَدّسِ
 شكراً لمن برّاً الوجود بجوده
 فثنى إليه الكل وجه المُفلسِ
 [وسما بساط الأرض فمده]⁴
 ودحا بسيط⁵ الأرض أوثر مجلسِ

¹ هذه الكلمة وردت في الديوان؛ بينما سقطت في النسخ الأربعة.

² في ت: ((الذي كفى به))، ومعنى الآية هنا: هو اليمين.

³ في ت: ((ولا نجادة))، وفي الديوان: ((من سكر ولا لخلاعة)).

⁴ في الديوان: ((رفع السماء سقفاً يروق رواءه))، وهو أسلم.

⁵ في ج: ((ببسيط))، وهنا إحالة إلى قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ

دَحَاهَا ۖ سورة النازعات؛ الآية: 30.

ووشى بأنواع المحاسن هذه
 وأنار هذي بالجوار¹ الكُنُس²
 وأدرّ أخلاف³ العطاء تطوُّلاً
 وأنال فضلاً من يُطيعُ ومن يُسي
 حتى إذا انتظم الوجودُ بنسبةٍ
 وكساه ثوبى نوره⁴ والهندس⁴
 واستكملت كلُّ النفوسِ كمالها
 شفع العطايا بالعطاء الأنفسِ
 بأجل هادٍ للخلائق مُرشِدٍ
 وأتم نورٍ للخلائق مُقبِسِ
 بالمُصطفى المهدي إلينا رحمةً
 مرمى الرجاء⁵ ومِسْكة⁶ المُنْيَسِ

¹ في المخطوطين: ((بجوار))، وفي الديوان: ((بالجوارى)).

² وهنا إحالة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ * وَالْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾.

سورة التكويد: الآية: 16.

³ الأخلاف؛ مفرداً: خلف؛ أي ضرع الشاة أو حلمة ضرع الناقة.

⁴ الهندس هي الظلمة.

⁵ في الديوان: ((الرجاء))؛ وهذا أسلم.

⁶ في المخطوطين: ((مسكة))؛ وصوبت من ت. وفي الديوان: ((مرمى الرجاء ومسكة المنييس))؛ وهو أسلم.

نَعَمْ يَضِيقُ¹ الْوَصْفُ عَنْ إِحْصَائِهَا
فَلَّ الْخَطِيبُ بِهَا لِسَانَ الْأَوْجَسِ²
إِيَّاهُ فَحَدَّثَنِي حَدِيثَ هَوَاهُمْ
مَا أَبْعَدَ السُّلُوفَانِ عَنْ قَلْبِ الْأَسِي³
إِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْسَنْتُ نَعْتَ جَمَالِهِمْ
[فَلَقَدْ سَهَا عَنِي الْعَذُولُ بِهِمْ وَسِي]⁴
مَا إِنْ دَعَاكَ بَبْلُ إِلَّا لِمَا
قَدْ هَجَّتْ مِنْ بَبَالِ هَذِي الْأَنْفُسِ
سُبْحَانَ مَنْ صَدَعَ الْجَمِيعُ بِحَمْدِهِ
وَبَشَّكَرِهِ مِنْ نَاطِقٍ أَوْ أَخْرَسِ
وَامْتَدَّتِ الْأَطْلَالُ سَاجِدَةً لَهُ
بِجِبَالِهَا مِنْ قَائِمٍ أَوْ أَقْعَسِ

¹ في المخطوطين: ((بعماء ضاق))؛ فصوبت من ت.

² أي الدهر.

³ أي الحزين.

⁴ ورد هذا الشطر في المخطوطين والملكية هكذا: ((فلقد سما عني العذول بهم وسي)). وفي الديوان: ((فلقد سَهَا عني العذول وقد نسي)).

فإذا تراجعت الطيور وزايلت
أغصانها بان المطيع من المسي¹
فيقول ذا سكرت لنعمة منشد
ويقول ذا سجدت لذكر مقدس
كل يفوه بقوله² والحق لا
يخفى على نظر اللبيب الأكيس
وقال³:

زارت على حذر من الرقباء
والليل ملتحف⁴ بفضل رداء
تصل الدجا بسواد فرع فاحم
لتزيد⁵ ظمأ إلى ظمأ

¹ ورد هذا البيت في ج، والملكية هكذا:
((فإذا تراجعت الطيور أغصانها (أغصها) * فتمايلت بان المطيع من المسي)).
وفي الديوان هكذا:
((فإذا تراجعت الطيور وزايلت * أغصنها بان المطيع من المسي)).
² في ك، وفي الديوان: ((بذوقه))، وفي ج: ((بدونه)).
³ هذه القصيدة من بحر الكامل.
⁴ في الديوان والكتيبة: ((ملتف)).
⁵ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((لتديبر))؛ وصوبت من ت، والملكية.

وَشَى¹ بِهَا مِنْ وَجْهِهَا وَحَلِيَّهَا
 بَذَرُ الدُّجَا وَكَوَاعِبُ الْجَوَازِ
 أَهْلًا بِزَائِرَةٍ عَلَى خَطَرِ السُّرَى
 مَا كُنْتُ أَرْجُوهَا لِيَوْمِ لِقَاءِ
 أَفْسَمْتُ لَوْلَا عَفَّةٌ عُدْرِيَّةٌ
 [وَتُفْقَى عَلَيَّ لَهُ رَقِيبٌ رَاءِ]²
 لَنَقَعْتُ غُلَّةَ لَوْعَتِي بِرُضَابِهَا
 وَنَضَخْتُ وَرَدَ خُدُودِهَا بِبُكَائِي
 وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ أَيْضًا³:
 أَرْسَلْتُ لَيْلَ شَعْرِهَا مِنْ عَقْصِ
 عَنْ مُحَيَّا رَمَى الْبُذُورِ بِنَقْصِ
 فَأَرْتَتَا الصَّبَّاحَ فِي جُنْحِ لَيْلٍ
 يَتَهَادَى مَا بَيْنَ غُصْنٍ وَدِعْصِ⁴

¹ في الديوان: ((فوشى))؛ وهو أسلم.

² في النسخ الثلاث: ((وتلغى له على رقيب راقى)). بينما كتب في نص

آخر: ((وتخوفي وشي الرقيب الراء)).

³ هذه الأبيات من بحر الخفيف.

⁴ الدِّعْص: كتيب رمل مستدير.

وَتَصَدَّتْ بِرَامِحَاتِ نُهُودٍ
أُشْرِعَتْ لِلْأَنَامِ مِنْ تَحْتِ قَمَصٍ
فَتَوَلَّتْ جِيوشُ صَبْرِي انْهَازَمًا
وَبِوُدِّي ذَاكَ اللَّقَاءَ وَحِرْصِ
لَيْسَ كُلُّ الَّذِي يَقْرُ بِنَاجٍ
رُبَّ ظَغْنٍ¹ فِيهِ حَيَاةٌ لِشَخْصٍ
كَيْفَ لِي بِالسُّلُو عَنْهَا وَقَلْبِي
قَدْ هَوَى حِلْمَهُ² بِمَهْوَى لُخْرَصٍ³
مَا تَعَاظَيْتُ [ظَاهِرَ الصَّبْرِ]⁴ إِلَّا
رَدَّنِي جِيذُهَا بِأَوْضَحِ نَصٍّ⁵
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا:

أَنَا بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَقِفٌ
نَفْسٌ خَافَتْ وَدَمَعٌ وَوَكُفٌ

¹ في ل: ((وطغى))، وفي ت: ((طغن))، وفي الملكية، والديوان: ((طعن)).

² في ت: ((حمله)) وفي الملكية أيضاً.

³ في ل: ((بمعول لخصوص))، وفي ت: ((بملعكي الخرص))، والخرص: القناة والسنان.

⁴ حُرِفَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ فَكُتِبَتْ: ((طاهر البصير)).

⁵ هذه الأبيات من بحر الخفيف.

حلَّ بي من هواءك ما ليس يُنبى¹
 عنه نعتٌ ولا يُعبّرُ وصَفُ
 عَجَباً لأنعطاف صدغيك والمع
 طَفُ والجيدُ ثم ما منك عَطْفُ
 ضاقَ صدري بضيق حجلك² واستَوُ
 قَفَ طَرْفي حيران³ ذلك الوقْفُ
 كيف يُرجى فكاك قلبٍ مُعَنَى
 في غرامٍ قيّده قرطٌ وشَنَفُ⁴
 ومن ذلك قوله أيضاً⁵:
 رقَّ⁶ السنّا ذهباً في اللازوردي
 فالأفقُ ما بين مرقومٍ وموشى

¹ في المخطوطين: ((ينسي))، وفي ت: حرفت؛ فكتبت: ((بينني)).

² جدّ لك: خلخالك.

³ في المخطوطين: ((جيران))، وفي الديوان: ((قف طرفي حيران ذاك الوقت))، وهو أسلم.

⁴ الشنف: ما علق فوق الأذن؛ لأن ما علق تحت الأذن فهو قرط.

⁵ هذان البيتان من بحر البسيط.

⁶ في الكتيبة والديوان: ((رط)).

كَأَنَّمَا الشُّهُبُ¹ وَالْإِصْبَاحُ يَنْهَبُهَا
لَأَلَى² سَقَطَتْ مِنْ كَفِّ زُنْجِي³
وَمِنْ شَعْرِهِ فِي الْحَكْمِ قَوْلُهُ⁴:

هُوَ الدَّهْرُ لَا يُبْقِي عَلَى عَائِدِ بِهِ
فَمَنْ شَاءَ عَيْشاً يَصْطَبِرْ لِنَوَائِبِهِ
فَمَنْ لَمْ يُصَبْ فِي نَفْسِهِ فَمُصَابُهُ
لَفَوَتْ⁵ أَمَانِيهِ وَقَدْ حَبَائِبُهُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ⁶:

مَلَكَ الْأَمْرِ تَقْوَى اللَّهِ فَاجْعَلْ
تُقَاهُ عُدَّةً لِصَلَاحِ أَمْرِكَ
وَبَادِرْ نَحْوَ طَاعَتِهِ بِعَزْمٍ
فَمَا تَذَرِي مَتَى يَمْضِي بِعُمْرِكَ⁷

¹ في الملكية: ((الصبح)).

² في الكتيبة والديوان: ((دراهم)).

³ حرفت في ج، والملكية؛ فكتبت: ((على تتحى)).

⁴ هذان البيتان من البحر الطويل.

⁵ في نفج الطيب: ((بفوت)).

⁶ هذان البيتان من بحر الوافر.

⁷ في المخطوطين: ((لعمرك))؛ وصوبت من ت، في النفج: ((يُقضى بعمرِكَ)).

ومن ذلك أيضاً¹:

دِماءٌ فَوْقَ خَدِّكَ أَمْ خُلُوقٌ²
وَرِيقٌ مَا بَثْغَرِكَ أَمْ رَحِيقٌ
وَمَا ابْتَسَمْتَ ثَنَائِيَا أَمْ أَقَاخُ
وَيَكْنُفُهَا شِفَاهٌ أَمْ شَقِيقٌ³
وَتِلْكَ سِنَاءُ نَوْمٍ مَا تَعَاظَتْ
جُفُونُكَ أَمْ هِيَ الْخَمْرُ الْعَتِيقُ
لَقَدْ أَعَدْتُ مَعَاظِفُكَ انْتِثَاءً
وَقَلْبِي سُكْرُهُ مَا إِنْ يَفِيقُ
جَمَالُكَ حَضْرَتِي وَهَوَاكَ رَاحِي
وَكَأْسُكَ مُقْلَتِي فَمَتَى أَفِيقُ
ومن شعره في الأوصاف⁴:

أَرْسَلَ الْجَوْ مَاءً وَرَدٍ رَذَاذَا
وَسَمَّعَ⁵ الْحَزْنَ وَالْدَّمَائِثَ رَشًّا

¹ هذه الأبيات من بحر الوافر.

² الخلق: صنف من أصناف الطيب.

³ أي شقائق النعمان؛ وهي وردة حمراء تثبت في الحقول والمراعي.

⁴ هذه الأبيات من بحر الخفيف. ولم ترد هذه الأبيات في ديوان ابن خاتمة.

⁵ في النفج: ((سمّع))؛ وهو أسلم.

فَانْتَنَى حَوْلَ أَسْوَاقِ الدَّوْحِ حَجَلًا
وَجَرَى فَوْقَ بُرْدَةِ الرَّوْضِ رَقْشًا
وَسَمَا فِي الْغُصُونِ حُلَى بَنَانٍ
أَصْبَحَتْ مِنْ سُلَاقَةِ الطَّلِّ رَعْشًا
فَتَرَى الزَّهْرَ تَرْقُمُ الْأَرْضَ رَقْمًا
وَتَرَى الرِّيحَ تَنْقُشُ الْمَاءَ نَقْشًا
فَكَأَنَّ الْمِيَاهَ سَيْفٌ صَقِيلٌ
وَكَأَنَّ الْبِطَاحَ غَمْدٌ مُوَشَّى

وكتب عقب انصرافه من غرناطة - في بعض قدماته
عليها - ما نصه: ((مما قلته بديهةً عند¹ الإشراف على
جنايبكم السعيد، وقدومي² مع النفر الذين
أتخفتهم [السيادة]³؛ سيادتكم⁴ بالإشراف عليه، والدخول
إليه، وتنعيم الأبصار في المحاسن المجموعة لديه؛ وإن كان
يوماً قد غابت شمس، ولم يتفق أنكمل⁵ أنسه، وأنشده

¹ في الكتيبة: ((حين)).

² في الكتيبة، والنفج: ((ودخوله)).

³ سقطت هذه الكلمة في ك، والكتيبة، والنفج.

⁴ في الكتيبة: ((سيادتكم)).

⁵ في المخطوطين: ((نكمل))؛ وصوبت من النفج.

وأنشده حينئذ بعض من حضر، ولعله لم يبلغكم؛ وإن
كان قد بلغكم¹؛ ففضلكم يحملني [في]² إعادة
الحديث³:

أَقُولُ وَعَيْنُ الدَّمْعِ⁴ نَصَبٌ⁵ عُيُونِنَا
وَلَا حَ لِبُسْتَانِ الْوَزَارَةِ جَانِبِ
أَهْذِي سَمَاءٍ أَمْ بِنَاءٍ سَمَاءٍ بِهِ
كَوَاعِبُ غَضَّتْ عَنْ سَنَاهَا الْكَوَاعِبُ
تَنَاضَرَتِ الْأَشْكَالُ مِنْهُ تَقَابُلاً
عَلَى السَّعْدِ وَسَطَى عَقْدِهِ وَالْجَنَائِبِ⁶
وَقَدْ جَرَّتِ الْأَمْوَاهُ فِيهِ مَجَرَّةً
مَذَانِيهَا شُهْبٌ لَهْنٌ ذَوَائِبُ

¹ في الكتيبة: ((بلغ)).

² ((في)) أضيفت من الملكية. وفي الكتيبة: ((على)).

³ هذه الأبيات من بحر الطويل.

⁴ سبقت الإشارة إلى عين الدمع؛ ذلك المنتزه الشهير في غرناطة.

⁵ في المخطوطين: ((تنصب))؛ وصوب من النفج.

⁶ في ك: ((الجانب)). وفي النفج والديوان: ((الحباب)).

وأشرفَ من [علياء بهو]¹ تحفُهُ
شماسي زُجاج وشيها مُتناسبُ
يُطلُّ على ماءٍ به الآسِ دائِراً
كما افترَّ ثغرُ أو كما أخضرَّ شاربُ
هنالك ما شاء العُلى من جلالَةٍ
بها يُزدهى بُستانُها والمراتبُ

ولما أحضر² الطعام هنالك ؛ دُعي شيخنا القاضي أبو
البركات³ إلى الأكل ؛ فاعتذر بأنه صائم ؛ قد بيّته من
الليل ؛ فحضرني أن قلت⁴ :
دَعَوْنَا الْخَطِيبَ أَبَا الْبَرَكَاتِ
لَأَكُلَ طَعَامَ الْوَزِيرِ الْأَحَلِّ

¹ حُرِفَتْ فِي ج؛ فَكُتِبَتْ: ((عَلِيَاءَ بِهِو))، وَفِي ك، وَالْمَلَكِيَّةُ: ((عَلِيَاءَ فَهَو)).
وَجَاءَ هَذَا الْبَيْتُ فِي الْكُتَيْبَةِ هَكَذَا:

((وَأَشْرَفَ مِنْ أَعْلَاهُ فَهُوَ تَحْفُهُ * شِمَاسُ زُجَاجٍ وَشَيْهَاءٌ مُتَنَاسِبُ))

² فِي ك: ((حَضَرَ)).

³ خَصَّصَ لَهُ ابْنُ الْخَطِيبِ تَرْجُمَةً فِي الْإِحَاطَةِ.

⁴ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ مِنْ بَحْرِ الْمُتَقَارِبِ.

وَقَدْ ضَمَّنَا فِي نَدَاهُ جِنَانٌ¹
 بِهِ احْتَفَلَ الْحُسْنُ حَتَّى كَمَلَ²
 فَأَعْرَضَ عَنَّا لِعُذْرِ³ الصَّيَّامِ
 وَمَا كُلُّ عُذْرٍ لَهُ مُسْتَقَلٌّ⁴
 فَإِنَّ الْجِنَانَ مَحَلُّ الْجَزَاءِ
 وَلَيْسَ الْجِنَانُ مَحَلُّ الْعَمَلِ

وعندما فرغنا [من الطعام]⁵ أنشدتُ الأبيات شيخنا
 أبا البركات ؛ فقال⁶: ((لو أنشدتنيها، وأنتم بعد لم تفرغوا
 تفرغوا منه⁷؛ لأكلت معكم براً بهذه الأبيات ؛ والحوالة -
 في ذلك - على الله تعالى)). ولما قضى الله عز وجل،
 بالإدالة ورجعنا إلى أوطاننا من العدو، واشتهر عني ما
 اشتهر من الانقباض عن الخدمة، والتية على السلطان

¹ في الملكية: ((جمال)).

² جاء هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا:

((به احتفل الحسن فيما اكتمل)).

³ في الكتيبة: ((يعذر)).

⁴ في ك: ((مستقبل)).

⁵ هذه الإضافة من نفح الطيب.

⁶ في النفج: ((فقال لي)).

⁷ في الكتيبة: ((من الطعام)).

والدولة¹، والتكبر [على أعلى رتب الخدمة]²، وتطارحت على السلطان في استنجاز وعد الرحلة، ورغبت في تفويت³ الذمة، ونفرت عن الأندلس بالجملة؛ خاطبني بعد صدر بلغ من حسن الإشارة، وبراعة الاستهلال الغاية؛ بقوله⁴: ((وإلى هذا يا سيدي، ومحل تعظيمي وإجلالي، أمتع الله تعالى الوجود بطول بقائكم، وضاعف في العزّ درجات ارتقائكم، فإنّه من الأمر الذي لم يغب عن رأي المقول⁵، ولا اختلف فيه أرباب المحسوس⁶ والمعقول، أنّكم بهذه الجزيرة شمس أفقها، وتاج مفرقها، وواسطة سلكها، وطرّاز ملكها، وقلادة نحرها، وفريدة دهرها⁷، [وعقد جيدها المنصوص، وكمال⁸ زينتها¹ على المعلوم والمخصوص²، ثم أنتم مدار

¹ في أزهار الرياض: ((والدالة)).

² ما بين الحاصرتين من نفج الطيب وأزهار الرياض؛ بينما الذي ورد في المخطوطين والملكية هو: ((أعلى على المراتب))؛ والأولى أفضل.

³ في النفج وأزهار الرياض: ((وتبرئة)).

⁴ ورد في موضعها في المخطوطين: ((وهو))؛ والتصويب من نفج الطيب وأزهار الرياض.

⁵ في النفج، وأزهار الرياض: ((العقول)).

⁶ نفسهما: ((أرباب المعقول)).

⁷ في النفج، وأزهار الرياض: ((درّها)).

⁸ في النفج: ((وتمام)).

مدار أفلاكها³، وسر سياسة أملاكها، وترجمان بيانها،
ولسان إحسانها، وطبيب⁴ مارستانها، والذي عليه عقد
إدارتها، وبه قوام إمارتها، فلديه⁵ يحل المشكل، وإليه
يلجأ في الأمر المعضل. فلا غرو أن تتقيد بكم الأسماع
والأبصار، وتحقق نحوكم الأذهان والأفكار، ويزجر عنكم
السانح والبارح⁶، ويستنبأ⁷ ما تطرف عنه العين وتختلج
الجوارح، استقراءً لمرامكم⁸، واستطلاعاً لطالع اعتزامكم⁹،
واستكشافاً لمرامي¹⁰ سهامكم، لا سيما مع إقامتكم على
جناح خفوق، وظهوركم في ملتصع بروق واضطراب¹¹
الظنون فيكم مع الغروب والشروق، حتى تستقر بكم

¹ في أزهار الرياضة: ((زينها)).

² في النفج وأزهار الرياضة: ((على العموم والخصوص)).

³ ما بين الحاصرتين سقط في ج، والملكية.

⁴ في المخطوطتين: ((طب)).

⁵ في النفج: ((ولديه)).

⁶ ((السانح البارح)): هما طائران؛ يتفانل بأحدهما عرب الجاهلية، ويتشاءمون بالآخر. فيقال أن السانح هو ذلك الطائر الذي يمر من اليسار إلى اليمين، والبارح الذي يمر عكس ذلك؛ أي من اليمين إلى اليسار. فمن العرب من يتشاءم بالبارح ويتفاءل بالثاني؛ ومنهم من يعكس الأمر.

⁷ في الملكية: ((ويستأنف)).

⁸ استقراء لمرامكم أي بحثاً وسبراً لرغبتكم.

⁹ في النفج: ((اعتراكم)).

¹⁰ في النفج وأزهار الرياضة: ((عن مرامي)).

¹¹ حرفت في المخطوطتين؛ فكتبت: ((وأطراب)).

الدار¹، ويلقي عصاه التسيار، وله العذر في ذلك؛ إذ صدعها بفراقكم لم يندمل²، وسرورها بلقائكم لم يكتمل، فلم يبر³ بعد جناحها المهيض⁴، ولا جم مأوها المغيض، ولا تميزت من داجيها ليايها البيض، ولا استوى نهارها، ولا تألقت أنوارها⁵، ولا اشتملت نعمائها، ولا نسيت غماؤها؛ بل هي كالناقه⁶، والحديث العهد بالمكاره، تستشعر⁷ نفس العافية، وتتمسح⁸ منكم باليد الشافية، فبحياتكم⁹ عليها، وعظيم¹⁰ حرمتكم¹¹ على من لديها، لا تشوبوا لها عذب المجاج والأجاج وتقنطوها¹² مما عودت من طيب المزاج؛ فما لدائها¹³،

¹ في النفج وأزهار الرياض: ((الديار)).

² أي يلتئم، وتتصلح.

³ في النفج: ((يرأ)).

⁴ أي المكسور.

⁵ في النفج: ((ولا تألفت أنهارها)).

⁶ أي من شفي من مرضه؛ فهو في نقاهة.

⁷ في النفج: ((يستشعر)).

⁸ نفسه: ((ويتمسح)).

⁹ في أزهار الرياض ونفج الطيب: ((وبحنانكم)).

¹⁰ في النفج: ((وعظم)).

¹¹ في المخطوطين: ((مرضاتكم)).

¹² في ك: ((وتقنطوها))، وفي ج: ((وتقنطوها))، وفي النفج وأزهار

الرياض: ((وتقنطوها عما)).

¹³ في ج: ((لديها))، وفي ك: ((لبدنها)).

وحياة قربكم غير طبكم من علاج. وإني ليخطر بخاطري
 محبة فيكم، وعناية بما يعينكم؛ ما نال جانبكم - صانه الله
 - [بهذا الوطن]¹ الجفاء؛ ثم أذكر [ما نالكم من حسن
 العهد وكرم الوفاء، وأن الوطن إحدى المواطن الأظآر
 التي]² يحق لهن جميل الاحتفاء، وما يتعلق بكم من
 حرمة أولياء القرابة [وأولي]³ الصفاء؛ فيغلب على ظني؛
 أنكم لحسن العهد أجنح، وبحق أنفسكم [على أوليائكم]⁴
 أسمح؛ والتي⁵ هي أعظم قيمةً في⁶ فضائلكم أوهب
 وأمنح⁷، وهب أن الدر لا يحتاج في الإثبات إلى شهادة
 النحور⁸ واللبات، والياقوت غني المكان، عن مظاهرة
 القلائد والتيجان. أليس أنه أعلى للعيان وأبعد عن مكابرة

¹ بين الحاصرتين سقط في المخطوطين؛ واستكمل من نفاضة الجراب
 والنفج وأزهار الرياض.

² ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين؛ واستكمل من نفاضة الجراب
 ونفج الطيب وأزهار الرياض.

³ سقطت هذه الكلمة في ك؛ بينما وردت في نفاضة الجراب، والنفج
 والأزهار هكذا: ((وأوداء))

⁴ في النفج والأزهار: ((عن حق أوليائكم)).

⁵ نفسيهما: ((وللتي)).

⁶ نفسيهما: ((من)).

⁷ نفسيهما: ((أسجج)).

⁸ في المخطوطين: ((شهود))؛ وصوب هذا التحريف من النفج والأزهار).
 والأزهار).

البرهان، تألقها¹ في تاج الملك أنو شروان، والشمس²
وإن كانت أم الأنوار وجللاء الأبصار، مهما أغمي مكانها
من الأفق، قيل الليل³ هو أم نهار، وكما في علمكم ما
فارق ذو الأحلام⁴، وأولو الأرحام، مواطن استقرارهم،
وأماكن قرارهم، إلا برغمهم واضطرارهم، واستبدال دار
هي⁵ خير من دارهم، ومتى توازن الأندلس بالمغرب، أو
يعوض عنها إلا بمكة أو يثرب، ما تحت أديمها أشلاء أولياء
وعباد، وما فوقه مرابط⁶ جهاد، ومعاهد ألوية في سبيل
الله، ومضارب أوتاد، ثم يُيوئ⁷ ولده مَبَوًّا أجداده،
ويجمع له بين طرافه⁸ وتلاده؛ أعيد أنظاركم المسددة من
من رأى فائل⁹، وسعي طويل¹⁰ لم يحل منه بطائل

¹ في المخطوطين: ((ما يعها))؛ فصويت من النفج والأزهار.

² في النفج وأزهار الرياضة: ((فالشمس)).

³ نفسهما: ((اليل)).

⁴ في النفج وأزهار الرياضة: ((ذوو الأرحام وأولو الأحلام)).

⁵ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((هو)). بينما سقطت في النفج وأزهار الرياضة.

⁶ في ج: ((رباط)).

⁷ في النفج: ((يَبَوًّا)).

⁸ في النفج والأزهار: ((طرافه)).

⁹ أي ضعيف).

¹⁰ في ج: ((ومعنى)).

[فحسبكم من هذا الإياب السعيد، والعود الحميد¹].
وهي طويلة.

فأجبتة عنها بقولي²:

لَمْ فِي الْهَوَى الْعُذْرِيَّ أَوْ لَا تَلَمْ
فَالْعَذْلُ لَا يَدْخُلُ أَسْمَاعِي
شَأْنُكَ تَعْنِي فِي وَشَأْنِي الْهَوَى
كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِي

((أهلاً بتحفة القادم، وريحانة المنادم، وذكرى³
الهوى المتقادم؛ لا يصغر⁴ الله مسراك، فما أسراك؛ لقد
جلبت⁵ إلي من همومي ليلاً، وجبت⁶ خيلاً ورجلاً،
ووفيت من صاع الوفا كيلاً، وظننت بي الأسف على ما

¹ ما بين، الحاصرتين سقط في المخطوطتين؛ واستكمل من النفج والأزهار.
والأزهار.

² هذان البيتان من السريع. وهما مع الرسالة في ريحانة الكتاب، والكتيبة
الكامنة ونفج الطيب وأزهار الرياض.

³ في النفج: ((وذكر)).

⁴ في الكتيبة: ((يصغر)).

⁵ في ك: ((حليت))، وفي النفج والأزهار: ((جبت)). وفي ريحانة الكتاب: ((جنت)).

⁶ في النفج والأزهار: ((جست)).

فات، فأعملت الالتفات، لكيلا¹. فأقسم لو أن الأمر²
اليوم بيدي، أو كانت اللمة السوداء، من عددي³ ما
أفلت أشراكي المنصوبة لأمثالك⁴ حول المياه وبين
المسالك، لولا علمت⁵ ما هنالك⁶، لكنك طرقت حمي
كسحته⁷ الغارة الشعواء، وغيّرت [ربعه]⁸ الأنواء،
فخمد⁹ بعد ارتجاجه، وسكت¹⁰ أذنين دجاجة،
وتلاعبت الرياح والهوج¹¹ فوق فجاجة¹²، وطال
عنده بالزمان¹³ الأول، ((وهل عند رسم دارس من

¹ ذَكَرَ ((لكيلا)) هنا؛ من باب الإكتفاء؛ إحالة منه إلى قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ سورة الحديد؛ الآية: 23.

² في ريحانة الكتاب: ((أمري)).

³ في المخطوطين والملكية: ((عدتي))؛ فصوبت من النفع والأزهار.

⁴ تعبير اقتبس من بيت للشريف الرضي؛ يقول فيه:

((لو كانت الأمة السوداء من عددي * يوم الغميم لما أفلت أشراكي))

⁵ في ريحانة الكتاب: ((ولعلمت)).

⁶ ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين؛ وأضيف من النفع والأزهار.

⁷ في النفع والأزهار: ((كسحته)).

⁸ سقطت هذه الكلمة في ج.

⁹ في الريحانة: ((فجمد)).

¹⁰ نفسه: ((وسكن)).

¹¹ في النفع والأزهار والريحانة: ((الرياح الهوج)).

¹² في الريحانة: ((مجاجة)).

¹³ في الريحانة والنفع: ((بالزمن)).

معول¹))، وحيا الله ندباً إلى زيارتي ندبك، وبآدابه
الحكيمة² أدبك³):

فكان وقد أفاد بك الأمانى

كمن أهدى الشفاء إلى العليل

وهي شيمة بوركنت من شيمة، وهبة الله قبله⁴، من
من لدن المشيمة، ومن مثله في صلة رعي، وفضل
سعي، وقول ووعي⁵:

قسماً بالكواكب الزُّهر والزهر عاتمة

إنما الفضل ملّة ختمت بابن خاتمة

كساني حلة وصفه⁶، وقد ذهب زمان التجمل،
وحملني ناهض⁷ شكره، وكّدي⁸ وإٍ عن التحمل،

¹ هذا عجز بيت في معلقة امرئ القيس؛ يقول فيه:

((وإن شفاني عبرة إن سفحتها* وهل عند رسمٍ دارس من معول)).

² في النفج والأزهار: ((الحكيمة)).

³ هذا البيت من الوافر.

⁴ في الملكية: ((قبله)).

⁵ في النفج: ((وقول وعي)). والبيتان: من مجزوء الخفيف.

⁶ في النفج والأزهار والريحانة: ((فضله)).

⁷ سقطت كلمة ((ناهض)) (ي النفج والأزهار.

⁸ الكتد جمعها أكتاد وهو مجمع الكتفين.

التحمل، ونظرني بالعين الكليّة عن العيوب¹
 فهلا أجاد التأمل واستطلع طلع نثي²، ووالى
 ووالى في مركب³ المعجزة حتي، و((إِنَّمَا أَشْكُو
 بَثِّي)⁴: و((لَوْ تَرَكْتُ الْقَطَا لَيْلًا لَنَامَا))⁵. وما
 حال شمل وتده⁶ مفروق، وقاعدته فروق، وصواع⁷ بني
 بني أبيه مسروق، وقلب قرحه⁸ من عضه الدهر دام،
 وجمرة حسرته ذات احتدام، هذا وقد صارت الصغرى،

¹ في النفج والأزهار والريحانة: ((العيب)). ويشير في هذه العبارة إلى قول الشاعر:
 ((وعين الرضا عن كل عيب كليّة * كما أن عين السخط تبدي المساويا))

² في المخطوطين، والريحانة: ((بثي))، والثث: هو ما يذاع من أسرار.
³ في لث: ((ركب)). وفي النفج، والأزهار: ((ميرك)) وفي الريحانة: ((في
 أحرك المجرة)).

⁴ الآية كاملة هكذا: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
 مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. سورة يوسف، الآية: 86.

⁵ يضرب هذا المثل للذي حمل على شيء يكرهه ولا يرغب فيه.
⁶ في الريحانة: ((قيده))؛ والذي في النص أصوب؛ لأن الوند المفروق هو
 اصطلاح عروضي يتركب من ثلاثة أحرف متحركة بينهما ساكن هكذا: (/ /).

⁷ الصواع: إناء للكيل؛ وهنا إحالة إلى قوله تعالى: ﴿نَقِذْ صُوعَ الْمَلِكِ﴾.
 سورة يوسف؛ والآية كاملة هكذا: ﴿قَالُوا نَقِذْ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ
 بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾.

⁸ في ريحانة الكتاب: ((وقلبه)).

التي كانت الكبرى، لمشيبي لم يرُع¹ أن هجم، لما نجم،
ثم تهلل عارضه وانسحم²:

¹ في الكتيبة الكامنة: ((لم يدع)).

² هذا البيت من الكامل.

لَا تَجْمَعِي هَجْرًا عَلَيَّ وَغُرْبَةً

فَالهَجْرُ فِي تَلَفِ الْغَرِيبِ سَرِيعٌ

نظرت فإذا [الجنب ناب]¹، والنفس فريسة ظُفْرٍ
وناب، والمال أكيلة انتهاب، [والعمر رهن ذهاب]²، واليد
صِفْرٌ من كل اكتساب، وسوق المعاد مترامية، والله سريع
الحساب³:

وَلَوْ نُعْطِيَ الْخِيَارَ لَمَا افْتَرَقْنَا

وَلَكِنْ لَا خِيَارَ مَعَ الزَّمَانِ

وَهَبْ أَنْ الْعَمْرَ جَدِيدٌ، وَظِلَّ الْأَمْنِ مَدِيدٌ، ورأى
الاغتياب [بالوطن]⁴ سديدٌ؛ فما الحجة لنفسي، إذا مرت
بمطارح جفوتها، وملاعب هفوتها، ومناقب⁵ قناتها⁶،
ومظاهر عزاتها⁷ ومنايتها، والزمان¹ وَلَوْ، وزناد الكون
غير صلود²:

¹ في المخطوطين والملكية كتب عوض هذه العبارة: ((الحسنات))؛ بينما هي ساقطة في النفج؛ وق أضيفت من الأزهار. غير أنه كتب في النفج: ((باب)).

² حرفت هذه العبارة في ك؛ فكتبت: ((العمر رد عن ذهاب))؛ وأثبتت من الأزهار.

³ هذا البيت من الوافر.

⁴ أثبتت من النفج والأزهار.

⁵ في النفج والأزهار: ((مناقب)). وفي الريحانة: ((مناقب)).

⁶ في ك: ((قناعتها)).

⁷ في النفج والأزهار: ((عزّاها)). وفي ريحانة الكتاب: ((عراها وهناتها)).

وإذا امرؤ لدغته أفعى مرة
تركته حين يُجرُّ حَبْلَ يَفْرق³
ثم أن المرغّب قد ذهب، والدهر قد استرجع ما
وهب، والعارض قد اشتهب، وآراء⁴ الاكتساب مرجوحة
مرفوضة⁵، وأسماءه على الجوار مخفوضة⁵، والنية مع الله
على الزهد فيما بأيدي الناس معقودة⁶، والتوبة بفضل الله
عز وجل شروطها⁶ غير معارضة⁷ ولا منقودة، والمعاملة
سامرية، ودروع الصبر سابرية⁸، والاقتصاد قد قرت العين
بصحبه، والله قد عوّض⁹ حب الدنيا بمحبته، فإذا
راجعها¹⁰ مثلي من بعد الفراق، وقد رقي لدغتها ألف
راق، وجمعتني بها الحجرة، ما الذي تكون الأجرة، جل

¹ في الريحانة: ((والزمن)).
² في ج: ((صلاد)). وفي الريحانة: ((الكون صلود)). وهذا البيت لصالح
ابن عبد القدوس؛ وهو من بحر الكامل.
³ في ريحانة الكتاب: ((مفرق)).
⁴ نفسه: ((وأدات)).
⁵ في الملكية: ((مرفوعة)).
⁶ في النفج والأزهار: ((وجل منقودة)).
⁷ في الريحانة: ((معتضة)).
⁸ في ك: ((سافرية)). وفي الملكية: ((والمعاملة سامرة، ودروع الصبر سابرة)).
⁹ حرفت في ك؛ فكتبت: ((عرض)).
¹⁰ في ك: ((راجها)).

شأنِي، وقد¹ رضي الوامق وسخط الشاني²، إني إلى الله
الله تعالى مهاجر³، وللغرض⁴ الأدنى هاجر، ولأظعان
السُّرى زاجر، لأحد⁵ إن شاء الله وحاجر، ولكن دعاني
إلى الهوى⁶، لهذا⁷ المولى المنعم هوى، خلعت نعلي
الوجود وما خلعت، وشوق⁸ أمرني فأطعته، وغالب والله
والله صيري فما استطعته، والحال والله أغلب، وعسى
أن لا يخيب المطلب، فإن يسره⁹ رضاه فأمل¹⁰ كمل،
وراحل احتمل، وحاد أشجى الناقة والجمل، وإن كان
خلاف ذلك، فالزمان¹¹ جم العوائق¹²، والتسليم بمقامي
لائق¹³:

¹ في الريحانة والنفج والأزهار: ((وان)).

² معنى الوامق: هو المحب، أما الشاني: فهو المبغض. وفي الريحانة كتب:
كتب: ((أو سخط الشاني)).

³ في المخطوطين: ((هاجر)).

⁴ في الريحانة والنفج والأزهار: ((للغرض)).

⁵ في النفج والأزهار: ((لنجد)).

⁶ نفسيهما: ((للهم)). في الريحانة: ((لكني دعاني إلى الهدى)).

⁷ نفسيهما: ((إلى هذا)). وفي الريحانة: ((إلى المولى)).

⁸ نفسيهما: ((وشوقي)).

⁹ في النفج والأزهار: ((يسر)).

¹⁰ في النفج: ((فأمر)).

¹¹ في الريحانة: ((فالزمان)).

¹² في النفج: ((العلائق)).

¹³ هذا البيت من البحر البسيط.

ما بين غَمُضَةٍ¹ عَيْنٍ وانتباهتها
يُصَرِّفُ² الأمر من حالٍ إلى حالٍ
وأما تفضيله هذا الوطن على غيره³، ليمن طيره،
وعموم خيره، وبركة جهاده، وعمران رياه ووهاده،
بأشلاء عباده وزهاده⁴ حتى لا يفضلهُ إلى أحد الحرمين،
فحقُّ بريٍّ من المين، لكنني⁵ للحرمين جنحت، وفي جو
الشوق إليهما سرحت⁶، فقد⁷ أفضت إلى طريق قصدي
محجته، ونصرتني والمنة⁸ لله حجته، وقصد سيدي أسنى
قصد، توخاه الشكر⁹ والحمد، ومعروفٌ عرف به النكر،
وأمل¹⁰ انتحاه الفكر، والآمال [والحمد لله]¹¹ بعد تمّتار،
والله يخلق ما يشاء ويختار ودعاؤه يظهر الغيب مدد،

¹ في ريحانة الكتاب: ((طرفة)).

² نفسه: ((فَلَّاب)).

³ عبارة ((على غيره)) ساقطة في النفج.

⁴ في الريحانة: ((بأشلاء زهاده)).

⁵ في النفج والأزهار: ((لكنني)).

⁶ نفسيهما: ((سنحت)).

⁷ في الريحانة: ((وقد)).

⁸ في ج: ((والسمة))، وفي ك: ((والسمت))؛ وقد صوبت من النفج والأزهار.

⁹ في النفج والأزهار: ((الحمد والشكر)).

¹⁰ في الريحانة والنفج والأزهار: ((الآمال من فضل الله بَعْدُ ثَمَّتار)).

¹¹ في النفج والأزهار: ((من فضل الله)).

وعدة وعدد، وبره حالي الظعن¹ والإقامة معتملاً²
معتمد³، ومجال المعرفة بفضلته، لا يحصره أحد³،
والسلام⁴). وهو - الآن - بقيد الحياة⁵؛ وذلك ثاني عشر
شعبان؛ عام سبعين وسبعمائة⁶.

¹ في الريحانة: ((حالي الإقامة والظعن)).

² ((في الريحانة، والنفج والأزهار: ((ومعتمد)).

³ في الريحانة والنفج: ((أمد)).

⁴ في الريحانة: ((والسلام الكريم من محبته المثني على كماله؛ فلان)).

ووردت رسالتا: ابن خاتمة وابن الخطيب في نفج الطيب، وأزهار الرياض.

⁵ توفي ابن خاتمة حسب معظم الأقوال في التاسع من شعبان سنة

770هـ/1368م، ويبدو أنه مات في الوقت الذي كان ابن الخطيب يسجل

هذه الترجمة؛ ولم يصله خبر وفاته.

⁶ الموافق لـ 1368م.

أحمد بن عباس

(بن أبي زكريا؛ ويقال (بن زكريا¹. ثبت بخط (بن (التياني؛
(نصارى (النسب، يكنى أبا جعفر.

حاله

كان كاتباً حسن الكتابة، بارع الخط فصيحاً، غزير
الأدب، قوي المعرفة، شارعاً في الفقه، مشاركاً في
العلوم، حاضر الجواب، ذكي الخاطر، جامعاً للأدوات
السلطانية²، جميل الوجه، حسن الخلقة، كلفاً بالأدب،
مؤثراً له على سائر لذاته، جامعاً للدواوين³
العلمية، [معنياً بها]⁴ مقتنياً [للجيد منها]⁵ مغالياً فيها،
نفاعاً من خصه بها⁶، لا يستخرج منها شيئاً، لفرط بخله
بها، إلا لسبيلها، حتى لقد أثرى كثير من الوراقين
والتجار معه فيها، وجمع منها ما لم يكن عند ملك.

¹ يمكن الرجوع إلى ترجمة ابن عباس في كل من: الذخيرة، والبيان
المغرب، والمغرب في حلى المغرب، والذيل والتكملة، ونفح الطيب.

² في الذخيرة: ((الملوكية)).

³ نفسه: ((جماعاً للدفاتر؛ مقتنياً للجيد منها)).

⁴ هذه الإضافة من الملكية.

⁵ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((لحمدها، بحمدها))؛ وصوبت من الذخيرة.

⁶ في الذخيرة ((بشيء منها)).

يساره

يقال أنه لم يجتمع عند أحد من نظرائه ما اجتمع عنده من عين وورق ودفاتر وخرق، وآنية، ومتاع وأثاث وكراع.

مشيخته

روى عن أبي تمام غالب التياني، وأبي عبد الله بن صاحب الأحباس.

نباهته وحظوته

وزرّ لزهير العامري¹؛ الآتي ذكره؛ وآرثاً الوزارة عن أبيه؛ وهي ما هي في قطر [مُتَحَرِّ بينابيع السخلية²، وثرَ بهذه الأمانة³ مستنداً إلى قَعَساء العزّة، فتبنّك⁴ نعيماً كثيراً⁵، تجاوز الله عنه.

¹ نسبة إلى المنصور بن أبي عامر صاحب الدولة العامرية؛ والمستبد أيام الدولة الأموية بقرطبة، وزهير هذا أحد فتيانهم؛ إذ استولى على المرية وأنشأ بها إمارة له؛ بعد وفاة صنوه خيران العامري؛ وذلك ما بين 418هـ/1037م - 428هـ/1036م.

² يقصد بالسخلية: الأراذل والمجهولون.

³ ما بين الحاصرتين حرف في المخطوطتين؛ فكتب هكذا: ((يبحر فينابيع السنجاية وثير بهذا الأمانة)).

⁴ أي استقر في النعيم.

⁵ أي استقر في نعيم كثير.

دخوله غرناطة

الذي اتصل علمي أنه دخل غرناطة منكوباً؛ حسبما يتقرر.

نكته

زعموا أنه كان أقوى الأسباب؛ فيما وقع بين أميره زهير، وبين باديس¹، أمير غرناطة، من المفاودة؛ وفصل صحبه إلى وقم باديس وقبيله، وحطه في حيز هواه وطاعته. وكان ما شاء الله من استيلاء باديس على جملتهم، ووضع سيوف قومه فيهم، وقتل زهير، واستئصال محله، وقبض يومئذ على أحمد بن عباس، وجيء به إلى باديس، وصدره يغلي حقداً عليه، فأمر بحبسه، وشفأؤه الولوغ في دمه، وعجل عليه بعد دون أصحابه من حملة² الأقدام³.

¹ حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((بادس))؛ بينما هو باديس أمير غرناطة الصنهاجي.

² حرفت هذه الكلمة في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((جملة)).

³ حرفت في ت؛ فكتبت: ((الأقدام)).

قال ابن حيان¹: حديث ابن عباس؛ أنه² كان قد
ولَعَ بيت³ شعر صيَّره هَجْواه؛ أوقات لعبه بالشطرنج، أو
مَعْنَى يسنح له مستطيلاً بجده⁴:

عيونُ الحوادث عني نيامٌ

وهَضْمِي على الدَّهر شيء حَرَامٌ

وشاع⁵ بيته هذا عند⁶ النَّاسِ، وغازَهم حتى قلب له
مصراعه بعض الشعراء⁷؛ فقال: ((سيوقظها⁸ قَدْرُ لا يَنام)).
يَنام)). فما كان إلَّا كلاً ولا حتى⁹ تنبَّهت الحواث لهضمه،
لهضمه، انتباهة¹⁰ انتزعت منه نخوته وعزته، وغادرته
أسيراً ذليلاً يرسف في وزن أربعين رطلاً¹¹ من قيده،

¹ هذا النص موجود في الذخيرة.

² ((أنه)) سقطت في المخطوطين، ووردت في ت:

³ حُرِفَت هذه العبارة في المخطوطين؛ فكتبت: ((ولغ بيت)). وفي الذخيرة
كتب: ((أولع)).

⁴ في ج، وت: (((بعده)). وهذا البيت من البحر المتقارب.

⁵ في الذخيرة: (وذاع).

⁶ نفسه: ((في)).

⁷ نفسه: ((الأدباء)).

⁸ نفسه: ((سيوقظنا)).

⁹ في الذخيرة: ((إلا كلاً حتى)).

¹⁰ في ج: ((إنباهة)).

¹¹ سقطت كلمة ((رطلاً)) في الذخيرة.

منزعجاً من عضّه لساقه البَضّة¹، التي تأملت من ضغطة جوربه، يوم² أصبح فيه أميراً مطاعاً أَعْتَى³ الخلق على بابه، وآمنهم بمكره، فأخذه أخذ مليكٍ مقتدرٍ، والله غالبٌ على أمره.

وفاته

قال أبو مروان⁴: كان باديس قد أرجأ قتله مع جماعة من الأسرى، وبذلك في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار من الذهب العين، مالت إليها نفس باديس، إلا إنه عرض ذلك على أخيه بلكين⁵؛ فأنف منه، وأشار عليه بقتله؛ لتوقعه⁶ إثارة فتنة أخرى على يديه، تأكل من ماله ماله أضعاف فديته. قال: فانصرف يوماً من بعض ركباته -

¹ جاءت هذه العبارة في ت؛ هكذا: ((من غضة لسانه العضة)). وكتب في الذخيرة: ((التي طالما تألمت)).

² في الذخيرة: ((غب)).

³ حرفت في ج؛ فكتبت: ((على)). أما في الذخيرة فكتبت: ((أعتى خلق الله الله على بابه؛ وآمنهم لمكر ربّه)).

⁴ هو ابن حيان. وهذا النص موجود في الذخيرة؛ كما سجل بعضه في البيان المغرب، المغرب.

⁵ يكتب - أحياناً - (بلكين) بالكاف؛ وأحياناً أخرى (بلقين) بالقاف؛ لأن قافه تنطق تنطق بحرف أمازيغي مخرجه (بين القاف والكاف)؛ هو أقرب إلى الجيم المصرية.

⁶ حرفت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فكتبت: ((لتفرقه، لتفرنعه)).

مع أخيه¹ - فلما توسط الدار التي فيها أحمد² بقصبة
غرناطة؛ لصق القصر، ووقف هو وأخوه بلكين،
وحاجبه علي بن القروي، وأمر بإخراج أحمد إليه، فأقبل
يرسف في قيده حتى وقف³ بين يديه، فأقبل على سبه
وتبكيته بذنوبه، وأحمد يتلطف⁴ إليه، ويسأله إراحته مما
هو فيه، فقال له: اليوم تستريح من هذا الألم، وتنتقل
إلى ما هو أشد؛ وجعل يراطن أخاه بالبربرية⁵؛ فبان
لأحمد وجه الموت؛ فجعل⁶ يكثر الضراعة، ويضاعف⁷
عدد المال، فآثار غضبه، وهزّ مزراقه⁸، وأخرجه من
صدره؛ فاستغاث الله⁹؛ زعموا، عند ذلك؛ وذكر أولاده

¹ في الذخيرة، والبيان المغرب: ((أخيه بلقين)).
² في الذخيرة: ((أحمد بن عباس))، في البيان المغرب: ((فلما مرّ على
الدار التي فيها ابن عباس)).
³ في الذخيرة والبيان: ((أقيم)).
⁴ نفسهما: ((يُلطّفه ويسأله)).
⁵ في ك: ((بالبارية))، وفي ج: ((بالبرية)). وفي الذخيرة والبيان: ((أخاه بلقين بكلامه)).
⁶ في الذخيرة والبيان: ((وجعل)).
⁷ نفسهما: ((ويُضعف له)).
⁸ في الذخيرة والبيان: ((مزراقته فأخرجها من صدره)). والمزراق هنا:
هو الرمح القصير.
⁹ وردت في ك، وسقطت في ج.

أولاده وحرمه ، للحين أمر باديس بجز رأسه ورمي¹ خارج
خارج القصر.

حدث خادم باديس ، قال²: رأيت جسد ابن عباس
ثاني يوم قتله³، ثم قال لي باديس ، خذ رأسه وواره مع
جسده ؛ قال⁴: فنشئت قبره⁵، وأضفته إلى جسده ،
جسده ، بجانب أبي⁶ الفتوح قتل باديس أيضاً.
وقال لي باديس⁷: ضع عدواً إلى جنب عدو ، إلى
يوم القصاص ، فكان قتل أبي جعفر عشية الحادي
والعشرين من ذي الحجة ؛ سنة سبع وعشرين وأربعمائة⁸،
بعد اثنين وخمسين يوماً من أسره. وكان يوم مات ابن
ثلاثين. نفعه الله ورحمه⁹.

¹ في ك: ((ورومي))، وفي ج، والذخير، والبيان: ((وؤوري)).

² هذا النص موجود في الذخيرة.

³ في الذخيرة: ((يوم قتل)).

⁴ سقطت كلمة: ((قال)) في الذخيرة).

⁵ في الذخيرة: ((صداه)).

⁶ نفسه: ((يجنب قبر أبي...)).

⁷ سقطت كلمة ((باديس)) في الذخيرة.

⁸ الموافق لـ 1035م. وجاء في كتاب الذيل والتكملة: ((مات وهو ابن ثلاثين سنة

وأشهر؛ عشية يوم السبت لعشر بقين من ذي الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة)).

⁹ في ك: ((رحمه الله ونفعه)).

أحمد بن أبي جعفر

(بن محمد بن عطية القضاعي؛ من أهل سرالكنش؛ وأصله القريم
من طرطوشة¹؛ ثم بعث من وانية²؛ يكنى أبا جعفر³).

حاله

كان كاتباً بليغاً، سهل المأخذ منقاد القريحة، سيال الطبع.

مشيخته

أخذ عن أبيه، وعن طائفة كبيرة من أهل مراکش.

نباهته

كتب عن [علي⁴ بن يوسف بن تاشفين، وعن
ابنه⁵ تاشفين، وعن أبي إسحاق⁶ وكان أحظى كتابهم. ثم

¹ طرطوشة: Tortosa. مدينة قديمة في الثغر الأعلى من الأندلس؛ وتتواجد وتتواجد على مصب نهر إيبرو الواقع جنوب غربي برشلونة.

² دانية بالإسبانية Denia؛ وهي أيضاً من المدن الأندلسية القديمة؛ وتربض وتربض على لسان ممتد في البحر جنوب بلنسية. وكانت أيام الطوائف قاعدة لإمارة مجاهد العامري المتغلب على جزر البليار الشرقية.

³ توجد ترجمة أحمد بن أبي جعفر بن عطية في: المعجب، والبيان المغرب (القسم الخاص بالموحدين)، وإعتاب الكتاب، ونفح الطيب، والحلة السيرة، وتاريخ المن بالإمامة.

⁴ كلمة ((علي)) أضافها عنان.

⁵ كلمة ((ابنه)) أضافها عنان. وفي نفح الطيب: ((عن ابنه: تاشفين، وإسحاق)).

⁶ لاحظ هنا عنان بعض الخلط - وهو محق - حين نفى أن يكون صاحب الترجمة أحمد بن جعفر قد كتب عن إسحاق؛ بل كتب عن أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الذي انقرضت في عهده الدولة المرابطية؛

ثم لما انقطعت دولة لمتونة؛ دخل في لفييف الناس، وأخفى نفسه. ولما أثار الماسي¹ الهداية بالسوس، ورمى الموحدين بجرحهم الذي رموا به البلاد، وأعيا أمره، وهزم جيوشهم، التي جهزوها إليه، وانتدب منهم إلى ملاقاته، أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي، في جيش خشن من فرسان ورجاله؛ كان أبو جعفر بن عطية، من الرجالة، مرتسما بالرماية، والتقى الجمعان، فهزم جيش الماسي، وظهر عليه الموحدون². وقتل الدعي المذكور، وعظم موقع الفتح عند الأمير الغالب يومئذ؛ أبو حفص عمر، فأراد إعلام الخليفة عبد المؤمن؛ بما سناه الله، فلم يلتق في جميع من استصحبه من يجلي عنه، ويوفي ما أراحه؛ فذكر له أن فتى من الرماة يخاطر بشيء من الأدب، والأشعار والرسائل؛ فاستحضره، وعرض عليه غرضه.

سنة 541هـ/1146م. بينما الذي كتب عن علي بن يوسف هو والده أبو جعفر بن محمد بن عطية. أما النص في نفج الطيب؛ فقد ذكر فيه: ((وعن ابنه: تاشفين وإسحاق)).

¹ هو محمد بن عبد الله بن هود السلاوي؛ الملقب بالهادي، والمعروف بالماسي - من أهل سلا - الذي ثار ضد الموحدين في رباط ماسة ببلاد السوس؛ ولكنه قتل في وادي ماسة سنة 542هـ/1147م.

² حرفت في ج؛ فكتبت: ((الموحدين)).

فتجاهل، وظاهر بالعجز؛ فلم يقبل عذره، واشتد عليه؛ فكتب رسالة فائقة مشهورة؛ فلما فرغ منها، وقرأها عليه؛ اشتد إعجابه بها، وأحسن إليه، واعتنى به؛ واعتقد أنه ذخرٌ يتحف به عبد المؤمن؛ وأنفذ الرسالة؛ فلما قرئت بمحضر أكابر الدولة؛ عظم مقدارها، ونبه فضل منشيها، وصدر الجواب؛ ومن فصوله الاعتناء بكتابها¹، والإحسان إليه، واستصحابه مكرماً. ولما أدخل على عبد المؤمن؛ سأله عن نفسه، وأحظاه لديه، وقلده خطة الكتابة، وأسند إليه وزارته، وفوض إليه النظر في أموره كلها؛ فنهض بأعباء ما فوض إليه، وظهر فيه استقلاله وغناؤه، واشتهر بأجمل السعي للناس واستمالتهم² بالإحسان، وعمت صنایعه³، وفشا معروفه؛ فكان محمود السيرة، مُنحَب⁴ المحاولات، ناجح المساعي، سعيد المآخذ، ميسر المآرب، وكانت وزارته زينة للوقت، كمالاً للدولة.

¹ في ج: ((بكتابتها))؛ وهو تحريف.

² في ج: ((واستمالاتهم)).

³ الصنائع: مفرد لها صنیعة؛ أي المعروف.

⁴ في نفح الطيب: ((مبخت)).

محتته

قالوا، واستمرت حالته؛ إلى أن بلغ الخليفة عبد المؤمن أن النصارى غزوا¹ قصبة ألمرية، وتحصنوا بها، واقترن بذلك تقديم ابنه يعقوب على إشبيلية؛ فأصبحه أبا جعفر بن عطيه، وأمره أن يتوجه بعد استقرار ولده بها إلى ألمرية. وقد تقدم إليها السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن، وحصر من بها النصارى، وضيق عليهم، ليحاول أمر إنزالهم، ثم يعود إلى إشبيلية، ويتوجه معها مع واليها²، إلى منازله الثائر بها علي الوهبي، فعمل على ما حاوله من ذلك، واستنزل النصارى من ألمرية على العهد بحسن محاولته³، ورجع السيد أبو سعيد إلى غرناطة، مزعجين إليها، حتى يسبق جيش الطاغية، ثم انصرف إلى إشبيلية ليقضي الغرض من أمر الوهبي. فعندما خلا منه الجو، ومن الخليفة مكانه، وجدت حساده، السبيل إلى التدبير

¹ في ل: ((عدو)).

² حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وليها)).

³ في ج: ((ولايته)).

عليه، والسعي به، حتى أوغروا¹ صدر الخليفة،
فاستوزر² عبد المؤمن بن عبد السلام³ بن محمد الكومي.
وانبرى لمطالبة⁴ ابن عطية، وجد في التماس عوراته،
وتشجيع سقطاته، وأغرى به صنايعه، وشحن عليه
حاشيته، فبروا، وراشوا، وانقلبوا؛ وكان مما نقم على
أبي جعفر، نكاة القرّح بالقرّح، في كونه لم يقف في
اصطناع العدد الكثير من اللمتونيين، وانتياشهم من
خمولهم، حتى تزوج بنت يحيى الحمار من أمرائهم،
وكانت أمها زينب بنت علي بن يوسف؛ فوجدوا⁵
السييل بذلك إلى استئصال شأفته [والحكام]⁶. حتى نظم
منهم مروان بن عبد العزيز، طليقه، ومُسترقُّ اصطناعه،
أبياتاً طرحت بمجلس عبد المؤمن⁷:

¹ في المخطوطين: ((وأغرو)).

² في النفج: ((فاستوزر عبد السلام)).

³ في نفج الطيب: ((عبد السلام)).

⁴ في المخطوطين: ((لمطالبتة))؛ فصوبها عنان.

⁵ في المخطوطين: ((فوجد))؛ وصوبها عنان.

⁶ وجدت هذه الكلمة في المخطوطين؛ مع أنها غير ضرورية.

⁷ هذه الأبيات من بحر البسيط؛ وهي موجودة في الحلة السراء، والبيان
المغرب (قسم الموحدين)، ونفج الطيب، وهي من البحر البسيط

قل للإمام¹ أطالَ الله مدَّتَه²
 قولاً تبيينُ لذي لبِّ حقائقه
 إن الزّراجين³ قوم قد وترتهم
 وطالب الثّار لم تؤمن⁴ بوائقه
 وللوزير إلى آرائهم ميلٌ
 لذاك ما كثرت فيهم علائقه
 فبادر الحزم في إطفاء نارهم⁵
 فربما عاق عن أمرٍ عوائقه
 همُ العدوُّ ومن والاهم كهُمُ
 فاحذر عدوك واحذر من يُصادقُه

¹ في ج: ((الأمير)). مع أن الإمام أقرب إلى الصحة. وفي البيان كتبت ((أدام)) بدلا من ((أطال)).

² في البيان المغرب: ((أدام الله مدته)).

³ الزراجين مفردا زرجان: طائر أبيض الريش، أسود البطن؛ شبه به المهدي المهدي بن تومرت اللمتونيين المرابطين؛ قاصداً أن قلوبهم سود ولباسهم أبيض. ⁴ في ك: ((توقد)). أما كلمة: ((بوائقه))؛ فتعني دواهيته، أو دهاته؛ لأن البوائق؛ ومفردا بانقة؛ هي الداهية.

⁵ في الحلة السيرة كتبت كلمة ((إحماد)) بدلا من كلمة ((إطفاء)). أما كلمة كلمة ((نارهم))؛ فكتبت عوضاً عن كلمة ((نورهم)) التي وردت في البيان المغرب.

الله يعلم أني ناصح لكم
والحق أبلغ لا تخفى طرائقه¹

قالوا: ولما وقف عبد المؤمن على هذه الآيات
البليغة في معناها؛ وغر صدره على وزيره الفاضل² أبي
جعفر، وأسر له في نفسه تغيراً؛ فكان ذلك من أسباب
نكبته. وقيل أفضى إليه بسر فأفشاه³. وانتهى ذلك كله إلى
أبي جعفر؛ وهو بالأندلس؛ فقلق، وعجل بالانصراف⁴
إلى مراكش؛ فحجب عند قدومه، ثم قيد إلى المسجد
في اليوم الثاني⁵ بعده، حاسر العمامة، واستحضر الناس
على طبقاتهم وقرروا ما يعلمون من أمره⁶ وما صار إليهم
إليهم منه⁷؛ فأجاب كل بما اقتضاه هواه، فأمر⁸ بسجنه،
ولف معه أخوه أبو عقيل عطية، وتوجه عبد المؤمن - في

¹ سقط هذا البيت في البيان المغرب.

² سقطت كلمة ((الفضل)) في نفح الطيب.

³ في ك: ((فأفشى)).

⁴ في النفج: ((عجل الانصراف)).

⁵ سقطت كلمة: ((الثاني)) في نفح الطيب.

⁶ في المخطوطين: ((من أمره))؛ وصوبت من الاستقصاء.

⁷ في النفج: ((إليه منهم)).

⁸ نفسه: ((وأمر)).

إثر ذلك - زائراً إلى تربة المهدي¹. فاستصحبهما منكويين بحال ثقاف، وصدرت عن أبي جعفر - في هذه الحركة - من لطايف الأدب؛ نظماً ونثراً في سبيل التوسل بتربة إمامهم²؛ عجائب لم تُجد³، مع نفوذ قدر الله فيه؛ ولما ولما انصرف من وجهته أعادهما معه، قافلاً إلى مراكش، فلما حاذى⁴ تاقمرت⁵، أنفذ الأمر بقتلهما، بالشعراء المتصلة بالحصن؛ على مقربة من الملاحه هنالك، فمضيا لسيلهما رحمهما الله⁶.

شعره وكتابه

كان مما خاطب به الخليفة عبد المؤمن؛ مستعطفاً كما قلناه من رسالة: ((تالله لو أحاطت بي⁷ خطيئة، ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة، حتى سخرت بمن في

¹ في النفج: ((تربة المهدي محمد بن تومرت)).

² نفسه: ((إمامهم المهدي)).

³ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((توجد)). أما في النفج فكتب: ((لم تجد شيئاً)).

⁴ في ج: ((حادث))، وفي ل: ((حاد)).

⁵ توجد في بلاد المغرب مواضع عديدة تسمى تاقمرت؛ منها هذا الموقع المذكور، وفي نواحي توزر بالجريد مكان يسمى تاقمرت، ونواحي تونس توجد قمرت؛ وفي سوف بالجزائر بلدة تسمى قمار؛ كما توجد في بلد السوان الغرب بلدة تسمى أيضاً قمار.

⁶ في النفج: ((الله تعالى)).

⁷ نفسه: ((بي كل خطيئة)).

الوجود، وأنفت لأدم من السجود، وقلت إن الله لم يوح إلى¹ الفلك إلى نوح، وبريت لقرار² ثمود نبلاً، وأبرمت لخطب نار الخليل حبلاً، وحططت³ عن يونس شجرة اليقطين، وأوقدت مع هامان على الطين، وقبضت قبضةً [من الطير]⁴ من أثر الرسول فنبذتها، وافترت على العذراء البتول⁵ فقذفتها، وكتبت صحيفة⁶ القطيعة بدار الندوة، وظهرت الأحزاب بالقصوى من العدو، وذمت كل قرشي، [وأكرمت لأجل وحشي كل حبشي]⁷، وقلت إن بيعه السقيفة⁸ لا توجب لإمام⁹ خليفة، وشحذت شفرة غلام¹⁰ المغيرة

¹ في النفج: ((في الفلك لنوح)).

² نفسه: ((لقدار)). وقدار ثمود: هو الذي عقر ناقة ثمود

³ في المخطوطين: ((انحططت))؛ فصوبها عنان.

⁴ هاتان الكلمتان أغفلتا في ج، ونفج الطيب.

⁵ العذراء البتول: هي السيدة مريم أم المسيح عيسى عليه السلام.

⁶ وهي صحيفة القطيعة التي كتبها المشركون من قريش لمقطعة بني هاشم؛ ثم علقت في الكعبة.

⁷ في المخطوطين: ((وأكرمت لأجل كل وحشي))؛ فصوبها عنان ووحشي: هو قاتل سيدنا حمزة - عم رسول الله صلى الله عليه وسلم - في غزوة أحد؛ وقد أسلم فيما بعد وهو الذي قتل مسيلمة الكذاب؛ في حرب الردة.

⁸ سقطت هذه الكلمة في ج.

⁹ في ك: ((إمام)). وفي النفج: ((إمامة الخليفة)).

¹⁰ غلام المغيرة: هو أبو لؤلؤة قاتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

1 بن شعبة¹، واعتقلت² من حصار الدار وقتل
أشمطها³ بشعبة، وغادرت الوجه من الهامة خضياً،
وناولت من قرع سن الخمسين⁴ قضياً، ثم أتيت حضرة
المعصوم⁵؛ لائذاً وبقبر الإمام المهدي؛ عائداً⁶ لقد آن
لمقاتلي أن تسمع، وأن⁷ تغفر لي هذه الخطيئات أجمع⁸؛
فعفوا أمير المؤمنين فمن لنا
بحمل⁹ قلوب هذها الخفقانُ

¹ ما بين الحاصرتين سقط في ج.

² في النفج: ((واعتلقت)).

³ في المخطوطين: ((شمطها)). يقصد بأشمط الدار عثمان بن عفان رضي الله عنه. والأشمط: الذي خالط شعر الرأسه البياض والسواد.

⁴ في النفج: ((الحسين)).

⁵ نفسه: ((المعلوم)).

⁶ في ك: ((لائدا)).

⁷ في النفج: ((وتغفر)).

⁸ البيت التالي من البحر الطويل.

⁹ في النفج: ((سابقة)).

[وكتب مع ابن له صغير آخرة]¹:

عطفاً علينا أمير المؤمنين فقد
بان العزاء لفرط البَثِّ والحزنِ
قد أغرقتنا ذنوبٌ كلّها لججٌ
وعطفةٌ منكم أنجى من السَّقَنِ
وصادفتنا سهامٌ كلّها غرضٌ
لها ورحمتكم² أوقى من الجنِّ
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه
بمن أجازته رحماك من المحن
من جاء عندكم يسعى على ثقة
بنصره لم يخف بطشاً من الزّمن
فالثوب يطهر بعد³ الغسل من درن
والطرف ينهض بعد الرّكض من وسن

¹ هذه العبارة الواردة بين حاصرتين سقطت في الإحاطة؛ ونقلها الدكتور طویل من نفح الطيب، وهي ضرورية؛ لأنها تفصل بين البيت السابق الموزون في البحر الطویل؛ والقصيدة الموالية التي هي من البحر البسيط؛ بالإضافة إلى أن روي النون في البيت السابق مرفوع بالضمّة؛ بينما يأتي روي القصيدة التالية بنون مكسورة.

² جاء هذا الشطر في نفح الطيب هكذا: ((لها ورحمة منكم أوقى من الجن)).

³ في النفج: ((عند)).

أنتم بذلتهم حياة الخلق كلهم
من دون من عليهم لا ولا ثمن
ونحن من بعض من أحيت مكارمكم
تلك الحياتين من نفسٍ ومن بدن
وصببة كفراخ الورق من صغر
لم يألّفوا النوح في فرع ولا فَنَن
قد أوجدتهم¹ أيادٍ منك سابغة²
والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

ومن فصول رسالته التي كتب بها عن أبي حفص؛
وهي [التي]³ أورثته الكتابة العلية، والوزارة كما تقدم
قوله: ((كتبنا هذا من وادي ماسة؛ بعد ما تزحزح⁴ أمر
الله الكريم، ونصر الله المعلوم⁵، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ

¹ في المخطوطين: ((أوجدتهم))؛ وصوبت من الاستقصاء.

² في النفج: ((سابقة)).

³ هذه الكلمة سقطت في المخطوطين.

⁴ في النفج: ((ما تجدد)).

⁵ نفسه: ((المعهود المعلوم)).

اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ¹. فتح بمسرى² الأنوار إشراقاً، وأحرق
بنفوس المؤمنين إحداقاً، ونبه للأمانى النائمة جفوناً
وأحداقاً، واستغرق غاية الشكر استغراقاً، فلا تطيق
الألسن كنه³ وصفه إدراكاً ولا لحاقاً، جمع أشتات الطب⁴
والأدب وتقلب في النعم أكرم منقلب، وملاً دلاء الأمل
إلى عقد الكرب⁵:

فَتَحْ تَفْتَحْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ
وَتَبَرَّزْ الْأَرْضُ فِي أَنْوَابِهَا الْقُشْبِ

وتقدمت بشارتنا به جملة، حين لم تعط الحال
بشرحه مهلة. كان أولئك الضالون المرتدون قد بطروا؛
عدواناً وظلماً، واقتطعوا الكفر معنًى واسماً، وأملى لهم
الله ليزدادوا إثماً⁶؛ وكان مقدمهم الشقي قد استمال

¹ الآية كاملة هكذا: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾. سورة آل عمران؛ الآية: 126.

² في النفج: ((فتح بهر الأنوار)).

³ حرفت في ك؛ فكتبت: ((الا لكنه)). ((يكنه)).

⁴ في النفج: ((الطلب)).

⁵ هذا البيت لأبي تمام؛ وهو من البحر البسيط.

⁶ وردت في ج، وسقطت في ك.

النفوس بِخُزَعْبَلَاتِهِ، واستهوى القلوب بمهولاته،
ونصب [له]¹ الشيطان من حبالاته، فأتته المخاطبة² من
بُعد وكَثَب، ونَسَلَتْ إليه الرّسل³ من كل حَدَب،
واعتقدته الخواطر أعجب عجب، وكان الذي قادهم
لذلك⁴، وأوردتهم تلك المهالك، وصول من بتلك⁵
السواحل، ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس، فيما
سلف من الأعوام، واشتغل على رُغمه⁶ بالصّيام والقيام،
والقيام، آناء الليل⁷ والأيام، لبسوا الناموس أثواباً،
وتدرعوا الرياء جلباباً، فلم يفتح الله لهم إلى التوفيق⁸
باباً)). ومنها في ذكر صاحبهم⁹: ((فصرع والحمد لله¹⁰
لحينه، وبادرت إليه بوادر منونه، وأتته وافدات

¹ وردت في ج، وأغفلت في ك.

² في النفج: ((المخاطبات)).

³ في ك: ((الرمل)).

⁴ في النفج: ((إلى ذلك)).

⁵ نفسه: ((من كان بتلك)).

⁶ نفسه: ((على رُغمه بالقيام والصيام)).

⁷ نفسه: ((الليالي)).

⁸ نفسه: ((بالتوفيق)).

⁹ هو محمد الماسي.

¹⁰ في النفج: ((بحمد الله)).

الخطيئات عن يساره، ويمينه، وكان¹ يدعي أن المنية في هذه الأعلام لا تصيبه، ويزعم أنه يبشر بذلك والنواب لا تنوبه، ويقول في سواه قولاً كثيراً، ويخلق² على الله إفكاً وزوراً، فلما عاينوا³ هيئة اضطجاعه، ورأوا ما خطته⁴ الأسنة في أعضائه⁵، ونفذ فيه من أمر الله ما لم لم يقدروا على استرجاعه، هزم لهم من كان لهم من الأحزاب، وتساقطوا على وجوههم كتساقط⁶ الذباب، وأعطوا عن بكرة⁷ أبيهم صفحة⁸ الرقاب، ولم تقطر كلومهم إلا على الأعقاب⁹، فامتألت تلك الجهات بأجسادهم، وأذنت¹⁰ الآجال بانقراض آمالهم¹¹،

¹ في النفج: ((قد كان يدعي أنه بُشِّرَ بأن المنية لا تصيبه)).

² في المخطوطين: ((ويخلق))؛ فصوبها عنان.

³ في النفج: ((رأوا)).

⁴ في ك: ((خطيته)). وفي النفج: ((وما خطته)).

⁵ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت في ج: ((أعطيه))، وفي ك: ((أعطابه)).

وفي النفج: ((أعضائه وأضلاعه)).

⁶ نفسه: ((تساقط)).

⁷ في ج: ((الكرة)).

⁸ في النفج: ((صفحات)).

⁹ وهذه كناية عن جبنهم واختيارهم للفرار، وأخذ هذا القول عن بيت لأبي لأبي تمام: فَلَسْنَا عَلَى الْأَهَابِ تَدْمَى كُلُّومُنَا * وَلَكِنْ عَلَى أَعْنَاقِنَا يَقْطُرُ الدِّمَاءُ

¹⁰ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وأذنت))، وفي النفج: ((أذنت)).

¹¹ في النفج: آمادهم).

وأخذهم الله بكفرهم وفسادهم ؛ فلم يعاين منهم إلا من
 خرّ صريعاً¹، وسقى الأرض نجيعاً²، ولقي من وقع³
 الهنديات أمراً فظيعاً، ودعت الضرورة باقيهم إلى الترامي
 في الوادي، فمن كان يؤمل الفرار منهم ويرتجيه، ويسبح
 طامعاً في الخروج إلى ما ينجيه، اختطفته الأسنة
 اختطافاً، وأذاقته موتاً دُعا⁴، ومن لج في الترامي
 على لججه، ورام البقاء في ثجه⁵، قضى عليه شرقه،
 وألوى فرقته⁶ غرقه⁷. ودخل الموحدون إلى الباقية⁸
 الكائنة فيه، يتناولون قتالهم طعناً وحرباً⁹، ويلقونهم
 بأمر الله هوناً¹⁰ عظيماً وكرباً، حتى سطت¹¹ مراقات
 الدماء على صفحات الماء، وحكت حمرتها على زُرْقه،

¹ في المخطوطين: سريعا؛ فصوبها عنان.

² النجيع: هو الحم.

³ في النفج: ((من أمر الهنديات فظيعاً)).

⁴ أي القاتل مباشرة وفوراً. ويقولون: ((السُّمُّ الدُّعاف))؛ أي القاتل فور تناوله.

⁵ في النفج: ((ثجه)).

⁶ في النفج: ((بذقه)).

⁷ في ج: (عرقه)).

⁸ في النفج: ((البقية)).

⁹ في ك، والملكية، والنفج: ((ضرباً)).

¹⁰ في النفج: ((هولاً)).

¹¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت في ج: ((أسطت))، وفي ك: ((أسمطت)).

وفي النفج: ((حتى انبسطت مراقات الداء)).

حمرة الشفق على زُرُق¹ السماء، وظهرت² العبرة
للمعتبر، في جري الدماء جَرِي³ الأبحر)).

دخوله غرناطة

احتل بغرناطة عام إحدى وخمسين وخمسمائة⁴، لما
استدعى أهل جهات ألمرية، السيد [أبا سعيد]⁵ إلى منزلة
منزلة من بها النصارى، وحشد، ونزل عليها، ونصب
المجانيق على قصبتها، واستصرخ من بها الطاغية⁶، فأقبل
إلى نصرهم، واستمد السيد أبو سعيد الخليفة؛ فوجه إليه
الكبير أبا جعفر بن عطية صحبة السيد أبي يعقوب ابنه؛
فلحق به، واتصل الحصار شهوراً سبعة، وبذل الأمن لمن
كان بها، وعادت إلى ملكة الإسلام، وانصرف الوزير أبو
جعفر صحبة السيد أبي يعقوب إلى إشبيلية، وجرت أثناء

¹ في النفج: ((زرقة)).

² نفسه: ((وجرت)).

³ في المخطوطين: ((تجري))؛ فصوبها عنان. وفي النفج: ((وجرت الدماء
جري الأبحر)).

⁴ الموافق لـ 1156م.

⁵ وردت هذه العبارة في ك؛ بينما أغفلت في ج.

⁶ أي ملك قشتالة ألفونسو ريموندس الذي حكم من 520هـ/1126م - 552هـ/1157م.
552هـ/1157م. كان ألفونسو هذا قد انتزع المرية من قبضة المرابطين سنة
542هـ/1147م. ولما قامت دولة الموحدين أعادوها في رحاب الإسلام سنة
552هـ/1157م.

هذه أمور يطول شرحها، ففي أثناء هذه الحركة دخل أبو
جعفر غرناطة، وعُدَّ فيمن ورد عليها.

مولده

بمراكش عام سبعة وعشرين وخمسمائة¹.

وفاته

على حسب ما تقدم ذكره، لليلة بقيت من صفر؛
سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة².

¹ الموافق لـ 1132م. وربما يكون ابن الخطيب قد أخطأ؛ لأن ابن الأبار قال أنه ولد سنة 517هـ/1123م. وكتب في الحلة السيرة: ((مولده سنة سبع عشرة وخمسمائة)).
² الموافق لـ 1158م.

محمربن شعيب

(اليرباني؛ من أهل ناس؛ يكنى أبا العباس؛ ويعرف بابن شعيب؛
من لريانة؛ قبيلة من قبائل الريف الغربي)¹.

حاله

من عائد الصلة²: من أهل المعرفة بصناعة الطب،
وتدقيق النظر فيها، مشاركاً في الفنون، وخصوصاً في
علم الأدب، حافظاً للشعر، ذكر أنه حفظ منه عشرين
ألف بيت للمحدثين، والغالب عليه العلوم الفلسفية، وقد
مقت لذلك، وتهتك في علم الكيمياء، وخلع فيه العذار،
فلم يحل بطائل، إلا أنه كان تفوّه³ بالوصول، شنشنة
المفتونين بها على مدى الدهر. وله شعر رائع، وكتابة
حسنة، وخط ظريف. كتب في ديوان سلطان المغرب
مُرئساً، وتسرى جارية رومية إسمها صبح؛ من أجمل
الجواري حسناً، فأدبها حتى لقنت حظاً من العربية،
ونظمت الشعر؛ وكان شديد الغرام بها، فهلك أشد ما

¹ في ج: ((العربي))؛ وصوبت من الملكية، لأن قبائل الريف المغربية هي أمازيغية.

² كتاب لابن الخطيب؛ سبقت الإشارة إليه.

³ هكذا.

كان حباً لها، وامتداد أمل فيها؛ فكان بعد وفاتها لا يُرى
إلا في تأوُّه دائم، وأسف متمادٍ، وله فيها أشعار بديعة
في غرض¹ الرثاء.

مُشِختَه

قرأ في بلده فاس؛ على كثير من شيوخها،
كالأستاذ أبي عبد الله بن أجروم نزيل فاس، والأستاذ
أبي عبد الله بن رُشيد². ووصل إلى تونس؛ فأخذ منها
الطب والهيئة على الشيخ رُحْلة³ وقته في تلك الفنون،
يعقوب بن الدُّرَّاس. وكان مما خاطب به الشيخ أبا جعفر
ابن صفوان؛ وقد نشأت بينهما صداقة؛ أوجبها القدر
المشترك؛ من الولوع بالصنعة المرموزة؛ يتشوق إلى جهة
كانوا [يخلون بها]⁴ للشيخ؛ فيها ضيعة بخارج مالقة؛
كلأها الله⁵:

¹ في المخطوطين: ((عرض)).

² في ك: ((رشد)).

³ يقصد: رحالة.

⁴ وردت هذه العبارة هكذا في ج؛ بينما أغفلت في ك.

⁵ هذه القصيدة من بحر المتقارب.

رعى الله وادي شنيانة
وتلك الغدايا¹ وتلك الليال²
ومسرحنا بين خضر الغصون
وودق المياه وسحر الظلال
ومرتعنا تحت أدواحه
ومكرعنا في النмир³ الزلال
نشاهد منها كعرض الحسام
إذا ما انتشت فوقه كالعوال⁴
ولله من دُرِّ حصائيه
لآلٍ وأحسن بها من لآلٍ
وليلٍ به في ستور⁵ الغصون
كخودٍ ترنم فوق الحجال
وأسحاره كيف راقبت وصـ
ح النسيم بها في اعتدال

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((العذايا)).

² صوبها الدكتور الطويل؛ فجعلها: ((الليالي)).

³ في لئ: النهر.

⁴ جعلها الدكتور طويل: ((كالعوالي)).

⁵ في المخطوطين: ((الستور)).

والله منك أبا جعفر
عميد¹ الحلال حميد الخلال
تطارحني برموز الكنوز
وتسفر لي عن معاني المعال
وتبدلني² في شجون الحديث
ويا طيبة كل سحرٍ حلالٍ
فألقط من فيك سحر البيان
مجيباً به عن عريض النوال
أفدت الذي دونها معشرٌ
كثير المقال قليل النوال
فأصبحت لا أبتغي بعدها
سواك وبعدكما لا أبال³

وخاطب الفقيه العالم أبا جعفر بن صفوان يسأله
[عن⁴ شيء من علم الصناعة بما نصه⁵:

¹ في ل: ((عيد)).

² في الملكية: ((وتبدل لي)).

³ جعلها الدكتور طويل: ((لا أبالي)).

⁴ سقطت هذه الكلمة في ل.

⁵ هذا البيت من بحر الكامل.

دار الهوى نجد وساكنها
أقصى أمانى النفس من نجد
ومما صدر به رسالة¹:

أجمع هذا الشمل بعد شتاته
ويوصل هذا الحبل بعد انبتاته
أما للبلى آية عيسوية
فينشر ميّت الأنس بعد مماته
ويورد عيني بعد ملح مدامعي
برؤيته في عذبه وفراته
وأنشد له صاحبنا الفقيه الجليل صاحب العلامة² بالمغرب،
أبو القاسم بن صفوان قوله³:

يا رب ظبي شعاره نساك
الحاظه في الورى لها فتك

¹ هذه الأبيات من بحر الطويل.

² صاحب العلامة موظف سامي بالبلاط، يتولى التوقيع - بالنيابة عن السلطان - على الوثائق والمراسلات السلطانية.

³ هذه الأبيات من بحر المنسرح.

يترك من هام به مكتئباً
 لا تعجبوا أن قومته الترك
 أشكوله ما لقيت من حرق
 فيمش¹ لاهياً إذا أشكو
 صبرت حتى أطل عارضه
 فكان صبري ختامه مسك
 ومن المعاتبة والفكاهة قوله²:
 وبائع للكتب يبتاعها
 بأرخص السَّوْمِ وأغلاه
 في نصف الاستذكار أعط
 يُثِّه ومحض العين وأرضاه
 وله أيضاً³:
 يا من توعدي بحادث هجره
 إن السلو لدون ما يتوعد

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فشى، فشا))؛ وقد صوبت من الملكية، وقد عدلها الدكتور طويل؛ فأصبحت: ((فيمَشِين))؛ وهذا أسلم.

² هذان البيتان من بحر السريع.

³ هذه الأبيات من بحر الكامل.

هذا عذارك وهو موضع سلوتي
فأكفف فقد سبق الوعيد الموعد
وأظن سلوتنا غداً أو بعده
فبذاك خبرنا الغراب الأسود
وله أيضاً¹:

قال العذول تنقصاً لجمالها
هذا حبيبك قد أطل عذاره
لا بل بدا فصل الربيع بخده
فلذا تساوي ليله ونهاره
وله يرثي²:

يا قبر صبحٍ حل في
لك بمهجتي أسنى الأمان³
وغدوت بعد عيائها⁴
أشهى البقاع إلى العيان

¹ هذان البيتان من بحر الكامل.

² هذه الأبيات من مجزوء الكامل.

³ في ج: ((الأماني)). وهي أسلم.

⁴ في ت: ((بقاعها)).

أخشي المنية إنها
[تقصي]¹ مكانك عن مكان²
كم بين مقبور بفا
س وقابر بالقيروان
وله أيضاً يرثها³:

يا صاحب القبر الذي أعلامه
[درست]⁴ وثابت حبه لم يدرس
ما اليأس منك على التصبر حاملي
أيأستني فكأنني لم أيأس
لما ذهبت بكل حسن أصبحت
نفسي تعاني شجو كل الأنفس
أصبح أيامي ليال كلها⁵
لا تتجلي عن صبحك المتنفس

¹ في المخطوطين؛ كتيبت: ((تصفي))، وفي ت: ((تنفي))؛ وصوبها عنان.

² صوبها الدكتور طويل فكتبها: ((مكاني)).

³ هذه الأبيات من بحر الكامل.

⁴ هذه الإضافة من الملكية.

⁵ حرف هذا الشطر في المخطوطين فجاء هكذا: ((صبح أيامي ليل كلها))، وفي ت: ((صبح أيامي كلها ليل)).

وقال في ذلك¹:

أَعْلَمْتُ مَا صَنَعَ الْفَرَا²
قُ غَدَاةَ جَدٍّ بِهِ الرَّفَاقُ³
وَوَقَفْتُ مِنْهُمْ حَيْثُ لِلْنَا
ظِرَاتٍ وَالذَّمْعُ اسْتَبَاقُ
سَبَقْتُ مَطَايَاهُمْ فَمَا
أَبْطَى⁴ بِنَفْسِكَ فِي السَّبَاقِ
أَطَقْتُ حَمْلَ صُدُودِهِمْ
لِلْبَيْنِ خَطْبٌ لَا يُطَاقُ
عَنْ ذَاتِ عِرْقٍ أَصْعَدُوا
أَتَقُولُ دَارُهُمْ⁵ الْعِرَاقُ

¹ هذه القصيدة من مجزوء الكامل.

² حُرِفَتْ فِي ك؛ فَكُتِبَتْ: ((الْفَرِيقُ)).

³ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ: ((الْفَرَاقُ)) لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ؛ وَصُوِبَتْ مِنْ ت:

⁴ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ: ((أَبْطَى))؛ وَصُوِبَتْ مِنْ ت، وَجَعَلَهَا دَ طَوِيلًا: ((أَبْطَا))؛

لَأَنَّهَا خَفَفَتْ عَنِ الْأَصْلِ، وَهَذَا صَحِيحٌ.

⁵ حُرِفَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ؛ فَكُتِبَتْ: ((وَرَاهُمْ)).

نزلوا [ببرقة ثمهد]¹
 فلذاك ماشئت البراق²
 وتيامنوا عسقان أن
 يققوا بمجتمع الرفاق
 ما ضرهم وهُم المُنَى
 لو وافقوا بعض الوفاق
 قالوا تفرقنا غداً
 فشغلت عن وعد التلاق
 عمداً³ رأوا قتل العمي—
 د فكان عيشك في اتفاق
 أولى لجسمك⁴ أن يرق⁵
 ودمع عينك أن يُراق

¹ حرفت هذه العبارة في النسخ الثلاث؛ كما كتبت في الملكية: ((ببرقة ثمهد)).

² هكذا ورد هذا الشطر في ت: ((فلذاك مشئت البراق)).

³ في المخطوطين: ((عدا)).

⁴ في الملكية: ((جسمك)).

⁵ في المخطوطين: ((يرنى))، وفي الملكية: ((يروق)).

أما الفؤاد فعندهم
دَعَاهُ ودَعَاوَى الاشتياق
أعتَادَ حُب¹ محلهم
فمحلُّ صَدْرِكَ عَنْهُ ضَاقَ
واهياً لسالفَةِ الشَّبَا
بِ مَضَتْ بِأَيَّامِي الرَّقَاقِ
أَبْقَتْ حَرَارَةً لَوَعَةً
بَيْنَ التَّرَايِبِ والتَّرَاقِ
لا تَتَطَفَى وَوُرُودِهِمَا
مَنْ أَدْمَعِي كَأْسٌ دِهَاقِ

وقال أيضاً²:

يا موحشي والبُعْدُ دونَ لِقَائِهِ
أَدْعُوكَ عَنْ شَحَطٍ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ

¹ في ت: ((حجب)).

² هذه الأبيات من بحر الكامل.

يُذْنِيكَ مِنِّي الشَّوْقُ حَتَّى إِنِّي
لَأُرَاكَ رَأْيَ الْعَيْنِ لَوْلَا أَدْمُعِي
وَأَجِنُّ شَوْقاً لِلنَّسِيمِ إِذَا سَرَى
لِحَدِيثِكُمْ وَأَصِيحُ كَالْمُسْتَطْلَعِ
كَانَ اللَّقَا¹ فَكَانَ حَظِّي نَاطِرِي
وَسَطَ الْفُرَاقِ فَصَارَ حَظِّي مَسْمَع²
فَابْعَثْ خِيَالَكَ تَهْدِيهِ نَارُ الْحَشَا
إِنْ كَانَ يَجْهَلُ مِنْ مَقَامِي مَوْضِع³
وَأَصْحَبَهُ مِنْ نَوْمِي بِتُحَقَّةٍ قَادِمِ
فَصَدَى قَلِيلِ رِكَابِكُمْ لَمْ تَجْمَع⁴

¹ جعلها د طويل: ((اللقاء))؛ وهو أسلم.

² صوبها د طويل فجعلها: ((مَسْمَعِي)).

³ صوبها د طويل؛ فكتبها: ((مَوْضِعِي)).

⁴ في المخطوطين حرف هذا الشطر فجاء هكذا: ((فصدا سفلى ركايبكم لم جمع)).

دخوله غرناطة

دخل غرناطة على عهد السابع من ملوكها؛ الأمير محمد¹؛ لقرب من ولايته في بعض شئونه؛ وحقق² بها تغيير أمر الأدوية³ المنفردة؛ التي يتشوف الطيب إليها، والشحرور؛ وهي بقرية شون⁴؛ من خارجها.

وفاته رحمه الله

توفي بتونس؛ في يوم عيد الأضحى؛ من سنة تسع وأربعين وسبعمائة⁵.

¹ حدث خطأ هنا. إذ أن محمدا بن إسماعيل بن فرج هو السلطان السادس بين سلاطين بني نصر؛ وقد حكم من سنة 725هـ إلى 733هـ. أما السابع فهو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج؛ الذي حكم من سنة 733هـ إلى 755هـ.

² حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((وخفق)).

³ هذه الكلمة أسلم في نظر عنان؛ لأن صاحب الترجمة طيب؛ بينما يشك في كلمة ((الدولة)) التي وردت في المخطوطين.

⁴ أصبحت هذه القرية تسمى Jun؛ وهي تقع في أطراف غرناطة؛ من ناحية الشمال الشرقي.

⁵ 1348م.

أُحمر بن عبر الله

(بن محمر بن أُحمر بن محمر بن أُحمر بن محمر بن حسين بن علي
(بن سليمان بن عرفة¹ اللخمي الفقيه، الرئيس، المتفنون،
حامل راية مذهب² الشعر في وقته، (المشار إليه بالبنان)³
في ذلك ببلده، يُكنى أبا العباس).

حاله

كان فذاً في الأدب، طرفاً في الإدراك، مهذب
الشمائل، ذلق اللسان، ممتع المجالسة والمحاضرة، حلو
الفكاهة، يرمي كل غرضٍ بسهم، إلى شرف النشأة⁴ وعز
المرتبة، وكرم المحتد، وأصالة الرياسة.

حدثني الشيخ أبو زكريا بن هذيل، قال: حضرت
بمجلس ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم، وأبو
العباس بدر هالته، وقطب جلالته، فلم يحر بشيء⁵ إلا
ركض فيه، وتكلم بملء فيها. ثم قمنا إلى زبارين⁶

¹ في ك: ((ابن أبي عرفة)).

² في ك: (مهذب).

³ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بالبیان)).

⁴ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الشاة)).

⁵ في ج: ((شيء)).

⁶ في ك: ((زبارين)).

يصلحون شجرة عنب، فقال لعريفهم حق هذا أن يقصر،
ويطال هذا، ويعمل كذا. فقال الوزير، يا أبا العباس ما
تركت لهؤلاء أيضاً، حظاً من صناعتهم، يستحقون به
الأجرة، فعجبنا من استحضاره¹ ووساعة² ذرعه، وامتداد
حظ كفايته.

قدومه على غرناطة

قدم عليها مع الجملة من قومه عند تغلب الدولة
النصرية على بلدهم، ونزول البلاء والغلاء والمحنة بهم،
والجلاء بهم في آخر عام خمسة وسبعمائة، ويأتي
[التعريف بهم]³، بعد إن شاء الله، وكان أوفر الدواعي
في الاستعطاف لهم بما تقدم بين يدي أدعيائهم⁴،
ودخولهم على السلطان، [أن]⁵ الذي تنخل⁶ بمثله

¹ في المخطوطين: ((استحضاره)).

² أي سعة ذرعه، وقد حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((ساعة.))، وكذلك
في ت: ((واساعة)).

³ هذه العبارة أضافها عنان.

⁴ في المخطوطين: ((إدعاهم.))، وفي الملكية: ((أدعاهم)).

⁵ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.

⁶ في ج: ((تنحل)).

السخائم، وتذهب الإحن¹، وخطب لنفسه، فاستمرت،
حاله لطيف المنزلة، معروف المكانة، ملازماً مجلس مدير
الدولة، مرسوماً بصداقته²، مشتملاً عليه بیره، إلى أن
كان من تقلب الحال، وإدالة الدولة، ما كان.

شعره

وشعره نمطٌ عال، ومحل البراعة حال، لطيف
الهبوب، غزير المائة³، أنيق الديباجة، جم المحاسن، فمنه
في مذهب المدح، يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله بن
الحكيم⁴:

¹ في ج: ((الأجر))، وفي ت: الأخر)).

² في ك: ((صدقاته)).

³ حرفت في النسخ الثلاثة؛ فكتبت: ((المافية)).

⁴ هو أبو عبد الله ذو الوزارتين محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم اللخمي؛ ولد برندة سنة 660هـ/1261م وتوفي مقتولاً سنة 708هـ/1308م. تولى الوزارة في غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد ابن محمد بن نصر. وقد خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة، والقصيدة التالية من بحر الكامل.

تَمَلَّكَتَ¹ رَقِيَّ بِالْجَمَالِ فَأَجْمَلَ
وَحَكَمْتَ قَلْبِي² بِجَوْرِكَ³ فَأَعْدَلَ
أَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمَلَا حِ وَمَنْ يَجُرُّ
فِي حُكْمِهِ إِلَّا جُفُونُكَ يُعْزَلُ
إِنْ قِيلَ أَنْتَ الْبَذْرُ فَالْفَضْلُ الَّذِي
لَكَ بِالْكَمَالِ وَنَقْصِهِ لَمْ يُجْهَلْ
لَوْلَا الْحُظُوظُ⁴ لَكُنْتَ أَنْتَ مَكَانَهُ
وَلَكَانَ دُونَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ
عَيْنَاكَ نَازِلَتَا الْقُلُوبَ فَكَلَّهَا
إِمَّا جَرِيحٌ أَوْ مُصَابُ الْمَقْتَلِ
هَزَّتْ ظُبَاهَا بَعْدَ كَسْرِ جُفُونِهَا
فَأَصِيبَ قَلْبِي فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ

¹ في أزهار الرياض: ((تملكت))؛ وهي أسلم.

² نفسه: ((في قلبي))؛ وهو أسلم.

³ في المخطوطين: ((يجود))، وفي ت: ((فجود))؛ وصويت من أزهار الرياض.

⁴ في المخطوطين: ((الخصوص)).

ما زلت أُعْذِلُ في هَوَاكَ ولم [يزل]¹
سمعي عَنِ الْعُذَالِ فِيكَ بِمَعَزَلِ
أَصْبَحْتُ فِي شُغْلٍ بِحَبِّكَ شَاغِلٍ
عن أَنْ أَصِيخَ إِلَى كَلَامِ الْعُذَلِ
لم أَهْمَلِ الْكَتْمَانَ لَكِنْ أَدْمَعِي
هَمَلْتُ وَلَوْ لَمْ تَعَصْنِي لَمْ تَهْمَلِ
جَمَعَ الصَّحِيحِينَ الْوَفَاءَ مَعَ الْهَوَى
قلبي وَأَمَلَى الدَّمْعَ كَشَفَ الْمُشْكَلِ
ما في الجنوب ولا الشمال جواب ما
أَهْدِي إِلَيْكَ مَعَ الصَّبَا وَالشَّمَالِ²
خَلَسًا لَهُ مِنْ طَيِّبِ عَرْفِكَ نَفْحَةً
تَجِيءُ بِهَا³ دِمَاءٌ عَلَيْهَا الْمَتَعَلُّ
إِنْ كُنْتَ بَعْدِي حُلْتَ عَمَّا لَمْ أَحُلْ
عنه وَأَهْمَلْتُ الَّذِي لَمْ أَهْمَلِ

¹ سقطت هذه الكلمة في المخطوطتين والملكية؛ ووردت في ت: ((أصح))؛

وما أضيف فمن أزهار الرياض.

² هذا البيت والبيت الذي يليه سقطا في أزهار الرياض.

³ في ت: ((ضحاً بها)).

أو حالت الأحوال فاستبدلت بي
فإن حبي فيك لم يُستبدل¹
لاقيت بعدك ما لو أن أقله
لاقي الثرى لأذاب² صمّ الجندل
وحملت في حُبِّك ما لو حمّلت
شمّ الجبال أخفّه لم تحمّل
من حَيْف دهرٍ بالحوادث مُقَدِّمٍ
حتّى على حبسِ الهزْبِ المَشْبِلِ³
قد كنتُ منه قبلُ كرّ صروفه⁴
فوق السّنام فصرتُ تحت الكاكل
ونُصول شَيْبٍ قد أَلَمَّ بِلَمَّتِي
وخِضاب أبيض شَيْبَةٍ لم تتَّصِلِ
ينوي الإقامة ما بقيت وأقسّمت
لا تنزلُ اللّذات ما لم يرحل

¹ في ك، و ج؛ كتب هذا الشطر هكذا: ((فإنني بحبي لم أستبدل)).

² في المخطوطين: ((لذاب)).

³ في ج: ((المسيل)).

⁴ في المخطوطين: ((صروفها)).

ومسير ظَعْنٍ ودان حميمُهُ
لاقى الحِمَامَ وإنَّه لم يَفْعَلْ
يطوي على جسدي¹ الضَّلُوعَ فقلبه
بأواره يَغْلِي كَغَلِي المِرْجَلِ
في صدره ما ليس في صدري له
من مثله مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ
أعرضتُ عنه ولو أَشْفَ لَذَمَّةُ
شعري² لجرعة نقيع الحنظل
جُئيت في حَلَبَاتٍ سَبَقَ لم يكن
فيها بمرتاح ولا بمؤَمِّل³
ما ضره سبقيه في زمن مَضَى
أن المَجَلَّى فيه دون الفُسْكُلِ
سأته مِنِّي عَجْرَقِيَّةُ قَلْبٍ
باق على مر الحوادث حُوِّلَ

¹ في الملكية: ((جسد))، وفي ك: قلبي)).

² في ج: ((شجري)).

³ في المخطوطين: ((بمتؤمل)).

مُتَحَرِّقٌ¹ في البذل مدّة سيره
مُتَجَلِّدٌ في عُسْرِهِ مُتَجَمِّلٌ
حَتَّى يَثُوبَ لَهُ الْغِنَى مِنْ مَاجِدِ
بِقَضَاءِ حَاجَاتِ الْكَرَامِ مُوَكَّلٌ
مِثْلُ الْوَزِيرِ ابْنِ الْحَكِيمِ وَمَالِهِ
مِثْلُ يَقُومِ مَقَامِهِ مُتَمَثِّلٌ
سَادُ الْوَرَى بِحَدِيثِهِ وَقَدِيمِهِ
فِي الْحَالِ وَالْمَاضِي وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ
مِنْ بَيْتِ مَجْدٍ قَدْ [سَمِتَ بِقَبَابِهِ]²
أَقْيَالُ لَخْمٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
سَامِي الدَّعَائِمِ طَالُ³ بَيْتِ وَزَارَةِ
وَمَشَاجِعِ وَأَبِي الْفَوَارِسِ نَهْشَلِ
يَلْقَى الْوُفُودَ بِبَسْطِ وَجْهِ مُشْرِقِ
تَجْلُو طَلَاقَتَهُ هَمُومِ الْمُجْتَلِيِ

¹ في لئ: ((متحرق))، وفي ج: ((مخترق)).

² في لئ: ((أسست بقبابه)).

³ في المخطوطين والملكية: ((طالت))؛ وهو غير سليم.

فَلَأْمَلِي جَدِوَاهِ حَوْلَ فَنَائِهِ
لَقَطَ الْقَطَا الْأَسْرَابَ حَوْلَ الْمَنْهَلِ
وَإِذَا نَحَى بِالْعَدَلِ¹ فَصَلَ قَضِيَّةَ
لَمْ تَحْظْ فَصَلاً مِنْ إِطَالَةِ مَفْصَلِ
يَقْضِي عَلَى سَخَبِ الْخُصُومِ وَشَغْبِهِمْ
وَيَقِيمُ مُغْرِيهِمْ مَقَامَ الْمُؤْمَلِ
وَيَلْقَنُ الْحَجَّ الْعَيَّيَّ تَحَرُّجاً
مَنْ رَامَحَ عِنْدَ اللَّجَاجِ وَأَعْزَلَ
فَإِذَا قَضَى صُورَ الْمُحِقِّ بِحَقِّهِ
عَنْهُ وَحَاقَ² عِقَابُهُ بِالْمُبْطِلِ
عَجَلٌ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ مَثُوبَةً
فَإِذَا اسْتَحَقَّ عَقُوبَةً لَمْ يَعْجَلِ
يَا كَافِيَ الْإِسْلَامِ كُلِّ عَظِيمَةٍ
وَمَعِيدِهِ غَضاً كَأَنْ لَمْ يَذْبُلِ

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بالعدل)).

² في المخطوطين: ((وعاق)).

وقال أيضاً يمدحه بقصيدة من مطولاته؛ وإنما
اجتلبت من مدحه للوزير ابن الحكيم؛ لكونه يمدح أديباً
ناقداً، وبليغاً بالكلام بصيراً، والإجادة تلزم فيه منظومه،
إذ لا يوسع القريحة فيه عذراً، ولا يقبل من الطمع قدراً،
وهي¹:

أما الرُسوم فلم تَرِقْ لما بي
واستعْجَمْتُ عن أن تَرُدَّ جَوابي
واستبدلتُ بوحوشها من أنس
بيض الوجوه كَواعِبِ أتراب
ولقد وقفتُ بها أَرْقِرُقُ عَبرةً
حتى اشتكى طول الوقوف صحاب²
بيكي لطول بكاي في عَرَصاتها
صحبى ورجَعَتِ الحنينَ ركب³

¹ هذه الأبيات من بحر الكامل.

² جعلها د طويل ((صحابي))؛ وهي أسلم.

³ جعلها د طويل ((ركابي))؛ وهي أسلم.

ومن شعره في المقطوعات غير المطولات¹:
لم يبق ذو عين لم يُسبِه * وجهك من زين بلا مَيْن
فلاح بينهما طالعا * كأنه القمر² بلامَيْن
ومن ذلك قوله³:

[كأنما الخال مصباحٌ بوجنتيه
هبت عواصِفُ أنفاسي فعطف⁴
أو نقطة قطرت في الخد إذ رسمت
خطَّ الجمال بخطَّ اللم والألف]⁵
ومن ذلك قوله⁶:

وعدتني أن تزور يا أُملي
فلم أزل للطريق مُرتَقيا
حتى إذا الشمس للغروب دنت
وصيرت من لجينها ذهباً

¹ هذان البيتان من مجزوء البسيط.
² كتبها د. طويل: ((قمر))؛ بدون (ال) التعريف؛ وهو أسلم.
³ هذان البيتان من بحر البسيط.
⁴ أشار د. طويل إلى الخلل في عجز هذا البيت؛ من حيث الوزن، وسياق المعنى؛ وما ذكره صواب.
⁵ هذان البيتان ذكرا في ج، والملكية؛ بينما سقطا في ك.
⁶ هذه الأبيات من بحر المنسرح.

أنسني البدر منك حين بدا
لأنّه لو ظهّرت لاحتجّبا
ومن ذلك قوله¹:

هجركم مالي عليه جلد
فأعيدوا إليّ² الرضى أو فعّدوا
ما قسى قلبي من هجرانكم
ولقد طال عليه الأمد
ومن ذلك قوله³:

أبدي عذارك عذري في الغرام به
وزادني شغفاً فيه إلى شغف
كأنه ظن أني قد نسيت له
عهداً فعرض باللام⁴ والألف

¹ هذان البيتان من بحر الرمل

² جعلها د طويل: ((لي))؛ وهي أسلم.

³ هذان البيتان من بحر البسيط.

⁴ جعلها د طويل: ((لي باللام))؛ لتستقيم.

ومما هو أطول من المزدوجات قوله¹:
ويوم كساه الدُّجى² دَكْنٌ³ ثِيَابُهُ
وهبَّتْ نسيمُ الرِّوْضِ وهو عليل
ولاحَتْ بأفلاكِ الأفق⁴ كواكبٌ
لها في البدور الطَّالعاتُ أقول
وجالتْ جياذُ الرِّاحِ بالرِّاحِ جَوْلَةً
فلم تحلْ إلا والوقار قَتِيل
ومن ذلك⁵:

عذّلوني فيمن أحبُّ وقالوا
دَبَّ نَمَلُ العِذارِ في وجنَّتَيْهِ
وكذا النَّمْلُ كلِّما حلَّ شيئاً
منعَ النَّفْسَ أنْ تميلَ إليه
قلتُ قَبْلَ العِذارِ أُعْذِرُ فيه
ثمَّ من بعده أَلَامُ عليه

¹ هذه الأبيان من البحر الطويل.

² في المخطوطين: ((الدجن)). وهي الأصح.

³ نفسه: ((دجن)).

⁴ حُرِفَتْ في المخطوطين؛ فكتبت: ((الإفك)).

⁵ هذه الأبيات من البحر الخفيف.

إِنَّمَا دَبَّ نَحْوَ [شَهْدٍ بِهِ] ¹
فَلِذَاكَ أَنْتَهَى إِلَى شَفَاتِيهِ
وإحسانه كثير، ومثله لا يقنع منه بيسير.

وفاته

قال في **عائد الصلة**: ولما كان من تغلب الحال،
وإدالة الدولة، وخلع الأمير، وقتل وزيره، يوم عيد الفطر
من سنة سبع وسبعمائة²، وانتهت دار الوزير، ونالت
الأيدي - يومئذ - من شَمَلَه دهليز بابه، من أعيان
الطبقات، وأولي الخطط والرتب، ومنهم **أبو العباس** هذا
رحمه الله، فأفلت تحت سلاح مشهور، وحيز
مرقوف، وثوب مسلوف³؛ فأصابته - بسبب ذلك -
علة أياماً، إلى أن أودت به؛ فقضت عليه
بغرناطة، في الثامن والعشرين لذي حجة؛ من

¹ في ج: (شهد فيه))، وفي ك: ((شهديه))؛ وصوبت من الملكية.
² الموافق لـ 1307م. ذكر في أزهار الرياض أنه توفي في ذي الحجة من
عام ثمانية وسبعمائة.
³ معنى مرقوف؛ هو: مرتعد ومرتحف. ومعنى مسلوف؛ هو: رقيق.

سنة سبع وسبعمئة¹، ودفن بمقبرة الغرباء من الرييط
عبر الوادي تجاه قصور² نجد، رحمة الله عليه.

¹ الموافق لـ 1307م.
² في ج: ((قطور)).

أحمد بن علي

الملياني¹ من أهل مرالش؛ يكنى [أبا عبد الله]² وأبا العباس؛
صاحب العلامة³ بالمغرب؛ الكاتب الشهير البعير الشأن⁴
في اقتضاء الثرة⁵؛ المثل المضروب [في] العفة⁶،
وقوة الصريمة، ونفاذ العزيمة.

حاله

كان نبيه البيت، شهير الأصالة، رفيع المكانة؛ على
سجية⁸ غريبة كانت فيه⁹ من الوقار والانقباض،

¹ نسبة إلى مدينة مليانة بالجزائر؛ وهي مدينة عريقة؛ تبعد عن العاصمة الجزائرية بـ 130 كلم في اتجاه الغرب؛ سميت باسم مليانة؛ نسبة إلى قبيلة أمازيغية صنهاجية تسمى مليانة، وترجمة أحمد الملياني موجودة في نفح الطيب.
² سقطت هذه العبارة في ك.
³ سبق التعريف بهذه الخطة.
⁴ في نفح الطيب: ((الشأو)).
⁵ في النفج: ((الثرة)).
⁶ ((في)) سقطت في المخطوطين؛ فأضافها عنان.
⁷ في نفح الطيب: ((الهمة)).
⁸ سقطت هذه لكلمة في ج، والملكية.
⁹ عبارة: ((كانت فيه))؛ ساقطة في نفح الطيب.

والصمت. أخذ¹ بحظ من الطبّ، حسن الخط، مليح
الكتابة، قارضاً للشعر، يُذهب² نفسه في كل مذهب.

وصمته

فتك فتكة شنيعة³ أساءت الظن بحملة الأقلام على
مر⁴ الدهر، وانتقل إلى الأندلس بعد مشقة، وجرى ذكره
ذكره في كتاب الإكليل⁵ بما نصه: ((الصارم، الفاتك،
والكاتب الباتك⁶، أبي⁷ اضطراب في وقار، وتجهّم تحته
أنس عقار، اتخذه صاحب⁸ المغرب، صاحب علامته⁹.
وتوّجه تاج كرامته، وكان يطالب جملة [من]¹⁰ أشياخ
مراكش بثأر عمّه، ويطوقهم دمه بزعمه، ويقصر على
الاستبصار¹¹ منهم بنات همه، إذ سعوا فيه حتى اعتقل،

¹ في نفج الطيب: ((أخذ)).

² نفسه: ((تذهب)).

³ في نفج الطيب: ((شهيرة)).

⁴ نفسه: ((ممر)).

⁵ هو كتاب الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر؛ ألفه
ابن الخطيب؛ على اعتبار أنه تكملة لكتاب التاج المحلي.

⁶ أي القاطع.

⁷ في النفج: ((أي)).

⁸ نفسه: ((ملك)).

⁹ في المخطوطين: ((علامة)).

¹⁰ ((من)) سقطت في المخطوطين.

¹¹ في النفج: ((الاستبصار)).

ثم جدوا في أمره حتى قتل؛ فترصد كتاباً إلى مراكش
يتضمن أمراً جزمياً، ويشل¹ من أمور الملك عزمياً؛ جعل
الأمر² فيه بضرب رقابهم، وسبي أسبابهم، ولما أكد على
على حامله في العجل وضايقه في تقدير الأجل، تأنى
حتى علم أنه قد وصل، وأن غرضه قد حصل، فرّ إلى
تلمسان؛ وهي بحال حصارها، فاتصل بأنصارها³، حالاً
بين أنوفها وأبصارها؛ وتعجب من فراره، وسوء
اغتراره؛ ورجحت⁴ الظنون في آثاره. ثم اتصلت⁵ الأخبار
الأخبار بتمام الحيلة، واستيلاء القتل على أعلام تلك
القبيلة، وتركها⁶ شنة على الأيام، وعاراً في الأقاليم
على حملة الأقاليم، وأقام بتلمسان إلى أن حلّ مُخنق
حصارها⁷، وأزيل اللقيان⁸ الضيقة عن خصرها، فلحق

¹ في النفج: ((ويشمل)).

² نفسه: ((جعل فيه الأمر)).

³ في ل: ((بأقطارها)).

⁴ في النفج: ((ورجمت)).

⁵ نفسه: ((وصلت)).

⁶ نفسه: ((فتركها شنيعة على الأيام)).

⁷ نفسه: ((حصارها)).

⁸ في ل: ((العبان)). وفي النفج: ((الهميان))؛ وهي تكة السروال، أو حزامه.
حزامه.

بالأندلس؛ فلم¹ يعدم براً ورعياً مستمراً، حتى أتاه حمامه، وانصرفت أيامه)).

شعره

من الذي يدل على بره² وانفساخ³ خطاه في النَّفَاسَة،
وبعد شأوه، قوله⁴:

العزُّ ما ضَرَبَتْ عليه قبابي
والفضل ما اشتملت عليه ثيابي
والزَّهْرُ ما أهداه غصن⁵ براعتي
والمِسْكُ ما أبداه نقش⁶ كتابي
والمجد⁷ يمنع أن يزاحم مَوْردي
والعزم يأبى أن يُسام⁸ جَناني

¹ في النفج: ((ولم)).

² في ك: ((أفوه))؛ وهو تحريف، أما النفج فكتب فيه: ((بأوه)).

³ في النفج: ((وانفساخ)).

⁴ هذه الأبيات من بحر الكامل.

⁵ في ك: ((غضر)).

⁶ في النفج: ((يقس)).

⁷ نفسه: ((فالمجد)).

⁸ نفسه: ((يضام)).

فإذا بلوتُ صنِعةً جازيتُها
بجميلٍ شكري أو جزيلِ ثوابي
وإذا عقدتُ مودَّةً أجرَيْتُها
مجرى طعامي من دمي وشرابي
وإذا طلبتُ من الفراقِدِ والسُّهى
ثأراً¹ فأوشكُ أن أنالَ طلابي

وفاته

توفي - رحمه الله - يوم السبت تاسع ربيع الآخر؛
عام خمسة عشر وسبعمائة²، ودفن بجبانة باب البيرة،
تجاوز الله عنه³.

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((ثأراً)).

² الموافق لـ 1315م.

³ في النفج: ((تجاوز الله تعالى عنه)).

أحمد بن محمد

(ابن عيسى اللّاموي؛ يكنى أبا جعفر؛ ويعرف بالزّيّات)

حاله

من أهل الخير والصلاح والأتباع، مفتوح عليه في طريق الله، نير الباطن والظاهر، مطرح التصنع، مستدل، بجانب للدنيا وأهلها، صادق الخواطر، مرسل اللسان بذكر الله، مبذول النصيحة، مثابر على اتباع السنة، عارف بطريق الصوفية، ثبت القدم عند زلاتها¹، ناطق بالحكمة على الأمية، جميل اللقاء، متوغل في الكلف بالجهاد، مرتبط للخيّل، مبادر للهيعة، حريص على الشهادة، بركة من بركات الله في الأندلس، يعز وجوده مثله.

¹ في ك: ((قولاتها)).

وفاته

توفي - رحمه الله - ببلده غرناطة، يوم الخميس الثاني والعشرين لجمادى الثانية؛ من عام خمسة وستين وسبعمائة¹، وشارف الاكتهال.

¹ الموافق لـ 1363م.

أحمد بن الحسن

ابن علي بن الزيات (الكلاعي؛ من أهل بلش مألقة؛ يكنى أبا جعفر؛
ويعرف بالزيات الخطيب؛ المتصوف الشهير¹.

حاله

من عائد الصلة: كان جليل القدر، كثير العبادة،
عظيم الوقار، حسن الخلق، مخفوض الجناح²، متألق³
البشر، مبذول المؤانسة، يذكر بالسلف الصالح، في حسن
شيمته، وإعراب لفظه، مزدحم المجلس، كثير الإفادة،
صبوراً على الغاشية، واضح البيان فارس المنابر غير
مدافع مستحق التصدر في ذلك، بشروط قلما كملت عند
غيره، منها حسن الصورة، وكمال الأبهة، وجهورية
الصوت، وطيب النعمة، وعدم التهيب، والقدرة على
الإنشاء⁴، وغلبة الخشوع، إلى التفنن في كثير من المآخذ
العلمية، والرياسة في تجويد القرآن، والمشاركة في

¹ ترجمة أحمد بن الحسن بن الزيات الكلاعي موجودة في الكتيبة الكامنة، وبغية الوعاة

² في الملكية: ((محفوظ الجناح)).

³ في المخططين والملكية كتبت كلمة: ((كثير)) قبل متألق؛ لذا فهي لا تستقيم.

⁴ حرفت هذه العبارة في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((والقدر على الإنشاء، الأشياء)).

العربية، والفقه، واللغة، والأدب، والعروض، والمحاسة¹
في الأصلين، والحفظ للتفسير.

قال لي شيخنا أبو البركات بن الحاج؛ وقد جرى
ذكر الخطابة: ما رأيت في استيفائها مثله. كان يفتح
[مجالس تدرسه]² أكثر الأحيان، بخطب غريبة، يطبق بها
مفاصل الأغراض، التي يشرع في التكلم فيها، وينظم
الشعر دائماً في مراجعته ومخاطباته، وإجازاته، من غير
تأن ولا روية، حتى اعتاده ملكةً بطبعه، واستعمل في
السفارة بين الملوك، لدحض السخائم، وإصلاح الأمور،
فكانوا يوجبون حقه، ويلتمون بركته، ويلتمسون دعاءه.

مشيخته

تحمل العلم عن جملة؛ منهم: خاله الفقيه الحكيم
أبو جعفر أحمد بن علي المذحجي؛ من أهل الحمة؛ من
ذوي المعرفة بالقرآن والفرائض، ومنهم القاضي أبو علي
الحسين بن أبي الأحوص الفهري؛ أخذ [عنه]³ قراءة

¹ أي الإتقان والبراعة.

² في الملكية: ((مجالسه)).

³ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.

وإجازة، ومنهم العارف الرباني، أبو الحسن فضل بن فضيلة؛ أخذ عنه طريقة الصوفية وعليه سلك، وبه تأدب، وبينهما في ذلك مخاطبات، ومنهم أبو الزهر ربيع ابن محمد بن ربيع الأشعري، وأبو عبد الله محمد بن يحيى أخوه، ومنهم [أبو الفضل]¹ عياض بن محمد بن عياض ابن موسى؛ قرأ عليه ببلش وأجاز له، ومنهم الأستاذ أبو جعفر بن الزبير، والأستاذ أبو الحسن التجلي، وأبو محمد ابن سماك، وأبو جعفر بن الطباع، وأبو جعفر بن يوسف الهاشمي الطنجلي²، والأستاذ النحوي أبو الحسن بن الصائغ، والكاتب الأديب أبو علي بن رشيق التغلبي، والراوي أبو الحسن بن مستقور³ الطائي، والإمام أبو الحسن⁴ بن أبي الربيع، والأستاذ أبو إسحاق الغافقي الميربي، والإمام العارف أبو محمد عبد العظيم بن الشيخ

¹ أغفلت هذه العبارة في ك.

² نسبة إلى مدينة طنجة بالمغرب الأقصى. وتكتب أحياناً: ((الطنجالي، أو الطنجي)).

³ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((ابن مسغور)).

⁴ في ك: ((أبو الحسين)).

البلوي ؛ بما كان من إجازته العامة لكل من أدرك عام أحد وأربعين وستمئة¹، وغير هؤلاء ممن يشق إحصاؤهم.

تصانيفه

كثيرة ؛ منها: المسماة بالمقام المخزون في الكلام الموزون، والقصيدة² المسماة ((بالمشرف³ الأصفى في المأرب الأوفى))؛ وكلاهما ينيف على الألف بيت، و((نظم السلوك في [شيم الملوك]⁴))، و((المجتنى النضير والمقتنى⁵ الخطير))، و((العبرة الوجيزة عن الإشارة))، و((اللطائف الروحانية والعوارف الربانية)). ومن تواليفه: ((أس^٦ مبنى العلم، وأس معنى الحلم))؛ في مقدمة علم الكلام، و((لذات السمع من القراءات السبع))؛ نظاماً، و((رصف نفائس الآلى ووصف عرائس المعالي))؛ في النحو، و((قاعدة البيان وضابطة اللسان))؛ في العربية، و((لهجة الالاف وبهجة الحافظ))، والأرجوزة المسماة

¹ الموافق لـ 1244م.

² في النسخ الثلاث: ((العقيدة))؛ فصوبها عنان.

³ في ج: ((الشرف)).

⁴ في ج، والملكية: ((نظم السلوك)) للمرة الثانية؛ وهو سهو كما يبدو.

⁵ في ج: ((المنتقى)).

بـ((قرة عين السائل وبغية نفس الأمل))؛ في اختصار السيرة النبوية، و((الوصايا النظامية في القوافي الثلاثية))، وكتاب ((عدة الداعي، وعمدة الواعي))، وكتاب ((عوارف الكرم وصلات الإحسان، فيما حواه العين من لطائف الحكم وخلق الإنسان))، وكتاب ((جوامع الأشراف والعنايات، في الصواع والآيات))، و((النفحة الوسيمة والمنحة الجسيمة¹))؛ تشتمل على أربع قواعد اعتقادية وأصولية وفروعية وتحقيقية، وكتاب ((شُروف المفارق في اختصار كتاب المشارق))، و((تلخيص الدلالة في تخلص الرسالة))، و((شذور الذهب في صرور الخطب))، و((فائدة الملتقط وعائدة المغتبط))، وكتاب ((عدة المحق وتحفة المستحق)).

نثره

من ذلك خطبة ألغيت الألف من حروفها، على كثرة تردها في الكلام وتصرفها، وهي: ((حمدت ربّي جلّ من كريم محمود، وشكرته عزّ من عظيم موجود،

¹ في الملكية: ((السفحة في الوسمة والمنحة)).

ونزهته عن جهل كل ملحد كفور، وقدسته عن قول كل مفسد غرور، كبير لو تقدم، في فهم نجد، قدير لو تصور في رسم لحد، لو عدته فكرة التصور¹ لتصور ولو حدثه² فكرة لتعذر، ولو فهمت له كيفية لبطل قدمه، ولو علمت له كيفية لحصل عدمه، ولو حصره³ طرف لقطع بتجسمه، ولو قهره وصف لصدع بتقسمه، ولو فرض له شبح⁴ لرهقه⁵ كيف، ولو عرض له، للحق عجل وريث، عظيم من غير تركيب قطر، عليم من غير ترتيب فكر، موجود من غير شيء يسكه، معبود من غير وهم يدركه، كريم من غير عوض يلحقه، حكيم من غير عرض يلحقه، قوي من غير سبب يجمعه، علي من غير سبب يرفعه، لو وجد له جنس لعرض في قيموميته، ولو ثبت له حس لنوزع في ديموميته)). ومنها: ((تقدس عن لم فعله، وتنزه عن سم فضله، وجل عن ثم قدرته،

¹ في ج: ((تصور)).

² في ك: ((حدثه)).

³ في ج: ((حصر)).

⁴ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((شج)).

⁵ في ج: ((لهرقه)).

وعز عن عم عزته، وعظمت عن من صفته، وكثرت عن
 كم منته، فتق ورتق صور وحلق، وقطع ووصل، ونصر
 وخذل، حمدته حمد من عرف ربه، ورهب ذنبه،
 وصفت حقيقة يقينه قلبه، وذكرته بصيرة دينه لبه،
 فنهض¹ لوعى بشروط نفضته وحد، وربط سلك سلوكه
 وشيد، وهلم صرح عتوه وهلم، وحرس معقل عقله
 وحد، طرد غرور غرته ورذله، علم [علم]² تحقيق فنحا
 نحوه، وتفرد له عز وجل بثبوت ربوبيته وقدمه، ونعتقد³
 صدور كل جوهر وعرض عن جوده وكرمه، ونشهد
 بتبليغ محمد صلى ربه عليه وسلم، رسوله وخير خلقه،
 ونعلن بنهوضه في تبیین فرضه، وتبليغ شرعه، ضرب قبة
 شرعه، فنسخت كل شرع، وجدد عزيمته فقمع عدوه خير
 قمع، قوم كل مقوم بقويم سمته، وكريم هديه، وبين
 لقومه كيف يركنون فوره بقصده، وسديد سعيه، بشر
 مطيعه، فظفر برحمته، وحذر عاصيه فشقي بنقمته)).

¹ في الملكية: ((فنيه)).

² سقطت هذه الكلمة في المخطوطين والملكية، ووردت في ت.

³ في المخطوطين: ((وتعتقد)).

((وبعد؛ فقد نصحتكم لو كنتم تعلقون، وهديتكم لو كنتم تعملون، وبصرتكم لو كنتم تبصرون، وذكرتم لو كنتم تذكرون، وظهرت لكم حقيقة نشركم وبرزت لكم خبيثة حشركم، فلم تركضون في طلق غفلتكم، وتغفلون¹ عن يوم بعثكم، وللموت عليكم سيفٌ مسلول، وحكم عزم غير معلوم، فكيف بكم يوم يؤخذ كل بذنبه، ويخبر بجميع كسبه، ويفرق بينه وبين صاحبه، ويعلم نصرة حزبه، ويشغل بهمه² وكربه، عن صديقه وتربه، وتشر له رقعة وتعين له بقعته، فربح عبدٌ نظر وهو في مهل نفسه، وترسّل³ في رضى عمله جنةً لحلول رسمه، وكسر صم شهوته ليقر في بجوحة قدسه⁴، وحصر⁵ بنظر ينزله سرير سروره بين عقله وجسمه⁶)). ومنها: ((فتنبه ويحك من سنتك ونومك وتفكر فيمن هلك من صحبتك⁷

¹ حرفت في ك؛ فكتبت: ((وغافلون)).

² في ج: ((بقوله)).

³ في المخطوطين: ((ترسيل)).

⁴ في ج: ((قدمه)).

⁵ في ك: ((وحسن)).

⁶ نفسه: ((حسه)).

⁷ في ك: ((صحبتك)).

وقومك، هتف بهم من تعلم، وشب عليهم من حرق
مظلم، فخربت بصيحتة ربوعهم، وتفرقت لهوله
جموعهم، وذل عزيزهم، وخُسئ رفيعهم، وصم
سميعهم، فخرج كل منهم عن قصره، ورمي غير موسد
في قبره، فهم بين سعيدٍ في روضته مقرب، وبين شقي
في حفرته معذب، فنستوهب منه عز وجل عصمته من
كل خطيئة، وخصوصية تقي من كل نفس جريئة)).

كتب إلى شيخنا الوزير، ابن ذي الوزارتين ابن
الحكيم، جواباً عن مخاطبة كتبها إليه يلتمس منه وصايته
ونصحه هذا الشعر¹:

جل اسم مولانا اللطيف الخبير
وعز في سلطانه عن نظير
هو الذي أوجد ما فوقها
وتحتها وهو العليم الخبير

¹ هذه القصيدة من بحر السريع.

ثم صلاة الله تترى على
ياقوتة الكون البشير النذير
وصحبه الأولى نالوا مرأى
يرجع عنه الطرف وهو الحسير
وبعد فأنفسهم جوهر
للأرواح منه ما للأثير
فإنك استدعيت من ناصر
نصحا طويلاً وهو منه قصير
ولست أهلاً أن أرى ناصحاً
لقلّة الصدق وخبث الضمير
وإنما يحسن نصح الورى
من ليس للشرع عليه نكير
ومستحيل أن يقود امرءاً
يد امرئٍ واهي المباني ضرير
واعجباً يلتمس الخير من
معتقل العقل مهيض كسير

لكن إذا لم يكن بُدُّ فَعَن
[جهد أوفيك بتبر]¹ يسير
فالقنه إن كنت به قانعاً
درا نظيماً يزدري بالنيثر
لازم أبا بكر على منهج
ذاك تفز منه بخير كثير
واقنع بما يكفي ودع غيره
فإنما الدنيا هباءً نثير
بُني لا يخدعك² هذي الدُّنا
فإنها والله شيء حقير
أين المشيدات أما زلزلت
أين أخو الإيوان أين السدير³
أين أنوشروان أضحى كأن
لم يك أين المعتدي أزدشير

¹ في المخطوطين: ((جهراً وفيك تبرز - تبرر))

² في ك: ((يخدعك)).

³ في المخطوطين والملكية: ((الغدير)).

هذا مقالٌ من وعاء اهتدى
 وحيط من كل مخوف مبير
 وصى¹ أبوبكر به أحدا
 وأحمد في الوقت شيخ كبير
 انقضت² أيامه وانتهى
 وهناً ومن قبل أتاه النذير
 وما هو اليوم على عُدّة
 مُبرمه للشرّ وما من عذير
 ومن شعره في طريقة الذي كان ينتحله³:
 شهود ذاتك [شيء عنك]⁴ محجوب
 لو كنت تدركه لم يبق مطلوب
 علوّ وسفل ومن هذا وذاك معا
 دور على نقطة⁵ الإشراف منصوب

¹ في ج: ((أضحى)).

² في ك: ((انقضت)).

³ هذه القطعة من البحر البسيط.

⁴ وردت هذه العبارة في المخطوطين هكذا: ((شرعية))؛ وصوب ذلك من ت، وفي الكتيبة الكامنة كتب في موضع شيء: ((سر)).

⁵ في ج: ((نطقه))، وفي ك: ((نطيقه)). وفي الكتيبة الكامنة: ((نقطة الأشراف)).

ومنزل النفس منه ميمٌ مذكرة¹
إن صح للغرض الظني² مرغوب
وإن تتأدت مساويها فمزلها
أوج الكمال وتحت الروح تقلب
والروح إن لم تخنه النفس قام له
في حضرة الملك تخصيص وتقريب
ومن شعره³:

دعني على حكم الهوى أتضرع
فعسى يلين لنا الحبيب ويخشع
إني وجدت أخا التضرع فايزاً
بمراده ومن الدعا ما يسمع
أهلاً⁴ وما شيء بأنفع للفتى
من أن يذل عسى التذل ينفع

¹ في ل: ((مركزة)). وفي الكتيبة: ((ميم مركزة))؛ وهذا أسلم.

² في الكتيبة: الطيني).

³ هذه الأبيات من بحر الكامل.

⁴ في الكتيبة: ((واها)).

وامح¹ اسم نفسك طالباً إثباته
واقنع بتفريق لعلك تجمع
واخضع فمن دأب² المحب خضوعه
ولربما نال المنى من يخضع
ومن شعره :

ما لي بباب غير³ بابك موقف
لا⁴ ولا لي⁵ عن فنائك مصرف
هذا مقامي ما حييت فإن أمت
فالذل مأوى للضراعة⁶ مألّف
غرضي وأنت به عليم لمحّة
تذر⁷ الشتيت الشمل وهو مؤلف

¹ في الكتيبة: ((فامح)).

² نفسه: ((أدب)).

³ حرفت في ج؛ فكتبت: ((غيرك)).

⁴ في ك، وفي الكتيبة الكامنة: ((كلا))؛ وهي أسلم.

⁵ في الكتيبة الكامنة: ((وما لي)).

⁶ نفسه: ((والضراعة)).

⁷ نفسه: ((تدع)).

وعليك ليس على سواك معولي
جاروا على لأجل [ذا أو أنصفوا]¹
ومن المقطوعات في التجنيس² :
يقال خصال أهل العلم ألفٌ
ومن جمع الخصال الألف سادا
ويجمعها الصلاح فمن تعدّى
مذاهبه فقد جمع الفسادا
ومنه في المعنى³ :
إن شئت فوزاً بمطلوب الكرام غداً
فاسلك من العمل المرضي منهاجا
واغلب هوى النفس لا تغررك خادعة⁴
فكل شيء يحط القدر منها جا⁵

¹ حرفت هذه العبارة في المخطوطين؛ فكتبت: ((ذاك وأنصف)).

² هذان البيتان من بحر الوافر.

³ هذان البيتان من البحر البسيط.

⁴ في الكتيبة الكامنة: ((لا يغررك عاجله)).

⁵ ((أي منها جاء))؛ وحذفت الهمزة للضرورة.

دخوله غرناطة

دخل غرناطة مراراً عدة تشذ عن الحصر، أوجبتها الدواعي بطول عمره، من طلب العلم وروايته، وحاجة عامة، واستدعاء سلطان، وقدوم من سفارة. كان الناس يَنسألون¹ عليه ويغشون منزله، فيما أدركت، كلما تبوأ ضيافة السلطان، تبركاً به، وأخذاً عنه.

مولده

ولد ببلش بلده؛ في حدود تسع وأربعين وستمائة².

وفاته

توفي ببُلش سحر³ يوم الأربعاء السابع عشر من شوال؛ عام ثمانية وعشرين وسبعمائة⁴. وممن رثاه شيخنا، نسيج وحده، العالم الصالح الفاضل، أبو الحسن بن الجياب بقصيدة أولها⁵:

¹ في الملكية: ((يتسألون)).

² الموافق لـ 1251م. ذكر في بغية الوعاة أنه ولد في بلش سنة 650هـ الموافق لسنة 1252م.

³ في لئ: ((منحسر)).

⁴ الموافق لـ 1327م.

⁵ هذا البيت من البحر الطويل.

على مثله خضابة الدهر فاجع
تفيض نفوسٌ لا تفيض المدامع
ورثاه شيخنا القاضي أبو بكر بن شبرين¹ رحمه
الله، بقصيدة أولها²:

أيساعد رائده الأمل
أم يسمع سائله الطلل
يا صاح فديتك ما فعلت³
ذا من الأحباب وما فعلوا⁴
فأجاب الدمع مناديه
أما الأحباب فقد رحلوا
ورثاه من هذه البلدة طائفة، منهم الشيخ الأديب أبو
محمد بن المربع الآتي اسمه في العيادة له، بحول الله،
بقصيدة أولها⁵:

¹ هو محمد بن أحمد بن علي بن شبرين؛ توجد ترجمته في الإحاطة، وفي
الكتيبة الكامنة، واللمحة البدرية وتاريخ قضاة الأندلس، ونفح الطيب.
² هذه الأبيات من البحر المتدارك.
³ جعلها د طويل: ((ما فعل))؛ من أجل الوزن.
⁴ في المخطوطين: ((فعل - رحل)).
⁵ هذا البيت من بحر الكامل.

أدعوك ذا جزع لو أنك سامع
ماذا أقول ودمع عيني هامع
وأنشد خامس يوم دفنه قصيدة أولها¹:
عبرة² تفيض حزناً وثكلاً
وشجونٌ تعم بعضاً وكلاً
ليس إلا صباية أضرمتها
حسرةٌ تبعث الأسى ليس إلا
وهي حسنة طويلة.

¹ هذان البيتان من البحر الخفيف.
² جعلها د طويل ((عبرات))؛ وهي أسلم.

إبراهيم بن محمد

(بن تفرّج بن همّشك؛ (التأثر؛ رومي¹ (الأصل).

أوليته

مفرج أو همّشك²، من أجداده؛ نصراني أسلم على
يدي أحد ملوك بني هود بسرقة؛ نزح إليهم، وكان
مقطوع إحدى الأذنين، فكان النصراني إذا رآه في القتال
عرفوه، وقالوا هامّشك، معناه ترى المقطوع الأذن، إذ
(ها)) عندهم قريب مما هي في اللغة العربي،
و((المشك)) المقطوع الأذنين في لغتهم³.

نباهته وظهوره

ولما خرج بنو هود عن سرقة؛ نشأ تحت خمول؛
إلا أنه شهم متحرك، خدم بعض الموحدين في الصيد،

¹ يقصد أنه إسباني الأصل، وترجمة إبراهيم بن محمد هذا موجودة أيضاً في الحلة السيرة، وإعمال الأعلام، والبيان المغرب (القسم الخاص بالموحدين)، والمن بالإمامة؛ وقد تضاربت التراجم في اسم والده ولقبه.. الخ.

² قال عنان أنها ترسم بالإسبانية Hamusco.

³ وضحاها عنان بقوله؛ وأصلها بالقشتالية He mochico؛ ومعناها المقطوع أو المصاب. أما مقطوع الأذن فهي بالقشتالية El desorejado.

وتوسل بدلالة الأرض، ثم نزع إلى ملك قشتالة، واستقر مع النصاري، ثم انصرف إلى بقية اللمتونيين¹ بالأندلس؛ بعد شفاعاة وإظهار توبة. ولما وُلِّيَ يحيى بن غانية قرطبة، إرتسم لديه برسمه. ثم كانت الفتنة عام تسعة وثلاثين²؛ وثار³ ابن حمدين⁴ بقرطبة، وتسمى بأمير المؤمنين؛ فبعثه رسولا ثقة بكفائته ودربته وعُجْمَة لسانه؛ لمحاولة الصلح بينه وبين ابن حمدين، فأغنى ونبه قدره، ثم غلى مرجل الفتنة وكثر الثوار بالأندلس؛ فاتصل بالأمير ابن عياض بالشرق وغيره، إلى أن تمكن له الامتزاز⁵ بمحصن شقوبش، ثم تغلب على مدينه شقورة⁶ وتملكها؛ وهي ما هي من النعمة؛ فغلظ أمره، وساوى محمد بن مردنيش⁷؛ أمير

¹ أي المرابطين؛ لأن لمتونة هي القبيلة الغالبة في حلف صنهاجة الجنوب؛ فاشتهر الجميع باسم اللمتونيين.

² 539هـ/1144م.

³ كلمة ((ثار)) سقطت في ك.

⁴ في ج: ((ابن أحمددين))، وفي ل: ((ابن أحمد))؛ وهذا كله تحريف. لأن الصحيح ((ابن حمدين))؛ وهو القاضي أبو جعفر بن حمدين بن محمد ابن علي بن حمدين؛ ثار في قرطبة، وتسمى بالمنصور بالله؛ اصطلم في البداية بابن هود؛ ولكن نهاية حكمه كانت بيد ابن غانية المسوفي المرابطي.

⁵ أي الامتناع.

⁶ عرفت من قبل.

⁷ سبق التعريف به.

الشرق وداخله، حتى عقد معه صهراً على ابنته؛
فاتصلت له الرئاسة والإمارة. وكان يعد سيفاً لصهره
المذكور، مسلطاً على من عصاه، فقاد الجيوش، وافتتح
البلاد إلى أن فسد ما بينهما، فتفاتنا وتقاطعا، وانحاز بما
لديه من البلاد والمعقل، وعد من ثوار الأندلس أولي
الشوكة الحادة، والبأس الشديد، والشبا المرهوب. وآثاره
بعد انقباض دولته تشهد بما تأثّل من ملك وسلف من
الدولة والدار الآخرة خير لمن اتقى. قال ابن صفوان¹:

وَدِيَارُ شَكْوَى الزَّمَانِ فَتَشْكُ²

حَدَّثْنَا عَنْ عِزَّةِ ابْنِ هَمْشِكْ

حاله

قال محمد بن أيوب بن غالب؛ المدعو بابن حمامة:
أبو إسحاق الرئيس؛ شجاع بُهْمَة من البُهم³. كان رئيساً
رئيساً شجاعاً مقداماً شديد الحزم، شديد الرأي، عارفاً

¹ هذا البيت من البحر الخفيف.

² في المخطوطين: ((فتشك)).

³ البهمة: هي الصخرة الصماء الصامتة. تطلق كصفة على الشجاع الغامض الذي لا يفهم.

بتدبير الحرب، حمي الأنف، عظيم السطوة، مشهور الإقدام [مرتكباً للعظيمة]¹، قال بعض من عرف به من المؤرخين، وهو وإن كان قائد فرسان، هو حليف فتنه وعدوان، ولم يصحب قط متشرعاً، ولا نشأ في أصحابه من كان متورعاً، سلطه الله على الخلق، وأملى له فأضر بمن جاوره من أهل البلاد، وحُبب إليه العيث في العباد.

سيرته

كان جباراً قاسياً، فظاً غليظاً، شديد النكال، عظيم الجرأة والعبث بالخلق، بلغ من عيئه² فيهم، إحراقهم بالنار، وقذفهم من الشواهدق والأبراج، وإخراج الأعصاب والرباطات عن ظهورهم، عن أوتار القسي بزعمه، وضم أغصان الشجر العادي بعضها إلى بعض، وربط الإنسان بينها³، ثم تسريحها، حتى يذهب كل غصن بحظه من

¹ في ك؛ فكتبت: ((مرتكب العظمة)). أما في ج فقد حُرِفَت فكتبت: ((مرتكباً للطيمة)).

² في ج: ((عيئه))، وفي ك: ((غشه)).

³ في ج: ((بينهما)).

الأعضاء. ورآه بعض الصالحين في النوم بعد موته،
وسأله: ما فعل الله بك فأنشده¹:

من سره العيث في الدنيا بخلقة من
يصور الخلق في الأرحام كيف يشا
فليصبر اليوم صبري تحت بطشته
مغلا² يمتطي جمر الغضا فرشا

شجاعته

زعموا أنه خرج من المواضع التي كانت لنصره
متصيذاً، وفي صحبته محاولو اللهو³، وقارعو أوتار
الغناء⁴، في مائة من الفرسان، ونقاوة أصحابه؛ فما
راعهمم إلا خيل العدو هاجمة على غرة، في مائتي⁵
فارس ضعف عددهم، فقالوا: العدو في مائتي فارس،
فقال: وإذا كنتم⁶ أنتم لمائة، وأنا لمائة، فنحن قدرهم،
فعد نفسه بمائة. ثم استدعى قدحاً من شرابه، وصرف

¹ هذه الأبيات من بحر البسيط.

² في ج: ((مغلا)).

³ في ج: ((الهوى)).

⁴ في المخطوطين، والملكية: ((أوتار غنى)).

⁵ حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((مائتين)).

⁶ في المخطوطين: ((كان))؛ فصوبها عنان.

وجهه إلى المغني، وقال: أعد¹ لي تلك الأبيات، كان
يغنيه بها فتعجبه²:

يتلقى النداء بوجهٍ حيٍّ
وصدور القفا بوجه وقاح
هكذا هكذا تكن المعالي
طرق الجد غير طرق المزاح

فغناه بها، واستقبل العدو، وحمل عليه بنفسه
وأصحابه، حملة رجل واحد؛ فاستولت على العدو
الهزيمة، وأتى على معظمهم القتل، ورجع غانماً إلى بلده.
ثم ضربت الأيام، وعادوا التصيد في موضعه ذلك،
وأطلق بازه على حجلة، فأخذها وذهب ليذكيها؛ فلم
يحضره خنجر ذلك الغرض في الوقت. فبينما هو يلتمسه؛
إذ رأى نصلاً من نصال المعترك؛ من بقايا يوم الهزيمة؛

¹ في المخطوطين: ((عد)).
² هذه الأبيات من بحر الخفيف.

فأخذه من التراب، وذبح به الطائر، ونزل واستدعى
الشراب، وأمر المغني فغناه بيتي أبي الطيب¹:
تذكرت ما بين العذيب وبارق
مجر عوالينا ومجرى السوابق
وصحبة قوم يذبحون قنيصهم
بفضلات² ما قد كسّروا في المفارق

وقد رأيت من يروي هذه الحكاية عن أحد أمراء بني
مردنيش، وعلى كل حال فهي [من]³ مستظرف الأخبار.

دخوله غرناطة

قالوا: وفي سنة ست وخمسين وخمسمائة⁴؛ في
جمادى الأولى منها؛ قصد إبراهيم بن همشك بجمعه
مدينة غرناطة، وداخل طائفة من ناسها، وقد تشاغل
الموحدون بما دهمهم من اختلاف الكلمة عليهم بالمغرب،

¹ هذان البيتان من البحر الطويل.

² في الديوان: ((بغطة)).

³ سقطت في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

⁴ الموافق لـ 1160م. من خلال ما ذكره ابن الخطيب نفسه في كتاب أعمال
الأعلام؛ يفهم أن هذه المعركة حدثت في جمادى الأولى من سنة 557هـ.

وتوجه الوالي بغرناطة السيد [أبي]¹ سعيد إلى العدو؛
 فاقتحمها ليلاً؛ واعتصم الموحدون بقصبتها؛ فأجاز بهم²
 بأنواع الحرب، ونصب عليهم المجانيق، ورمى فيها من
 ظفر به منهم وقتلهم بأنواع من القتل. وعندما اتصل الخبر
 بالسيد أبي سعيد؛ بادر إليها فأجاز البحر، والتف³ به
 السيد أبو محمد [بن]⁴ أبي حفص بجميع جيوش الموحدين
 والأندلس، ووصل الجميع إلى ظاهر غرناطة، وأصحر
 إليهم ابن همشك، وبرز منها، فالتقى الفريقان بمرج
 الرقاد⁵ من خارجها، ودارت الحرب بينهم؛ فانهزم جيش
 الموحدين، واعترضت الفل تخوم الفدادين⁶، وجداول المياه
 المياه التي تتخلل المرج⁷؛ فاستولى عليهم القتل، وقتل في
 في الواقعة السيد أبو محمد، ولحق السيد أبو سعيد،

¹ حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((أبو)).

² في ج، والملكية: ((لهم)).

³ وردت هكذا في ج؛ بينما بقي - في موضعها - بياض في ك.

⁴ ((بن)) سقطت في ج؛

⁵ يسمى هذا الموضع Majorrocal؛ ويقع خارج غرناطة؛ ولا يبعد كثيراً
 عن قرية الطرف Atarfe؛ على سفح جبل البيرة Sierra Elvira؛ وبالقرب
 من نهر شنيل.

⁶ أي المزارع والبساتين.

⁷ مرج غرناطة La Vega.

بمالقة، وعاد ابن همشك إلى غرناطة؛ فدخلها بجملة من أسرى القوم؛ أفحش فيهم المثلة، برأى من إخوانهم المحصورين، واتصل الخبر بالخليفة بمراكش، وهو بمقربة¹ سلا؛ قد فرغ من أمر عدوه²؛ فجهز جيشاً، أصحابه السيد أبا يعقوب ولده، والشيخ أبا يوسف بن سليمان زعيم وقته، وداهية زمانه، فأجازوا البحر والتقوا³ بالسيد أبي سعيد بمالقة، وتتابع الجمع، والتف بهم من أهل⁴ الجهاد من المطوعة، واتصل منهم السير إلى قرية دكر⁵؛ من قرى غرناطة، وكان من استمرار الهزيمة على ابن همشك الذي أمده بنفسه⁶ وجيشه، من نصارى وغيرهم، وغيرهم، ما يأتي ذكره عند اسم ابن مردنيش في الموحدين؛ في حرف الميم؛ بحول الله تعالى.

¹ في ج: ((بقربة))، وفي الملكية: ((وهو بقربة من)).

² في ك: ((عوده)).

³ حرفت في المخطوطين فكتبت: ((وتلقوا))؛ وصوبها عنان.

⁴ سقطت في ك.

⁵ Dilar بالإسبانية. وهي من قرى غرناطة؛ وبقيت إلى الآن.

⁶ في ج: ((أمره بنفسه))، وفي ك: ((أمره لنفسه)).

إنخلاءه للموحدين

عما ييده، وجوازه للعدوة، ووفاته بها

قالوا: ولما فسد ما بينه وبين ابن مردنيش؛ بسبب بنته التي كانت تحت الأمير أبي محمد بن مردنيش إلى أن طلقها، وانصرفت إلى أبيها، وأسلمت إليه ابنها منه، مختارة كنف أبيها إبراهيم، نازعة في انصرامه إلى عروقه. فلقد حكي أنها سئلت عن ولدها، وإمكان صبرها عنه؛ فقالت: جرو كلب، جرو سوء، من كلب سوء؛ لا حاجة لي به، فأرسلت كلمتها في نساء الأندلس مثلاً، فاشتدت بينهما الوحشة والفتنة، وعظمت المحنة، وهلك بينهما من الرعايا الممرورين، المضطرين، بقينه الثوار¹؛ ممن شاء الله بهلاكه؛ إلى أن كان أقوى الأسباب في تدمير² ملكه. ولما صرف ابن سعد عزمه إلى بلاده، وتغلب على كثير منها، خدم ابن همشك الموحدين أولاد بهم³ واستجارهم؛ فأجاز البحر، فقدم على الخليفة عام

¹ أي حضيرة الثوار.

² حرقت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فكتبت: ((تدمير)).

³ سقطت هذه العبارة في ك.

خمسة وستين وخمسمائة¹، وأقره بمواضعه، إلى أوائل عام أحد وسبعين²؛ فطولب بالانصراف إلى العدو بأهله وولده، وأسكن مكناسة، وأقطع بها سآماً³ لها خطر، واتصلت تحت عنايته إلى أن هلك.

وفاته

قالوا: واستمر⁴ مقام ابن همشك بمكناسة؛ غير كبير، وابتلاه الله بفالج غريب الأغراض، شديد سوء المزاج، إلى أن هلك؛ فكان يدخل الحمام الحار؛ فيشكو حره بأعلى صراخه؛ فيخرج فيشكو البرد كذلك؛ إلى أن مضى سبيله⁵.

¹ الموافق لـ 1169م.

² الموافق لـ 1175م.

³ أي إقطع بها إبلاً؛ لأن السوام والسائمة هي الإبل الراحية.

⁴ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وأسمرت)).

⁵ حدثت وفاة ابن همشك في 572هـ/1176م.

إبراهيم

ابن أمير المسلمين أبي الحسن ابن أمير المسلمين أبي سعيد
عثمان ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبر (الحق)؛
يكنى أبا سالم.

أوليته

الشمس تخبر¹ عن حلّى² وعن حُلّ. فهو البيت
الشهير، والجلال الخطير، والملك الكبير، والفلك الأثير
ملاك المسلمين، وحماة الدين، وأمراء المغرب الأقصى من
بني مرين³، غيوت المواهب، وليوث العرين⁴، ومعتمد
الصريخ، وسهام الكافرين. أبوه السلطان أبو الحسن،
الملك الكبير، البعيد⁵ شأو الصيت والهمة والعزيمة،
والتحلي بحلّى السنة، والإقامة لرسوم الملك، والاضطلاع
بالهمة، والصبر عند الشدة. وأخوه أمير المسلمين؛ فذلكَ

¹ في المخطوطين: ((تتكر))، وفي الملكية: ((يمكن))؛ وصوبت من: ت، والزيتونة.

² في الملكية: ((حال)).

³ بنو مرين قبيلة أمازيغية؛ من فرع البتر الزناتيين؛ توصلوا إلى إقامة دولتهم في المغرب الأقصى؛ على أنقاض الدولة الموحدية سنة 669هـ/1269م؛ فاتخذوا مدينة فاس عاصمة لدولتهم. وقد سبق الإشارة إليهم.

⁴ حُرِفَتْ فِي ك؛ فَكْتَبَتْ: ((الغر)).

⁵ فِي ك: ((المعتد)).

الحسب، ونير النَّصْبَةِ، وبدرية المعدن، وبيت القصيد، أبو
عنان فارس الملك الكبير، العالم المتحبر، العامل النظار
الجواد، الشجاع، القَسُور، الفصيح، مدد السعادة، الذي
خرق الله [به]¹ سياج العادة، فما عسى أن يطلب
اللسان، وأين تقع العبارة، وماذا يحصر الوصف، عين
هذا المجد فوارة، وحسب هذا الحسب اشتهاره، قولاً
بالحق، وبعداً عن الإطراء، ونشراً للواء النصفة، حفظ
الله [على]² الإسلام ظلهم، وزين بيدور الدين والدنيا
هالتهم، وأبقى الكلمة فيمن اختاره منهم.

حاله

كان شاباً³ كما تطلع وجهه، حسن الهيئة، ظاهر
الحياء والوقار، قليل الكلام، صليفة عن اللفظ، آدم
اللون⁴، ظاهر السكون والخيرية والحشمة، فاضلاً،
متخلقاً، قدمه أبوه، أمير الرتبة، موفي الألقاب، بوطن

¹ هذه الكلمة أضافها عنان.

² سقطت في ج.

³ في المخطوطين: ((شبا)).

⁴ أي لونه أسمر.

سجلماسة، وهي عمالة ملكهم¹، فاستحق الرتبة في هذا الباب بمزيد هذه الرتبة المشترط لأول تأليفه. ولما قبضه الله عليه، واختار له ما عنده، أحوج ما كانت الحال إلى من ينظم الشّت، ويجمع الكلمة، ويصون الدما سبحانه² أحوج ما كانت الدنيا إليه، وصير [إلى وارثه طواعية³ وقسراً ومستحقاً وغلاباً، وسلماً، وذاتاً وكسباً، السلطان أخيه، تحصل هو [وأخ له⁴ اسمه محمد، وكنيته أبو الفضل، يأتي التعريف بحاله في مكانه إن شاء الله، فأبقى⁵، وأغضى، واجتنب الهوى، وأجاب داعي البر والشفقة والتقوى، فصرفهما إلى الأندلس، باشرت إركابها البحر بمدينة سلا ثاني اليوم الذي انصرفت من بابه، وصدرت عن بحر جوده، وأفضت بإمامة عنايته، مصحباً بما يعرض⁶ لسان الثناء من صنوف كرامته، في

¹ في المخطوطين: ((ملك)).

² وردت في ج؛ بينما بقي في موضعها بياض في ك.

³ حرفت هذه العبارة في ج؛ فكتبت: ((إلى وارثه طواعية))؛ بينما وجد مكانها بياض في ك.

⁴ في ت: ((أخوه)).

⁵ في المخطوطين: ((فأنفى))؛ وصوبت من ت.

⁶ في ك: ((يخرس)).

غرض السفارة عن السلطان بالأندلس، تغمده الله
برحمته، ونزل مربلة¹ من بلاد الأندلس المصروفة إلى
نظره، واصلاً السير إلى غرناطة.

دخوله غرناطة

قدم هو وأخوه عليها، يوم عشرين من جمادى
الأولى، من عام اثنين وخمسين وسبعمائة². وبرز
السلطان إلى لقائهما، إبلاغاً في التَّجَلَّة، وانحطاطاً في
ذمة³ التخلُّق، فسعيّاً إلى مرتجلين، وفاوضهما⁴، حتى
قضيت الحقوق، واستفرجت⁵ تفقده وجرايته، وخلا
بأحظى الأمكنة، واحتفياً⁶ في سرير مجلسه مقسومٌ بينهما
الحظ، من هشته ولحظته. فأما محمد فسولت له نفسه
الأطماع، واستفزته الأهواء، أمراً كان قاطع أجله، وسعد

¹ حرف اسم هذ البلدة في النسخ الأربع: ففي ك: ((جربلة))، وفي ج: ((جذبلة))، وفي ت، والملكية: ((جربة))، والمقصودة في الغالب هي بلدة مربلة؛ وهي ثغر في جنوب الأندلس؛ وكانت آنذ من الثغور الأندلسية الواقعة تحت سلطة المرينيين. وقد سبقت الإشارة إليها.

² الموافق لـ 1351م.

³ حرفت في ت؛ فكتبت: ((نعمة))، وفي ك: ((دست)).

⁴ في ك: ((فارضهما)).

⁵ في ج: ((واستقرحت))، وفي ك: ((استقرج))؛ وصوبت من ت، والملكية.

⁶ في ت، ج: ((واحتفياً))، وفي المخطوطين: ((اختفى)).

أخيه اختاره الله من دونه. وأما إبراهيم المترجم به ؛ فجنح إلى أهل¹ العافية، بعد أن ناله اعتقال، بسبب إرضاء أخيه أمير المسلمين فارس، في الأخريات لشهر ذي الحجة ؛ من عام تسعة وخمسين وسبعمائة²، وتقديم ولده الصبي، المكنى بأبي بكر، المسمى بسعيد؛ لنظر وزيره في الحزم والكفاية، حركه الاستدعاء، وأقلقته³ الأطماع وهبّ به السائل⁴. وعرض بغرضه إلى صاحب [الأمر]⁵ بالأندلس، بالأندلس، ورفق عن صبوحة، فشكا إلى غير مصمت ؛ فخرج من الحضرة ليلا من بعض مجاري المياه، راكباً للخطر، في أخريات جمادى الأولى ؛ من العام ؛ بالحضرة المكتبة الجوار، من ثغور العدو، ولحق بملك قشتالة، وهو يومئذ بإشبيلية؛ قد شرع في تجرية إلى عدوه من برجلونه⁶، فطرح عليه نفسه، وعرض عليه مخاطبات استدعائه، ودس له المطامع المرتبطة بحصول غايته ؛ فقبل

¹ في النسخ الثلاث: ((أصل))؛ وصوبها عنان.

² الموافق لـ 1357م.

³ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((قلقه))، وفي ت: ((وقلعت)).

⁴ في ج، والملكية: ((الرسائل)).

⁵ سقطت هذه الكلمة في ك.

⁶ وهي برشلونة؛ عاصمة مملكة أراغون. سبق التعريف بها.

سعايته، وجهز له جفناً من أساطيله، أركب فيه، في طائفة تحريكه، وطعن بحر المغرب إلى ساحل أزمور¹؛ وأقام به منتظراً إلى إنجاز المواعد، ممن بمراكش؛، فألفى² الناس³ قد حطبوا في جبل منصور بن سليمان، وباعوه بجملتهم؛ فأخفق مسعاه، وأخلف ظنه، وقد أخذ منصور بمخنق البلد الجديد؛ دار ملك فاس³، واستوثق له الأمر، فانصرف الجفن أدراجه. ولما حاذى لبلاد غمارة من أحواز أصيلاً⁴؛ تنادوا به⁵ قومٌ منهم. وانحدروا إليه، ووعدوه الوفاء له؛ فنزل إليهم، واحتملوه فوق أكتادهم، وأحدقوا⁶ به في سفح⁷ جبلهم، وتنافسوا في الذب عنه، عنه، ثم كبسوا⁸ أصيلاً؛ فملكوها⁹ وضيق بطنجة⁹، فدخلت في أمره، واقتدت بها سبتة، وجبل الفتح؛

¹ أزمور بلدة في المغرب الأقصى تطل على المحيط الأطلسي شمال مراكش.

² سقطت هذه الكلمة في المخطوطين، ووردت في ت.

³ حرفت في ج؛ فكتبت: ((دار ملك فارس)).

⁴ هي مدينة مغربية تقع جنوب طنجة على ساحل المحيط الأطلسي.

⁵ في ج؛ ((تتادر)).

⁶ في المخطوطين: ((وأحزنوا))؛ وصوبت من ت.

⁷ في ك؛ ((سطح)).

⁸ حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((كسبوا)).

⁹ في المخطوطين: ((وصينوا لطنجة))؛ وهذا تحريف.

واتصل به بعض الخاصة، وخاطبة الوزير المحصور،
وتخاذل أشياع منصور؛ فخذلوه¹، وفروا عنه جهاراً، بغير
بغير علة، وانصرفت الوجوه إلى السلطان أبي سالم؛
فأخذ بيعاتهم عفواً²، ودخل البلد المحصور، وقد تردد بينه
بينه وبين الوزير المحصور، مخاطبات في رد الدعوة إليه.
فدخل البلد يوم الخميس خامس عشرة³ شعبان من عام
التاريخ، واستقر⁴ وجدد الله عليه أمره، وأعاد ملكه،
وصرف عليه حقه، وبلى⁵ هذا الأمير من سير الناس إلى
إلى تجديد عهد أبيه، وطاعتهم إلى أمره، وجنوحهم إلى
طاعته، وتمني مدته، حال غريبة، صارت عن كذب إلى
أضدادها؛ فصرف ولده إلى اجتثاث شجرة أبيه، فالتقط
من الصبية بين مراهق ومحتلم ومستجمع، طائفة تناهز
العشرين، غلماناً رَدَنَةً، قتلوا إغراقاً من غير شُفْعَةٍ⁶
توجب إباحة قطرة من دمائهم، ورأى أن قد خلا له

¹ في ل: ((فغدروه)).

² نفسه: ((عنوا)).

³ صححها د طويل؛ فجعلها: ((عشر)).

⁴ في ت: ((واستنقد)).

⁵ نفسه: ((وأخذ)).

⁶ في ج، و ت: ((شفقة)).

الجوا¹؛ فتواكل، وآثر الحجة، وأشرك الأيدي في ملكه، فاستبيحت أموال الرعايا، وضافت² الجبايات، [وكثرت الظلمات]³، وأخذ الناس حرمان العطاء، وانفتحت أبواب الإرجاف، وحدت أبواب القواطع، إلى أن كل من أمره ما هو معروف. وفي أول من شهر رجب؛ عام واحد وستين وسبعمائة⁴، تحرك الحركة العظمى إلى تلمسان؛ وقد استدعى الجهات، وبعض البلاد، ونهد في جيوش؛ تجر الشوك والحجر؛ ففر سلطانها أمام عزمه⁵، وطار الذعر بين يدي الضلالة، وكنا قد استغثنا القرار في إيالته⁶، وانتهى بنا الإزعاج إلى ساحل سلا؛ من ساحل مملكته، فخاطبته وأنا يومئذٍ مقيم بترية أبيه؛ متذمّمٌ بها؛ في سبيل استخلاص أملاكي بالأندلس؛ في غرض التهئة والتوسل: ((مولاي فتاح الأقطار والأمصار، فائدة الزمان

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((حلا له الحق)).

² في ج: ((وضويقت))، وفي ك: ((وصريققت)).

³ حرفت هذه العبارة في المخطوطين؛ فكتبت: ((وكثر الظلمات)).

⁴ الموافق لـ 1359م.

⁵ في ت: ((العزم)).

⁶ نفسه: ((أظلت)).

والأعصار، أثير هبات الله الآمنة من الاعتصار، قدوة
أولى الأيدي والأبصار)).

وفاته

وفي ليلة العشرين من شهر ذي قعدة؛ من عام اثنين
وستين وسبعمائة¹، ثار عليه بدار الملك، وبلد الإمارة
المعروف بالبلد الجديد²، من مدينة فاس؛ الغادر³ مخلفه
عليها عمر بن عبد الله بن علي؛ نسمة السوء، وجملة
الشؤم، المثل البعيد في الجرأة على قدر، اهتبل⁴ غرة
انتقاله، إلى القصر السلطاني، بالبلد القديم، مُحْتَولاً إليه
حَزْراً من قاطع فكلي [الجدر منه⁵؛ استعجله ضعف
نفسه، وأعاناه على فرض صحته به، وسد الباب في
وجهه، ودعا الناس إلى بيعة أخيه المعتوه، وأصبح حائراً

¹ الموافق لـ 1360م.

² هكذا في ت، أما في المخطوطين فكتب: ((البلد الجديد القديم))؛ وعلى
كلمة القديم علامة تدل على الشك؛ لذا فقد رأى عنان أن الصواب ما
أثبتته في النص.

³ في المخطوطين: ((العادر))، وفي ت: ((المعادي))، وفي الملكية: ((الغادي))؛
فصوبها عنان.

⁴ أي احتال واغتتم الفرصة.

⁵ في ت: ((الجدر رقية)).

بنفسه، يروم استرجاع أمر ذهب من يده، ويطوف بالبلد،
يلتمس وجهاً إلى نجاح حيلته¹، فأعياء ذلك ورشقت من
معه السهام، وفرت عنه الأجناد والوجوه، وأسلمه
الدهر، وتبرأ منه الجد. وعندما جن عليه الليل، فرّ على
وجهه، وقد التفت عليه الوزراء، وقد سُفِّهَتْ أحلامهم،
وفالت آرائهم، ولو قصدوا به بعض الجبال المنيعه، لَوَكَّوْا
وجوههم شطر مظنة الخلاص، واتصفوا بعذار الإقلاع²،
ولكنهم نكلوا عنه، ورجعوا أدراجهم، وتسللوا راجعين
إلى بَرٍّ غادرِ الجملة، وقد سلبهم الله لباس الحياء
والرجلة³، وتأذن الله لهم بسوء العاقبة، وقصد بعض
بيوت البادية، وقد فضحه نهار الغداة⁴، واقتفى البعث⁵
أثره، حتى وقعوا عليه، وسيق إلى مصرعه، وقتل بظاهر
البلد، ثاني اليوم الذي كان غدر فيها، جعلها الله له
شهادة ونفعه بها⁶، فلقد كان بقية البيت، وآخر القوم،

¹ في المخطوطين: ((حليته)).

² في ج: ((بعذار الإبلاغ))، وفي ت: ((بعذر الإبلاغ)).

³ في النسخ الثلاث: ((الرجلة)). ومعنى الرجلة هي: الرجولة.

⁴ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((العدو)).

⁵ في ج: ((اتبعت))؛ بينما سقطت في ت، والملكية.

⁶ ذكرت في المخطوطين؛ وسقطت في ت.

دمائة وحياء، وبعداً عن الشر، وركوناً للعافية. وأنشدت
على قبره الذي ووريت به جئته بالقلعة من ظاهر المدينة،
قصيدة أدت فيها بعض حقه¹:

بني الدنيا بني لمع السراب
لُدُّوا للموت وابنوا للخراب

¹ هذا البيت من بحر الوافر.

إبراهيم بن يحيى

(ابن عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى (الهناتى)؛
أبو إسحاق

أمير المؤمنين بتونس وبلاد إفريقية؛ ابن الأمير أبي
زكريا؛ أمير إفريقية، وأصل الملوك المتأثرين العز بها،
والفرع الذي دوح بها، من فروع الموحدين بالمغرب،
واستجلايه بها أبا محمد عبد المؤمن بن علي، أبا الملوك
من قومه؛ وتغلب ذريته على المغرب وإفريقية والأندلس
معروف كله؛ يفتقر بسطه¹ إلى إطالة كثيرة، تخرج عن
الغرض. وكان جد هؤلاء الملوك من أصحاب المهدي، في
العشرة الذين [هبوا لبيعتهم]² وصحبوه في غربته، أبو
حفص، عمر بن يحيى، ولم يزل هو وولده³ من بعده
مرفوع القدر معروف الحق. ولما صار الأمر للناصر⁴ أبي

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((سبطة)).

² في ج: ((هبوا لبيعتهم))، وفي ت: ((هيوه البيعة))، وفي الملكية: ((هبة
البيعة))؛ وكله تحريف.

³ حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((ووالده)).

⁴ هو أمير المؤمنين الناصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن
عبد المؤمن بن علي حكم الدولة الموحدين من سنة 595هـ/1198م إلى
سنة 610هـ/1213م.

عبد الله بن المنصور أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي؛ صرف وجهه إلى إفريقية ونزل بالمهدية، وتلوك¹ إليه ابن غانية² فيمن لفه من العرب والأوباش، في جيش يسوق الشجر والمدر، فجهز إلى لقائه عسكرياً لنظر الشيخ أبي محمد عبد الواحد³، بن أبي حفص، جدهم الأقرب؛ فخرج من ظاهر المهدية في أهبة ضخمة، وتعبية⁴ محكمة، والتقى الجمعان فكانت على بن غانية، الدائرة، ونصر الشيخ محمد نصراً لا كفاء له، وفي ذلك يقول أحمد بن خالد من شِعْر عندهم⁵:

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وقلول))، وفي ت، والملكيو: ((وأتى)).
² هو يحيى بن إسحاق بن محمد بن علي بن غانية المسوفي، المعروف بابن غانية الميورقي توفي سنة 633هـ/1236م، هو أحد أمراء بني غانية المرابطين الحاكمين في مايورقة وما يليها من جزر البليار. وبعد قيام الدولة الموحدية، وتغلبها على ملكهم؛ رفع لواء المقاومة ضدهم في المغرب الأوسط وإفريقية.
³ حرفت في المخطوطين فكتبت: ((أبي محمد بن عبد الواحد))؛ وفي ت: ((عبد المؤمن)) وهو تحريف أيضاً، أما أبو محمد؛ فهو عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي؛ أرسله الخليفة الموحي الناصر إلى إفريقية والياً عليها؛ بغرض القضاء على ثورة ابن غانية في تلك الديار؛ ولما توفي سنة 618هـ/1221م؛ خلفه ابنه أبو زكرياء؛ فجاهر بالانفصال عن الدولة الموحدية، وأسس الدولة الحفصية.
⁴ في المخطوطين، والملكية: ((وتعبية)).
⁵ هذا البيت من البحر الطويل.

فتوحٌ بها شدت عرى الملك والدين
تراقب منا منكم غير ممنون

وفتحت المهدية على هيئة ذلك الفتح، وانصرف
الناصر إلى تونس، ثم تفقد البلاد، وأحكم ثقافها¹،
وشرع في الإياب إلى المغرب، وترجع عنده تقديم أبي
محمد بن أبي حفص المصنوع له بإفريقية، على ملكها،
مستظهِراً منه بمضاء وسابقة وحزم، بسط يده في الأموال
وجعل إليه النظر في جميع الأمور، سنة ثلاث وستمائة²،
ثم كان اللقاء بينه وبين ابن غانية في سنة ست³ بعدها،
فهزم ابن غانية، واستولى على محلته، فاتصل سعيه،
وتوالى ظهره، إلى أن هلك مشايعاً لقومه من بني عبد
المؤمن، مظاهراً بدعوتهم عام تسعة وعشرين وستمائة⁴.
وولي أمره بعده، كبير ولده، عبد الله، على عهد

¹ أي تحصينها.

² الموافق لـ 1206م.

³ 606هـ/1209م.

⁴ الموافق لـ 1231م. في الحقيقة؛ حدثت وفاة أبي محمد عبد الواحد في سنة 618هـ/1221م. وليس كما ذكر ابن الخطيب.

المستنصر بالله بن الناصر من ملوكهم، وقد كان الشيخ أبو محمد زوحم، عند اختلال الدولة، بالسيد أبي العلاء الكبير، عم أبي المستنصر على أن يكون له اسم الإمارة بقصبة تونس، والشيخ أبو محمد على ما لسائر نظره، فبقي ولده عبد الله على ذلك بعد، إلى أن كان ما هو أيضاً معروف من تصير الأمر إلى المأمون أبي العلاء إدريس، ووقعه السيف في وجوه الدولة بمراكش، وأخذه بثره¹ أخيه وعمه منهم. وثار أهل الأندلس على السيد أبي الربيع بعده بإشبيلية؛ وجعجعوا² بهم، وأخذوا في التشريد بهم، وتبديد دعوتهم، واضطربت الأمور، وكثر الخلاف، ولحق الأمير أبو زكريا بأخيه بإفريقية، وعرض عليه الاستبداد، فأنف من ذلك، وأنكره عليه إنكاراً شديداً؛ خاف منه على نفسه، فلحق بقابس فاراً؛ واستجمع بها مع شيخها مكي، وسلف شيوخها اليوم من بني مكي؛ فمهد له، وتلقاه بالرحب، وخاطب له

¹ في لئ: ((بثرة)). والثرة؛ هي: الطعنة الواسعة، وجريان دمها كثير. يقصد بها هنا: الثأر لجريان دم أخيه العزيز.

² في ج، والملكية: ((وجمعوا)).

الموحدين سرّاً؛ فوعدوه بذلك، عند خروج عبد الله من تونس؛ إلى الحركة من جهة القيروان. فلما تحرك [نحوا عليه]¹، وطلبوا منه المال؛ وتلكأ فاستدعوا أخاه الأمير أبا زكريا؛ فلم يرعه وهو قاعد في خبائه آمنٌ في سربه، إلا ثورة الجند به، والقبض عليه؛ ثم طردوه إلى مراكش، وقعد أخوه الأمير أبو زكريا مقعده، وأخذ بيعة الجند والخاصة لنفسه، مسبتداً بأمره، ورحل إلى تونس؛ فأخذ بيعة العامة، وقتل السيد الذي كان بقصبتها؛ وقبض أهل بجاية - حين بلغهم الخبر - على واليها السيد أبي عمران، فقتلوه تغريقاً، وانتظمت الدولة²، وتأثّل الأمر. وكان حازماً³، داهية مشاركاً في الطلب أديباً راجح العقل، أصيل الرأي، حسن السياسة، مصنوعاً له، موفقاً في تديره، جبي الأموال⁴، واقتنى العدد، واصطنع الرجال، واستكثر من الجيش، وهزم العرب، وافتتح البلاد، وعظمت الأمانة بينه وبين الخليفة بمراكش الملقب بالسعيد؛

¹ في ك: ((نحوا عنه)).

² في ك: ((الدعوة)).

³ أي الأمير أبو زكرياء الحفصي.

⁴ في المخطوطين: ((مجبي))، وصوبها عنان.

وعزم كل منهما على ملاقة صاحبه، فأبى القدر ذلك،
فكان من مهلك السعيد بظاهر تلمسان، ما هو معروف،
واتصل بأبي زكريا هلك ولده ولي العهد أبي يحيى
ببجاية؛ فعظم عليه حزنه، وأفرط جزعه، واشتهر من
رثائه فيه قوله¹:

ألا جازعٌ يبكي لفقد حبيبه
فإني لعمرى قد أضرب بي الثكل
لقد كان لي مالٌ وأهل فقدتهم
فهنأنا لا مالٌ لدي أهل ولا أهل²
سأبكي وأرثي حسرةً لفراقهم
بكاء قريح لا يمل ولا يسلم³
فلهفي⁴ ليوم فرق الدهر بيننا
ألا فرجٌ يرجى فينتظم الشمل

¹ هذه الأبيات من البحر الطويل.

² جعلها د طویل: ((فها أنا لا مال لديّ ولا أهل))؛ وهذا أسلم.

³ جعلها د طویل: ((ولا يسلم))؛ وهو أسلم.

⁴ في ج: ((فلهجي))؛ وصوبت من الملكية.

وإني لأرضى بالقضاء وحكمه
وأعلم ربي أنه حاكم¹ عدل

نسبه² ابن عذاري ((المراكشي)) في البيان المغرب³.
واعتل بطريقه فمات ببلد العناب؛ لانقضاء أربعة من
مهلك السعيد؛ وكان موت السعيد، يوم الثلاثاء منسلخ
صفر؛ سنة ست وأربعين وستمائة⁴. وبويع ولده الأمير
أبو عبد الله بتونس؛ وسنه إحدى وعشرين سنة؛ فوجد
ملكاً مؤسساً، وجنداً مجنداً، وسلطاناً قاهراً، ومالاً⁵
وافراً؛ فبلغ الغاية في الجبروت والته والنخوة والصلف،
وتسمى بأمير المؤمنين. وتلقب بالمستنصر بالله، ونقم⁶
عليه أرباب دولته أموراً، أوجبت مداخلة عمه أبي عبد
الله بن عبد الواحد؛ المعروف باللحياني؛ ومبايعته سراً

¹ في ج: ((حكم))؛ وما جاء في النص أسلم.

² في المخطوطين: ((نسب))، وفي الملكية: ((نسب ذا))؛ فصولها عنان.

³ نسب أبي عبد الله الناصر لدين الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي في البيان المغرب (القسم الخاص بالموحدين).

⁴ الموافق لـ 1248 م.

⁵ في المخطوطين: ((وأمالا)).

⁶ في المخطوطين والملكية: ((ونظم))؛ والتصويب من ت.

بداره؛ وانتهى الخبر للمستنصر؛ فعاجل الأمر قبل انتشاره؛ برأى الحزمة من خاصته، كابن أبي الحسين، وأبي جميل بن أبي الحملات بن مردنيش، وظافر الكبير؛ وقصدوا دار عمه فكبسوها¹، فقتلوا من كان بها، وعدتهم تناهز خمسين؛ منهم عمه؛ فسكن الإرجاف، وسلم المنازع، وأعطت مقادها²، واستمرت أيامه، وأخباره في الجود والجرأة، والتعاضم على ملوك زمانه، مشهورة. وكانت وفاته سنة أربع وسبعين وستمائة³. [وولي أمره⁴ بعده؛ ابنه الملقب بالوائق بالله، وكان مضعوفاً؛ ولم تطل مدته.

عاد الحديث: وكان عمه المترجم، لما اتصل به مهلك أخيه المستنصر، قد أجاز البحر من الأندلس، ولحق بتلمسان، وداخل كثيراً⁵، من الموحدين بها، كأبي هلال، هلال، فهيأ له أبو هلال تملك بجاية، ثم تحرك إلى

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فجا مكسيوها)).

² في ك: ((مقالدها)).

³ الموافق لـ 1275م.

⁴ حرفت في ك؛ فكتبت: ((وأوامره)).

⁵ في المخطوطين: ((كثير)).

تونس؛ فتغلب عليها، فقتل الواصل، وطائفة من إخوته
وبنيه، منهم صبي¹؛ يسمى الفضل، وكان أنهضهم¹؛
واستبد بالأمر، وتمت بيعته بإفريقية، وكان من الأمر ما
يذكر.

حاله

كان أيّداً²، جميلاً وسمياً، ربة بادنا، آدم اللون،
شجاعاً بهمةً، عجللاً غير مراخ³، ولا حازم، منحطاً في
هوى نفسه، منقاداً للذته، بريئاً من التثمت في جميع
أمره. وولي الخلافة في⁴ حال كبره، وخطه الشيب، وأثر
اللهو، حتى زعموا أنه فُقد؛ [فُوجد]⁵ في مزرعة باقلاً
مزهرة؛ أُلْفِي فيها - بعد جهد - نائماً بينها، نشوان يتناثر⁶
عليه سقطها، واحتجب عن مباشرة سلطانه، فزعموا أن

¹ ترك بياض في موضعها في ك.

² يقصد: قوياً.

³ في ج: ((مراحاً))، وفي ك: ((مرحاً))، وصوبت من الملكية.

⁴ في المخطوطين؛ كتب كلمة ((كل)) بعد ((في))؛ ولكونها زائدة؛ فقد تخلص
عنها عنان؛ وخاصة وأنها سقطت أصلاً في الملكية.

⁵ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضيفت من ت.

⁶ حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((يناث)).

خالصته¹ 1 أبا الحسن بن سهل ، داخل الناس بولده أبي فارس²، في خلعه ، والقيام مكانه ؛ وبلغه ذلك ؛ فاستعد وتأهب ، واستركب الجند ، ودعا ولده ، فأحضره ينتظر الموت من يمينه وشماله ، وأمر للحين ؛ فقتل وطرح بأزقة المدينة ، وعجل بإزعاج ولده إلى بجاية ، وعاد إلى حاله .

دخوله غرناطة

قالوا ، ولما أوقع الأمير المستنصر بعمه أبي عبد الله ؛ كان أخوه أبو إسحاق ، ممن فرّ بنفسه إلى الأندلس ، ولجأ إلى أميرها أبي عبد الله بن الغالب بالله أبي عبد الله [بن]³ نصر ، ثاني ملوكهم⁴؛ فنوه به ، وأكرم نزله⁵، نزله⁵، وبوآه بحال عنايته ، وجعل دار ضيافته لأول نزوله القصر المنسوب إلى السيد⁶ خارج حضرته ، وهو أثر

¹ في ت: ((خاصة)). والمقصود هو الصفي الخالص محلة الثقة.

² بين الحاصرتين؛ كتب في الملكية هكذا: ((أبا الحسن بن سهل الناس داخل ولده أبا فارس)).

³ سقطت هذه الكلمة في النسخ الثلاث؛ فأضافها عنان.

⁴ وهو السلطان محمد بن محمد بن نصر (ابن الأحمر)؛ الذي حكم من سنة 671هـ/1272م إلى سنة 701هـ/1302م. وهو معروف بلقب الفقيه؛ لمكانته في العلم، وتقواه. له ترجمة في اللوحة وأخرى في الإحاطة.

⁵ في الملكية: ((مثنواه)).

⁶ ما زالت بقية من هذا القصر قائمة في غرناطة الحديثة؛ ويسميه الأسبان بقصر شنيل Alcazar Genil. بناه السيد أبو إسحاق الموحدي

قصوره لديه، وحضر غزوات أغزاها ببلاد الروم، فظهر منه في نكاية العدو وصدامه [سهولة وغناء]¹.

ولما اتصل به موت أخيه؛ تعجل الانصراف، ولحق بتلمسان، وداخل منها كبيراً من الموحدين؛ يعرف بأبي هلال بياجة² كما تقدم، فملكه أبو هلال منها بجاية، ثم صعد³ تونس؛ فملكها، فاستولى على ملك ابن أخيه [وما ثم من دمه]⁴، وارتكب الوزر⁵ الأعظم فيمن قتل معه، وكان من أمره ما يأتي ذكره إن شاء الله.

إدبار أمره

بهلاكه على يد الدعي الذي قيصه الله [لهلاك حينه]⁶ قالوا، واتهم بعد استيلائه على الأمر فتى من أخصاء⁷ فتيان المستنصر، اسمه نصير، بمال وذخيرة،

ابن يوسف؛ الذي أسندت إليه ولاية غرناطة سنة 610هـ 1213م. وفي أيام الدولة النصرية؛ أصبح هذا القصر - المتواجد خارج مدينة غرناطة - قصراً للضيافة.

¹ حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((وسهولة عنا)).

² في الملكية: ((وداخل منها كثيراً من الموحدين كأبي هلال بياجة)).

وكلمة باجة في النص هنا حرفت؛ فكتبت: ((بجاية)).

³ في المخطوطتين: ((صمد)). وهو تحريف.

⁴ في ج، والملكية: ((وما ثم من دمه)).

⁵ حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((الوزير)).

⁶ في ت: ((بهلاك حينه)).

⁷ في ت: ((خصيات)).

وتوجه إليه طلبه، ونال منه. وانتهاز الفتى فرصةً لحق فيها
 بالمغرب واستقر إبحلال المراجعة¹ من عرب دباب؛ وشارع
 الفساد عليه، بجملة جهده، حريصاً على إفساد أمره،
 وعثر لقضاء الله وقدره بدعي² من أهل بجاية يعرف بابن
 أبي عمارة. حدثني الشيخ المسن الحاج أبو عثمان اللواتي
 من عدول المياسين³ متأخر الحياة إلى هذا العهد، قال:
 خضت⁴ مع ابن أبي عمارة ببعض الدكاكين بتونس، وهو
 وهو يتكهن لنفسه ما آل إليه أمره، ويعد بعض ما جرى
 به القدر، وكان أشبه الخلق بأحد الصبية الذين ماتوا⁵
 ذبحاً، بالأمير أبي إسحاق، وهو الفضل؛ فلاحته لنصير
 وجه حيلته⁶؛ فبكى حين رآه، وأخبره بشبهه بمولده،
 ووعدته الخلافة؛ فحرك نفساً مهياً⁷ في عالم الغيب
 المحجوب إلى ما أبرزته المقادر⁸، فوجده منقاداً لهواه،

¹ في ت: ((بحلال المراجعة)).

² في المخطوطين: ((يعمي))، وف ت: ((بد))؛ وكله تحريف.

³ يرجح عنان؛ أن هذا الاسم هو لموضع ما؛ وذكر أن بمراكش حي يسمى ((المواسين)).

⁴ في المخطوطين: ((حطت))، وفي ت: ((خطت))؛ وصوبها عنان.

⁵ في المخطوطين، والملكية: ((توا))؛ ويبدو أنه سهو.

⁶ في ج: ((حيلمه))، وفي ((حيلة))، وفي ت: ((حليته)).

⁷ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((ميهات)).

⁸ حرفت في ت؛ فكتبت: ((المقابر)).

فأخذ في تلقيه ألقاب الملك، وأسماء رجاله، وعوايده،
وصفة قصوره، وأطلعته على إمارات جرت من المستنصر
لأمراء العرب، سرّاً كان يعالجها نصير. وعرضه على
العرب، بعد أن أظهر العويل، ولبس الحداد، وأركبه،
وسار بين يديه حافياً حزناً لما ألفاه عليه من المضيفة،
وأسفاً لما جرى عليه، فبايعته العرب النافرة، وأشادوا
بذكره، وتقووا بما قرره من إمارته فعظم أمره، واتصل
بأبي إسحاق نبأه؛ فبرز إليه - بعد استدعاء ولده من بجاية -
فالتقى الفريقان، وتمت على الأمير أبي إسحاق الهزيمة،
واستلحم الكثير ممن كان معه، وهلك ولده، ولجأ أخوه
الأمير أبو حفص لقلعة سنان، وفرّ هو لوجهه؛ حتى لحق
ببجاية، وعاجله ابن أبي عمارة؛ فبعث جريدة من الجند¹
لنظر أشياخ من الموحدين، وأغرّت² إليهم الإيقاع؛
فوصلت³ إلى بجاية؛ فظن من رآه من الفل المنهزم، فلم
يعترضه معترض عن القصبة. وقبض على الأمير أبي

¹ حرفت في ت؛ فكتبت: ((الحبر)).

² في المخطوطين: ((أوغرت))؛ وصوبت من ت.

³ نفسه: ((فوصل))؛ فصوبت من ت.

إسحاق ؛ فطوقه الحمام ، واحتز رأسه ، وبعث إلى ابن أبي
عمارة به ، وقد دخل تونس ، واستولى على ملكها ، وأقام
سنتين ثلاثة ، أو نحوها ؛ [في]¹ نعماء لا كفاء له ، واضطلع
بالأمر ، وعاث في بيوت أمواله ، وأجرى العظائم على
نسائه ورجاله ؛ إلى أن فشا أمره ، واستقال² الوطن من
تمرته³ فيه ، وراجع⁴ أرباب الدولة بصايرهم في شأنه ،
ونَهَدَ⁵ إليه الأمير أبو حفص ؛ طالباً بثأر أخيه ؛ فاستولى ،
ودحض عاره ، واستأصل شأفته ، ومثل به ، والمملك لله ،
الذي لا تزن الدنيا جناح بعوضة عنده. وفي هذا قلت عند
ذكر أبي حفص ؛ في الرجز المسمى بنظم الملوك⁶ ؛ المشتمل
على دول الإسلام أجمع ؛ على اختلافها إلى عهدنا. فمنه
في ذكر بني حفص⁷ :

¹ ذكرت في ت ، وأغفلت في الملكية ، ؛ بينما كتب في موضعها في
المخطوطين: ((سك)).

² في ت: ((استقل)).

³ في النسخ الثلاث: ((تمرته))؛ فصوبها عنان.

⁴ في ت: ((وراجعت)).

⁵ في ت ، وفي الملكية: ((نهض)).

⁶ عنوان هذا الكتاب: رقم الحلل في نظم الدول؛ لابن الخطيب.

⁷ هذه المنظومة من بحر الرجز.

أولهم يحيى بن عبد الواحد
وفضلهم ليس له من جاحد
وهو الذي استبد بالأمور
وحازها ببيعة الجمهور
وعظمت في صقعه آثاره
ونال ملكاً عالياً مقداره
ثم تولى ابنه المستنصر
وهو الذي علياه لا تنحصر
أصاب ملكاً رايساً¹ أوطانه
وافق عزاً سامياً سلطانه
ودولة أموالها مجموعة
وطاعة أقوالها مسموعة
فلم تخف من عهدتها انتكاثاً
وعاث في أموالها عيائاً
هبت بنصر عزه الرياح
وسقيت بسعده الرماح

¹ في لكة: ((رايساً)).

حتى إذا أدركه شرك الردى
وانتخب النادي عليه والندا
قام ابنه الوثاق بالتدبير
ثم مضى في زمن يسير
سطا عليه العم إبراهيم
والملك في أربابه عقيم
وعن قريب سلب الإمارة
عنه الدعي¹ ابن أبي عمارة
عجيباً من لعب الليالي
ما خطر² لعقل ببال
واخترم السيف أبا إسحاقا
أبا هلال لقي المحاقا
واضطربت على الدعي الأحوال
والحق لا يغلبه المحال

¹ في المخطوطين: ((الداعي)).

² في المخطوطين: ((خاطرت)).

ثم أبو حفص سما عن قرب
وصير الدعي رهين¹ الترب
ورجع الحق إلى أهليه
وبعده محمد يليه

وهذه الأمور تستدعي الإطالة، مخلةً بالغرض،
ومقصدي أن أستوفي ما أمكن من التواريخ التي لم
يتضمنها ديوان، وأختصر ما ليس بقريب²، والله ولي
الإعانة [بمنه]³.

¹ حرفت ف ك؛ فكتبت: ((وهق)).

² في المخطوطين: ((بغريب))؛ فصوبها عنان.

³ وردت هذه الكلمة في ج فقط.

إبراهيم بن محمد

(ابن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد
(ابن إبراهيم بن مالك الأزوي؛ يكنى أبا إسحاق).

أوليته

منزل جدهم الداخل إلى الأندلس قرية شون¹ من
عمل، أو قيل من إقليم البيرة. قال ابن البستي²: بيتهم
في الأزد³، ومجدهم ما مثله مجد، حازوا الكمال⁴،
وانفردوا بالأصالة والجلال، مع عفة وصيانة ووقار،
وصلاح وديانة، نشأ على ذلك سلفهم، وتبعهم الآن
خلفهم. وذكرهم مطرف بن عيسى⁵، في تاريخه في رجال
الأندلس.

¹ أو شور؛ وتسمى بالإسبانية Jun؛ وتقع شمال غرناطة.

² في المخطوطين: ((ابن البسر))؛ والراجح أنه ابن البستي؛ وهو أحد أدباء
الأندلس؛ وقد عاش في القرن الثالث الهجري الموافق للقرن التاسع الميلادي.

³ الأزد: قبيلة من أكبر قبائل العرب القحطانية؛ تنسب إلى الأزد بن الغوث
ابن نبت بن مالك بن كهلان.

⁴ في ج: ((الكلام)).

⁵ هو أبو القاسم مطرف بن عيسى بن لييب بن محمد بن مطرف
الغساني الإلبيري الغرناطي؛ توفي بقرطبة ودفن في غرناطة سنة
356هـ/967م؛ من أدباء الأندلس ومؤرخيها وقصاتها. من مؤلفاته: كتاب
فقهاء البيرة، وكتاب شعراء البيرة، وكتاب أنساب العرب النازلين في
البيرة وأخبارهم.

وقال ابن مسعدة¹: وقفت على عقد قديم لسلفي؛ فيه ذكر محمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي، وقد حُلِّي فيه بالوزير الفقيه أبي أحمد بن الوزير الفقيه أبي عمرو إبراهيم؛ وتاريخ العقد سنة ثلاث وأربعمائة²، فناهيك من رجال تحلوا³ بالجلالة والطهارة منذ أزيد من أربعمائة سنة؛ ويوصفون في عقودهم بالفقه والوزارة منذ ثلاثمائة [سنة]⁴؛ في وقت كان فيه هذا المنصب في تحلية الناس، ووصفهم، في نهاية من الضبط والحرز⁵؛ بحيث لا لا يتهم فيه بالتجاوز لأحد، لا سيما في العقود؛ فكانوا لا يصفون فيه الشخص إلا بما هو [الحق فيه]⁶ والصدق. وما كان قصدي في هذا؛ إلا أن شرفهم غير واقف عليه، أو مستند في الظهور إليه؛ بل ذكرهم على قديم الزمان شهير وقدرهم خطير.

¹ مرت ترجمته في هذا المجلد من الإحاطة؛ مع قائمة مؤلفاته.

² الموافق لـ 1012م.

³ في المخطوطين: ((تجلوا))؛ فصوبها عنان.

⁴ سقطت في ك.

⁵ في ك: ((الحوز)).

⁶ في ت: ((حق به))، وفي الملكية: ((أحق به)).

قلت: ولما عقد لولدي عبد الله أسعده الله، على
بنت الوزير أبي الحسن ابن الوزير أبي الحسن القاسم¹ ابن
الوزير أبي عبد الله ابن الفقيه العالم الوزير حزم
فخارهم، ومجدد آثارهم، أبي الحسن سهل بن مالك؛
خاطبت شيخنا أبا البركات بن الحاج؛ أعرض ذلك عليه؛
فكان من نص مراجعته²؛ فسبحان الذي أرشدك لبيت
الستر والعافية والأصالة، وشحوب³ الأبرار، قاتلك الله
ما أجل اختيارك. [وخلف⁴ هذا البيت الآن على سنن
سلفهم؛ من التحلي بالوزارة، والاقتياد من العظمة
الزاكية، والاستناد القديم الكريم، واغتنام العمر بالنسك،
عناية من الله أطرده⁵ لهم قانونها، واتصلت عاداتها والله
ذو الفضل العظيم.

¹ ذكرت بعد هذه الكلمة - سهواً لمرات عديدة - كلمة وزير؛ ولما كانت
رائدة؛ فقد استغنى عنها عنان.

² في المخطوطين: ((فراجعته))؛ وصويت من ت.

³ في ت: ((سحوب)).

⁴ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وخف))، وكذلك في ت كتبت:
((وحق))؛ وقد صوبها عنان.

⁵ هكذا في المخطوطين؛ ويقصد بها: اضطرده.

حاله

كل من أهل السر¹ والخصوصية، والصمت والوقار،
ذا حظ وافر من المعرفة، بلسان العرب، ذكي الذهن،
متوقد الخاطر، مليح النادرة، شنشنته معروفة فيهم. سار
بسيرة أبيه، وأهل بيته، في الطهارة والعدالة، والعفاف
والنزاهة.

وفاته

(وجد هنا بياض منع من معرفة تاريخ وفاته)².

¹ ((أهل السر)) مصطلح صوفي معناه: أهل القلب؛ لأن السر هو "القلب من حيث كونه محلاً لأنوار المشاهدة والمعرفة" أنظر: شفاء السالك لتهديب المسالك؛ للعلامة عبد الرحمن بن خلدون؛ ص: 42.
² تعليق لعنان.

إبراهيم بن فرج

(ابن عبر الخولاني؛ من أهل قرطبة؛ يكنى أبا إسحاق؛
ويعرف بابن حرة¹).

أوليته

من أهل البيوتات بالحضرة؛ ولي أبوه القهرمة²؛
لثاني الملوك من بني نصر؛ فتأثّل مالاً ونباهة.

حاله

هذا الرجل من أعيان القطر، ووزراء الصُّقع³،
وشيوخ الحضرة، أغنى هذه المدرة يداً، وأشغلهم
بالعرض⁴ الأدنى نفساً، تحرف بالتجر المربوب في حجر
الجاء، ونما ماله؛ تحاط به الجدات، وتنمو الأموال، ففار
تنورها، وفهق⁵ حوضها، كثير الخوض في التصارييف
الوقتية، والأداة الزمانية، وأثمان السلع، وعوارض

¹ في ت: ((ابن حرة))، وفي الملكية: ((ابن حده)).

² حرفت في ج؛ فكتبت: ((قهرمة)). والقهرمان: وظيفة من وظائف البلاط السلطاني؛ يتكفل صاحبها بأعمال الدخل والخرج.

³ في ك: ((السقع)).

⁴ في ج: ((بالعرض))، وفي ت: ((بالحضرة)).

⁵ أي امتلأ. يقال: فهق الإناء: إذا امتلأ.

الأسعار، متبجح¹ بما ظهرت به يده من علق مضنة² هري
المدينة، الذي ينفق على أسواقها، عند ارتفاع القيم،
وتمييز الأسعار، وبلوغها الحد الذي يراه كفؤ حبه،
ومنتهى ثمن غلته، غرقُ الفكر، يخاطب الحيطان والشجر
والأساطين، محاسباً إياها على معاملات وأغراض فنية،
يرى من التلبس شيئاً من المعارف والآداب والصنائع،
وحجة من الحجج [في]³ الرزق، تغلب عليه السذاجة
والصحة، دمثٌ، متخلق، متنزل، مختصر الملبس والمطعم،
كثير التبذل، يعظم الانتفاع به في باب التوسعة،
بالتسلف⁴ والمداينة، حسن الخلق⁵ كثير التجميل [مبتلى
بالموقب والطانز]⁶: يسمع ذي القحة، ويصم على ذوي
المسألة⁷.

¹ في ت: ((فنجج)).

² في ج: ((مطنة))، وفي ك: ((مظنة)).

³ ((في)) أضافها عنان.

⁴ في ك، وت: ((بالتسلف)).

⁵ في المخطوطين: ((الحق))؛ وصوبت من ت.

⁶ سقطت هذه العبارة في ت، والملكية. ويقصد بالموقب والطانز؛ هما:
القادح؛ المولع بدم الآخرين، ثم الساخر؛ الذي ينشغل بدم غيره.

⁷ في ك، و ت، وج: ((المتبلة))؛ وهو تحريف.

ظهوره وحظوته

لبس الحظوة شملة، لم يفارق طرفها رقبته، إذ كان صهراً للمتغلب على الدولة أبي عبد الله بن المحروق¹، صار بسهم في جذور خطته، وألقى في مرقه حظوته، مشتملاً على حاله، بعباءة² جاهه، ثم صاهر المصير الأمر إليه بعده القائد الحاجب أبا النعيم رضوان، مولى الدولة النصرية، وهلم جرا، بعد أن استعمل في السفارة إلى العدو وقشتالة، في أغراض تليق بمبعثه، مما يوجب فيه المياسير والوجوه، مشرفين معززين بمن يقوم بوظيفة المخاطبة والجواب، والرد والقبول، وولي وزارة السلطان، لأول ملكه في طريق من ظاهر جبل الفتح إلى حضرته، وأياماً يسيرة من أيام اختلاله، [إلى]³ أن رغب الخاصة من الأندلسيين في إزالته، وصرف الأمر إلى الحاجب

¹ حرفت في ت؛ فكتبت: ((ابن محروق))؛ والصحيح هو محمد أحمد بن محمد بن المحروق (بالف ولام التعريف) وكان وزيراً لدى السلطان محمد بن إسماعيل بن فرج، بن إسماعيل سلطان بني لأحمر؛ ولكنه قتله في سنة 729هـ/1328م.

² في ت: ((بعبادة)).

³ ((إلى)) أضافها عنان.

المذكور، الذي تسقط مع رياسته المنافسة، وترضي به الجملة.

محتته

وامتحن هو وأخوه، بالتغريب إلى تونس، عن وطنهما، على عهد السلطان الثالث من بني نصر¹. ثم آب² عن عهد غير بعيد، ثم أسن واستسر أديمه، وضجر عن الركوب إلى فلاحته التي هي قرّة عينه، وحظ سعادته، يتطارح³ في سكة المتردين⁴ بإزاء بابه، مباشر⁵ الثرى بثوبه، قد سدكت⁵ به شكايّة شائنة، قلما يفلت منها الشيوخ، ولا من شركها، فهي تزفه⁶ بولاء، بحال تقتحمها العين شعثاً⁷، وبعداً عن النظر، فلم يطلق⁸ الله

¹ وهو هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ الملقب بالملخوع؛ الذي حكم من سنة 701هـ/1301م إلى 708هـ/1308م سنة خلعه.

² أب أوباً وماباً: رجع، وأب إلى الله: تاب.

³ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((يتطاح)).

⁴ في المخطوطين وفي الملكية: ((المرتدين))؛ فصوبها عنان.

⁵ يقصد: علقت به ولزمته.

⁶ في ج: ((تنزفه)).

⁷ نفسه: ((شعة)).

⁸ نفسه: ((يطل)).

الله يده من جدته على يده، فليس في سبيل دواء ولا
غذاء إلى أن هلك.

وفاته

في وسط شوال؛ عام سبعة وخمسين وسبعمائة¹.

مولده

في سنة خمس وسبعين وستمائة².

¹ الموافق لـ 1356م، في المخطوطين: ((وسبعمائة))، وفي الملكية: ((خمس
وثمانين وستمائة)).

² الموافق لـ 1276م.

إبراهيم بن يوسف

(بن محمر بن وهّاق الأوسي¹؛ يكنى أبا إسحاق؛
ويعرف بابن المرأة).

حاله

سكن مالقة دهرًا طويلًا، ثم انتقل إلى مرسية؛
باستدعاء المحدث أبي الفضل المرسى والقاضي أبي بكر بن
محرز. وكان متقدمًا في علم الكلام، حافظًا ذاكرًا للحديث
والتفسير، والفقه والتاريخ، وغير ذلك. وكان الكلام
أغلب عليه، فصيح اللسان والقلم، ذاكرًا لكلام أهل
التصوف، يطرز مجالسه بأخبارهم. وكان بحرًا² للجمهور
بمالقة ومرسية، بارعًا في ذلك متفننًا له، متقدمًا فيه،
حسن الفهم لما يلقيه، له وثوب على التمثيل والتشبيه،
فيما يقرب للفهم، مؤثرًا للخمول، قريبًا من كل أحد،
حسن العشرة، مؤثرًا بما لديه. وكان بمالقة يتجر بسوق
الغزل.

¹ توجد ترجمة إبراهيم بن يوسف بن دهاق الأوسي في: التكملة، والوافي
بالوفيات، والديباج المذهب.

² في ج: ((بحر))، وفي ك: ((لحق)).

قال الأستاذ أبو جعفر: وقد وصمه، وكان صاحب
حيل [ونوادر]¹ مستظرفة، يُلهي بها أصحابه، ويؤنسهم،
ومتطلعاً على أشياء غريبة من الخواص وغيرها، فتن بها
بعض الحلبة، واطلع كثير ممن شاهده على بعض ذلك،
وشاهد منه بعضهم ما يمنعه الشرع من المرتكبات الشنيعة،
فنافره وباعده بعد الاختلاف إليه؛ منهم شيخنا القاضي
العدل المسمى الفاضل أبو بكر² بن المرباط رحمه الله؛
أخبرني من ذلك بما شاهد³ مما يقبح ذكره، وتبرأ منه من
كان سعى في انتقاله إلى مرسية، والله أعلم بغيبه
وضميره.

توآلفه⁴

منها شرحه كتاب الإرشاد لأبي المعالي، وكان يعلقه
من حفظه؛ من غير زيادة وامتداد، وشرح الأسماء
الحسنى، وألف جزءاً في إجماع الفقهاء، وشرح محاسن

¹ في المخطوطين: ((ونوارج))؛ وصوبت من ت.

² في ج: ((أبو البركات))؛ وهو تحريف.

³ في ك: ((بأشهاد)).

⁴ في ك: ((تأليفه)).

المجالس لأبي العباس أحمد بن العريف. وألف غير ذلك.
وتواليفه نافعة في أبوابها، حسنة الرصف والمباني.

من روى عنه

أبو عبد الله بن أحلى، وأبو محمد عبد الرحمن بن
وصلة.

وفاته

توفي بمرسية سنة أحد عشر وستمائة¹.

¹ الموافق لـ 1214م. وقد صوب د. طویل كتابة التاريخ؛ فجعله هكذا:
إحدى عشر وستمائة.

إبراهيم بن أبي بكر

(ابن عبد الله بن موسى الأنصاري؛ تلمساني وقرشي (الأصل)؛
نزل بسبته؛ يكنى أبا إسحاق؛ ويعرف بالتلمساني.

حاله

كان فقيهاً عارفاً بعقد الشروط، مبرزاً في العدد¹
والفرايض، أديباً، شاعراً، محسناً، ماهراً في كل ما
يحاول. نظم في الفرائض - وهو ابن ثمانية² وعشرين سنة³
- أرجوزة محكمة بعلمها، ضابطة، عجيبة الوضع.

قال ابن عبد الملك: وخبرت منه في تكراري عليه،
تيقظاً وحضور ذهن، وتواضعاً، وحسن إقبال وبر،
وجميل لقاء ومعاشرة، وتوسطاً صالحاً فيما يناظر⁴ فيه
من التواليف، واشتغالاً بما يعنيه من أمر معاشه، وتخاملاً⁵
في هيئته ولباسه، يكاد ينحط عن الاقتصاد، حسب

¹ في ك: ((القدر)).

² صوبها د طويل فجعلها: ((مان)).

³ في الملكية: ((ثمانية عشر)). وقد صححها د طويل؛ فكتبها: ((بن ثمان وعشرين سنة)).

⁴ في ج، والملكية: ((يناط فيه)).

⁵ في المخطوطين: ((وتتخاملاً))؛ فصوبها عنان.

المألف والمعروف بسبته. قال ابن الزبير: كان أديباً لغوياً،
فاضلاً، إماماً في الفرائض.

مشيخته

تلا بمالقة على أبي بكر بن دسمان، وأبي صالح
محمد بن محمد الزاهد، وأبي عبد الله بن حفيد، وروي
بها عن أبي الحسن سهل بن مالك، ولقي أبا بكر بن
محرز، وأجاز له، وكتب إليه مجيزاً، أبو الحسن بن طاهر
الدباج، وأبو علي الشلوين، ولقي بسبته، الحسن أبا
العباس بن علي بن عصفور الهواري، وأبا المطرف أحمد
ابن عبد الله بن عفيرة، فأجازوا له، وسمع على أبي
يعقوب بن موسى الحساني الغماري.

من روى عنه

روي عنه الكثير ممن عاصره؛ كأبي عبد الله بن عبد
الملك، وغيره.

توآلفه

من ذلك: الأرجوزة الشهيرة في الفرائض؛ لم يصنف في فنّها أحسن منها. ومنظوماته في السير، وأمداح النبي، صلى الله عليه وسلم؛ من ذلك المعشرات على أوزان العرب، وقصيدة في المولد الكريم؛ وله مقالة¹ في علم العروض الدويّتي.

شعره

وشعره كثير، مبرّز² الطبقة بين العالي والوسط، منحازاً أكثر إلى الإجابة جمّة، وتقع له الأمور العجيبة فيه كقوله³:

الغدر في الناس شيمة سلفت
قد طال بين الوري تصرفها

¹ في ج، والملكية: ((مقام)).

² في المخطوطين: ((ميرد)).

³ هذه الأبيات من بحر المنسرح.

ما كل من سَرَت¹ له نِعَمٌ
منك يرى قدرها ويعرفها
بل ربما أعقب الجزاء بها
مضرةً عنك عز مصرفها
أما ترى الشمس تعطف بالنُّـ
ور على البدر وهو يكسفها

دخوله غرناطة

أخبر عن نفسه: أن أباه انتقل به إلى الأندلس، وهو
ابن تسعة أعوام؛ فاستوطن به غرناطة ثلاثة أعوام، ثم
رحل إلى مالقة؛ فسكن بها مدة، وبها قرأ معظم قراءته.
ثم انتقل إلى سبتة، وتزوج بها أخت الشيخ أبي الحكم
مالك بن المرحل. وهذا الشيخ جد صاحبنا وشيخنا أبي
الحسين التلمساني لأبيه، وهو ممن يطرز به التأليف،
ويشار² إليه في فنون شهرته. ومن شعره، وهو صاحب

¹ جعلها د طویل: ((سَرَبْتُ))؛ وهو أسلم.

² في المخطوطین: ((ویشر)).

مطولات مجيدة، وأما دح مبدية في الإحسان معيدة¹، فمن
قوله يدح الفقيه أبا القاسم العزفي أمير سبتة²:
أرأيت من رحلوا وزموا العيسا³
ولا نزلوا على الطلول حسيماً
أحسبت سوف يعود نسف ترابها
[يوماً⁴] بما يشفي لديك نسيماً
هل من⁵ مؤنسٍ ناراً بجانب طورها
لأنيسها أم هل تحس حسيماً

¹ في المخطوطين: ((بعيدة))؛ فصولها عنان.

² هذه الأبيات من بحر الكامل.

³ زموا: ربطوا بالخطام؛ وهو الحبل الذي يربط به عنق البعير ويشد إلى أنفه ليقاد، ويقصد هنا: ربطوا خطام الإبل بغرض الرحيل.

⁴ أضيفت هذه الكلمة من الملكية.

⁵ أسقط د. طويل كلمة ((من))؛ ليستقيم الوزن.

مولده

قال ابن عبد الملك : أخبرني أن مولده بتلمسان سنة
تسع وستمائة ¹.

وفاته

في عام تسعين وستمائة ² بسببة ؛ على سن عالية ؛
فسحت مدى الانتفاع به.

¹ الموافق لـ 1212م.
² الموافق لـ 1291م.

إبراهيم بن محمد

(ابن إبراهيم الأنصاري الساحلي؛ المشهور بالطونين¹؛ من غرناطة

حاله

من كتاب عائد الصلة: كان رحمه الله، نسيج وحده في الأدب، نظماً ونثراً، لا يشق فيهما غباره، كلام² صافي الأديم، [غزير المائبة³، أنيق الديباجة، موفور المادة، كثير الحلاوة، جامع بين الجزالة والرقّة، إلى خط بديع، ومشاركة في فنون، وكرم نفس، واقتدار على كل محاولة. رحل بعد أن اشتهر فضله، وذاع أوجه، فشرق، وجال في البلاد. ثم دخل إلى بلد السودان؛ فاتصل بملكها، واستوطنها زماناً طويلاً، بالغاً فيها أقصى مبالغ المكنة، والحظوة، والشهرة، والجلالة، واقتنى مالاً دثراً⁴، ثم آب إلى المغرب، وحووم على وطنه؛ فصرفه القدر إلى مستقره من بلاد السودان؛ مستزيداً من المال.

¹ يكنى أبا إسحاق؛ وتوجد ترجمته في الكتيبة الكامنة، ونشير فرائد الجمان، ونفح الطيب.

² في ج: ((الكلام)).

³ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((عزير المانعة))، وفي الملكية: ((المادة)).

⁴ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((دبراً))؛ والملكية: ((تبراً)).

وأهدى إلى ملك المغرب [هدية]¹ تشتمل على طرف،
فأثابه عليها مالاً خطيراً، ومدحه بشعر بديع كتبناه عنه.
وجرى ذكره في كتاب التاج بما نصه: ((جواب الآفاق،
ومحالف الإباق²، ومنفق سعد³ الشعر كل الإنفاق، رفع
ببلده⁴ للأدب راية لا تحجم، وأصبح فيها يسوي ويلجم،
فإن نسب، جرى ونظم نظم الجمان المحامد، وإن أبّن
وركي، غبّر في وجوه السوابق، وحثا، ولما اتفق كساد
سوقه، وضياق حقوقه، أخذ بالحزم، وأدخل على
حروف علايه عوامل الحزم، يسقط على الدول سقوط
الغيث، ويحل كناس الظبا وغاب الليث، شيع العجائب،
وركض النجائب، فاستضاف بصرام، وشاهد البرابي⁵
والأهرام. ورمى بعزمته الشام⁶، فاحتل ثغوره المحوطة،
ودخل دمشق، وتوجه الغوطة، ثم عاجلها بالعراق، فحيا

¹ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فأضافها عنان.

² في الكتيبة الكامنة: ((الرفاق)).

³ في الكتيبة: ((سعر)).

⁴ كلمة ببلده سقطت في الكتيبة.

⁵ كتبت في المخطوطين: ((الفرابني))؛ ولما كانت قد ذكرت إلى جانب الأهرام؛ فقد رجح عنان أنها يمكن أن تكون ((البرابي))؛ وهي كلمة تطلق على التواريخ الإسلامية على المعابد الفرعونية.

⁶ ترسم أيضاً ((الشام)).

بالسلام مدينة السلام، وأورد بالرافدين¹ رواحله، ورأى
اليمن وسواحله، ثم عدل إلى الحقيقة عن المجاز، وتوجه
إلى شأنه الحجاز، فاستلم الركن والحجر، وزار القبر
الكريم لما صدر، وتعرف بمجتمع الوفود بملك السود²،
فغمره بإرفاده، وصحبه إلى بلاده، فاستقر بأول أقاليم
العرض، وأقصى ما يعمر من الأرض، فحل بها
محل [الخمير في الغار]³، والنور في سواد الأبصار، وتقيد
بالإحسان، وإن كان غريب الوجه واليد واللسان،
وصدرت عنه رسائل أثناء إغرابه، تشهد بجلالة آدابه،
وتعلق الإحسان بأهدابه⁴)).

نشره

فمن ذلك ما خاطب به أهل غرناطة بلده، وقد
وصل إلى مراكش: ((سلام ليس دارين شعاره، وحلق

¹ كتبت في المخطوطتين: ((بالرفدس))؛ وعليه فقد رجح عنان أنها: ((بالرافدين))؛ أي دجلة والفرات؛ وهذا ينسجم مع سياق الكلام.

² حرفت في ج؛ فكتبت: ((بلد)).

³ في ك، و ت: ((الخمير في القار)).

⁴ حرفت في ك؛ فكتبت: ناهوايه)).

الروض والنضير به صداره، وأنسى نجداً شمه¹ الزكي
وعراره²، جر ذيله على الشجر فتعطر، وناجى غصن
البان فاهتز لحديثه وتأطر، وارتشف الندى من ثغور
الشقائق، وحيا حدود الورد تحت أردية الحقائق، طربت
له النجدية المستهامة، فهجرت صباها بطن تهامة، وحن
ابن دهمان لصباه، وسلا به التميمي عن رياه³، وأنسى
النميري ما تضرع برقيب من بطن نعمايه، واستشرف
السمر والبان، وتخلق بخلوقة الآس والظيان⁴، حتى إذا
راقت أنفاس تحياته ورقت، وملكت نفائس النفوس،
واستشرقت، ولبست دارين في ملائها، ونظمت الجوزاء
في عقد ثنائها، واشتغل بها الأعشى عن روضه ولهى،
وشهد ابن برد شهادة أطراف المساويك لها، خيمت في
ربع الجود بغرناطة ورقت، وملأت دلوها إلى عقد ركه⁵،
وأقبلت منابت شرقها عن غربه، لا عن عرفه، هناك تترى

¹ في المخطوطين: ((شجه)).

² نفسه: ((وعزاره))،؛ فصوبها عنان.

³ في ك: ((زيادة))، وفي ج: ((ديانة)).

⁴ في ج، و ت: ((الضيان))، وفي ك: ((والعنان))؛ وهو تحريف. والظيان هو نبات بري؛ من النباتات الزاحفة الملتفة؛ ويسمى ياسمين البر.

⁵ في ج، و ت: ((ركبت)).

لها صدور المجالس تحمل صدوراً، وترايب المعالي تحلى
عقوداً نفيسة وجذوراً¹، ومحاسن الشرف تحاسن البروج في
زهرها، والأفنية في إيوانها، والأندية في شعب بوانها²،
لو رآها النعمان لهجر سديره، أو كسرى لبذ إيوانه
وسريره، أو سيف لقصر عن غمدانه، أو حسان جلق
لغسانه³:

بلاد بها نيطت على تمائي
وأول أرض مس جلدي ترابها

فإذا قضيت من فرض السلام ختما، وقضت من
فاره⁴ الثناء حتما، ونفضت طيب عرارها⁵ على تلك
الأنداء، واقتطفت أزاهر محامدها أهل الود القديم
والإخاء، وعمت من هنالك من الفضلاء، وتلت سور⁶

¹ في ت: ((وجدوراً)).

² يطلق اسم ((شعب بوان))؛ على موضع في بلاد فارس؛ بالقرب من أرجان. وقيل أنها كانت من منتزهات الدنيا.

³ جلق: اسم من أسماء دمشق. وهذا البيت من البحر الطويل.

⁴ في الملكية: ((فارط)).

⁵ في ج: ((غرايرها))، وفي ك: ((عرايرها))، وفي ت: ((غابرها))؛ وكل ذلك محرف.

⁶ في ج، و ت: ((سر)).

آلائها على منبر ثنائها، وقصت وعطفت على من تحمل
 من الطلبة بشارتهم، وصدرت¹ عن إشارتهم، وأنارت²
 نجماً حول هالتهم المنيرة ودارتهم، فهناك تقص أحاديث
 وجدي على تلك المناهج، لا إلى صلة عالج، وشوقي
 إلى تلك العليا، لا إلى عبلة، والجزأ³ إلى ذلك الشريف
 الجليل، فسقى الله تلك المعاهد غيداً⁴ يهمني دعاؤها⁵،
 دعاؤها⁵، ويغرق روضها إغراقاً⁶، حتى تتكلل منه نحر
 زندها دراً، وترنو عيون أطراف نرجسها إلى أهلها سرراً⁷،
 سرراً⁷، وتتعانق قدود أغصانها طرباً، وتعطف خصور
 مذاربها على أطراف كثرانها لعباً، وتضحك ثغور أقاحها
 عند رقص أدواحها عجباً، وتحمر خدود وردها حياءً،
 وتشرق حدائق وردها سناء، وتهدي إلى السنة صباها]

¹ في النسخ الثلاث: ((صدر))؛ فصوبها عنان.

² في النسخ الثلاث: ((وأنار))؛ فصوبها عنان.

³ في الملكية و ت: ((وانجر)).

⁴ في المخطوطين: ((غيداً))، وفي ت: ((غيوثاً)). والغيداق: هو الشاب الناعم
 الناعم.

⁵ في ج: ((دعاوا))، وفي ل: ((دعافا)).

⁶ في ل: ((اغترقا)).

⁷ في ت: ((شزراً))، وفي ج: ((برزاً)).

خبر طيبة¹، وإنباء حتى تشتغل المطرية عن روضتها
المردودة، والمُتَكَلَّى²، عن مشاويه المجودة، والبكرى عن
شقائى رياض روضته الندية، والأخطل عن خلع³ بيعته
الموشية⁴. فما الخورنق⁵ وسُراد والرصافة وبغداد، وما
لف النيل في ملأته كرمًا إلى أفدين سقايته، وحاته
غمدان عن محراب، وقصر وابرية⁶ البلقاء عن غوطة
ونهر، بأحسن من تلك المشاهد التي تساوي في حسنها
الغائب والشاهد، وما لمصر تفخر⁷ بنيلها، والألف⁸ منها
منها في شنيها⁹، وإنما زادت الشين هنالك¹ ليعد
بذلك⁹:

¹ هذه العبارة وردت هكذا في النسخ الأربع. وطيبة هي يثرب مدينة رسول
الله صلى الله عليه وسلم.
² في المخطوطين، والملكية: ((والمكلى))؛ وصوبت من ت.
³ في ج، وك: ((بيعة الموشية))، وفي ت: ((بيعة المرسية)).
⁴ الخورنق: قصر أسطوري كان في ظاهر الحيرة.
⁵ في ك: ((وقصر وابدرة))، وفي ج: ((بريه))، وفي ت: ((برأيه)).
⁶ في ج: ((نفحر))، وفي ك: ((تهجر))؛ وهو تحريف.
⁷ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الف)).
⁸ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((شيلها - شلها)).
⁹ في ت، والملكية: ((ليعن بذلك))، وفي ج: ((ليعن ذلك)). وهذان البيتان من بحر الوافر.

ويا لله من شوق حثيث
ومن وجدٍ تنشَّط¹ بالصميم
إذا ما هاجه وجدٌ حديث
صبا منها إلى عهدٍ قديم

أجنح إنساني² في كل جانحة. وأنطق لساني من كل
جارحة، وأهيم وقلبي رهين الأئين، وصريع البين،
تهفق³ به الرياح البليلة إذا ثارت، وتطير به أجنحة البروق
البروق الخافقة أينما طارت، وقد كنت أستنزل قريبهم
براحة الأجل، وأقول عسى وطن يدينهم⁴ ولعل، وما
أقدر الله أن يدني على الشحط، ويبري⁵ جراح البين بعد
بعد اليأس والقنط، هذا شوقي يستعيره البركان لناره،
ووجدي لا يجري قيس في مضماره، فما ظنك وقد
حمت حول المورد الخضر، ونسمت ريح المنبت الخضر،

¹ في المخطوطين: ((نشيط))، وفي ت: ((نشيط)).

² المصادر نفسها: ((أساي)).

³ صوبها د طويل؛ فجعلها: تهفو؛ وهو أصوب.

⁴ في ت: ((يدنوا بهم)).

⁵ في ت: ((ويبرأ))، وفي المخطوطين: ((ويأمر)).

ونظرت إلى تلك المعاهد من أمم، وهمست باهتصار ثمار
ذلك المجد الينع والكرم، وإن الحب مع القرب لأعظم
هما، وأشد في مقاساة الغرام غماً¹:

وأبرح² ما يكون الشوق يوماً

إذا دنت الديار من الديار

وقربت مسافة الدوّار، لكن الدهر ذو غير³، ومن ذا⁴
يحكم على القدر، وما ضره لو غفل قليلاً، وشفى بقاء
الأحبة غليلاً، وسمح لنا بساعة اتفاق ووصل ذلك الأمل
القصير بباع، وروى مسافة أيام، كما⁵ طوى مراحل
أعوام. [لذّ إبليس]⁶؛ أفلا أشفقت من عذابي، وسمحت
ولو بسلام أحبابي: أسلمتني إلى ذرع البيد، ومحالفة
[الذميل والوخيد]⁷، والتنقل في المشرق والمغرب،

¹ هذا البيت من بحر الوافر.

² في الملكية: ((وأشد)).

³ في ج: ((أغير))، وفي ت: ((غيار)).

⁴ في المخطوطين والملكية: ((وماذا)).

⁵ في المخطوطين: ((كيما))؛ وصوبت من ت،

⁶ نفسه: ((لذا يليس))، وفي ك: ((لك إبليس)).

⁷ كتبت هذه العبارة في ج، و ت: ((الذميل الوحيد))، وفي ك: ((الوصيل

والوحيد))؛ وقد صوبت من الملكية. ومعنى الذميل هو: السير المتوسط؛

أما الوخيد؛ فهو: السير الواسع الخطى.

والتمطي في الصهوات والغوارب، يا سابق البين دع
محملة، وما بقي في الجسم ما يحمله، ويا بنات جديل،
ما لكن وللذميل، ليت سقمي عقيم فلم يلد ذات البين،
المشتة ما بين المحبين، ثم ما للزاجر الكاذب، وللغراب
الناعب، تجعله نذير¹ الجلا، ورايد الخلا، ما أبعد من
زاجر، عن رأي الزاجر. إنما فعل ما ترى، ذات الغارب
والقرى، المحتالة في الأزمة والبرى، المترددة بين التأويب
والسرى، طالما باكرت النوى، وصدعت صدع الثوى،²
وتركت الهائم بين ربع محيل، ورسم مستحيل، يقفو³
الأثر نحوه، ويسئل الطلل عن عهده، وإن أنصفت فما
لعين معقودة⁴، وإبل مطرودة، مالت عن الحوض
والشوط، وأسلمت إلى الجبل⁵ والعصا والسوط، ولو
خير النائي لأقام، ولو ترك القطا ليلا لنام، لكن الدهر
أبو براقش⁶، وسهم بينه وبين بنيه غير طائش، فهو الذي

¹ في المخطوطين: ((قدير))؛ وصوبها عنان.

² نفسه: ((النوى))؛ وصوبت من ت.

³ في ك: ((ينبو)).

⁴ في ج: ((مصفوه)).

⁵ في ك: ((الجبل)).

⁶ أبو براقش طائر بري؛ له ريش ينتفش؛ إذا ما هيج؛ فيتحول لونه إلى أشكال عديدة.

الذي شئت الشمل وصدعه، وما رفع سيفٌ بعماده إلا¹
وضعه، ولا بل غليلاً أحرقه بنار وجدّه ولا نفعه. فأقسم
ما ذات² خضاب وطوق، شاكية غرام وشوق، برزت³
في منصتها، وترجمت عن قضيتها، أو غربت عن بيتها،
ونفضت شرارة زفرتها عن عينها، ميلا حكت الميلا
والغريض، وعجماء ساجلت بسجعها القريض، وكصّت
الفود⁴ فكأنما نقرت العود، ورددت العويل، كأنما سمعت
النقيل، نبهت الواله فثاب، وناحت بأشواقها فأجاب.
حتى إذا افتر بريقها⁵، استراب في أنثها، فنادى يا حصيبة
الساق، مالك والأشواق، أباكية ودموعك⁶ راقية، ومحرة
ومحرة وأعطافك حالية، عطلت الخوافي، وحليت
القوادم، وخضبت الأرجل، وحضرت⁷ المأتم⁸. أما أنت

¹ في النسخ الثلاث والملكية: ((من))؛ وصوبها عنان.

² في النسخ الثلاث: ((ماذا))، وفي الملكية: ((ماذا خطاب))؛ وصوبها عنان.

³ في ك، و ت: ((بررت)).

⁴ كصت الفود: أي دقته. والفود هو معظم الشعر. والمقصود هنا ليس الشعر في حد ذاته؛ بل المراد هو الرأس.

⁵ في ج، والملكية: ((بربتها))، وفي ت: ((بريتها)).

⁶ في ك: ((دموع)).

⁷ في المخطوطين: ((حضرت))، وفي الملكية: ((حضرت)).

⁸ في ك: ((المأتم)).

أنت فنزيرة خمار، وحليفة أنوار وأشجار، تتردد بين
منبر وسرير، وتتهادين بين روضة وغدير، أسرفت في
الغناء، وإنما حكيت خريز الماء، وولعت بتكرير الرءاء،
فقلت أعد نظر البقير¹، ولأمر ما جدع أنفه قصير، أنا
التي أغرقت في الرُزء، فكنت² عن الكل بالجزء، كنت
أربع بالفيافي ما ألافى، وأنس مع مقيلي، بكرته
وأصيلي، تحتال من غدير إلى شرج³، وتنتقل من سرير
إلى سرج، آونة تلتقط الحبّ، وحيناً تتعاطى الحبّ،
وطوراً تتراكم الفنن، وتارة تتجاذب الشجن⁴، حتى إذا
رماه الدهر بالشتات، وطرفة بالآفات، فهأنا بعده دامية
العين، دائمة الأين، أتعلل بالأثر بعد العين، فإن صعدت
مناري⁵، ألهمت منقاري، أو نكأت أحشائي، خضبت
رجلي بدمائي. فأقسم لا خلعت طوق عهده، حتى أردى⁶
أردى⁶ من بعده، بل ذات خفض وترف، وجمال باهر

¹ في المخطوطين والملكية: ((البهير)).

² في ك: ((ونكشف))، وفي ت: ((ونسكت))، وفي الملكية: ((ونكست)).

³ في المخطوطين: ((سرج))، والشرح هنا هو مسيل الماء.

⁴ في المخطوطين والملكية: ((الشجر)).

⁵ في ك: ((ناري)).

⁶ في النسخ الأربع: ((أردموه)).

وشرف، بسط الدهر يدها، وقبض ولدها، فهي إذا
 عقدت التمايم على تريب، أولفت¹ العمائم على نجيب،
 حثت المفؤود²، وأدارت عين الحسود، حتى إذا أينعت
 فسالها، وقضى حملها وفصالها، عمر لحدّها بوحيد كان
 عندها وسطى، وفريد أضحى في نحر³ عشيرتها سمطا،
 استحثت له مَهَبَّات النسيم الطارق، وخافت عليه من
 خطرات اللحظ الراشق، فحين هش للجياذ، ووهب
 التمايم للنجاد ونادى الصريم، يا لآل والحريم، فشد
 الأناة، واعتقل القناة، وبرز يختال في عيون لامة،
 ويتعرف منه رحمه بألفه ولامه، فعارضه شَنُّ⁴ الكفين،
 عاري الشعر والمنكيين، فأسلمه لحتفه، وترك حاشية ردائه
 على عطفه، فحين انبهم لشاكلته ما جرى [برزت
 لتري⁵:

¹ في المخطوطين: ((ليف))، وفي ت: ((أف)).

² في ت: ((المقتودة)).

³ في النسخ الأربع: ((نحره)).

⁴ في ت: ((شنن)). والشنن؛ معناه: الخشن.

⁵ وردت هذه العبارة في ك؛ هكذا: ((أبرزت الثرى)). وهذان البيتان من البحر الطويل.

فلم تلق¹ غير خمس قوايم
وأشلاء لحم تحت ليث سخايل²
يحط على أعطافه وترايبه
بكف حديد الناب صلب المفاصل

أعظم من وجد إلى تلك الآفاق، التي أطلعت
وجوه الحسن والإحسان، وسفرت عن كمال الشرف،
وشرف الكمال عن كل وجه³ حسان، وأبرزت من ذوي
الهمم المنيفة، والسير الشريفة، ما أقر عين العلياء، وحلى
جيد الزمان، فتقوا⁴ للعلم أزهاراً أربت على الروض
المجود، وأداروا للأدب هالة استدارت حولها بدور السعود،
نظم الدهر محاسنهم حلياً في جيده ونخره، [واستعار
لهم⁵ الأفق ضياء شمسه وبدره، وأعرب بهم الفخر عن
صميمه، وفسح لهم المجد عن صدره، فهم إنسان عين

¹ أضاف د طويل كلمة فيها بعد ((تلق))؛ وذلك أسلم.

² في ك: ((مخاتل)).

³ في ت؛ وردت بعد كلمة ((وجه))؛ كلمة ((وجه))؛ ويبدو هذا من باب السهو لا غير.

⁴ في ك: و ت: ((فتقوى)).

⁵ نفسه: ((واستعلاهم)).

الزمان، وملتقى طريقي¹ الحسن والإحسان، نظمت
الجوزاء مفاخرهم، ونثرت النثرة مآثرهم، واجتلبت
الشّعري² من أشعارهم، وطلع النور من أزرارهم³،
 واجتمعت الثريا لمعاطاة أخبارهم، وود الدلو لو كرع في
حوضهم، والأسد لو ربيض حول ربضهم، والنعايم⁴ لو
غذيت بنعيمهم، والمجرة لو استمدت من فيض كرمهم،
عشق⁵ المسك محاسنهم فرق، وطرب الصبح لأخبارهم
فخرق جبينه وشق، وحام النسر حول حمامهم وحلق،
وقدّ الفخار جدار⁶ محامدهم وخلق، إلى بلاغة أخرست
لسان ليبد، وتركت عبد الحميد غير حميد، أهل ابن
هلال لمحاسنهم وكبر، وأعطى القاري⁷ ما زجر به قلمه
وسطر، وأيس إياس من لحاقهم⁸ فأقصر لما قصر).

¹ في ت: ((طريق)).

² في النسخ الثلاث: ((الشعر))؛ فصوبها عنان.

³ في ج: ((أزناهم)).

⁴ في ت، والملكية: ((والنعيم)) مفردة؛ وحرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((والتعليم)).

⁵ هكذا في ك، وفي ج.

⁶ حرفت في ك؛ فكتبت: ((مدار)).

⁷ في المخطوطين: ((الغاري)).

⁸ في المخطوطين، والملكية: ((وحاقهم)).

ومنها: ((فما للوشي تألق ناصعه، وتأنق يانعه¹، بأحسن
مما وشته أنفاسهم، ورسمته أطراسهم، فكم لهم من
خريدة غذاها العلم ببره²، وفريدة حلاها البيان بدره،
واستضاءت المعارف بأنوارهم، وباهت الفضائل بسناء
منارهم، وجلت المشكلات بأنوار عقولهم وأفكارهم،
جلوا عروس المجد وحلوا، وحلوا³ في ميدان السيادة
ونشأوا، وزاحموا السُّهى⁴ بالمناكب، واختطوا الترب فوق
فوق الكواكب، لزم محلهم التكبير، كما لزمتم الياء
التصغير، وتقدموا في رتبة الأفهام، كما تقدمت همزة
الاستفهام، ونزلوا من مراتب العلياء، منزلة حروف
الاستعلاء، وما عسى أن أقول ودون النهاية مدى نازح،
وما أغنى الشمس عن مدح المادح، وحسبي أن أصف ما
أعانيه من الشوق، وما أجده من التوق، وأعلل نفسي
بلقائهم، وأتعلل بالنسيم الوارد من تلقائهم، وإن جلاني
الدهر عن ورود حوضهم، وأقعدني الزمان عن اجتناء

¹ في المخطوطتين: ((أنعه))؛ وهو تحريف.

² نفسه: ((برره)).

³ في ك: ((وحذوا)).

⁴ في النسخ الثلاث: ((السهر))؛ فصوبها عنان.

روضهم، فما ذهب ودادي، ولا تغير اعتقادي، ولا جفت
أقلامي عن مدادهم ولا مدادي، وأنا ابن جلاً في
وجدهم، وطالّ الثنايا إلى كرم عهدهم، إن دعوا إلى ودٍ
صميم وجدوني، أضع¹ العمامة عن ذوي² عهد قديم
عرفوني³، ولو شرعوا نحوي قلم مكاتبهم⁴، وأسحوا⁵
بالعلق الثمين من مخاطبتهم، لكفوا من قلبي العاني قيد⁶
إساره، وبلوا صدى وجدي المتحرق بناره، ففي الكتابة
بلغه الوطر، وقد يغني عن العين الأثر، والسلام الأثير
الكريم الطيب الرّيا⁷، الجميل الحيا، [يحضر محلهم⁸
الأثير، وكبيرهم إذ ليس فيهم صغير، ويعود على من
هناك من ذوي الود الصميم، والعهد القديم، من أخٍ برٍ
وصاحب حميم، ورحمة الله وبركاته)).

¹ في المخطوطين: ((أوضع)).

² في ك: ((ذدي)).

³ وردت هذه الكلمة في المخطوطين، وسقطت في ت.

⁴ في ت: ((كتابتهم)).

⁵ في المخطوطين: ((أسحوا)).

⁶ في ك: ((قد)).

⁷ في ك: ((الثريا))، وفي ج: ((الرياي)).

⁸ في الملكية: ((يخص علاهم)).

ولا خفاء ببراعة هذه الرسالة¹ على طولها، وكثرة
أصولها، وما اشتملت عليه من وصف وعارضة، وإشارة
وإحالة، وحلاوة وجزالة.

شعره

ثبت لديّ من متأخر شعره قوله من قصيدة، يمدح
بها ملك المغرب²، أمير المسلمين، عند دنو ركابه من
ظاهر تلمسان ببابه أولها³:
خطرت كميّاس⁴ القنا المتأطر⁵
ورنت بألحاظ الغزال الأعفر

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الرياسة)).

² هو السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد
الحق المريني. حكم من سنة 731هـ/1330م إلى سنة 749هـ/1348م؛
السنة التي اغتصب فيها الحكم منه ابنه أبو عنان فارس، وكانت وفاة
أبي الحسن في جبل هنتانة سنة 752هـ/1351م.

³ قال هذه القصيدة مادحا السلطان أبي الحسن، ومحرضا إياه على حرب
حرب أبي تاشفين عبد الرحمن الأول؛ ذلك السلطان الزياني الذي تأمر
على والده وقتله، أما القصيدة المذكورة؛ فقد اكتفى ابن الخطيب بمطلعها
المتمثل في البيت الأول؛ وهي من البحر الكامل. أما ابن الأحمر - في نثير
فرائد الجمان؛ فقد نشر القصيدة كاملة في خمسين بيتا.

⁴ في المخطوطين: ((كمياد)).

⁵ في ت: ((المتناظر))، وفي المخطوطين: ((الناظر))؛ وهو تحريف.

ومن شعره في النسيب¹:
زارت وفي كل لحظ طرف² محترس
وحول كل كناس كف مفترس
يشكو لها الجيد ما بالحلي من هدر
ويشتكي الزند ما بالقلب من خرس
متى³ تلا خدها الزاهي الضحى نطقت
سيوف ألحظها من آية الحرس
في لحظها سحر فرعون ورققتها⁴
آيات⁵ موسى وقلبي موضع القبس
تخفي النومين من حلي ومبتسم
تحت الكتومين من شعر ومن غلس
وترسل اللحظ نحوي ثم تهزأ بي
تقول بعد نفوذ⁶ الزميمة احترس

¹ هذه القصيدة من بحر البسيط.

² سقطت كلمة ((طرف)) في المخطوطين، والملكية أيضاً.

³ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت في ل: ((معنى))، وفي ج: ((معني)).

⁴ في المخطوطين: ((ورمتها)).

⁵ نفسه: ((آية))؛ وصوبت من ت.

⁶ ذكرت في ج، و ت؛ بينما سقطت في ل.

أشكو إليها فؤاداً واجلاً¹ أبداً
في النازعات وما تنفك من عبس
يا شقة النفس إن النفس قد تلفت
إلا بقية رجع الصوت والنفس
هذا فؤادي وجفني فيك قد جمعا
ضدين فاعتبري إن شئت واقتبسي
ويا لطارق² نوم منك أرقني
ليلاً ونبهني للوجد ثم نسي
ما زال يشرب من ماء القلوب فلم
أبصرته ذابلاً يشكو من اليبس
ملأت طرفي عن وردٍ تفتح في
رياض خديك صلاً³ غير مفترس
وقلت للّحظ والصدغ أحرسا فهما
ما بين مُصنمٍ وفَتاك⁴ ومنتكس

¹ في المخطوطين: ((وجه))؛ وصوبت من ت، والملكية.

² في، وت: ((ويا لطرف))، وفي ك: ((وبالطرف)).

³ في المخطوطين: ((صلاً))، وف ت، والملكية: ((بالأصيل)).

⁴ في المخطوطين: ((وماياه)).

وليلة جئتها سحراً¹ أجوس بها
شبا العوالي وخيس الأخنف الشرس
أستفهم الليل عن أمثال أنجمه
وأسأل² العيس³ عن سرب المها الأنس
وأهتك الستر لا أخشى بواده
ما بين منتهز طوراً ومنتهس
بتنا نعاطي بها ممزوجةً مزجت
حلو⁴ الفكاهة بين اللين والشرس
أنكحتها من أبيها وهي آيسة
فثار أبناؤها في ساعة العرس
نورٌ ونارٌ أضاءا في زجاجتها
فذاك خذُّك يا ليلي وذا نفس⁵

¹ في النسخ الأربع: ((يلاً)).

² غير د طويل ألف القطع في بداية كلمة: ((أسأل))؛ وجعلها ألف وصل؛ وهو أسلم.

³ في ك: ((العيس)).

⁴ في النسخ الأربع: ((حال).

⁵ جعلها د طويل ((نفسى))؛ وهو أسلم.

حتى إذا آب نور¹ الفجر في وضح²
معرك جال بين الفجر والغلس
وهيمنت بالضنا تحت الصباح صباً
قد أنذرتها ببرد القلب واللّغس
قامت تجر فضول الريط أنسة³
كريمة الذيل لم تجنح إلى دنس
تلوث فوق كثيب الرمل مطرفها
وتمسح النوم عن أجفانها النعس
فظل قلبي يقفوها بملتهب
طوراً ودمعي يتلوها بمنبجس
دهر يلون لونيّه كعادته
فالصبح في مأتمٍ والليل في عرس

وإحسانه كثير، مقداره كبير. ثم آب إلى بلاد
السودان، وجرت عليه في طريقه محنة، ممن يعترض
الرفاق ويفسد السبيل. واستقر بها على حاله من الجاه

¹ في النسخ الثلاث: ((ليل)).

² سقطت في النسخ الأربع.

³ سقطت في المخطوطين؛ وفي الملكية: ((من طهر)).

والشهرة، وقد اتخذ¹ أماء للتسري من الزنجيات، [ورزق]²
من الجوالك أولاداً كالخنافس، ثم لم يلبث أن اتصلت
الأخبار بوفاته بتبكتو³؛ وكان حياً في أوائل تسعة
وثلاثين وسبعمائة⁴.

¹ في ك: ((أخذ)).

² هذه الكلمة سقطت في المخطوطين، وفي الملكية أيضاً؛ فأضافها عنان.

³ تبكتو كانت عاصمة لمملكة شهيرة في جنوب الصحراء؛ وموقعها الآن في مالي، وتربض على ضفاف نهر النيجر.

⁴ الموافق لـ 1338م. في فراند نثير الجمان ونفج الطيب: توفي بمالي من أرض جناوة (قناوة) سنة 744هـ 1343م.

إبراهيم بن عبد الله

(ابن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميري؛ من أهل غرناطة؛ يُكنى أبا إسحاق؛ ويعرف بابن الحاج¹).

أوليته

بيت نبية، يزعم من يُعنى بالأخبار، أن جدهم الداخل إلى الأندلس ثوبة بن حمزة النميري، ويشركهم² فيه بنو أرقم الوادي شيون³. وكان سكناه بجهة وادي آش، ولقومه اختصاص وانتقال ببعض جهاتها، وهي: شوَطر، والمنظر، وقرسيس، وقطرش⁴. تغلب العدو عليها على عهد عبد العزيز⁵، وآوى جميعهم، إلى كنف الدولة النصرية؛ فانخرطوا في سلك الخدمة، وتمحض خلفهم بالعمل. وكان جده الأقرب إبراهيم، رجلاً خيراً لِمَن أهل

¹ توجد ترجمة ابن الحاج النميري أيضاً في الكتيبة الكامنة، ونيل الابتهاج، والمنهل الصافي، ونشير فرائد الجمال، ونفح الطيب.

² في ك: ((وبشكرهم)).

³ يقصد الوادي أشيون؛ نسبة إلى مدينة وادي آش بالأندلس؛ وقد سبق التعريف بها.

⁴ لا يعرف من هذه البلدان سوى شوَطر؛ التي تسمى الآن Jodar؛ وهي في أعمال جيان؛ وفي الجهة الجنوبية من مدينة أبدة. ويبدو أن المواقع الأخرى - حتى وإن كانت غير معروفة - فلا تخرج من نطاق جيان ووادي آش.

⁵ جد المترجم له.

الدين] والفضل والطهارة والذكاء، كتب للرؤساء من بني
إشقيولة، عند انفرادهم بوادي آش. واختص بهم،
وحصل منهم على صهر بأم ولد بعضهم، وضبط المهمل
من أعمالهم. ثم رابته منهم سجايا، أوجبت انصرافه
عنهم، وجنوحه¹ إلى خالهم السلطان الذي كاشفوه
بالثورة، فعرف حقه، وأكرم وفادته، وقبل بيانه، فقلده
ديوان جنده، واستمرت أيام عمره تحت رعيه، وكنف
عنايته، وكان ولده عبد الله أبو صاحبنا المترجم به،
صدراً من صدور المستخدمين في كبار الأعمال، على
سنن² رؤسائهم، مكساباً متلاًفاً³، سرى النفس، [غاص
الحوار]⁴. ولي الأشغال بغرناطة وسبتة، عند تصيرها إلى
إيالة بني نصر، وجرى طلاقه هذا، في صلّ دنيا
عريضة، تغلبت عليه بآخرة، ومضى لسبيله، مصدوقاً
بالكفاية، وبراعة الخط، وطيب النفس، وحسن المعاملة.

¹ حرفت في ك؛ فكتبت: ((وجنوحهم)).

² في ك: ((سر)).

³ في ج: ((متلافا)).

⁴ في المخطوطتين: ((غاص الحوار))، وفي ت: ((غاص للحوار))، وفي
الملكية: ((غاصا للحوار)).

حاله

هذا الرجل؛ نشأ على عفاف وطهارة، امتهك صباية ترف من بقايا عافية، أعانته على الاستظهار ببزة، وصابته من التحرف بمهنة. ثم شد وبهرت خصاله، فبطح بالشعر، وبلغ الغاية في إجادة¹ الخط، وحاضر بالأبيات، وأرسم² في كتابة الإنشاء، عام أربعة وثلاثين وسبعمائة³، مستحقاً حسن سمة وبراعة خط، وجودة أدب⁴، وإطلاق يد، وظهور كفاية، وفي أثناء هذا الحال، يقيد ولا يفتر، ويروي الحديث، ويعلق⁵ الأناشيد، ولا يغيب النظم والنثر، ولا يعفي القريحة، معمي، مخولاً في العناية، مشتملاً على الطهارة، بعيداً في زمان الشبيبة عن الريبة، نزيهاً على الوسامة عن الصبوة⁶ والرقية، أعانه على ذلك، نخوة في طبعه وشفوف⁷ وهمة⁷. كان مليح الدعابة،

¹ في نفج الطيب: ((جودة)).

² نفسه: ((وارتسم في كتاب الإنشاء)).

³ الموافق لـ 1333م.

⁴ في النفج: ((سمت، وجودة أدب وخط)).

⁵ في المخطوطين والملكية: ((ويغلق)).

⁶ في ج: ((الكبوة))، وفي ك: ((الطبوة)).

⁷ في ك، وت: ((ووهمه)).

الدعابة، طيب الفكاهة، [أثر المشرق]¹؛ فانصرف عن²
الأندلس في محرم عام سبعة وثلاثين وسبعمائة³، وألم
بالدول، محركاً إياها بشعره، هازاً أعطافها بأمداحه،
فعرف قدره، وأعين على طيته، فحج وتطوف، وقيد،
واستكثر، ودون في رحلة سفره، وناهيك بها طرفة،
وقفل إلى إفريقية، وكان علق بخدمة بعض ملوكها،
فاستقر ببجاية لديه، مضطرباً بالكتابة والإنشاء. ثم انتقل
إلى خدمة سلطان المغرب، أمير المسلمين أبي الحسن، ولم
ينشب أن عاد إلى البلاد المشرقية؛ فحج، وفصل إلى
إفريقية، وقد دالت الدولة بها بالسلطان⁴ المذكور، فتقاعد
فتقاعد عن الخدمة، وأثر الانقباض، ثم ضرب الدهر
ضرباته، وآل حال السلطان إلى ما هو معروف، وثابت
للموحدين برملة ببجاية بارقة لم [تكذ تتقد]⁵ حتى خنت
فعاد إلى ديوانه من الكتابة عن صاحب بجاية. [ثم]⁶ أبا

¹ ذكرت هذه العبارة في النسخ الأربع هكذا: ((إلى أثر المشرق))؛ فصوبها عنان.

² في المخطوطتين: ((إلى))؛ فصوبها عنان.

³ الموافق لـ 1336م.

⁴ في المخطوطتين: ((السلطان)).

⁵ نفسيهما: ((تكن تقد))؛ فصوبها عنان.

⁶ كلمة ((ثم)) أضافها عنان.

مؤثراً للدعة في كنف الدولة الفارسية¹، ونفض عن الخدمة يده، لا أحقق مضطراً أم اختياراً، وحجة كليهما قائمة لديه، وانقطع إلى تربة الشيخ أبي مدين بعباد² تلمسان، مؤثراً للخمول، عزيزاً به، ذاهباً مذهب التجلة من التجريد والعكوف بباب الله، مفخراً، لأهل نخلته³، وحجة على أهل الحرص والتهافت، من ذوي طبقة، راجع الله بنا إليه بفضل، ثم جبرته الدولة الفارسية على الخدمة، وأبرته بزة النسك، فعاد إلى ديدنه من الكتابة، رئيساً ومرؤوساً. ثم أفلت نفيه موت السلطان أبي عنان؛ فلحق بالأندلس، وتلقى ببر وجراية، وتنويه وعناية، واستعمل في السفارة إلى الملوك، وولى القضاء في الأحكام الشرعية بالقليم بقرب الحضرة. وهو الآن بحاله الموصوفة، صدرًا من صدور القطر وأعيانه، يحضر⁴ مجلس مجلس السلطان، ويعد من نبهاء من ينتاب بابه، وقد

¹ نسية إلى سلطان بني مدين أبي عنان فارس.

² العباد قرية ملاصقة لتلمسان؛ أصبحت الآن حياً من أحيائها؛ بها قبر الولي الصالح أبي مدين شعيب بن الحسين؛ المتوفي سنة 594هـ/1197م.

³ في ك: ((نخلته)).

⁴ في ج، والملكية: ((بحضرة)).

توسط من الاكتهال، مقيماً لرسم الكتابة والظرف مع
الترخيص للباس الحرير، والخضاب بالسواد، ومصاحبة
الأبهة، والحرص على التجلة. وجرى ذكره في التاج
المحلي بما نصه¹: ((طلع شهاباً ثاقباً، وأصبح بشعره
للشعرى مصاقباً، فنجم وبرع، وتمم المعاني واخترع، إلى
خط يستوقف الأبصار رايقه، وتقيد الأحداق حدايقه،
وتفتن الألباب فنونه البديعة وطرايقه، من بليغ يطارد²
أسراب المعاني البعيدة فيقتنصها، ويغوص على الدرر
الفريدة فيخرجها، ويستخلصها بطبع مذاهبه دافقة، وتأييد
رايته خافقة، نبه في عصره شرف البيان من بعد الكرى،
وانتدب بالنشاط إلى تجديد ذلك البساط وانبرى، فدارت
الأكواس³، وتضوع الورد والآس، وطاب الصبوح، وتبدل
الروح المروح، ولم تزل نفحاته تتأرجح، وعقائل بناته
تتبرج، حتى دعي إلى الكتابة، وخطب إلى تلك المثابة⁴،
فطرز المفارق برقوم أقلامه، وشنف المسامع بدر كلامه. ثم

¹ هذا النص موجود أيضاً في الكتيبة الكامنة؛ ولكنه يختلف عما هو في النص أعلاه.

² في المخطوطتين والملكية: ((يطارب))؛ فصوبها عنان.

³ المصادر نفسها: ((الكباس))؛ وصوبت من الملكية.

⁴ في ج: ((المثوبة)).

أجاب داعي نفسه التي ضاق عنها جثمانه، لا بل زمانه، وعظم لها فكره وغمه، وتعب [في¹] مداراتها، وكما قال أبو الطيب المتنبي: (وأتعب خلق الله من راد محمده). فارتحل لطيته، واقتعد غارب²، مطيته، فحج وزار، وشد للطواف الإزار. ثم هبا إلى المغرب وحوم، وقفل قفول النسيم عن الروض بعد ما تلوم، وحط بإفريقية على نار القرى، وحمد³ بها صباح السرى، ولم يلبث أن تنقل، ووحر الحميم شفافه وتنغل، ثم بدا له أخرى فشرق، وكان عزمه أن يجتمع فتفرق.

مشيخته

روى عن مشيخة بلده وأشجر، وقيد واستكثر، وأخذ في رحلته عن أناس شتى بشق إحصائهم⁴.

¹ ((في)) أضافها عنان.

² في المخطوطين: ((غاب))؛ وهو تحريف.

³ في ج: ((وحم))، وفي ل: ((وحمل))؛ فصوبها عنان.

⁴ في ج: ((احصارهم)).

توآلفه

منها كتاب ((المساهلة والمسامحة في تبين طرق المداعبة والممازحة))، و((إيقاظ¹ الكرام بأخبار المنام، وتنعيم الأشباح بمحادثة² الأرواح))، و((كتاب الوسائل ونزهة المناظر والخمائل))، و((الزهرات وإجالة النظرات))، وكتاب في ((التورية)) على حروف المعجم؛ أكثره مروى بالأسانيد عن خلق كثير، والله تعالى يخره، و((جزء في تبين المشكلات الحديثة الواصلة من زييد اليمن³ إلى مكة))، و((جزء في بيان اسم الله الأعظم⁴))، وهو كبير الفائدة، و((نزهة الحدق في ذكر الفرق))، و((كتاب الأربعين حديثاً البلدانية))، و((المستدرك عليها من البلاد التي دخلتها، ورويت فيها))؛ زيادة على الأربعين، و((روضة العباد المستخرجة من الإرشاد))؛ وهو من تأليف شيخنا القطب أبي محمد

¹ في المخطوطين: ((إيقاض)).

² في المخطوطين: ((محادثة)).

³ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((زييد المن)).

⁴ في نفح الطيب: ((الاسم الأعظم؛ كثير الفائدة)).

الشافعي، و((الأربعون حديثاً التي رواها عن الأمراء والشيوخ))؛ الذين [رووا]¹ عن الملوك والأمراء، والشيوخ الذين رووا عن الملوك والخلفاء القريب عهدهم، ووصلت بها خاتمة ذكرت فيها فوائد مما رواه عن الملوك والأمراء، وعن الشيوخ الذين رووا عن الملوك والأمراء، و((كتاب اللباس والصحبة))؛ وهو الذي جمعت فيه طرق المتصوفة، المدعى أنه لم يجمع مثله، و((كتاب فيه شطر الحماسة))؛ لحبيب؛ وهو غير مُكَمَّل، و((رجز² في الفرائض))؛ على الطريقة البديعة التي ظهرت ببلاد³ الشرق، و((رجز صغير في الحُجُب والسلاح))، و((رجز في الجدل))، ورجز⁴ في الأحكام الشرعية سماه⁵، ((بالفصول المقتضبة في الأحكام المنتخبة))، وكتاب سماه ((بمثاليث⁶ القوانين، في التورية والاستخدام والتضمين))؛ و((التضمين))؛ وهو كله من نظمه، وله تأليف سماه بـ((

¹ سقطت هذه الكلمة في ك.

² في نفح الطيب: ((وجزء)).

³ نفسه: ((بالمشرق)).

⁴ نفسه: ((جزء)).

⁵ في المخطوطين: ((سميته))؛ فصوبها عنان.

⁶ في النفج: ((مثالب)).

فيض العباب، وإجالة قداح الآداب، في الحركة إلى
قسنطينة والزاب¹)).

شعره

ومن شعره في المقطوعات²:

طاب العذيب بماء³ ذكرك واثني

فكأنما ماء العذيب سلافه

واهتز من طربٍ للقياك الحمى

فكأنما بأناته⁴ أعطافه

ومن ذلك⁵:

لي المدح يروى منذ كنت كأنما

تصورت مدحاً للورى وثناء

¹ في المخطوطتين: ((الذباب))؛ وهو تحريف، وقسنطينة مدينة عريقة؛ كانت تسمى قبل العهد الروماني ((سيرتا)) أو قرتا))؛ وتعتبر الآن عاصمة الشرق الجزائري، أما الزاب؛ فهي المنطقة الجنوبية لقسنطينة؛ تشتهر بنخيلها وبساتينها الواسعة، وتمورها الجيدة؛ وعاصمة الزاب الآن هي مدينة بسكرة.

² هذان البيتان يوجدان أيضاً في الكتيبة الكامنة، وهما من بحر الكامل.

³ في الكتيبة الكامنة: ((بطيب)).

⁴ نفسه: ((بانائه))؛ وهي أصلح.

⁵ هذان البيتان يوجدان أيضاً في الكتيبة الكامنة، ونثير فرائد الجمال، ونفج ونفج الطيب، وهما من البحر الطويل.

ومالي هجاء فأعجبني لشاعر
وكاتب سرٍ لا يقيم هجاء
ومن ذلك¹:

ولي فرسٌ من عليّة الشهب سابق
أصرفه يوم الوغى كيف أطلب
عدوت² له في حلبة القوم مالكا
يتابعني³ ما شئت في [السبق]⁴ أشهب⁵
وقال: وقد وقف حاجب السلطان على عين ماء
((فيض الثغور⁶))، وشرب منها⁷:
تعجبت من ثغر هذي البلاد
وها أنت من [عينه شارب]⁸

¹ هذان البيتان يوجدان أيضاً في الكتيبة الكامنة، وهما من البحر الطويل.

² في الكتيبة الكامنة: ((غدوت))؛ بالغين المعجمة.

³ في ك: ((فتى يعني)).

⁴ هذه الإضافة من الملكية؛ بينما بقي في موضعها بياض في ج.

⁵ ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا: ((فتابعني منه كما شاء أشهر)).

⁶ في نفح الطيب: ((ببعض الثغور)).

⁷ هذان البيتان يوجدان أيضاً في نفح الطيب، وهما من بحر المتقارب.

⁸ في الملكية: ((عينها تشرب)). وورد عجز هذا البيت في نفح الطيب هكذا: ((ومولاي من عينها شارب)).

فأله ثغر أرى شارباً
وعينٌ بدا فوقها حاجب
ومن ذلك: ¹

وحمراء في الكأس مشمولة
تحت على العود ² في كل بيت
فلا غرّو أن جاعني سابقا
إلى الأنس خل ³ يحث الكميت
وقال مُضَمَّنًا؛ وقد تذكر حمراء غرناطة، وبابها الأحفل؛
المعروف بـ((باب الفرّج)) ⁴:

أقول وحمراء غرناطة تشوق
النفوس وتسبي المهج
ألا ليت شعري بطول السرى
أرتنا الوجى واشتكت ⁵ العرج

¹ هذان البيتان يوجدان أيضاً في الكتيبة الكامنة ونفح الطيب، وهما من بحر المتقارب.

² سقطت في المخطوطين؛ وأضيفت من الملكية، ونفح الطيب.

³ في المخطوطين: ((حل))؛ وفي الكتيبة: ((حب))، وفي نفح الطيب: ((خل)).

⁴ كان آنذاك باب الفرّج؛ هو الباب الرئيس لقصر الحمراء؛ وهو يلي باب باب الشريعة، ويعتبر المدخل الحالي لقصر الحمراء هو المكان الذي كان قائماً فيه باب الفرّج. أما الأبيات التالية؛ فهي من بحر المتقارب.

⁵ في ل: ((واستكتب))، وفي ج: ((واستكتبه)).

وما لي في عرجٍ رغبةٌ
ولكن لأقـرع باب الفرج
وقال مُلغزاً في قلم وهر ظريف¹:
أحاجيك² ما واشٍ يراد حديثه
ويهوى الغريب النازح الدار إفصاحه
تراه مع الأحيان أصفر ناحلاً
كمثل مريض وهو قد لازم الراحة³
وقال⁴:

وقالوا رمى في الكأس ورداً فهل ترى
لذلك وجهاً قلت أحسن به قصدا
ألم تجد اللذات في الكأس حلبة
فلا تتكروا فيها الكميث ولا الورد

¹ هذان البيتان وردا أيضاً في الكتيبة الكامنة ونفح الطيب، وهما من البحر الطويل.

² في نفح الطيب: ((سألتك)).

³ ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا:

((تراه مدى الأيام أصفر ناحلاً * كمثل عليل وهو قد لازم الراحة)).

⁴ هذان البيتان من البحر الطويل.

وقال¹:

[كمأة تلاقى تحت نفع سيوفهم
وللهام رقصٌ كلما طلب الثأر
فلا غرو أن غنت وتلك رواقص
...² فيهم في مارد الحرب أوتار]³

وقال⁴:

وعارضٌ في خده نباته
فحسنه بين الورى يسحرنا
أجرى دموعي إذ جرت شوقاً له
فقلت هذا عارضٌ ممطرنا
وقال وقد توفي السلطان أبو يحيى بن أبي بكر صاحب
تونس، وولي ابنه أبو حفص⁵؛ بعد قتله لإخوته⁶:

¹ هذان البيتان يوجدان في الكتيبة الكامنة. وهما من البحر الطويل.
² هنا بياض؛ ولكن د. طويل؛ وضع كلمة: ((لها))؛ ليستقيم الكلام. بينما
كتب في الكتيبة الكامنة: ((فيهم في مازق الحرب أوتار)).
³ هذان البيتان وردا بنصهما في ك؛ بينما أغفلا في ج، والملكية.
⁴ هذان البيتان من بحر الرجز.
⁵ في ج: ((أبو جعفر)).
⁶ هذان البيتان من البحر الطويل.

وقالوا أبو حفص حوى الملك غاصباً
وإخوته أولى وقد جاء بالنكر
فقلت لهم كفوا فما رضي الورى
سوى عمر من بعد موت أبي بكر
وقال مُضَمَّنًا؛ وقد حضر الفتى الكبير عنبر قتالاً؛ وكان
فارساً مذكوراً عند بني مرين¹:
ولقد أقول وعنبرٌ ذاك الفتى
يلقى الفوارس في العجاج الأكور
يا عاثرين لدى الجلال لعاً فقد
بسقت² لكم ريح الجلال بعنبر
وقال وقد اشتاق إلى السيكة³ خارج حمراء
غرناطة⁴:

¹ هذان البيتان من بحر الكامل.

² في ج: ((تبعت)).

³ السيكة: هي الساحة المتسعة النضرة في الجنوب الشرقي من الحمراء.

⁴ هذان البيتان من مجزوء الرمل.

وإن¹ إفراط بكائي
لم يرُغ مني عريكة
قد أذاب العين لما
زاد شوقي للسبيكة²
وقال³:

لما نزلت من السبيكة صادني
ظبيٌ وددت لديه أن لم أنزل
فاعجب لظبي صاد ليثاً لم يكن
من قبلها متخبطاً⁴ في أحبل
وقال وهو ظريف⁵:

قد قارب العشرين ظبيٌ لم يكن
ليرى الورى عن حبه سلوانا
وبدا الربيع بخده فكأنما
وافى الربيع ينادم النعمانا

¹ حذف د طويل حرف الواو؛ واكتفى بكلمة: ((إن))؛ وهذا أسلم.
² تم دمج هذين البيتين ضمن بيت واحد في المخطوطين؛ بينما هما
ساقطان في الملكية.
³ هذان البيتان من بحر الكامل.
⁴ في ج: ((متحصناً)).
⁵ هذان البيتان من بحر الكامل.

وقال¹:

أتوني فعابوا من أحب جماله
وذاك على سمع المحب خفيف
فما فيه عيبٌ غير أن جفونه
مراضٌ وأن الخصر منه ضعيف

وقال²:

أيا عجباً كيف تهوى الملوك
محلي وموطن أهلي وناسي
وتحسدني وهي مخدومة
وما أنا إلا خديم بفاس

نثره

ونثره تَلَوَ نظمه في الإجازة؛ وقد تضمن الكتاب
المسمى بنفاضة الجراب³؛ منه ذكر كل بديع؛ فمما ثبت

¹ هذان البيتان يوجدان أيضاً في الكتيبة الكامنة، وهما من البحر الطويل.

² هذان البيتان من بحر المتقارب.

³ كتاب لابن الخطيب؛ وعنوانه بالكامل: ((نفاضة الجراب في علالة الإغترب)). تمت الإشارة إليه في المقدمة.

فيه ؛ مما خاطبته به. وقد ولي خطة القضاء بالإقليم ؛
أداعبه ، وأثير ما تستحويه عجائبه¹ :

أيا² قاضي العدل³ الذي لم تزل

تمتار شهب الفضل من شمسك

قعدت للإنصاف⁴ بين الورى

فاطلب لنا الإنصاف من نفسك

((ما للقاضي ، أبقاه الله ، ضاق ذرع عدله الرحيب ،
عن العجيب ، وهم عن العتب ، وضنَّ⁵ على صديقه
حتى بالكتب ، أمن المدونة الكبرى ركب هذا التحريج ، أم
من المبسوطة ذهب إلى هذا الأمر المريج ، أم من الواضحة
امتنع عن الإمام ببديع الوفاء والتعريج ، من أمثالهم إرضَ
من أخيك بعشر وده إذا وُلِّيَّ ، وقد قنعنا والحمد لله بحبة
من مده ، وإشارة من درجه ، وبرَّة وصاعة⁶ ، معتدلة ، من
زمان بلوغ أشده ، فما باله يطل مع الغنى ، ويحوج إلى

¹ البيتان التاليان من البحر السريع.

² حذف د طويل ((الألف)) قبل الياء؛ فأضحت: ((يا قاضي))؛ وهو أسلم.

³ في المخطوطين: ((أعدل)).

⁴ في المخطوطين: ((لأنصراف))؛ فصوبها عنان.

⁵ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وطر)).

⁶ في ك: ((واسعة)).

العنا، مع قرب الجنى، المحلة حلة ضالع، ومطمع
وطامع، ومرأى¹ ورأى، ومستمع وسامع، والكنف
الواسع، والمكان لا ناء ولا شاسع، والضرع حافل،
والزرع كافٍ كافل، والقريحة وارية الزند، والإمامة خافقة
البند، وهب أن البخل يقع بها في الخوان على الإخوان.
فما باله يسمح بالبيان، وليس الخبر كالعيان، ويتعدى
حظ الجنان، لا خط البنان، أعيد سيدي من ارتكاب رأي
ذميم، ينقل إلى نمرها بيت تميم، ويقصد معناه بتميم،
وهلا تلاحم، وعهدي بالسياسة القاضوية²، وقد نامت
[في مهاد أهل الظرف]³، نوم أهل الكهف، ولم تبال
بمردد الويل واللهف، أو شربة لحفظ الصحة بختجا، ودقت
لإعادة الشبيبة عَفْصًا وَرَدٍ سَخْتجا، وغطت الصبح بالليل
إذا سجا، ومدت⁴ على ضاحي البياض صلاً⁵ سَجْسجا،
سَجْسجا، وردت سوسن العارض بنفسجا⁶، ولبس بحرهما

¹ في ك: ((مرأى)).

² في ك: ((العاطوية))، وفي ج: ((الفاطوية))، وفي الملكية: ((الفاطرية)).

³ في ج: ((في مهاد الترف)).

⁴ في ك: ((ومرت)).

⁵ نفسه: ((هلا)).

⁶ نفسه: ((سفسجا)).

الزاهر من طحلب البحر منتسجا، وأحكام العامة،
ومزين¹ المرأة ينصح ويرشد، ويطوي المحاسن وينشد،
حتى حسنت الدارة، وصحت الاستدارة، وأعجبه الوجه
الجميل، والقدر الذي يمد في دكة الدار ويميل، وأغرى
بالسواك السميم والتكميل، وولج بين شفرتي سيد الميل،
وقيل لو صاح اليمين خاب فيك التأميل، وامتد جناح
برنس السرق، واحتفل² الغصن الرطيب في الورق،
ورش الورد بمائه عند رشح العرق، وتهياً لمنطلق، فقرأت
عليه نساء أعوانه، وكتبة ديوانه، سورة الفلق، من بعد ما
وقف الإمليق³ حجابيه على إقدامهم، وسحبهم جلاوزته
من أقوامهم، فمثلوا واصطفوا، وتألفوا والتفوا، وداروا
وحفوا، وما تسللوا ولا خفوا⁴، كأنما أسمعتهم صيحة
النشر، وأخرجوا لأول الحشر. فعيونهم بملتقى المصراع
معقودة، وأذهانهم لمكان الهيبة مفقودة، وحبالتهم قبل
الطلب بها منقودة، فبعد ما فرش الوساد، وارتفع بالنفاق

¹ في ج، وفي الملكية، وكت: ((ومدين)).

² في ك: ((واحتمل)).

³ في ج: ((الأمليين)).

⁴ في المخطوطين، والملكية: ((وحفوا)).

الكساد، وذارع¹ البكا وتأرج الحساد، واستقام الكون
وارتفع الفساد، وراجعت أرواحها الأجساد، جاءت
السادة القاضوية فجلست، وتنعمت الأحداق بالنظر فيها
واختلست، وسجت الأكف حتى أفلست، وزانت شمسها
ذلك الفلك، وجلت² الأنوار ذلك الحلك، وفتحت
الأبواب وقالت هيت لك، ووقفت الأعوان سماطين،
ومثلوا خطين، وتشكلوا مجرة تنتهي منك إلى البطين،
يعلنون بالهدية ويجهرون، و﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁴، من كل شهاب ثاقب وطائف
غاسق واقب، وملاحظ مراقب، كمش الإزار، بعيد
المزار، حامل للأوبار⁵، خصيم⁶ مبین، وراث⁷ سوفسطائياً⁷
سوفسطائياً⁷ عن رثين، مضطلع بفقہ البین⁸ وحریمها،

¹ في ج، وفي الملكية: ((ودارع)).

² حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وجل)).

³ ((ولا)) سقطت في المخطوطين؛ بينما ورد في ت، والملكية.

⁴ الآية كاملة هكذا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا
النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) . سورة التحريم؛ الآية: 6.

⁵ في المخطوطين: ((للأوبار)).

⁶ في ج: ((خيم)).

⁷ في المخطوطين: ((سوفطائياً)).

⁸ في ج: ((البیق)).

فضلا عن تلقين الخصوم [وتعليمها]¹، يرأسهم العريف
المقرب، والمقدم المدرب، والمشافه المباشر، والنابح
الشاعر، والنهج العاشر، الذي يقتضي خلاص العقد،
ويقطع الكالي والنقد، ويزكي ويجرح، ويمسك ويسرح
ويطرح، ويحمل من شاء أو يشرح، والمسيطر الذي بيده
ميزان الرزق²، وجميع أجزاء المفترق، وكافة³ قابلة،
وحم الدواة الفاغرة، ورشا بلالة الصدور الواغرة. فإذا
وقف الخصمان بأقصى مطرح الشعاع، أيان⁴ يجتمع
الرعاع، وأعلننا النداء، وطلب الأعداء. وصاحا جعل الله
أنفسنا لك الفدا، ورفع الأمر إلى مقطع الحق، والأولى
بالمثوبة الأحق، أخذتهما الأيدي دفعا في القُفيّ، ورفعنا
الستر اللطيف الخُفيّ، وأمسكا⁵ بالحجر والأكمام، ومنعا
المباشرة والإلمام، فإذا أدلى بحجته من أدلى، وسمعها دينه

¹ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.

² في ك: ((الورق)).

³ في ك: ((كفة)).

⁴ في ج، والملكية: ((أمان))، وفي ك: ((وأماي))؛ فصوبها عنان.

⁵ نفسه: ((وإمسكا))، وفي ك: ((وإمسا))؛ وهو تحريف.

عدلا، وحق القول¹، واستقر² الهول، ووجبت اليمين، أو الأداء الذي يفوت له الذخر³ الثمين، أو الرهن أو الضمين، أو الاعتقال الذي هو على أحدهما كالأمين، نهش الصل⁴، الذي سليمه لأهل، ولسبت⁵ العقارب، التي لا يفلتها الهارب، ولا تخفى منها المشارب، وكم تحت ظلام الليل من غرارة يحملها غرّ، وصدّه ريح فيها صرّ⁶، ويهدي ارتقاب قلة شهد، وكبش يجر بقرنيه، ويدفع بعد رفع ساقيه، ومعزى وجدي وقلائد، [وسرب]⁷ دجاج، ذوات بجاج،

¹ إحالة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. سورة السجدة؛ الآية: 13. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. سورة ياسين؛ الآية: 7. لايات أخرى كذلك.

² في المخطوطين: ((استتفر)).

³ نفسه: ((الزخر)).

⁴ الصل: جنس خبيث من الحيات؛ يتواجد منه نوعان: يميل أحدهما إلى الخضرة، وفي جسمه بقع قاتمة؛ وتعيش هذه الحية في إفريقيا؛ لا سيما في مصر. أما النوع الآخر فهو أصفر اللون؛ ويعيش في الهند وإيران. والصل أيضاً معناه: الداهية.

⁵ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت في ك: ((اليسب)). وفي ج: ((البيت في)). ولسب العقرب؛ أي لدغ؛ لأن هذه الكلمة الأخيرة تختص بالأفاعي؛ فيقال: لسبت العقرب، ولدغت الأفعى. ولكن شاع عكس ذلك.

⁶ ريجّ صرّ: شديدة الصوت.

⁷ في المخطوطين: ((وهو درب)).

يفضحن¹ الطارق، ويشعثن² المفارق. فمتى
يستفيق سيدي مع هذا اللفظ العائد بالصلة، واللهو
المتصلة، وتفرغ يده البيضاء لأعمال ارتياض، وخط سوادٍ
في بياض، أو حنينٍ لدوحٍ أو رياض، أو إمتاع طرف،
باكتشاف حرف، أو أعمال عدل لرسول في صرف، أو
حشو طرف، بتحفة ظرف، شأنه أشد استغراقاً، ومثواه
أكثر طراقاً، من ذكرى حبيبٍ ومنزل³، وأم معدل، وكيف
وكيف يستخدم القلم الذي يصرف ماء الحبر⁴، بذوب
التبر، في ترهاتٍ عدم جناها، وأقطع جانب الخيبة لفظها
ومعناها، اللهم إلا أن تحصل النفس على كفاية تحتم لها
الصدر، ويشام من خلالها اللجين [الرفيع]⁵ القدر، أو
أو يحيى للفكاهة والأنس، أو ينفق لديها ذمامٌ على الجنس.
فربما تقع المخاطبة المبرورة، وتبيح هذا المرتكب الصعب

¹ في ج: ((بمحصر)).

² في ج: ((يشعثن)).

³ في هذا إشارة إلي بيت امرئ القيس الذي استهل به معلقته؛ وهو:
((قفا نبك من حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل)).

⁴ في ك: ((البحر)).

⁵ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ ووردت في ت.

الضرورة، والمرغوب من سيدنا القاضي أن يذكرنا¹ يوماً
بالإغفال في نعيمه، ولا يخيب آمالنا المتعلقة بأذيال زعيمه،
ويسهمنا حظاً من فرائد خطه، لا من فوايد خطته، ويجعل
لنا كفلاً من فضل بريته وحنطته²؛ لا من فضل هرتة
وقطته³، فقد غنينا عن الحلاوات بحلاوات لفظه، وعن
الطرف المجموعة، بفنون حفظه، وعن قصب السكر،
بقصب أقلامه، وعن جنى الرّوم بروامه، وبهديه، عن
جديه، وبمجاجته، عن دجاجته، وبدلجه عن أترجه،
وعن البر بيره، وعن الحب بحبه ولا نأمل إلا طلوع
بطاقته، وقد رضينا بوسع طاقته، وإلا فلا بد أن يجيش
جيش الكلام إلى عتبه، ونوالي عليه ضرايب الكتائب،
حتى يتقى بضريبة كتبه. والسلام⁴)).
فراجعني بما نصه⁵:

¹ في المخطوطين: ((يذكر))؛ فصوبها عنان.

² نفسهما: ((بريته ومظنه))؛ وصوبت من الملكية.

³ نفسهما: ((وقطعته))؛ فصوبها عنان.

⁴ ذكرت هذه الكلمة في ك؛ وسقطت في ج، وفي الملكية.

⁵ هذان البيتان من البحر الطويل.

فنيّت عن الإنصاف مني لأنني
كما قلت لكم من فراقكم قاض
فمن سمعنا أو من بعينك¹ إنني¹
بكل الذي ترضاه يا سيدي راض

((عَمَرَكَ الله أيها الإمام الفذ، ومن بمدحه تطرب
الأسماع وتلد، أوحّد الدنيا وحائز الرتبة العليا، ولولا
أنك فوق ما يقال، والزلة إن لم تظهر العجز عن وصفك
لا تقال، لأطلت في القول، وهدرت هدير² قرع الشول،
لكن تحصيل، الحاصل محال، ولكل من تهيب كمالك
مقال، ومقامٌ وحال، ولولا أن الدعاء مأمول، وهو يظهر
الغيب مقبول، والزيادة من فضل الله لا تنتهي، والنعم
قد توافيك، فوق ما تشتهي، لأريت³ أن ذلك [أمرًا]⁴
كفى، وأمرٌ ظهر [فيه ما خفى]⁵:

¹ ورد هذا الشطر في المخطوطين هكذا: ((فمن سمعنا أو بعثك إني)).

² في المخطوطين: ((هديع))؛ فصوبها عنان.

³ في ك: ((لرايتك)).

⁴ سقطت هذه الكلمة في كل النسخ ما عدى ك.

⁵ ذكرت هذه العبارة في ج، بينما أغفلت في ك. وهذا البيت من البحر البسيط.

[إن قلت لازلت مرفوعاً فأنت كذا
أو قلت زانك ربي فهو قد فعلاً]¹

إيه يا سيدي؛ ما هذه الكلمات السحرية والأنفاس
النفيسة الشجرية، والألفاظ التي أنالت المرغوب وخالطت
بشاشتها القلوب، والنزعات الرائقة، والأساليب الفائقة،
والفصاحة التي سلبت العقول، والبلاغة التي أوجبت
الذهول، والبيان الذي لا يضيق صحيفه²، ولا يبلغ أحد
مداه ونصيفه، يميناً بما احتوى من المحاسن، واللطائف التي
لم يكن مأوها بالآسن، وقسماً ببراعتك التي هي الواسي
المطاع، وطرسك الذي أبهجت به الأبصار والأسماع، لقد
عاد لي بكتابتك عيد الشوق، وجاد لي بخطابك جد
التوق، ولعهدي بنفسه رهن أشجاني³، غير محولة
عقدة [لساني]⁴، أشد من الصخرة جلداً، وأغلظ من

¹ هذا البيت ورد في ج، وفي الملكية؛ بينما سقط في ك.

² في ك: ((حصيفة)).

³ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: الشحاني.

⁴ ذكرت في ك، والملكية؛ بينما أغفلت في ج.

الإبل كبدًا. حتى إذا بدت حقيده¹ القلب وهب نسيمه
الرطب، وأفيح مورده العذب، وأضاء بنوره الشرق
والغرب، ولم يبق لي بثٌ ولا شجن، ولا شاقني أهل ولا
وطن، ومضى سيف اللسان بعد النبو، ونهض طرف
الفكر بعد البكر، وهزني الطرب المثير² للأفراح، ومشى
الجدل³ في أطرافي وأعطاني مشي الراح، بيد أني خجلت
ولا خجلة ربة الخدر⁴، وتضاءلت نفسي لجلالة ذلك
القدر، وقلت ما لي بشربةٍ من كأس بيانه، وقطرة من
بحور إحسانه، حتى أؤدي، ولو بعض حقك، وأكتب
عقد ملك رقي لرقك، إنني على ما وليت من الصدقة
والصداقة وبعد طلاقك، لكنني أقوم في حقك مستغفرًا،
ولا أَرْضَى أن أكون لذمة المخدوم خفراً، على أني أقول،
قد كتبت فلم يرد جوابي، وجرمت فهاج الجوى بي،
ولعمري قد لُزمت فيه خطة الأدب، ولم أر التثقل على
المولى الرفيع الرتب. فأما وقد نفقت عندك بضاعتي

¹ في ج: ((حقيرة))، وفي ك: ((حرقة)).

² في ج: ((المتين)).

³ في المخطوطين: ((الجل)).

⁴ نفسه: ((الخدر)).

المرجاة، وشملني من لدنك الحلم والأناة، وشرفتني بالخطاب الكريم، والرسالة التي عرفت في وجهها نضرة¹ النعيم، فما أبغي إلا إيرادها² عليك وكلها خراج، ولبردها في الإجابة إنهاج، ولعلك ترضى التخريج من مدونة الأخبار، والمبسوطة والواضحة، لكن من الأعذار. وأما الولاية التي يقنع بسببها من الود بالعرش، أو بحجة من المد إلى يوم النشر، فلا بد أن يكون القانع محتاجاً للوالي، ومفتقراً إلى التفقد³ المتوالي، وأما إذا كان القانع هو الذي تولى الخطة، وأكسب الهر⁴ الذي أشار إليه والقطعة، فهو قياسٌ عكسه كان أقيس، بل تعليمٌ لمن وجد في نفسه خيفةً وأوجس. وهأنا قد فهمت وعلمت، من حسن تأديبك ما علمت، وعلى ما فرطت في جنبك ندمت، وإلى المعذرة⁵ والحمد لله ألهمت، ومع ذلك أعيد حديث الشيخ [القاضي]⁶، وذكر عهدك به في الزمان الماضي،

¹ هذه الكلمة سقطت في ج.

² في المخطوطين، والملكية: ((أبراه)).

³ نفسهما: ((تفقد)).

⁴ في المخطوطين: ((الهند)).

⁵ نفسهما: ((العذرة)).

⁶ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين، والملكية؛ بينما وردت في ت.

فلقد أجاد، في الخضاب¹ بالسواد، واعتمد على قول المالكى الذي هدى [إلى الرشاد]²، وأوجبه بعضهم في بلاد الجهاد، وبين عمر منافع الخضاب³ الصادقة الإِشهاد، وخضب بالسواد جماعة من الصحابة الأُمجاد، وكان ذلك ترخيصاً لم يعد شرعاً، لكنه دفع شراً وجلب نفعاً، لا كأخيه الذي أبكى عين الحميم، وأنشد قول الرضى⁴ يوم السقيم، وفجع قلوب أترابه، ولم يأت بيت النصف من بابهِ، وإلا فقد علم أن في الخير مشروع⁵، وتعجل الشيء قبل أوانه ممنوع، وستغبط أخاك ولو بعد حين، وما كل صاحب يَحمد⁶ في إيضاح وتبيين، وإنى لأرجو أن تتزوجها بكراً، تلاعبها وتلاعبك، أو ثيباً تقصر عن حبها مآربك، فلا جرم ترجع إلى الخضاب، وحينئذ تمتع برشف الرضاب، وإلا قالت سيدي، لا تعظم المني، ولا

¹ في المخطوطين: ((الخطاب))؛ فصوبها عنان.

² في ك: ((الرشاد)).

³ في المخطوطين أيضاً: ((الخطاب)).

⁴ الشريف الرضى: هو: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى. ولد ببغداد سنة 359هـ/970م وتوفي بها سنة 406هـ/1015م؛ تولى نقابة الأشراف الطالبيين.

⁵ الأصح: ((مشروعاً)) لأنها اسم إن.

⁶ في ك: ((يحمل)).

تجعل القطر قبل أن يموت¹ عمر، لعمر الله إن هذا الموقف صعب، قد ملأ الروح منه روعٌ ورعب، وإن أضاف إلى ذلك غلبة الأوهام، وظن الشيخوخة الصادرة عن نيل المرام، سكن المتحرك المصلوب، وتنغص عند ذلك المحبوب، والله يعينك أيها المولى، ويواليك من بسطه أضعاف ما ولي. وأما الأوصاف التي حسبتها² أوصافي، وأوجبت حكمها بالقياس على خلافي³، فهي لعمري أوصاف لا تراد، ومراعٍ لا شك أنها تراد، غير أنني بعيد العهد بهذه البلاد، [لا أمت لها]⁴ إلا بالانتساب والميلاد لا لا كالقضاة الذين ذكرت⁵، لهم عهداً، ونظمت حلاهم⁶ في جيد الدهر عقداً، ولو أنك [بسرك]⁷ بصرتني بشروط بشروط القضاء وسجايا أهل الصرامة والمضاء، لحققت المناط، وأظهرت الزهد والاغترباط، لكنني جهلت [والآن

¹ في المخطوطين والملكية: ((أموت)).

² في المخطوطين: ((حسبتها)).

³ نفسيهما: ((خلاف)).

⁴ في ك: ((لا أمتلها)).

⁵ في ج: ((يذكر)).

⁶ في ك: ((حالهم)).

⁷ هذه الكلمة وردت في الملكية، وسقطت في باقي المخطوطات.

أَهِمْتُ¹، وما علم الإنسان إلا ليعلم، والله يهدينا إلى
الذي يكون أحسن وأقوم، وإنني لأعلم سيدي بخبري²،
وأطلع جلاله على عُجْرِي وُبُجْرِي³، ولكنني رحلت عن
تلك الحضرة، وعدمت النظرة في تلك النظرة، لبست
الإهمال، واطعلت في السفر والاعتماد، فأقيم بادي
الكآبة، مهتاج الصبابة، قد فارقت السكن، وخلفت الدار
مثيرة الشجن⁴:

وكانت جنّتي فخرجت منها
كآدم حين أخرجه الضّرار

حتى إذا حطّطت رحلي بالقرى، وقنعت بالزاد الذي
كفى معياراً والقرى، أدخلت إلى دار ضيقة المسالك،
شديدة⁵ الظلمة كالليل الحالك، تذكرني القبر
وأهواله [وتنسيني الذي أهواه⁶، بل تزيد على

¹ هكذا كتبت هذه العبارة في الملكية؛ بينما وردت في ج؛ هكذا: ((والى الآن أمهلت)).

² في المخطوطين: ((بخبر)).

³ العُجْر هي: العيوب، والبُجْر هي: الأحزان.

⁴ هذا البيت من بحر الوافر.

⁵ في ج: ((الشديدة)).

⁶ ذكرت هذه العبارة في الملكية، وفي ج؛ بينما سقطت في ك.

القبر برفل¹ لا يتخلص، وبراغيث كزريعة الكتان حين
 تمحص، وبعوضٍ يطيل اللّهز²، ولا تغني حتى تشرب،
 وبوق يسقط سقوط الندى، ويزحف إلى فراشي زحف
 العدا، وأراقم خارجة من الكوى³، وحيات بلدغها نزاعة
 للشوى، وجنون يسمع عزيّفها⁴، وسراق لا يعدم
 تخويفها، هذا ولا قرق⁵ لمن بالقهر حبس، إلا حصيرٌ قد
 اسود من طول ما لبس، لا يُجتزى⁶ في طهارته بالنّضح،
 بالنّضح، ولا يحشد من جلس عليه إلا بالجرح. حتى إذا
 سجا الليل، وامتد منه على الآفاق الذيل، فارقني العون
 فراق الكرى، ورأيت الدمع لما جرى قد جرى، فأتوسد
 والله ذراعي، ولأحمد والله اضطجاعي، فكلا ليّليّ
 محمومين⁷، والوجع والسهر محمولان على الرأس والعين،
 والعين، حتى إذا طلع الصبح، وآن لبالي وعيون الخصوم

¹ في ج: ((بزيل)).

² في ج، والملكية: ((المنى)). واللّهز هو: الطّعن؛ ويقولون: لهزه بالرمح؛
 أي طعنه به.

³ في ج: ((الكرى)).

⁴ في المخطوطين: ((عزيّفها))، وفي الملكية: ((عزفها))؛ فصوبها عنان.

⁵ أي الموضع المستوي.

⁶ في ك: ((يجن)).

⁷ الأصح: ((محمومان)).

الفتح، أتاني عونٌ قد انحنى ظهره ظهره، ونيف عن المائة
عمره لا يشعر¹ بالجون الصيب، ولا تسمعه كلمات أبي
الطيب، بربري الأصل، غير عارف بالفصل، حتى إذا
أذنت للخصوم، وأردت إحياء الرسوم، دخل علي غولان
عاقلان²، وأثقل كتفي منهما مايلان، قد أكلا الثوم النيء
والبصل، وعرقا في الزنانير عرقاً اتصل، يهديان إلى تلك
الروائح، ويظهران لي المخازي والفضائح، فإذا حكمت
لأحدهما على خصمه، وأردت الفصل الذي لا مطمع في
فصمه، هرب العون هرباً، وقضى من النجاة بنفسه أرباً،
 واجتمع إلى النصحاء، وجاء المرضى والأصحاء، كل
يقول أتريد تعجيل المنايا، وإثكال الولايا، وإتعاب
صديقك السيد العماد، بمرتبةٍ كما فعل مع القاضي
الحداد، فأقول هذا جهاد، وما لي في الحياة مراد،
فأرتكب الخطر، وأقضي في الحكم الوطر. والله يسلم،
ويكمل اللطف ويتمم. وأما إذا جاء أحدكم لكتب عقد،
وطمعت في نسيئةٍ أو نقد، قطعت يومي في تفهم

¹ في الملكية: ((يسمع)).

² في ج، والملكية: ((عاقلان)).

مقصده، مستعيذاً بالله من غضبه وحرده، حتى إذا ما
تخلصت منه، ومألت السجل بما أثبتته عنه، كشف عن
أنياب عضل، وعبس عبوس الحب لانقطاع وصل، وقال
لقد¹ أخطأت فيما كتبت، ورسمت ما أردت وأحببت،
فأكتب عقداً ثانياً وثالثاً، وأرتقب مع كل كلام حادثٍ
حادثاً، فإذا رضي، فأسأله كيف، وسن السالي² الذي
أظهره، أو اسمه³ أو السيف، أخرج من فمه درهماً تثنأً،
قد لزم ضرساً عفناً، فأعاجله في البخور، وأحكه في
الصخور، حتى إذا حمل لمن يبيع خبز الذرة منتناً، ويرى
أنه قد فضل بذلك أنساً وحسناً، وجده ناقصاً زائفاً،
فيرجع حامله وجلاً خائفاً، ويبقى القاضي فقيد الهجوع،
يشد الحجر على بطنه من الجوع. على أنني أحمد خلاء
البطن، وما بجسمي لا يحكى من الوهن، لتعذر⁴
المرحاض، وبعد ماء الحياض، وكمون السباع في
الغياض، وتعلق الأفاعي بالرداء الفضفاض، ونجاسة

¹ في المخطوطين: ((ولو)).

² في ج: ((السالي)).

³ في المخطوطين: ((اسم))؛ فصوبها عنان.

⁴ في المخطوطين: ((لتعد))؛ فصوبها عنان.

الحجارة، وكثرة تردد السيارة، والانكشاف للريح العقيم،
والمطر المنصب إلى الموضع الذميم. هذه الحال وعلى
شرحها مجال¹، وقد صدقتك سنن فكري، وأعلمتك
بذات صدري، فتجلى الغرارة غرور، وشهود الشهد
زور، والطمع في الصرة إصرار ودون التبر² يعلم الله
تيار. وأما الكبش فحظي منه غباره إذا خطر، والثور بقرنه
إذا العيد حضر، كما أن حظي من الجدي التأذي بمسلكه،
وإن جدي السماء لأقرب لي من تملكه. وأنا من الحلاوة
سالم ابن حلاوة، ولا أعهده من طرف الطرف الدماوة،
ودون الدجاج كل مدجج، وعوض الأترج رجة بكل
معرج، ولو عرفت أنك تقبل على علاتها الهدايا،
وتوجب المزيد لأصحابك المزايا³، لبعثت بالقماش،
وأنفذت الرياش، وأظهرت الغنى، والوقوف بمبنى المنى،
وأوردتها عليك من غير هلع، مطلعة في الجوف بعد
بلع، من كل ساحلية تقرب إلى البحر، وعدوية لا تعد،

¹ في لئ: ((محال)).

² في ج، والملكية: ((البر)).

³ في المخطوطين: ((المرايا))؛ وهو تحريف.

وصدر مجلس الصدر، حتى أجمع بين [الفاكهة]¹
والفكاهة، ويبدو لي بعد الشقف وجوه الوجاهة، وأتبرأ
من الصد المذموم، ولا أكون أهدأ من القطا لطرق²
اللوم، لأنك زهدت في الدنيا زهد ابن أدهم، وألهمك
الله من ذلك أكرم ما ألهم، فيذك من أموال الناس
مقبوضة، وأحاديث اللها الفاتحة للها مرفوضة. وإذا كان
المرء على دين خليله، ومن شأنه سلوك نهجه وسبيله،
فالأليق أن أزهد في الصفراء والبيضاء، وأقابل زخرف
الدنيا بالبغضاء، وأحقق وأرجو على يدك حسن التخلي،
والاطلاع على أسرار التجلي، حتى أسعد بك في آخرتي
ودنيائي، وأجد بركة خاطرك في مماتي ومحياي، أبقاك الله
بقاء يسر، وأمتع بمنابك التي يحسدها الياقوت والدر، ولا
زلت في سيادة تروق نعتاً، وسعادة لا ترى فيها عوجاً ولا
أمتاً³، وأقرأ عليك سلاماً عاطر العرف، كريم التأكيد

¹ هذه الكلمة وردت في ك، والملكية؛ بينما سقطت في ج.

² في ك: ((لطوق)).

³ إحالة إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً﴾. سورة طه؛ الآية: 107.

والعطف [ما رثى لحالي راث، وذكرت أداية حراث¹،
ورحمة الله وبركاته. وكتبه أخوك ومملوكك، وشيعة
مجدك، في الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام أربعة
وستين وسبعمائة²].

مولده

بغرناطة؛ عام ثلاثة عشر وسبعمائة³.

محتته

توجه رسولاً عن السلطان إلى صاحب تلمسان
السلطان [أحمد بن⁴ موسى بن يوسف بن عبد الرحمن
ابن يحيى بن [يغمراسن بن زيان⁵؛ وظفر بالجفن الذي
ركبه العدو، بأحواز جزيرة حبيبة⁶؛ من جهة وهران؛

¹ ما بين الحاصرتين سقط في ت، وفي الملكية؛ بينما هو وارد في المخطوطين؛ ولكن بشيء من الاختلاف.

² الموافق لـ 1362م.

³ الموافق لـ 1313م.

⁴ عبارة ((أحمد بن)) محشوة خطأ هنا؛ ويمكن أن تكون من الناسخ. والاسم الحقيقي لصاحب تلمسان آنذاك هو السلطان أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان. حكم من سنة 760هـ/1359م إلى سنة 791هـ/1388م.

⁵ حرف هذان الاسمان في المخطوطين؛ حيث كتب هكذا: ((عمرسان بن زياد))؛ وصوبنا من اللوحة البدرية.

⁶ غربي وهران.

فأسر هو ومن بأسطول سفره من المسلمين. وبلغ الخبر¹؛
 فعظم الفجع، وبين² نحن نروم سفر أسطول يأخذ الثأر،
 ويستقري³ الآثار، فيقيل العثار؛ إذا⁴ اتصل الخبر بمهادنة⁵
 بمهادنة⁵ السلطان المذكور؛ ففدي⁶ من أسر بذلك المال
 الذي ينيف على سبعة آلاف من العين في ذلك؛ فتخلص
 من المحنة لأيام قلائل، وعاد، فتولى السلطان إرضاء عما
 فقد، وضاعف له الاستغناء وجدد، وكان حديثه من
 أحاديث الفرج بعد الشدة محسوباً، وإلى سعادة السلطان
 منسوباً؛ وأنشدته [شعراً في مصابه، بعدها⁷]، وقد
 قضيت له من ير السلطان على عادتي، ما جبر⁸ الكسر،
 وخفض الأمر⁹:

¹ في النسخ الثلاث: ((البحر))؛ فصوبها عنان.

² صوبها د طويل؛ فجعلها: ((بيننا))، وهو صحيح.

³ في ل: ((ويستغريقي)).

⁴ صوبها د طويل؛ فجعلها: ((د))، وهذا صحيح.

⁵ في المخطوطين: ((بمهادنة))، وفي ت: ((بمهادات))؛ وهو تحريف.

⁶ في، وفي الملكية: ((وفك)).

⁷ كتبت هذه العبارة في النسخ الثلاث، بالإضافة إلى الملكية هكذا:

((سعة أصابه بعدها))؛ وهو تحريف؛ فصوبها عنان.

⁸ في النسخ الثلاث: ((يجبر))؛ فصوبها عنان.

⁹ هذان البيتان من بحر المتقارب.

خَلَّصْتُ كَمَا خَلَّصَ الزَّبْرَقَانُ
وَقَدْ مَحَقَ النُّورَ عَنْهُ السَّرَّارُ¹
وَفِي السَّيِّقِ وَالرَّرَّارِ
فِي هَذَا سَرُّ وَفِي ذَا أَسْرَارِ²

((وكان تاريخ هذه المحنة³ المردفة المنحة، حسبما نقلته من خطه؛ قال: اعلّموا يا سيدي أبقاكم الله تعالى، أن سفرنا من ألمرية، كان في يوم الخميس السادس لشهر ربيع الآخر؛ من عام ثمانية وستين وسبعمائة⁴، وتغلب علينا العدو في عشية يوم الجمعة الثاني منه، بعد قتال شديد، وكان خروجنا من الأسر في يوم السبت الثاني والعشرين لربيع الثاني المذكور، وكان وصولي إلى الأندلس في أسطول مولانا نصره الله، في جمادى الآخرة من العام المذكور، بعد أن وصلوا قرطاجنة،

¹ جعلها د طويل: ((السَّرَّارُ)).

² هذا البيت غير سليم في الوزن والمعنى.

³ في ل: كتبت ((المحنة)) للمرة الثانية؛ وهو تحريف.

⁴ الموافق لـ 1366م.

وأخذوا أجفاناً ثلاثة من أجفان العدو، وعمل المسلمون¹
الأعمال الكريمة)).

¹ في المخطوطين: ((المسلمين))؛ فصولها عنان.

إبراهيم بن خلف

(ابن محمّد بن الحبيب بن عبد الله بن عمر
ابن فَرَقْدَر القُرَشِيّ العامري¹).

قال: ابن عبد الملك²: كذا وقفت على نسبه بخطه
في غير ما موضع؛ من أهل مُورَة³؛ وسكن إشبيلية.

حاله

كانت متفنناً في معارفه، محدثاً، راوية⁴، عدلاً
فقيهاً، حافظاً، شاعراً، كاتباً، بارعاً، حسن الأخلاق،
وطيء الأكناف، جميل المشاركة لإخوانه وأصحابه، كتب
بخطه الكثير من كبار الدواوين وصغارها، وكان من أصح
الناس كتباً، وأتقنهم ضبطاً وتقييداً، لا تكاد تلقى فيما
تولى تصحيحه خلا، وكان رؤوفاً شديد الحنان على
الضعفاء والمساكين واليتامى، صليماً في ذات الله تعالى،

¹ توجد له أيضاً ترجمة في التكملة.

² صاحب الذيل والتكملة.

³ في ج: ((مردّه))، وفي الملكية: ((بدره))؛ وهو تحريف، أما مورَة فتسمى
بالإسبانية **Mora** وتتبع لأعمال طليطلة؛ وموقعها ليس بعيداً عنها؛ في
اتجاه الجنوب الشرقي.

⁴ في ج: ((راوية)).

يعقد الشروط محتسباً، لا يقبل ثواباً عليها إلا من الله تعالى.

مشيخته

تلا - بالسبع - على أبي عمران موسى بن حبيب،
وحدث عن أبي الحسن بن سليمان بن عبد الرحمن
المقري، وعبد الرحمن بن بقي، وأبي عمرو ميمون بن
ياسين، وأبي محمد بن عتاب، وتفقه بأبوي: عبد الله بن
أحمد¹ بن الحاج، وابن حميد؛ وأبي الوليد بن رشد،
وأجاز له أبو الأصبغ بن مناصف، وأبو بكر بن قزمان،
وأبو الوليد بن طريف.

من روى عنه

روى عنه: أبو جعفر، وأبو إسحاق بن علي
المزدالي، وأبو أمية إسماعيل بن سعد السعود بن عفير،
وأبو بكر بن حكم الشرمسي، وابن خير، وابن تسع،
وابن عبد العزيز الصديقي، وأبو الحجاج إبراهيم بن

¹ هكذا في النسخ الثلاث؛ أما الملكية فكتب فيها: ((بأبي عبد الله بن محمد بن الحاج)).

يعقوب، وأبو علي بن وزير، وأبو الحسن بن أحمد بن خالص، وأبو زيد محمد الأنصاري، وأبو عبد الله بن عبد العزيز الذهبي، وأبو العباس بن سلمة، وأبو القاسم ابن محمد بن إبراهيم المراعي، وأبو محمد بن أحمد بن جمهور، وعبد الله بن أحمد الأطلس.

توآلفه¹

دوّن برنامجاً ممتعاً؛ ذكر فيه شيوخه، وكيفية أخذه عنهم، وله رجزٌ في الفرائض مشهور، ومنظومٌ كثير، وترسل منوع، وخطب مختلفة المقاصد، ومجموعٌ في العروض.

دخوله غرناطة

قال المؤرخ: وفي عام أربعة وخمسين وخمسمائة²، عند تغيب الخليفة³ بالمهدية؛ استدعى السيد أبو سعيد الوالي بغرناطة، عند استقراره بها، الحافظ أبا بكر بن

¹ هكذا في النسخ الثلاث؛ وأحينا يكتب: ((تأليفه)).

² الموافق لـ 1159م.

³ يقصد الخليفة عبد المؤمن بن علي المؤسس الفعلي للدولة الموحدية.

الجد، والحافظ أبا بكر بن حبيش، والكاتب أبا القاسم¹
ابن المراعي، والكاتب أبا إسحاق بن فرقد؛ وهو هذا
المترجم به؛ فأقاموا معه مدة تقرب عن عامين اثنين بها.

شعره

مما ينقل عنه قصيدة شهيرة في رثاء الأندلس²:
ألا مسعدٌ منجزٌ ذو فطن
يكي بدمعٍ معين هتن
جزيرة أندلسٍ حسرة³
لا غالب⁴ من حقود الزمن
ويندب أطلالها آسفاً
ويرثي من الشعر ما قد وهن
ويكي الأيام ويكي اليتامى
ويحكي الحمام ذوات الشجن

¹ في المخطوطين: ((ابن القاسم))؛ والتصويب من ت.

² هذه القصيدة من البحر المتقارب.

³ في ج، و ت: ((حسرت)).

⁴ في المخطوطين: ((عالياً))؛ وصوبت من ت.

ويشكو إلى الله شكوى شج¹
ويدعوه في السر ثم العلن
وكانت رباطاً لأهل التُّقى
فعادت مناصباً لأهل الوثن
وكانت معاذاً لأهل التُّقى
فصارت ملاذاً لمن لمن يـدن
وكانت شجى في حلق العدا
فأضحى لهم مالها محتجن

وهي طويلة، ولديّ خلاف فيمن أفرط في
استحسانها. وشعره عندي وسط. ومن شعره وهو حجة
في عمره عند الخلاف في ميلاده ووفاته.
قال²:

ثمانون عاماً مع ست عمرت وليتني³
أرقت دموعي بالبكاء على ذنب

¹ في المخطوطين: ((شجم))؛ وصويت من ت.

² هذه الأبيات من البحر الطويل.

³ جعل د. طویل هذا الشطر هكذا: ((ثمانون مع ست عمرت وليتني)).

فلا الدمع في محو الخطيئة غنية
إذا هاج من قلبٍ منيبٍ إلى الرب
فيا سامع الأصوات رحماك أرتجي
فَهَبْ لي انسكاب¹ الدمع من رقة القلب
وزك الذي تدريه من شيمة²
تعلق بالمظلوم من شدة الكرب
وزك مثابي³ في العقود وكتبها
لوجهك لم أقبل ثواباً على كتب
ولا تحرمني أجر ما كنت فاعلاً
فحق اليتامى عندي من لذي صعب
ولا تَخْزِنِي يوم الحساب وهوله
إذا جئت مذعوراً من الهول والرعب

¹ جعلها د طويل: ((فهب إشكاب...)) وهو أسلم.

² في ك: ((شيمتي)).

³ في المخطوطين: ((منابي))؛ وهو تحريف.

مولده

حسبما نقل من خط ابنه أبي جعفر؛ ولد - يعني أباه - سنة أربع وثمانين وأربعمائة¹.

وفاته

بعد صلاة المغرب من ليلة الثلاثاء [الثامن عشر]² من محرم عام اثنين وسبعين وخمسائة. ونقل غير ذلك.

¹ الموافق لـ 1091م. جاء في التكملة: ((ومولده بعد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة)).

² في ك: ((الثامن والعشرين عشر)). وهذا اضطراب وخلط.

إبراهيم بن محمد

(ابن إبراهيم بن عبيد بن محمود (النفزي؛ أٌبْرِي¹ (الأصل؛
غرناطي (الإستقرار؛ ويكنى أبا إسحاق).

حاله

خاتمة الرُّحَال² بالأندلس، وشيخ المجاهدات وأرباب
المعاملات، صادق الأحوال، شريف المقامات، ماثور
الإخلاص مشهور الكرامات، أصبر الناس على مجاهداته،
وأدومهم على عمل وذكرٍ وصلاة وصوم، ولا يفتر عن
ذلك ولا ينام، آية الله في الإيثار، لا يدخر شيئاً لغد،
ولا يتحرف بشيء، وكان فقيهاً حافظاً، ذاكراً للغة³
والأدب، نحويّاً ماهراً، درس ذلك كله أول أمره، كريم
الأخلاق، غلب عليه التصوف فشهّر به، وبمعرفة طريقه
الذي ندّ⁴ فيها أهل زمانه، وصنف فيها التصانيف المفيدة.

¹ نسبة إلى مدينة أبدة Ubeda. سبقت الإشارة إليها.

² حُرِفَتْ فِي النسخ الأربعة؛ فكَتِبَتْ: ((الرجال)).

³ فِي المخطوطين والملكية: ((اللغات))؛ وهو تحريف.

⁴ فِي ك: ((ندب)).

ترتيب زمانه

كان يجلس إثر صلاة الصبح لمن يقصده من الصالحين، فيتكلم لهم بما يحريه الله على لسانه، ويسر من تفسير، وحديث وعظة، إلى طلوع الشمس، فيتفل صلاة الضحى، وينفصل إلى منزله، ويأخذ في أوراده، [من قراءة¹ القرآن والذكر والصلاة إلى صلاة الظهر، فيبكر في رواجه، ويوالي التنفل إلى إقامة الصلاة، ثم كذلك في كل صلاة، ويصل ما بين العشاءين بالتنفل، هذا دأبه أبداً. وكان أمره في التوكل عجباً، لا يلوي على سبب، وكانت تجبى إليه ثمرات كل شيء، فيدفع ذلك بجملته، وربما كان الطعام بين يديه، وهو محتاج، فيعرض من يسأله، فيدفعه جملة، ويبقى طاوياً، فكان الضعفاء والمساكين له لياذاً ينسلون من كل حذب، فلا يرد أحداً منهم خائباً، ونفع الله بخدمته وصحبته، واستخرج بين يديه عالماً كثيراً.

¹ في لئ: ((وقراءة)).

مشيخته

أخذ القراءة عن: أبي عبد الله الحضرمي، وأبي الكوم جودي بن عبد الرحمن، والحديث عن: أبي الحسن بن عمر الوادي آشي،¹ وأبي محمد عبد الله بن سليمان¹ بن حوط الله، والنحو واللغة عن: ابن يربوع، وغيره. ورحل وحج، وجاور وتكرر. ولقي هناك غير واحد، من صدور العلماء وأكابر الصوفية، فأخذ صحيح البخاري سماعاً منه سنة خمس وستمائة² عن: الشريف أبي محمد بن يونس، وأبي الحسن علي بن عبد الله بن المغربي، ونصر بن أبي الفرج الحضرمي، وسنن أبي داود وجامع الترمذي على: أبي الحسن بن أبي المكارم نصر بن أبي المكارم البغدادي؛ أحد السامعين على: أبي الفتح الكروخي، وأبي عبد الله محمد بن مسترى الحمة³.

¹ في ك: ((أبو سليمان))؛ وفي ج، والملكية: ((وأبي سليمان محمد))؛ فصوبها عنان.

² الموافق لـ 1208م.

³ هكذا في المخطوطين. وقد تكون ((الحمة)) يقصد بها البلد المعروف بهذا الاسم في الأندلس.

وأبي المعالي¹ بن وهب ابن البنا، وبيجاية: عن أبي الحسن علي بن عمر ابن عطية.

من روى عنه

روى عنه خلق لا يحصون كثرة²، منهم: أحمد بن عبد المجيد بن هذيل الغساني، وأبو جعفر بن الزبير، وغيره.

تأليفه

صنف في طريقه التصوف وغيرها تصانيف مفيدة، منها: ((مواهب العقول³ وحقائق المعقول))، و((الغيرة المذهلة، عن الحيرة والتفرقة والجمع))، و((الرحلة العنوية))، ومنها ((الرسائل في الفقه والمسائل))، وغير ذلك.

¹ في المخطوطين: ((ابن المعالي))؛ وهو تحريف.
² في المخطوطين، والملكية: ((كثير))، وهو تحريف.
³ هكذا في ك؛ أما في ج؛ فكتب: ((مواهب القلوب))،

شعره

له أشعار في التصوف بارعة، فمن ذلك ما نقلته من
خط الكاتب¹ أبي إسحاق بن زكريا في مجموع جمع فيه
الكثير من القول²:

يضيق علي من وجدي الفضاء
ويقلقني³ من الناس الغناء
وأرض الله واسعة ولكن
أبت نفسي تحيط بها السماء
رأينا العرش والكرسي أعلا
فواليناهما حرم الولاء
فأين الأين منا أو زمان
بحيث لنا على الكل استواء
شهدنا للإله بكل حكم
فغاب القلب وانكشف الغطاء

¹ في لئ: ((الكتاب))، وهو تحريف.

² هذه القصيدة من بحر الوافر.

³ في ج: ((وبسليني)).

ويدعوني الإله إليه حقاً
فيؤنسني من الخوف الرجاء
ويقبضني ويبسطني ويقضي
بتفريقي وجمعي ما يشاء
ويعي في وجود الخلق نحواً
ينعت¹ من تولاه الفناء
فكم أخفي وجودي وقت فقدي
كأن الفقد والإحيا² سواء
فسكر³ ثم صحو³ ثم سكر
كذلك الدهر ليس له انقضاء
فوصفي حال³ من وصفي ولكن
ظهور الحق ليس له خفاء
إذا شمس النهار بدت تولت
نجوم الليل ليس لها انجلاء

¹ في لئ: ((نبعت)).

² في المخطوطين: ((أو حيا)).

³ في المخطوطين: ((حلى)).

و[من]¹ شعره:

كم عارف سرحت في العلم همته
فعقله لحجاب العقل هتاك
كساه نور الهدى برداً وقلده
دراً ففي قلبه للعلم أسلاك
كسب ابن آدم في التحقيق كسوته
إن القلوب لأنوار وأحلاك
كَلَّفَ فؤادك ما يبدي عجائبه
إن ابن آدم للأسرار دراك
كيف وكم ومتى والأين منسلب
عن وصف باريها والجهل تبّاك
كبر وقدس [ونزّه]² ما أطق فلم
يصل إلى ملك الأملاك أملاك
كرسيه ذلّ والعرش [استكان]³ له
ونزه الله أملاك وأفلاك

¹ كلمة ((من)) سقطت في المخطوطين والملكية، وهذه الأبيات من البحر البسيط.

² سقطت هذه الكلمة في المخطوطين، والملكية؛ بينما ذكرت في ت.

³ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وذكرت في ت.

كل يقرب أن العجز قيّده
والعجز [عن درك]¹ الإدراك دراك

وقال: وهو ما اشتهر عنه، وأنشدها بعض المشاركة
في رحلته في غرض اقتضى ذلك، يقتضي ذكره طولاً²:
يا من أنامله كالمزن هاميةً
وجود كفيه أجرى من يجاريها
بحق من خلق الإنسان من علق
أنظر إلى رقعتي وافهم معانيها
أني فقيرٌ ومسكين بلا سبب
سوى حروف من القرآن أتلوها
سفينة الفقر في بحر الرّجا³ غرقت
فامنن عليها بريح منك يجريها

¹ في لئ: ((دون))، وفي ج: ((در))؛ وهو تحريف.

² هذه الأبيات من البحر البسيط.

³ في المخطوطين: ((الدجا)).

لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا الصبابة إلا من يعانيها

وقال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك: وقد
ذكره، على الجملة؛ فيه ختم جلة أهل هذا الشأن بصقع
الأندلس، نفعه الله ونفع به.

مولده

ولد ببيان سنة اثنتين وستين وخمسمائة أو ثلاث
وستين¹.

¹ الموافق لـ 1166م أو 1167م.

إبراهيم

(ابن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي¹؛ من أهل تازي²؛
يكنى أبا سالم³؛ ويعرف بابن أبي يحيى.

حاله

من [أهل]⁴ الكتاب المؤتمن⁵، كان هذا الرجل قيماً
على التهذيب⁶، ورسالة ابن أبي زيد⁷، حسن الإقراء
لهما، وله عليهما تقييدان نبيلان، قيدهما أيام قراءته

¹ توجد ترجمة إبراهيم بن عبد الرحمن التسولي أيضاً في: تاريخ قضاة
الأندلس، ونفح الطيب، وأزهار الرياض؛ حيث كناه أبا إسحاق..

² في المخطوطين: ((تيزي))، وفي الملكية: ((تيزين))؛ وهو تحريف،
وتازي، أو تازة؛ وهي مدينة في المغرب الأقصى؛ تتواجد شرق فاس بـ
100 كلم تقريباً؛ بين الريف والأطلس الأوسط.
³ يكنى أيضاً أبا إسحاق.

⁴ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين وفي الملكية؛ بينما وردت في ت،
⁵ كتاب المؤتمن عنوانه بالكامل هو: الكتاب المؤتمن في أنباء أبناء الزمن؛
ومؤلفه هو ابن الحاج البليقي؛ أحد شيوخ ابن الخطيب؛ وتوجد في
الإحاطة ترجمة لهذا الأخير.

⁶ هو كتاب تهذيب مسائل المدونة؛ المسمى أيضاً كتاب التهذيب في
اختصار المدونة؛ صنّفه أبو سعيد خلف بن أبي القاسم القيرواني
البراذعي (عاش في القرن الرابع الهجري).

⁷ رسالة ابن أبي زيد: تبحر في مسائل وقضايا في الفقه المالكي؛
وصاحبها هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني؛
ولد في القيروان سنة 310هـ/922م وتوفي بها سنة 386هـ/996م. يعتبر
من أقطاب المذهب المالكي؛ حيث كان يلقب بمالك الصغير.

إياهما على أبي الحسن الصغير. حضرت مجالسه بمدرسة
عدوة الأندلس من فاس، ولم أرَ في متصديري بلده
أحسن تدريباً¹ منه. كان فصيح اللسان، سهل الألفاظ،
موفياً حقوقها، وذلك لمشاركته الحضر فيما في أيديهم²
من الأدوات، وكان مجلسه وقفاً على التهذيب والرسالة،
وكان مع ذلك شيخاً³ فاضلاً، حسن اللقاء، على خلق
بائنة من⁴ أخلاق أهل مصره⁵. امتحن بصبحة السلطان؛
السلطان؛ فصار يستعمله⁶ في الرسايل، فمر في ذلك
حظٌ كبير من عمره ضائعاً، لا في راحة دنيا، ولا في
نصيب⁷ آخرة، ثم قال: هذه⁸ سنة الله فيمن خدم
الملوك، ملتفتاً إلى ما يعطونه، لا إلى ما يأخذون من
عمره⁹ وراحته، أن يبوؤا¹⁰ بالصفقة الخاسرة، لطف الله

¹ في نفج الطيب: ((دريسا)).

² نفسه: ((بأيديهم)).

³ نفسه: ((سمحا)).

⁴ نفسه: ((على)).

⁵ في ج: ((عصره)).

⁶ في المخطوطين: ((يتعلمه))؛ وهو تحريف.

⁷ في النفج: ((نصب)).

⁸ نفسه: ((وهذه)).

⁹ في ج، والملكية: ((غيره)).

¹⁰ في ك: ((تبوا)). وفي نفج الطيب: ((يبوء)).

بمن ابتلي بذلك، وخلصنا خلاصاً جميلاً. ومن كتاب
عائد الصلة¹: الشيخ، الحافظ، الفقيه، القاضي، من
صدور المغرب، مشاركاً² في العلم، متبحراً³ في الفقه،
كان وجيهاً عند الملوك؛ صحبهم، وحضر مجالسهم،
واستعمل في السفارة، فلقيناه بغرناطة، وأخذنا بها عنه،
تام السراوة⁴، حسن العهد، مليح المجالس، أنيق المحاضرة،
المحاضرة، كريم الطبع، صحيح المذهب.

تصانيفه

قيد على المدونة⁵، بمجلس شيخه القاضي أبي الحسن،
كتاباً مفيداً، وضم أجوبته على المسائل في سفر، وشرح
كتاب الرسالة شرحاً عظيم الفائدة.

¹ عائد الصلة: كتاب لابن الخطيب، والنص الموالي موجود في نفح الطيب.

² في نفح الطيب: ((مشاركة)).

³ نفسه: ((وتبحراً)).

⁴ في ك: ((السراوة)). والسراوة هي: السخاء والمروءة، والسيادة.

⁵ اشتهرت باسم مدونة سحنون؛ تجمع المسائل الفقهية المالكية؛ سواء التي وضعها عبد السلام بن سعيد بن حبيب التتوخي؛ الملقب بسحنون (ولد سنة 160هـ/777م وتوفي سنة 240هـ/854م). أو التي أضيفت إليها في شكل شروح وتعليق وحواشي من قبل علماء آخرين؛ فعدت موسوعة ضخمة لمسائل المذهب المالكي؛ شارك فيها أجل العلماء من المالكية.

مشيخته

لازم أبا الحسن الصغير، وهو كان قارئ كتب الفقه عليه، وجل انتفاعه في التفقه به، وروى عن أبي زكريا ابن أبي ياسين¹، قرأ عليه كتاب ((الموطأ))؛ إلا كتاب ((المكاتب)) وكتاب ((المدبر))²؛ فإنه سمعه بقراءة الغير، وعن أبي عبد الله بن رشد، قرأ عليه ((الموطأ))، وشفاء، عياض، وعن أبي الحسن بن عبد الجليل السدري³، قرأ عليه ((الأحكام الصغرى)) لعبد الحق⁴، وأبي الحسن بن سليمان، قرأ عليه رسالة ابن أبي زيد⁵، وعن غيرهم.

¹ في نفح الطيب: ((زكرياء بن ياسين)).

² هكذا في ج، بينما كتب في ك: ((المدبر)).

³ في نفح الطيب: ((السدراي)).

⁴ هو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي الأسدي؛ المعروف بابن الخراط الأشيلي المالكي؛ ولد سنة 510هـ/1116م، وتوفي سنة 582/1186م. من مؤلفاته: لأحكام الصغرى؛ في الحديث، الأحكام الكبرى؛ في الحديث أيضاً. تلقين المبتدي، تهذيب المطالب، الجمع بين الصحيحين (البخاري ومسلم)، الجمع بين الكتب الستة، كتاب التهجد، كتاب الرقائق، كتاب العاقبة في ذكر الموت، المختصر في الحديث، الواعي في حديث علي كرم الله وجهه.

⁵ أثبت عنان هذه الكتب - وهي كلها في الحديث والفقه - في ملحق بآخر الكتاب.

وفاته

فُلج¹ بآخرة؛ فالتزم منزله بفاس، يزوره السلطان
فمن² دونه، وتوفي بعد عام ثمانية وأربعين وسبعمائة³.

¹ أي أصيب بداء الفالج، والفالج: هو مرض يشل شق من شقي الجسم؛
فيبطل أحساس الشق المصاب، وتنعدم حركته. ويعرف الآن بالشلل النصفي.
² في نفج الطيب: ((ومن)).
³ الموافق لـ 1347م. جاء في كتاب تاريخ قضاة الأندلس أنه توفي في
حدود سنة 749هـ؛ (وتوافقها سنة 1348م).

إبراهيم بن محمد

(ابن علي بن محمد بن أبي العاصي التنوخي)¹؛ أصله من جزيرة طريف²؛ ونشأ بغرناطة واشتهر.

حاله

من عائد الصلة: كان نسيج وحده حياءً، وصدقة وتخلقاً، ومشاركة، وإيثاراً. رحل عند استيلاء العدو على جزيرة طريف، عام أحد وسبعين وستمائة³، متحولاً إلى مدينة سبتة، فقرأ بها واستفاد. وورد الأندلس [فاستوطن]⁴ مدينة غرناطة، وكتب في الجملة عن سلطانها، وترقى معارج الرتب، حالاً محالاً، من غير اختلاف على فضله، ولا نزاع في استحقاقه، وأقرأ فنوناً من العلم، بعد مهلك أستاذ الجماعة، أبي جعفر بن الزبير⁵، بإشارة منه به،

¹ توجد ترجمة إبراهيم بن محمد التنوخي أيضاً في الكتيبة الكامنة، وبغية الوعاة؛ (وذكر فيها أنه حوالي سنة سبع وسبعين وستمائة؛ بينما توفي سنة 726هـ والنص الموالي موجود كذلك في نفح الطيب.
² تسمى الآن Tarifa؛ سميت بهذا الاسم نسبة إلى طريف بن مالك؛ وهو أول من عبر إلى شبه جزيرة أيبيريا؛ بقصد الاستطلاع والإغارة على النصارى قبل فتح الأندلس بعام تقريباً.

³ الموافق لـ 1272م.

⁴ وردت في ك، وسقطت في ج، والملكية.

⁵ سبق ذكر ترجمته في هذا المجلد من الإحاطة.

وولي الخطابة والإمامة بجامعة منتصف صفر عام ستة عشر وسبعمائة¹، وجمع بين القراءة والتدريس، فكان مقرئاً للقرآن، مبرزاً في تجويده، مدرساً للعربية والفقه، آخذاً في الأدب، متكلماً في التفسير، ظريفاً الخط، ثباتاً محققاً لما ينقله، وألقى الله عليه من المحبة والقبول، وتعظيم الخلق له، ما لا عهد بمثله لأحد، بلغ من ذلك مبلغاً عظيماً، حتى كان أحب إلى الجمهور من أوصل أهلهم وآبائهم، يتزاحمون عليه في طريقه، يتمسحون به، ويسعون بين يديه، ومن خلفه، ويتزاحم مساكينهم على بابه، قد عودهم طلاقة وجهه، ومواساته لهم بقوته، يفرقه عليهم متى وجدوه، وربما أعجلوه قبل استواء خبزه، فيفرقه² عليهم عجيئاً. له في ذلك أخبار غريبة. وكان صادعاً بالحق، غيوراً على الدين، مخالفاً لأهل البدع، ملازماً للسنة، كثير الخشوع والتخلق على علو الهمة، مبذول المشاركة للناس والجد في حاجاتهم،

¹ الموافق لـ 1316م.

² في ك: ((يفرقه)).

مبتلي¹ بوسواس في وضوئه، يتحمل الناس من أجله
مضضاً في تأخير الصلوات ومضايقة أوقاتها.

مشيخته

قرأ ببلده على الخطيب القاضي المقرئ أبي الحسن
عبيد الله بن عبد العزيز القرشي؛ المعروف بابن القارئ،
من أهل إشبيلية، وقرأ بسبته على الأستاذ إمام المقرئين
لكتاب الله، أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن الطيب
ابن زرقون القيسي الضرير، نزيل سبته، والأستاذ أبي
إسحاق الغافقي المريوني، وقرأ على الشيخ الوزير أبي
الحكم بن منظور القيسي الإشبيلي، وعلى الشيخ الراوية،
الحاج أبي عبد الله محمد بن الكتامي التلمساني ابن
الخضار، وقرأ بغرناطة على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير،
وأخذ عن أبي الحسن بن مستقور².

¹ جعلها د طویل: ((مبتلياً)) بالنصب وهو أصح.
² حرفت - كما جرت العادة - في المخطوطين؛ فكتبت: ((مسمفور)).

شعره

كان يقرض شعراً وسطاً، قريباً من الانحطاط. قال
شيخنا أبو بكر بن الحكيم¹ في كتابه المسمى بالفوائد
المنتخبة، والموارد المستعذبة، كتب إليه شيخنا وبركتنا أبو
جعفر بن الزيات في شأن شخص من أهل البيت النبوي
بما نصه²:

رجل يدعي القرابة للبيـ
ت وإن الثريا³ منه بمعزل
سأل⁴ مني خطابكم وهو هذا
ولكم في القلوب أرفع منزل
فهبهوه دعاءكم وامنحوني
منه حظاً يُنمي الثواب ويجزل
وعليكم تحية الله ماداً
م أمير الهدى يولي ويعزل

¹ هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي له ترجمة في الإحاطة.

² هذه الأبيات من بحر الخفيف.

³ في المخطوطين والملكية: ((الثرى))؛ وصوبت من ت.

⁴ جعلها د طويل: ((سال)) بدون الألف والهمزة.

فأجابه¹:

يا إمامي ومن به قطركم ذا
ك وحادي البلاد أطيب منزل
لم أضع ما نظمتم من يدي حتى
أنيل الشريف تحفة منزل
وحباه بكل منح جزيل
من غدا يمنح الثواب ويجزل
دمتم تنشرون علماً ثواب اللـ
ـه فيه لكم أعز وأجزل
[تذكرون الله ذكراً كثيراً]²
وعليكم سكينـة الله تنزل
وطلبتم مني الدعاء وإنـي
عند نفسي من الشروط بمعزل
لكن ادعوا ولتدع لي برضا اللـ
ـه وأبدى فهم ذكر قد انزل

¹ هذه القصيدة من البحر الخفيف.

² حرف هذا الشطر في المخطوطين والملكية؛ إذ كتب: ((ولذكر الله كثيراً)).

وحديث الرسول صلى عليه
كل وقت ورب لنا الغيث يزل
وعليكم تحيتي كل حين
ما اطمأنت بمكة أم معزل

قال: ومما أنشدني من نظمه أيضاً في معرض الوصية
للطلبة¹:

إعمل بعلمك تؤت علماً إنما
عدوي علوم المرء منح² الأقوم³
وإذا الفتى قد نال علماً ثم لم
يعمل به فكأنما⁴ لم يعلم

¹ هذان البيتان يوجدان في الكتيبة الكامنة وفي بغية الوعاة. وهما من بحر الكامل.

² في المخطوطين: ((تمنح)).

³ جاء هذا البيت في الكتيبة الكامنة هكذا:

((عمل بعلم تؤت حكماً إنما * جدوى علوم المرء نهج الأقوم)). وفي بغية الوعاة:

((عمل بعلم تؤت حكمة إنما * جدوى علوم المرء نهج الأقوم)).

⁴ في الكتيبة الكامنة وبغية الوعاة: ((فكانه)).

وقال موطئاً على البيت الأخير¹:
أمولاي أنت الغفور الكريم
لبذل النوال مع المعذرة²
عليّ ذنوبٌ وتصنيفها
ومن عندك الجود والمغفرة

¹ هذان البيتان يوجدان أيضاً في الكتيبة الكامنة، وهما من البحر المتقارب.
² في ج: ((لبذل النوال والمعذرة))،؛ وصويت من الملكية. أما الكتيبة الكامنة ف جاء هذا البيت فيها هكذا: ((أمولاي أنت الكريم العفو لبذل النوال وللمعذرة)).

إسماعيل بن فرج¹

(ابن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن غميس
(بن نصر) بن² قيس الأنصاري الخزرجي؛ أمير المؤمنين³
بالأندلس؛ رحمه الله.

أوليته

تقرر عند ذكر الملوك من قومه في اسم صنو جده،
أمير المسلمين أبي عبد الله الغالب بالله.

حاله

من كتاب طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر⁴؛
من تصنيفنا⁵: ((كان رحمه الله، حسن الخلق، جميل
الرواء⁶، رجل جد، سليم الصدر، كثير الحياء، صحيح
العقل⁷، ثباتاً في المواقف، عفيف الإزار، ناشئاً في حجر

¹ له ترجمة أيضاً في اللوحة البدرية.

² سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ ووردت في الملكية.

³ اللقب الحقيقي لسلطين بني نصر هو: أمير المسلمين. وهذا ما كتبه
ابن الخطيب نفسه في اللوحة البدرية.

⁴ طرفة العصر هذا؛ كتاب لابن الخطيب في تاريخ بني الأحمر؛ وقد ألفه
قبل اللوحة البدرية؛ لأنه أشار إليه في هذا الكتاب الأخير. ويعتبر من
بين كتب ابن الخطيب المفقودة.

⁵ النص الآتي موجود في اللوحة البدرية.

⁶ في اللوحة البدرية: ((جميل الخلق حسن الرواء)).

⁷ نفسه: ((صحيح العقد)).

الطهارة، بعيداً عن¹ الصبوة، برياً من المعاقرة²، نشأ
 مشغلاً بشأنه مُتَبَنَّكاً³ نعمة أبيه، مختصاً بإيثار السلطان
 جده أبي أمه، وابن عم والده، منقطعاً إلى الصيد،
 معروف⁴ اللذة إلى استجادة سلاحه، وانتقاء مراكبه،
 واستفراه⁵ جوارحه، إلى أن أفضى إليه الأمر، وساعدته
 الأيام. وخدمه الجد، وتنقل⁶ إلى بيته الملك به، وثوى في
 في عقبه الذكر، فبذلك العدل في رعيته، واقتصد في
 جبايته، واجتهد في مدافعة عدو الله⁷، وسد⁸ ثلم
 ثغوره⁹، فكان غرة في قومه، ودرة في بيته، وحسنة من
 حسنات دهره. وسيرد نبذ من أحواله، مما يدل على فضل
 جلاله)).

¹ في اللوحة البدرية: ((من)).

² في المخطوطين والملكية: ((المعاقدة))؛ وصوبت من اللوحة البدرية.

³ أي متمكناً ومؤهلاً. وتبنك بالمكان: أقام به وتأهل؛ ويقولون: تبنك في
 عزه؛ أي تمكن.

⁴ في اللوحة البدرية: ((مصروف))؛ وهو أصح.

⁵ في ج، والملكية: ((استفراء))؛ وهو تحريف.

⁶ في اللوحة البدرية: ((وانتقل به إلى بيت الملك)).

⁷ نفسه: ((عدوه الله وعدوه)).

⁸ في المخطوطين: ((وتسد))؛ وصوبت من الملكية.

⁹ في اللوحة ((ثغره)).

صفته

كان معتدل القد، وسيم الصورة، عبل اليدين،
أبيض اللون، كثير اللحية، بين السواد والصبوبة¹ أنجل
أعين أفوه مليح العين، أقنى الأنف، جهير الصوت، أمه
الحرّة الجليلة، العريقة في الملوك، فاطمة بنت أمير
المؤمنين، أبي عبد الله نخبه الملك، وواسطة العقد، وفخر
الحرم، البعيدة الشأو في العز والحرمة، وصلة الرعي،
وذكر التراث². واتصلت حياتها، ملتزمة الرأي، برنامجاً
للفوائد، تاريخاً للأنساب، إلى أن توفيت في عهد حفيدها
السلطان أبي الحجاج، رحمها³ الله، وقد أنفت على
تسعين من السنين؛ فكان الحفل في جنازتها، موازياً
لمنصبها، ومتروكها، المفضي إليه خطيره، وقلت في
رثائها⁴:

¹ الصبوبة: هي احمرار الشعر.

² في ج: ((الثمرات)).

³ في ك: ((رحمه)).

⁴ هذه الأبيان من البحر الطويل.

نبيت على علم بغائله الدهر
ونعلم أن الخلق في قبضة الدهر
ونركن للدنيا [اغتراراً بقهرها]¹
وحسبك من يرجو الوفاء من الغدر
ونمطل بالعزم الزمان سفاهةً
فيومٌ إلى يوم وشهرٌ إلى شهر
وتغري بها نفسي المطامع والهوى
ونرفض ما يبقى فيا ضيعةً العمر
هو الدهر لا يبقى على حدثانه
جيدٌ² ولا ينفك من حادث نكر
وبين الخطوب الطارقات تفاضل
كفضل من اغتالته في رفعة القدر
ألم تر أن المجد أقوت ربوعه
وصوح من أدواحه كل مخضر

¹ في ل: ((اغتراراً بفقرها)).

² في ج، والملكية: ((حديث)).

ولاحت على وجه العلاء كآبة
فقطّب من بعد الطلاقة والبشر
وثبت اسمها في الوفيات من الكتاب المذكور بما
نصه: ((السلطانة الحرة الطاهرة، فاطمة بنت أمير
المسلمين، أبي عبد الله بن أمير المسلمين الغالب بالله،
بقية نساء الملوك، الحافظة لنظام الإمارة، رعيًا للمتات¹،
وصلة للحرمة، وإسداء للمعروف، وستراً للبيوتات²،
واقْتداء بسلفها [الصالح]³، في نزاهة النفس، وعلو
الهمة، ومتانة الدين، وكشف الحجاب، ونفاذ العزم،
واستشعار الصبر. توفيت في كفالة حفيدها، أمير المسلمين
أبي الحجاج، مواصلاً برها، ملتماً دعاءها، مستفيداً
تجربتها وتاريخها، مباشراً موارثها بمقبرة الجنان، داخل
الحمراء؛ سحر يوم الأحد السابع لذي حجة؛ من عام
تسعة⁴ وأربعين وسبعمائة))⁵.

¹ متات: من متا متا: بمعنى وصل، أي رعيًا للصلة، والقراية.

² في ج: ((للبيوت)).

³ وردت هذه الكلمة في ج؛ بينما سقطت في ك.

⁴ في الملكية: ((سبع)).

⁵ الموافق لـ 1348م.

أولاده

تخلف¹ من الولد أربعة، أكبرهم محمد، ولي الأمر² من بعده، وفرج شقيقه التالي له بالسن، المنصرف عن الأندلس بعد مهلك أخيه المذكور، المتقلب في الإيالات، الهالك أخيراً في سجن قصبة³ ألمرية عام أحد وخمسين وسبعمائة⁴، مظنوناً به الاغتيال، ثم أخوه [أمير المسلمين]⁵، أبو الحجاج، تغمده الله برحمته، أقعد القوم في الملك⁶، وأبعدهم أمداً في السعادة، [ثم]⁷ إسماعيل أصغرهم سناً، المبتلي في زمان⁸ الشبية في الثفاف⁹، المخيف مدة أخيه، المستقر الآن موادعاً مرفوداً، بقصر المستخلص¹⁰ من ظاهر

¹ هكذا في المخطوطين، وفي اللوحة البدرية.

² في اللوحة: ((وليّ عهده والأمير من بعده)).

³ في المخطوطين: ((قصبات)).

⁴ الموافق لـ 1350م.

⁵ وردت هذه العبارة في ك؛ بينما سقطت في ج.

⁶ في المخطوطين: ((الملوك))؛ وصوبت من اللوحة البدرية.

⁷ ذكرت في ج، والملكية؛ بينما سقطت في ك.

⁸ في اللوحة: ((المبتلي زمن شبيبته بالاعتقال)).

⁹ الثفاف: هو الاعتقال.

¹⁰ المقصود بالمستخلص: هو مفهوم الخاصة الملكية كما يعرف في بعض الممالك الآن؛ أي أملاك السلطان.

شالوبانية¹، وبتين اثنتين من حظيته علوة، عقد عليهما
عليهما أخوهما أبو الحجاج، لرجلين من قرابته.

وزراؤه

وزر له أول أمره القائد البهمة²، أبو عبد الله محمد
ابن أبي الفتح الفهري، وبیت هؤلاء القواد شهير،
ومكانتهم من الملوك النصريين مكنة، أشرك معه في
الوزارة الفقيه الوزير أبا الحسن علي بن مسعود بن علي
ابن مسعود المحاربي، من أعيان الحضرة، وذوي النباهة،
فجاذب³ رفيقه جبل الخطه، ونازعه لباس الخطوة، حتى
ذهب باسمها ومسمها، وهلك القائد أبو عبد الله بن أبي
الفتح، فخلص له شربها، وسيأتي التعريف بكل على
انفراد.

¹ بالإسبانية Salobrena؛ وقد سبقت الإشارة إليها.
² أي القائد الشجاع الذي يعرف عدوه نيته وخطته. وكلمة: ((البهمة))؛ لم
ترد في اللوحة.
³ في المخطوطين: ((فجاذف))،؛ فصوبها عنان.

كتابه

كتب عنه لأول أمره بمالقة، ثم بطريقه إلى غرناطة،
وأياماً يسيرة بها، الفقيه الكاتب أبو جعفر ابن صفوان
المتقدم ذكره، ثم ألقى المقادة¹ إلى كاتب الدولة قبل،
شيخنا أبي الحسن بن الجياب، فاصل الخطه، وباري
القوس²، واقتصر عليه إلى آخر أيامه.

قضاته

استقضى أخا وزيره، الشيخ الفقيه أبا بكر بن يحيى
ابن مسعود بن علي، رجل الجزالة، وفصل³ الحكم،
فاشتد في إقامة الحكم⁴، وغلظ بالشرع، واستعان بالجاء،
فخيف⁵ سطوته، واستمر قاضياً إلى آخر أيامه.

¹ سقطت هذه العبارة في المخطوطين، والملكية؛ أما في اللحة البدرية؛
فقد كتب فيها: ((الحق)).

² حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((القدس)).

³ في المخطوطين: ((وفصل))؛ فصوبت من اللحة البدرية.

⁴ في اللحة البدرية: ((الحق)).

⁵ نفسه: ((فخيفت))؛ وهو أصح.

رئيس جنده الغربي

الشيخ البهمة، لباب قومه، وكبير بيته، أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء¹ إدريس بن عبد الله² بن عبد الحق³؛ مشاركاً له في النعمة، ضارباً بسهم في المنحة، كثير التجني⁴ والدالة، إلى أن هلك المخلوع، وخلا الجو؛ فكان منه بعض الإقصار.

الملوك على عهده

وأولاً بعدوة المغرب، كان على عهده من ملوك المغرب السلطان الشهير، جواد الملوك، الرحب الجناب⁵، الكثير الأمل، خدن العافية، ومحالف الترفية، مفحم النعيم⁶، السعيد على [خاصته وعامته]⁷، أبو سعيد عثمان عثمان ابن السلطان الكبير، المجاهد المرابط، أبي يوسف⁸

¹ في اللوحة البدرية: ((العلی)).

² نفسه: ((عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق)).

³ نفسه: ((...عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق))؛ وهو الأصح.

⁴ في المخطوطين: ((التحني))، وفي الملكية: ((التهني)).

⁵ في اللوحة، والمخطوطين والملكية: ((الجنان)).

⁶ نفسه: ((متبحج النعيم)).

⁷ في المخطوطين: ((خاصة وعامة))؛ وصوبت من اللوحة.

⁸ في اللوحة: ((أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق)).

بن عبد الحق. وجرت بينه وبينه¹ المراسلات، واتصلت أيامه بالمغرب بعد مهلكه، وصدرًا من أيام ولده أبي عبد الله حسبما مرَّ² عند ذكره.

وبمدينة تلمسان، وطن القبلة، الأمير أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان، ثم توفي قتيلاً على عهده بأمر ولده³ المذكور، واستغرقت أيام ولده المذكور الوالي بعده، إلى أن هلك في صدر أيام أبي الحجاج، وجرت بينه وبين الأمير مراسلات وهدايا.

وبمدينة تونس، الشيخ المتلقب⁴ بأمر المؤمنين أبو يحيى زكريا بن أبي حفص المدعو باللحياني، المتوثب⁵ بها بها على الأمير أبي البقاء خالد بن أبي زكريا⁶ بن أبي حفص، وهو كبير، إلا أن أبا حفص أكبر سنًا وقدرًا، وقد تملك تونس تاسع جمادى الآخرة؛ من عام ظهر

¹ في اللوحة البدرية: ((وجرت بينهما)).

² نفسه: ((يمر)).

³ في اللوحة: ((قتيلاً بأمر ولده على عهده سادس عشر جمادى الثانية من عام ثمانية عشر وسبعمائة)).

⁴ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((المتقلب)).

⁵ في ج: ((الموثب))، وفي ك: ((المثوب)).

⁶ هذه الإضافة من الملكية.

ومن ملوك الروم بقشتاله، كان على عهده مقروناً
بالعهد القريب من ولايته، الطاغية هراندة¹ ابن شانجه بن
ألهنشة² بن هراندة المجتمع له ملك قشتالة وليون³، وهو
المتغلب على إشبيلية، وقرطبة، ومرسية، وجيان؛ ابن
ألهنشة⁴، الذي جرت له وعليه هزيمة الأرك والعقاب⁵،
ابن شانجه⁶ بن ألهنشة المسمى إنبرذور⁷، وهو الذي أفرد

¹ من عادة أهل الأندلس تسمية ملوك النصارى أعدائهم بلقب الطاغية. واسم هذا الملك هو فرناندو بن ألفونسو التاسع؛ أعظم ملوك النصارى آنذا؛ تربع على عرش قشتالة في ليون سنة 611هـ/1214م؛ وهو الذي استولى على المدن الكبرى في الأندلس: كقرطبة، وإشبيلية، وجيان؛ ويعتبره النصارى في إسبانيا بمثابة القديس؛ فلقبوه بالقديس فرناندو San Fernando؛ ووفاته كانت في سنة 650هـ/1252م.

² في اللمحة: ((ألفونش)).

³ نفسه: ((ملك ليون وقشتالة)).

⁴ وفي اللمحة: ((الهونش)). هذا حسب النطق العربي آنذاك؛ بينما اسمه الصحيح هو ألفونسو الثاني؛ ملك قشتالة أيام الموحدين؛ وهو الذي هزمته جيوشهم في موقعة الأرك Alarcos سنة 591هـ/1195م.

⁵ ليست معركة العقاب؛ كما بدا لابن الخطيب؛ وإنما هي معركة الأرك الواقعة سنة 591هـ/1194م؛ بقيادة الخليفة الموحدي المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي. لأن معركة العقاب؛ انتصر فيها النصارى بقيادة ملكهم ألفونسو الثامن على الموحدين؛ بقيادة الناصر أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي؛ وذلك سنة 609هـ/1212م.

⁶ أي سونشو Sancho.

⁷ إنبرذور بلهجته هو الإمبراطور. وكتبت في المخطوطين: ((أشردون))؛ وهو تحريف لكلمة ((إنبرذور)).

صهره وزوج بنته بملك برتقال¹؛ إلى أجداد، يخرجنا
تقصي ذكرهم عن الغرض.

ومن ملوك رعون² من شرق الأندلس، الطاغية
جايمش بن بطره بن جايمش³؛ الذي تغلب على بلنسية،
ابن بطره بن ألهنشة⁴، إلى أجداد عدة كذلك. ثم هلك
في أخريات أيامه، فولي ملك أرعون بعده ألهنشة بن
جايمش إلى أخريات أيامه.

ويرتقال ألهنشة⁵ بن يومس⁶ بن ألهنشة بن شانجة
ابن ألهنشة بن شانجه بن ألهنشة، ويسمو⁷ أولاً دوقاً.

¹ حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((برطال)).

² أي أراغون.

³ جايمش بلهجة الأندلسيين هو خايمي (يعقوب) Jaime؛ أما بطرة فهو
بطرس Pedro؛ حكم هذا الملك مملكة أراغون من سنة 625هـ/1227م
إلى سنة 673هـ/1274م. وهذا الملك هو الذي تغلب على بلنسية وشاطبة
وجزائر البليار.

⁴ في اللوحة: ((الهنش)).

⁵ أي ألفونسو الثالث؛ الذي امتلك البرتغال من سنة 646هـ/1248م وحتى
سنة 677هـ/1278م.

⁶ في اللوحة: ((ذونيش)).

⁷ نفسه: ((وتسمّى))؛ وهو أصح.

ذكر تصوير الأمر إليه

لما ولي الأمر بالأندلس، حرسها الله، السلطان أبو الجيوش نصر ابن السلطان أبي عبد الله محمد ابن السلطان الغالب بالله أبي عبد الله بن نصر، يوم عيد الفطر؛ من عام ثمانية¹ وسبعمائة²، بالهجوم على أخيه أبي عبد الله الزَّمن المُقعد، الآمن في ركن بيته، واغتيال ابن الحكيم وزيره ببابه، والإشادة بخلعه؛ حسبما يأتي في موضعه، استقر الأمر على ضعف أخيه، وسارع دخّله؛ فساءت السيرة لمنافسة الخاصة. وكان الرئيس الكبير عميد القرابة، وعلم الدولة أبو سعيد فرج، ابن عم السلطان المخلوع، وأخيه الوالي بعده، راسخاً قدمه وعرفه، بمثوبة الوارث، ولنظره عن أبيه المسوغ عن جده مالقة وما إليها، ولنظره مدينة سبتة، المضافة إلى إيالة المخلوع عن عهد قريب، قد أفرد بها ولده المترجم به، وجميعهم تحت طاعته، وفي زمان انقياد سوغ مديد³ الدولة، بل

¹ ترك في موضع هذه الكلمة بياض في المخطوطين والملكية.

² الموافق لـ 1308م.

³ في ج: ((مدين)).

مَدَّ سَرَوَهَا¹ لما شاء عز وجل من احتوائهم في جبل
هذا الدليل، يتعقبون على الرئيس الكبير أموراً تثر مخيمة²
الصدور، وتستدعي فرض الطاعة، وتحتوي على مظنات
مُخلة³، واحترسوا صافيات منافعه، وأوعزوا⁴ إلى ولاية
الأعمال بالتضييق على رجاله، وصرفوا سننه عن نظره.
ولما بادر إلى الحضرة لإعطاء صفقة البيعة وتهنئة السلطان
نصر، عن روحه⁵، وابن عمه، على عادته، داخله بعض
أرباب الأمر، محذراً، ومشيراً بالامتناع ببلده، والدعاء
لنفسه، ووعدته بما وسعه، فاستعجل الانصراف إلى بلده،
ولم تمر إلا برهة، واشتعلت⁶ نار الفتنة، وهاجت مراحل
الحفيظة، فتلاحق به ولده، وأظهر الانفراد والاستعداد في
سابع عشر رمضان؛ من هذا العام. وأقام ولده إسماعيل،
برسم الملك والسلطان، ورتب له ألقاب الملك، ودون

¹ في المخطوطين: ((سرورها))؛ فصوبها عنان.

² هكذا في المخطوطين والملكية.

³ في ج، والملكية: ((جملة)).

⁴ في المخطوطين: ((وأوعزوا)).

⁵ هكذا في المخطوطين، والملكية. والمقصود هو: عن نفسه.

⁶ حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((واستعملت)).

ديوان الملك بحسبه¹، ونازل حَضْرَة² أُنْتْقِيرَة³، وناصبها القتال، فتملكها، ودخلت مَرَبْلَة⁴ في طاعته، وتحرك إلى إلى بلش⁵ فنازلها، ونصب عليها المجانيق فدانت، فضخمت⁶ الدعوة، ومكنت الجباية، والتف إليه من مساعير الحروب ومن أجاب. وتحرك إلى غرناطة في أول شهر محرم؛ عام اثني عشر وسبعمائة⁷، ونزل بقرية العَطْشَا من مرجها⁸. وبرز السلطان نصر في جيش خشن، خشن، مستجاد⁹ العدة، وافر الرَّجْل¹⁰، فكان اللقاء ثالث عشر الشهر، فأظهر الله¹¹ أقل الفتتين، وانجرت¹² على الجيش الغرناطي الهزيمة، وكبا بالسلطان نصر فرسه

¹ في المخطوطين: ((بجسه))؛ وصوبت من الملكية.

² في ك: ((حضر))، وفي ج: ((صر))؛ فصوبها عنان.

³ أنتقيرة: مدينة حصينة وتسمى بالإسبانية Antaquera؛ وتتواجد في الشمال الغربي من مالقة.

⁴ سبق التعريف بها.

⁵ تم التعريف بها من قبل.

⁶ حرفت في ك؛ فكتبت: ((فطمخت)).

⁷ الموافق لـ 1312م.

⁸ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((جها))؛ وصوبت من اللمحة.

⁹ في ج: ((مستجد))، وفي ك: ((مستجد))؛ فصوبت من اللمحة؛ الذي كتب فيها: ((وبرز السلطان نصر في جيش أخشن مستجاد)).

¹⁰ يقصد بالرجل: المقاتلين المشاة.

¹¹ أضيفت هذه الكلمة من اللمحة.

¹² في الملكية: ((أقل الطائفتين، وجرت)).

في مجرى سقي لبعض الفدن، فنجا بعد لأي ودخل البلد مفلولا، وانصرف الجيش **المالقي** ظاهراً إلى بلده، وطال بالرئيس وولده الأمر وضرستها الفتنة، وعظم احتياجه إلى المال، وكادت تفضحه الطاولة، وزاحمه الملك بمكلف ضخم، فاقتضى ذلك إذعانه إلى الصلح، وإصغاره المهادنة، على سبيله من المقام ببلده، مسلماً للسلطان في جبايته، جاريةً وطايفةً في رياسته، وأرزاق جنده، فتم ذلك في ربيع الأول من العام المذكور. ثم لقحت فتنة في العام المذكور هاتفين بخلعان السلطان وطاعة مخلوعهم، وطالبين منه إسلام وزيره خدن¹ الروم، المتهم² على الإسلام **أبي عبد الله بن الحاج**³. ثم لحق زعمائهم بمالقة بمالقة عند اختلال ما أبرموه، فكانت الحركة الثانية لغرناطة بعد أمور اختصرتها، من استبداد [السلطان **أبي الوليد**]⁴ بأمره، والانحطاط في القبض على أبيه، إلى

¹ في المخطوطين: ((جدل))؛ فصوبت من اللمعة. ومعنى الخدن: هو الصديق.

² في المخطوطين: ((المبهم))، وصوبت من اللمعة.

³ في اللمعة البدرية: ((على الإسلام محمد ابن الحاج)).

⁴ أضيفت العبارة المحصورة بين حاصرتين من اللمعة؛ وكتبت بالكامل هكذا: ((السلطان **أبي الوليد بن نفسه**)).

هوى جنده، والتصميم في طلب حقه، فاتصل سيره،
واحتل **بلوشة** سرار شوال فتملكها¹، ورحل قافلاً إلى
وطنه، طريد كلب الشتاء، وافر الخزانة، واقتضى الرأي
القائل ممن له النظر الجاش من زعيم شيوخ جندها، اتهاماً
له **بالطاغية**²، فسجنه. ثم بدا له في أمره؛ ثم سرحه بعد
استدعاء يمينه، فوغرت صدور حاشيته، وتبعهم من كان
على مثل رأيهم، وهو شوكة حادة، فصرفوا الوجوه إلى
السلطان المقبل الحظ، المحبوب إليه هوى الملك، بما راعه،
ثانياً من عنانه بأحواز **أرجدونة**³، إلا تثويب داعيهم، فكر
إلى المدينة وبزر إليه جيشها، ملتفاً على **عبد الحق بن**
عثمان، فأبلى وصدق الحملة، فكادت تكون الدائرة،
فلولا ثبوت⁴ السلطان لما استقبلت بأسفلهم الحملة، فولوا
منهزمين، وتبعهم إلى سور المدينة، وقد خفت اللّيف
والغوغاء، الناعقون بالخلعان، الشرهون إلى تبديل

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فتملكها))؛ وصوبت من اللّمة.

² في المخطوطين: ((بالصفاغية))؛ فصوبها عنان.

³ يرجح عنان أن تكون هي مدينة أرشدونة **Archedona**؛ الواقعة شمال مالقة، القريبة من أنتقيرة.

⁴ في اللّمة: ((وأبلى في الدفاع؛ فكادت تقع به الدبرة؛ لولا ثبوت...)).

الدعوات، وإلى تسنم المآذن والمنارات والرُّبَا. وبرز أهل
ريض البيازين¹، الهافون إلى مثل هذه البوارق، إلى
شرف ربوتهم، كل يشير مستدعياً، إعلاناً بسوء الجوار،
وملل الإيالات، والانحطاط، وبعد التلون والتقلب،
وسامة العافية، شنشنة معروفة في الخلق مألوفة. وبودر
غلق باب إلبيرة، ففض قفله، ودخلت المدينة، وجاء²
السلطان إلى معقل الحمراء بأهله وذخيرته وخاصته، وبزر
السلطان أبو الوليد بالقصبة القُدُمى تجاهها، بالدار الكبرى
المنسوبة لابن المُول، ينفذ الصكوك، ويذيع³ العفو،
ويؤلف الشارد، وضعفت بصاير المحصورين، وفشلوا على
وجود الطعمة، ووفور المال، وتمكن المنعة. فالتمسوا لهم
ولسلطانهم عهداً نزلوا به، منتقلين إلى مدينة وادي آش،
في سبيل العوض بمال معروف، وذخيرة موصوفة، وتم
ذلك، وخرج السلطان رحمه الله مخلوعاً، ساء به القرار،

¹ وهو أحد أحياء غرناطة المهمة؛ ما زال قائماً إلى الآن؛ ويقع في الجهة الشمالية الشرقية من هضبة الحمراء. يسمى بالإسبانية **Albaicín**.

² في اللمة البدرية: ((لجأ)).

³ في ك: ((ويدفع)).

جانياً على ملكه الأخايث¹ والأغمار، ليلة الثامن والعشرين من شوال؛ عام ثلاثة عشر وسبعمائة²، واستقر بها موادعاً مرة ومحارباً أخرى، إلى أن هلك حسبما يأتي ذكره. وخلا للسلطان³ الجو، وصرفت⁴ إليه المقادة وأطاعة القاصي والداني، ولم يختلف عليه اثنان، والبقاء الخُلص لله وحده.

مناقبه

اشتد رحمه الله على أهل البدع، وقصر الخوض على ما تضطر إليه الملة، ولقد تُذوكر بين يديه [أهل]⁵ البيت، فبذل في فدية بعضهم ما يعز بذله، ونقل منهم بعضاً من [حرف خبيثة]⁶، فزعموا أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم، فشكر له ذلك. واشتد في إقامة الحدود، وإراقة المسكرات، وحظر⁷ تجلى القينات

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الأجانيث)).

² الموافق لـ 1313م.

³ في اللوحة: ((وخلا للسلطان أبي الوليد)).

⁴ في اللوحة: ((وضربت)).

⁵ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فأضافها عنان.

⁶ في المخطوطين: ((من صروف جيشه))؛ وصوبت من اللوحة.

⁷ في ج: ((حضر)).

القينات للرجال في الولايم، وقصر طربهن على أجناسهن من الناس، وأخذ ¹يهود الذمة بالتزام سمة شهرهم، وشارة² تميزهم، وليوفى³ حقهم من المعاملة التي أمر بها الشارع في الخطاب والطرق، وهي شواشي صفر. ولقد حدث من يخف حديثه، من الشيوخ أولي المجانة والدعابة، قال: كنا عاكفين على راح⁴، وبرأسي شاشية ملف حمراء، فحاول أصحابي إنامتي، حتى أمكن ذلك، وبادروا إلى رقاع من ثوب أصفر، فصنعوا منها شاشية، ووضعوها في رأسي، مكان شاشيتي، وأيقظوني، فقمت لشأني، وقد هيئوا ثمناً لشراء بقل وفاكهة، وجهازوني لشرائه، فخرجت حتى أتيت دكان السوق، فساومته، فلما نظر إلي قال لصاحبه: جزى الله هذا السلطان خيراً، والله لقد كنت أبادر هذا اللعين بالسلام عند لقائه أظنه مسلماً، وبصق علي، فهممت أن أوقع به، ثم فطنت للحيلة، فانتزعتها وبادرت فأوسعتهم ذماً، وعظم

¹ في ك: ((اليهود))؛ بينما سقطت هذه الكلمة في ج.
² في المخطوطين: ((إشارة))، وصوبت من اللحة.
³ في اللحة: ((ليوقوا)).
⁴ في المخطوطين: ((راحة)).

خجلي ، وسبقني إليهم عين لهم علي ، فكاد الضحك
يهلكهم عند دخولي. ومناقبه كثيرة.

جهاده وبعض الأحداث في مدته

والتأثت¹ الأمور، لأول مدته، فجرت على جيشه
بمظاهرة [جيش² المخلوع لجيش الروم، الهزيمة الشنيعة،
بوادي فرتونه، أوقع بهم الطاغية بطره³، كافل ملك
الروم، المملك صغيرا على عهد أبيه، وعمه الدّاب عنه،
ففشا في الأعلام القتل، وذلك في صفر؛ من عام ستة عشر
وسبعمائة⁴، وظهر العدو بعدها فغلب⁵ على حصن شتمانس⁶
شتمانس⁶ وحصن بجيج⁷، وحصن طشكر، وثغر روط⁸.

¹ أساءت.

² هذه الإضافة من الملكية.

³ اسمه هو الدون بيدرو **Don Pedro**؛ الوصي على ملك قشتالة الصغير
ألفونسو الحادي عشر.

⁴ الموافق لـ 1316م.

⁵ سقطت هذه الكلمة في ج.

⁶ هذا الحصن كان على مقربة من غرناطة؛ ويعرف بالإسبانية
Sietemanos؛ ومعناه الأيدي السبعة. وكتب في اللوحة البدرية: ((وظهر
العدو بعدها على حصن قنبل وحصن متمانس)).

⁷ في اللوحة: ((وحصن نجيج)).

⁸ نفسه: ((وحصن روط)).

ثم صرفت¹ المطامع عزمه إلى الحضرة، فقصد مرجها²،
وكف الله عاديته، وقمعه، ونصر الإسلام عليه، ودالت
للدين عليه الهزيمة العظمى بالمرج من ظاهر غرناطة على
بريد منها، واستولى على محلته النهب، وعلى فرسانه
ورجاله القتل، وعظم الفتح، وبهر الصنع وطار الذكر،
وثاب السعد. وكانت الواقعة سادس جمادى الأولى؛ من
عام تسعة عشر وسبعمائة³، وفي ذلك يقول كاتبه شيخنا
أبو الحسن ابن الجياب⁴:

الحمد حق الحمد للرحمن
كافي العدو وناصر الإيمان
ومكيف الصنع الكريم ودافع الـ
خطب العظيم وواهب الإحسان

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((صرفت)).

² أي مرج غرناطة الذائع الصيت: La Vega.

³ الموافق لـ 1319م، ثمة بعض التحريف في تاريخ هذه الموقعة؛ لأن ابن

خلدون يجعل تاريخها في 718هـ الموافق 1318م.

⁴ هذه الأبيات من بحر السريع.

في كل أمر للمهيمن حكمة
أعيت على الأفكار والأذهان

واستقر ملكهم¹ القليل بأيدي المسلمين بعد فرارهم،
فجعل في تابوت خشب، ونصب بالسور المنازل من
الحمراء يسار الداخل بباب يعقوب من أبوابها، إذاعةً
للشهرة، وثبتاً لتخليد الفخر. ومن الغريب أنني في هذه
الأيام بعد خمسين سنة تماماً². تفقدت ذلك المكان في
بعض ما أباشره، أيام نيابتي عن السلطان بدار ملكه على
عادتي، فألفيته قد علا عليه كوم من الحجارة، رجم
الصبيان إياه، فظهر لي تجديد الإشادة به، والاستفتاح
بوقوع مثله، ولما كشف عن الرمة لتنتقل إلى وعاء ثان،
ألفى بعظم³ القطن⁴ العريض منها، سناناً مرهب ثبت في

¹ الذي قتل في هذه الموقعة هو ((دون بيدرو))؛ وكان وصياً على الملك الصبي؛ وليس ألفونسو الحادي عشر.

² ويوافق هذا: سنة 769هـ/1367م. يقصد: بعد مرور خمسين سنة عن السنة التي وقعت فيها معركة وادي فرتون (أي في عام 719هـ/1319م). وبذلك تكون السنة التي ذكر فيها هذا هي سنة: 769هـ/1367م.

³ في المخطوطين: ((بعطن)).

⁴ القطن هو الجزء المنحدر من الظهر؛ ثم استوى.

العظم، انتزع منه، وقد غالبتي الرقة والإجهاش، وقلت
اللهم ادخر رضوانك لمن ودع¹ في هذه الرمة الطاغية،
سنان جهادك إلى اليوم، وأثبه وارفع درجته، إنك أهل
لذلك.

((رجع)): واستقامت الأيام، وهلك المخلوع،
فصفا الجو، واتحدت الكلمة، وأمكن الجهاد. فتحرك في
شهر² رجب؛ من عام أربعة وعشرين وسبعمائة³،
وأعمل القصد⁴ إلى بلاد العدو، ونازل حصن إشكر⁵،
الشَّجى المعترض⁶ في حلق بسطة، فأخذ بُخْنَقَه⁷، ونشر
الحرب عليه⁸، ورمى بالآله العظمى المتخذة بالنفط كرة
حديد محماة طاق⁹ البرج المنيع من معقله، فاندفعت يتطاير
يتطاير شررها، واستقرت بين محصوريه¹⁰، فعاثت عياث

¹ في ج، والملكية: ((وضع)).

² سقطت كلمة: ((شهر)) في اللوحة البدرية.

³ الموافق لـ 1323م.

⁴ في اللوحة: ((وأعمل الحركة)).

⁵ يسمى هذا الحصن بالإسبانية Huescar؛ ويتواجد شمال شرق بلدة بسطة.

⁶ في اللوحة: ((المتعرض)).

⁷ في اللوحة ((بمخنقها)).

⁸ نفسه: ((عليها)).

⁹ نفسه: ((طاقة)).

¹⁰ في المخطوطين: ((محصوره)).

الصواعق السماوية، فألقى الله الرعب في قلوبهم، وأتوا
بأيديهم، ونزلوا قسراً على حكمه في الرابع والعشرين من
الشهر، وأقام بظاهره، فصيره دار جهاد، وعمل في
خندقه بيده، وانصرف، فكانت غزاة جمعة البركة عظمت
بها على الشرق الجَدوى، وأنشد الشعراء في هذه الوجهة
قصائد أشادت بفضلها، وشهرت من ذكرها، فمن ذلك
عن كاتب سرّه¹ قوله²:

أما مذاك فغاية لم تُلَحَق³

أعيت على غر الجياد السُّبَق⁴

ورفع إليه شيخنا الحكيم أبو زكريا ابن هذيل،
قصيدة أولها⁵:

¹ حرفت في ج؛ فكتبت: ((كتاب بيّره)). والمقصود هنا هو: الحكيم أبو
زكريا بن هذيل. وهذا كما جاء في اللوحة البدرية.
² هذا البيت موجود أيضاً في اللوحة البدرية، وهو من البحر الكامل.
³ في اللوحة: ((لم تسبق)).
⁴ وورد في اللوحة بيت آخر بعد هذا البيت جاء فيه:
((فاشرح بسعدك كل معنى مشكلٌ واُفتح بسيفك كل باب مغلق))
⁵ هي من البحر الطويل.

بحيث القباب¹ الحمر والأسد الورد
كتائب سكان السماء لها جند

أنشدني منها في وصف النفط قوله:
وظنوا بأن الصعق والرعد في السما²
فحاق بهم من دونها الصعق والرعد
غرائب أشكال سما هُرْمُسُ بها
مهندة³ تأتي الجبال فتتهد
ألا إنها الدنيا تريك عجائباً
وما في القوى منها فلا بد أن يبدو

وفي العاشر لشهر رجب؛ من عام خمسة وعشرين
وسبعمائة⁴، تحرك للغزو بعد أخذ الأهبة⁵ والاستكثار
والاجتهاد للمطوعة، وقصد مدينة مرثش⁶ العظيمة

¹ في اللوحة: ((البنود)).

² في اللوحة: ((بأن الرعد والصعق في السما)).

³ في اللوحة: ((مهندمة)).

⁴ الموافق لـ 1324م.

⁵ في اللوحة البدرية: ((تحرك إلى الغزو، وأخذ الأهبة)).

⁶ تسمى بالاسبانية Martos؛ وهي بلدة حصينة؛ تتواجد إلى الجنوب الغربي من جيان.
جيان.

الساحة، الطيبة البقعة، فأضرب¹ بها المحلات² و[كان]³ القصد⁴ إجمام الناس، فصوب⁵ الحشود ووجهها إلى ما بها⁶ من بحر⁷ الكروم والملتفات، وأدواح وأدواح الأشجار، فأمعنوا في إفسادها، وبزر حاميتها [فناشبت الناس]⁸ القتال، فحميت النفوس، وأريد منع الناس، فأعيا أمرهم وسال⁹ منهم البحر، فتعلقوا بالأسوار وقيل السلطان بادر بالركوب، فقد دخل الربض¹⁰، فركب ووقف بإزائها، فدخل البلد¹¹ عنوة، واعتصم أهله بالقصبة؛ فدُخلت أيضاً القصبة عنوة، وانطلقت أيدي الغوغاء على من بها من ذكر وأنثى كبيراً أو صغيراً¹²، فساءت القتلة، وقبحت الأحداث. ورفعت

¹ في المخطوطين والملكية: ((فاضطرب))، وصوبت من اللمة.

² في المخطوطين: ((المحالات؛ وصوبت من الملكية.

³ هذه الكلمة أضيفت من اللمة، إذ كتب فيها: ((وكان قصده)).

⁴ في اللمة: قصده)).

⁵ نفسه: ((فصرف)).

⁶ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بابها)).

⁷ في اللمة: ((شكر)).

⁸ حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((فناشبت الناس)).

⁹ في المخطوطين والملكية: ((وهال)).

¹⁰ في اللمة: ((البلد)).

¹¹ نفسه: ((الحصن)).

¹² نفسه: ((صغير أو كبير)).

من الغد آكام من الجثث، صعدت ذراها المؤذنون، وقفل إلى غرناطة بنصر [لا كفاً له، فكان¹ دخوله من هذه الغزاة في الرابع والعشرين لرجب المذكور.

وفاته

ولما فصل من مرتش نقم على أحد الرؤساء من قرابته، وهر ابن عمه محمد ابن إسماعيل المعروف بصاحب الجزيرة، أمراً تفرعه عليه، وبالع في الإهمال له؛ وتوعده² بما أثار حفيظته، فأقدم عليه بالفتكة الشنعاء الشنعاء التي ارتكبها منه بباب قصره، بين عبيده [وأرباب دولته³، آمن ما كان سرباً، [وأعز سلطاناً وجنداً، وذلك وذلك اليوم الإثنين ثالث يوم من دخوله⁴ من مرتش، بعد أن عاهد في الأمر جملة من القرابة والخدام، فوثب به، وهو مجتاز بين السماطين من ناسه إلى مجلس كان

¹ كتبت العبارة ما بين الحاصرتين في اللمة البدرية هكذا: ((لا كفاء له وكان)).

² في اللمة: ((وبالع في تأنبيه، وتوعده...)).

³ ما بين الحاصرتين سقط في اللمة البدرية.

⁴ ما بين حاصرتين ورد في اللمة البدرية هكذا: ((وأعز نفراً وأمكن امتناعاً؛ غدوة يوم الإثنين الثالث من يوم دخوله...)).

يجلس فيه للناس، فاعتنقه وانتضى خنجراً¹ كان ملصقاً في ذراعه، فأصابه بجراحات ثلاث، إحداهن في عنقه، بأعلى ترقوته، فخر صريعاً. وصاح بكراً وزيره، فعمته سيوف الحاضرين من أصحاب الفاتك، ووقعت الرجة، وسلت السيوف، وتشاغل كل بمن يليه، واستخلص السلطان من يديه، وحيل بينه وبينه. وحين² تشاغل القوم بالوزير، رفع السلطان وظن أنه قد أفلت جريحاً، فرقع البهت، وبادروا الفرار، فسدت المذاهب، فقتلوا حيث وجدوا، وأخذت الظنة قوماً من أبريائهم، فامتحنوا³، ونهب⁴ الغوغاء دورهم، وعلقت بالجدران أشلاؤهم، وكان يوماً عصيباً، وموقفاً صعباً، واحتمل السلطان إلى بعض دور قصره، وبه صباة روح، أشبه شيء بالعدم، للزوق العمامة بفوهة⁵ شريانه المبتور، ففاض لحينه بنفس زوال العمامة، رحمه الله. وكان من أخذ البيعة لولده

¹ في اللحة البدرية: ((إلى مجلس القعود الخاص؛ فاعتنقه، وسل خنجراً..)).

² في ك: ((وعند)).

³ في اللحة البدرية: ((استحلفوا)).

⁴ نفسه: ((ونهبت)).

⁵ في ج: ((يغهو))، وفي ك: ((يعهو))؛ وصوبت من اللحة.

الأمير أبي عبد الله من بعده، ما هو معروف في موضعه. ودفن غلس ليلة الثلاثاء¹؛ ثاني يوم وفاته، بروضة الجنة² من قصره، إلى جانب جده، وتنوحي الاحتفال بقبره نقشاً، وتخريماً³، وإحكاماً، وحلياً، وتمويهاً، يشق على الوصف⁴، وكتب بإزاء رأسه في لوح الرخام ما نصه، من كلام شيخنا⁵، بعد سطر الافتتاح: ((هذا قبر السلطان السلطان الشهيد⁶ فتّاح الأمصار، وناصر ملة المصطفى المختار ومحبي سبيل آبائه الأنصار، الإمام العادل، الهمام الباسل، صاحب الحرب والمحراب الطاهر الأنساب والأثواب، أسعد الملوك دولة، وأمضاهم في ذات الله صولة، سيف الجهاد، ونور البلاد، ذي الحسام⁷ المسلول في نصره الإيمان، والفؤاد المعمور بخشية الرحمن، المجاهد في سبيل الله، المنصور بفضل الله، أمير المسلمين أبي

¹ في اللوحة: ((ليلة يوم الثلاثاء)).

² نفسه: ((الجنان)).

³ في ك: ((حميراء))، وفي اللوحة: ((نجيداً)).

⁴ في اللوحة: يشذ عن الوصف)).

⁵ يقصد أبو الحسن بن الجياب.

⁶ في المخطوطين: ((الشهير)).

⁷ في اللوحة: ((ونور البلاد الحسام المسلول...))؛ وهو الأصوب.

الوليد إسماعيل ابن الهمام الأعلى، الطاهر الذات
والفخار¹، الكريم المآثر والآثار، كبير الإمامة النصرية،
وعمداد الدولة الغالية، المقدس، المرحوم أبي سعيد فرج،
ابن علم الأعلام وحامي حمى الإسلام، صنوا الإمام
الغالب، وظهيره [المقدس] العلي² المرتب، المقدس،
المرحوم أبي الوليد إسماعيل بن نصر، قدس الله روحه
الطيب، وأفاض عليها [غيث]³ رحمته الصيب، ونفعه
بالجهاد والشهادة، وحياه بالحسنى⁴ والزيادة، جاهد في
سبيل الله حق الجهاد، وصنع الله له في فتح البلاد،
وقتل كبار الأعاد⁵، ما يجده مذخوراً يوم التناد، إلى أن
قضى الله بحضور أجله، فحتم عمره بخير عمله، وقبضه
إلى ما أعد له من كرامته وثوابه، وغبار الجهاد طي

¹ في الملكية: ((المفاخر))، وفي اللوحة: ((والنجار)).

² هذه الكلمة وردت في ج فقط، أما في اللوحة البدرية فكتب: ((وظهيره المقدس العلي)).

³ هذه الكلمة سقطت في المخطوطين والملكية؛ بينما وردت في اللوحة، ووردت العبارة هكذا: ((وأفاض عليها غيث...)).

⁴ في اللوحة: ((وحياه بالحسنى)).

⁵ نفسه: ((وقتل كبار ملوك الأعاد)).

أثوابه، فاستشهد رحمه الله شهادةً أثبتت له في الشهداء
من الملوك قدماً، ورفعت له في أعلام السعادة علماً.

ولد رضي الله عنه في الساعة المباركة بين يدي
الصبح من يوم الجمعة سابع عشر شوال¹؛ عام سبعة
وسبعين وستمائة²، وبويع يوم الخميس السابع والعشرين
لشوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة³، واستشهد في يوم
الاثنين السادس والعشرين لشهر رجب⁴؛ عام خمسة
وعشرين وسبعمائة⁵. فسبحان الملك الحق، الباقي بعد فناء
فناء الخلق)). وبعده من جهة اللوح الأخير⁶:

تخصُّ قبرك يا خير السلاطين
تحيةً كالصبا مرت بدارين

¹ في اللوحة: ((شهر شوال)).

² الموافق لـ 1278م.

³ الموافق لـ 1313م.

⁴ في اللوحة: ((شهر رجب الفرد)).

⁵ الموافق لـ 1324م.

⁶ هذه القصيدة موجودة أيضاً في اللوحة البدرية. وهي من البحر البسيط.

قبر به من بني نصر [إمام هدى]¹
عالي المراتب في الدنيا وفي الدين
أبو الوليد وما أدراك من ملكٍ
مستنصرٍ واثق بالله مأمون
سلطان عدلٍ وبأسٍ غالبٍ وندى
وفضل تقوى وأخلاقٍ ميامين
لله ما قد طواه الموت من شرف
وسر مجدٍ بهذا اللحد مدفون
ومن لسان بذكر الله منطلق
ومن فؤادٍ بحب الله مسكون
أما الجهاد فقد أحيا معالمه
وقام منه بمفروض ومسنون
فكم فتوحٍ له تزهو² المنابر من
عُجبٍ بهن وأوراق الدواوين

¹ ما بين، الحاصرتين سقط في ك؛ بينما ورد في ج، والملكية.

² في اللوحة: ((تَرْهَو)).

مجاهدٌ نال من فضل الشهادة ما
يجبى¹ عليه بأجر غير ممنون
قضى كعثمان في الشهر الحرام ضحىً
وفاة مستشهد² في الدار مطعون
في عارضيه غبار الغزو تمسحه
في جنة الخلد أيدي حورها العين
يُسقى بها عين تسلم³ وقاتله
مردد بين زقوم وغلسين
تبكي البلاد عليه والعباد معاً
فالخلق ما بين أحزان أفانين
لكنه حُكم ربّ لا مردّ له
[فأمره]⁴ الجزم بين الكاف والنون
فرحمة الله رب العالمين على
سلطان عدل بهذا القبر مدفون

¹ في المخطوطين: ((يجري))؛ وصوبت من اللوحة.

² في المخطوطين والملكية: ((مشتهر))، وصوبت من اللوحة.

³ في اللوحة البدرية: ((عين تسليم)).

⁴ هذه الكلمة سقطت في المخطوطين والملكية؛ بينما وردت في اللوحة.

بعض ما رثي به

[وعظمت فيه]¹ فجيرة المسلمين لما ثكلوا من جهاده وعزمه، وبلوه من سعدة وعز² نصره، فكثرت³ فيه المراثي، وتراهن⁴ في شجوه القرائح، وبكاه الغادي والرائح. فمن المراثي التي أنشدت على قبره، قول كاتبه شخنا⁵ أبي الحسن بن الجياب⁶:

أيا عبرة العين امزجي الدمع بالدم
ويا زفرة الحزن احكي وتحكي
ويا قلب ذب وجدا وغماً ولوعةً
فإن الأسى فرضٌ على كل مسلم
ويا سلوة الأيام لا كنت فابعدي
إلى [حيث ألفت]⁷ رحلها أم قشعم

¹ ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين والملكية؛ وواد في اللوحة.

² في اللوحة: ((وعزة)).

³ في المخطوطين: ((فكثر)).

⁴ في اللوحة: ((وتراهن)).

⁵ وردت في اللوحة؛ بينما سقطت في المخطوطين.

⁶ هذه القصيدة من البحر الطويل.

⁷ ما بين، الحاصرتين وارد في ك، والملكية؛ بينما سقط في ج.

وصح بأناة الصبر سحفاً تأخري
وقل لشكاة الحزن أهلا تقدمي
ولم لا وشمس الملك والمجد والهدى
وفتاح أبواب الندى والتكرم
ثوى¹ بين أطباق الثرى رهن غربه
وحيداً وأصمته الليالي بأسهم
على ملك الإسلام فاسمح بزفرة
تساقط دراً بين فذ وتوأم
على علم الأعلام والقمر الذي
تجلى بوجه العصر غرة أدهم
على أوحده الأملاك غير منازع
أصالة أعراق وفضل تقدم
ومن مثل إسماعيل نوراً لمهتدٍ
وبشرى لمكروبٍ وعفو لمجرم
وما مثل إسماعيل للبأس والندى
لأصراخ مذعور وإغناء معدم

¹ في المخطوطين: ((ترى)).

وما مثل إسماعيل للحرب يجتني
به الفتح من غرس القنا المتحطم
وما مثل إسماعيل سهم سعادة
أصاب به الإسلام شاكلة الدم
شهيدٌ سعيدٌ صبحته شهادة
تبوأ منها في الخلود التتعم
أتت وغبار الغزوطي ثيابه
ظهير أمانٍ من دخان جهنم
فتباً لدارٍ لا يدوم نعيمها
فما عرسها إلا طليعة مأتَم
ولا أنسها إلا رهينٌ بوحشة
ولا شهدها إلا مشوبٌ بعلقم
فيا من يرى الدنيا مجاجة نحلة
ألا فاعتبرها فهي نبتة أرقم
فمن شام منها اليوم برق تبسم
ففي الغد تلقاه بوجه جهنم

فضاحكها باكٍ وجذلائها شجٍ
 وطالعها¹ هاوٍ ومبصرها عم
 وسرّاءها تفنى² وضراؤها معاً
 فكلتاها طيف الخيال المسلم
 سطت بملوك الأرض من بعد آدم
 تبدد منهم كل شملٍ منظم
 فكم من قصير قصرت شأو عمره
 فخر صريعاً لليدين واللفم
 وكم كسرت كسرى وفضت جيوشه
 فلم تحمه منها كتائب رستم
 ولو أنها ترعى إمام هدايةٍ لأعقت
 علياً³ من حسام ابن ملجم⁴
 وما قتلت عثمان في جوف داره
 فقدس من مستسلم ومسلم

¹ في ج: ((وطالقتها)).

² في المخطوطين: ((تفني)).

³ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((عليها)).

⁴ يقصد عبد الرحمن بن ملجم المرادي؛ الذي اغتال علياً ابن أبي طالب كرم الله وجهه.

وما أمكنت فيروز¹ من عُمرِ الرّضَى
فهدت من الإسلام أرفع معلم

إلى آخرها. وتضمن إجمال ما ذكر من ذلك،
التاريخ المسمى بـ((قطع السلوك المنظوم))² جزءاً من
تألفي بما نصه:

وعندما خيف انتشار السلوك
ووزر الروم وزير الملك
تدارك الأمر الإمام الطاهر
فعالج الدار طبيب ماهر
وهو أبو الوليد إسماعيل
والشمس لا يفقدها دليل
ابن الرئيس الماجد الهمام
فرد العلا وعلم الأعلام

¹ فيروز هو أبو لؤلؤة الذي اغتال عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
² هذا هو العنوان الثاني لكتاب ابن الخطيب: ((رقم الحل في نظم الدول)).

وجده صنو الإمام الغالب
مناقب كالشهب الثواقب
فقداد من مالقة الجنودا
ونشر الأعلام والبنودا
وعاد نصر بمدى حمرائه
أتى وأمر الله من ورائه
فخلع الأمر وألقى باليد
من بعد عهد موثق مؤكد
وسار¹ في الليل إلى وادي الأشي²
والملك لله يعز من يشا
ولم يزل فيها إلى أن ماتا
وطلق الدنيا بها بتاتا
واتسق الأمر وقر الملك
وربما جر الحياة³ الهلك

¹ في المخطوطين: ((وصار)).

² أي مدينة وادي أش.

³ في المخطوطين: ((المهلك)).

ومن الرجز المذكور في وصف جهاده ومقتله:
وكان يوم المرج في دولته
ففرق الأعداء من صولته
وفتح المعازل المنيعه
وابتهجت¹ بعدله الشريعة
وانتبه الدهر له من نومه
على يدي طائفة من قومه
بكي عليه الحرب والمحاراب
وندبته الضمّر العُرّاب

¹ في لئ: ((وانبهجت)).

إسماعيل بن يوسف¹

(ابن إسماعيل بن فرج بن نصر؛
السلطان (الزّي) اختال² على أخيه، (المتوثب على ملكه،
يكنى أبا الوليد).

حاله

كان صبياً كما اجتمع وجهه، بادناً³، دمت الخلق،
لين الجانب، شديد البياض كثيف الحاشية، متصلاً
بالجفوة، لطول الحجة، وبعد التمرن والحنكة غراً، فاقداً
لحسن الأدب، عريقةً ألفاظه في العجمة. تصير الأمر إلى
أخيه السلطان؛ خيرتهم ولباب يبتهم، يوم قتل أبوهما،
وله مزية السن والرجاحة⁴، والسكنى بمحل وفاة الأب،
فأبقى عليه، وأسكنه بعض القصور لصقه⁵، ولم يضايق
أمه فيما استأثرت به من بيت المال، إذ كان إقليده في
يدها، وييضأؤه وصفراؤه⁶ في حكمها، ورفه متبوأه،

¹ له أيضاً ترجمة مختصرة في اللوحة البدرية.

² في ك: ((اختال)).

³ في اللوحة البدرية: ((بيناً)).

⁴ حرفت في ك؛ فكتبت: ((الرجاحة))، وفي ج: ((الرجاحة)).

⁵ في ج: ((لصقه))؛ وهو تحريف.

⁶ في ج: ((وصفراؤه)). و(بيضاؤه وصفراؤه)؛ يقصد بها: الذهب والفضة.

واستدعى له ولأخيه المعلم الذي كان السبب في إفاته إرماقهما، وإعدام حياتهما؛ الشيخ السُّفلة¹ محمد البطروجي البائس، [قرّد ذلك السرب]² فاستمرت أيام احتجابه وانتظاره على قصره، إلى رمضان؛ من عام ستين وسبعمائة³. وحرك سماسرة⁴ الفتنة له ولأمه جواز الطمع في الملك، ودندنوا لها حتى رقصت على إيقاعهم، وخفت إلى مواعدهم، وشمروا إلى خلاص الأمر، وأحام الوثبة صهره الرئيس أبو عبد الله⁵، حلف الشؤم زوج أخته، محمد بن إسماعيل، الشهير الكائنة، المذكور في موضعه من حرف الميم. فسيرت إليه أمه المال، فبثه في الدعرة والشرار، حتى تم غرضه، واقتحم القلعة من بعض أسوارها عند البالية، وقد هدم منها شيء في سبيل إصلاحه، ليلة الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان؛

¹ في ج: ((السلفة))؛ وهو تحريف.

² حرّفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((حدد ذلك السر))، وكذلك في الملكية؛ حيث كتب: ((فرد ذلك السرفا)).

³ الموافق لـ 1358م.

⁴ في المخطوطين، والملكية: ((سمسارة)).

⁵ في المخطوطين، والملكية: ((أبا هو)).

من عام ستين وسبعمائة¹، والسلطان ليلتذ غير حال بها، فملأوها لجباً ولغطاً²، وصراخاً وهولاً وتنويراً، في جملة تناهز المائة، وانضاف إليهم أخوان رأيهم من حراسها وسكانها، فألبس الناس، وسقط في أيديهم. وأهدى الليل فتكته³ هائلة، وأداها شنيعة. فاقصر كل على النظر لنفسه، وانقسموا فرقتين، قصدت إحداهما دار كبير الدولة، وقيوم التفويض، وشيخ رجال الملك رضوان، المستبد بإحالة كورتها، الشيخ الذهول، معزوز القدر [ورائب النكتة]⁴، ومعود الإقامة، وجرار رَسَن⁵ الأطواد، وطول الإملا، الماشي على خد الدنيا، المغضوض البصر عن النظر، المستهين بكل سبة⁶، وحية تسعى، المعول على نظره، وقوة سعده⁷ وإجابة دعوته، مع كونه نسيج وحده في عفافه وديانته، ورضي الناس

¹ الموافق لـ 1358م.

² في ج: ((وغلطاً)).

³ في ج: ((فتكة)).

⁴ في المخطوطين: ((وريب النكتة - النكنه)).

⁵ الرسن: هو الحبل.

⁶ في المخطوطين: ((سبتا)).

⁷ في ج: ((سعاده)).

به، وسقوط منافستهم من أجله، ومأويهم على مول
لفظه، وبساط معاملته، وصحة عقده، فعالجوا بابه طويلاً
وتولجوا داره، وقتلوه بين أهله وولده. قصدت الأخرى دار
الأمير المترجم به؛ ومعها صهره، فأخرجوه¹ وأركبوه على
فرس، راعد الفرائض، منتقع اللون، مختلط القول، تحف
به داياته بين مولولة²، وتافلة ومعوذة، قد جعلوا به سيفاً
مصلتاً على سبيل اللواعب بالنصول والرواقص، في
مدارج اللهو، واستخرجت طول الملك فقرعت، وقيدت
الخيول من مرابطها فركبت، وقصدت الخزائن السلاحية³
ففرقت، وتم الأمر. وحل من الريب على دار الإمارة
القصد، وخرجت الكتب إلى البلاد والقواعد، فالتفت
باليدها أمهاتها لقطع من بها من أولى الأمانة، بتمام الأمر،
وهلاك السلطان، فتم له الأمر. وبادر أخوه السلطان
لحينه⁴ لظهر سابق كان مرتبطاً عند مجر⁵ له من الجنة

¹ في المخطوطين: ((فأرجوه)).

² في ك: ((ملولة)).

³ في ج: ((وقصرت الخزائن عن الأسلحة)).

⁴ في ج: ((الحبر))؛ بينما بقي في مكانها بياض في ك؛ فصوبها عنان.

⁵ في المخطوطين، والملكية: ((بمتجرا))؛ فصوبها عنان.

لصق القلعة، فاستأجر الليل، ووافق الحزم، فاستقر
بوادي آش. وكان أملك بها، ونازلته المحلات، وأخذ
بمخنقه الحصص، واستنصرت لِمنازلته الناس، وأعملت
الحيل، وتأذن الله بثبوت قدمه، وانتقاله إلى ملك المغرب
صبح عيد النحر من العام المذكور، إلى أن أعاد الله إليه
أمره ورد عليه حقه، وتولى بعد اليأس جبره، حسبما
يذكر في موضعه إن شاء الله. وخلا الجو لهذا الأمير
المضعوف، واستولى على أريكة الملك الأغمار وأولو
البطالة، وأولياء صهره الرئيس، خاطبها له ابتداءً ثم
ناقلها¹ إلى نفسه انتهاءً، وحاملها إلى غايته درجاً، وإلى
إعاقته سلماً، وهو ما هو من غش الحبيب، وسوء العقد،
ودخل السريرة، واستيطان المكروه، فأغرى منه بالعهد
نفساً مطاوعةً للشهوة، متبرمة بالامتحان والخلوة،
برية [من]² نور العلم وتهذيب الحكمة، ناشئة بين
أخايث القسوة، جانية أمانى الشهوة والمخالفة، مضادة

¹ في المخطوطين: ((نقلها))،؛ فصوبها عنان.

² سقطت هذه الكلمة في المخطوطين والملكية؛ فأضافها عنان.

للفلاح¹، حايدة عن سبيل النجاة، بمحل اغتراب عن
النصحاء، وانتباز عن مقاعد الأحرار، فجرى طلق
الجموح في التخلف، حتى كبا لفيه ويديه، وأعان نسمة
السوء الرئيس على نفسه. وقد كان اصطنع الرجال،
واستركب أولى البسالة، وأسالف الدعرة، واختص في
سبيل خدمته والذب عنه، بالبؤساء والمساير، يشركهم
في الأكلة. ويصافيهـم النعمة. واطلم ما بينهما، فحذر كل
جانب أخيه، [إلا أن المهين كان أضعف من أن يستأثر
بخطـة المعالجة، ويهتدي إلى سبيل الحزم². وفي عشي يوم
الأربعاء [السابع والعشرين³ من شهر شعبان؛ شارفه من
مكمن غدره الرحب بجوار قصره، وارتبط به الخيل
واستكثر من الحاشية، وأخفى المساير. وداخل الموروري⁴
المشئوم على الدولة، فبادر رجاله سد الأبواب، وانخرط
في جملة أوباشه من باب السلطان، من الرجل لنظر ممالئه

¹ أغفلت هذه الكلمة في ج، والملكية؛ بينما وردت في ك.

² هكذا في المخطوطين والملكية.

³ تاريخ اليوم سقط في النسخ الثلاث؛ وقد استكمل من اللوحة البدرية.

⁴ نسبة إلى بلدة مورور (Moron بالإسبانية)؛ الواقعة جنوب شرق
إشبيلية. والموروري - كما ورد في اللوحة البدرية - هو وزير الرئيس
الثائر ابن عم السلطان الذي اغتصب الحكم (إسماعيل بن يوسف).

في العنا، وعونه على الهول الموروري، فأحاط به، وقد
 بادر الاعتصام بالمصنع ثاني؛ الصرح المنسوب إلى هامان¹
 سموا ونفالاً في السُّكَاك² وسعة ذرع. وبعد ما رقى
 وصرخ بالناس، يناشدهم الذُّمام؛ فخف إليه منهم
 الكثير، وتراكموا بالطريق تحته، وتولى استنزاله عن سويِّه
 مملوك أبيه، العليج المخدول عباد؛ وقد تحصل في قبضته
 الغادر، فقتل له في الغارب والذُّروة، ووعدته الحياة؛
 فنزل عن أمان فُسحة الغدر الصَّراح، والوفاء المُستباح؛
 ولحين استهاله أمر نقله³ إلى المُطْبَق⁴، فقيّد - مُختبلاً كثير
 الضراعة - إلى الأري⁵؛ لصق قصره، وتعاورته السُّيوف،
 وأُلْحِق به صغيره قيس؛ استُخْرِج من بعض الخزائن؛ وقد

¹ إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾. سورة غافر؛ الآية: 36. وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾. سورة القصص؛ الآية: 38.

² أي الجو المرتفع - والسماء.

³ في ج: ((نبله))، وفي ك: ((تبله)).

⁴ هو سجن تحت الأرض.

⁵ أي الموضع الذي يحبس فيه الدواب.

جهدت¹ أمّه في إخفائه؛ فمضى لسبيله، وطرح رأسه على الرّعاع المجيين لندائه؛ فانفضوا حينه؛ وبقي مطروحاً مواري، بجلّس² دابة من دواب الظهر، إلى يوم بعده. فووري هو وأخوه بمقربة من مدفن أبيهم؛ فكان من أمرهما عبرة. وقد استوفى [ذلك]³ الكتاب المسمى بنفاضة الجراب⁴؛ من تأليفنا.

وزراء دولته

قدم للوزارة عشية⁵ يوم ولايته، محمد بن إبراهيم بن بن أبي الفتح الفهري؛ بطالع الشؤم، ونعبة النحس. عهدي بالطبيب الإسرائيلي الحبري العظيم المهارة [في الفن النجومى]⁶، إبراهيم بن زرزار، يتطاير بتلك الولاية؛ الولاية؛ بكون النحس الأعظم في درجة طالعها، جذواً انفراد ينحز أديمه الجهالة، المعدودون في البهم والهَمَج⁷؛

¹ في المخطوطين: ((جهد)).

² الحلس: هو الكساء الذي يوضع على ظهر الدابة.

³ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضيفت من الملكية.

⁴ وهو نفاضة الجراب في علالة الاغتراب؛ سبقت الإشارة إليه.

⁵ في ج: ((عشي)).

⁶ سقطت هذه العبارة في ج؛ بينما هي واردة في ك.

⁷ في المخطوطين والملكية: ((المهَج))؛ وهو تحريف.

الذين لا يعبأ الله بهم، فكان الخبر وفوق الخبر، فلم يُرَ في الأندلس وزارة أثقل وطأة، ولا أخبث عهداً، ولا أعظم شرهاً، ولا أكثر حجراً منها، ثم كان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها، وذلك جزاء الظالمين من رجل حَبْرَكَة¹، كَمِدِ اللَّوْن، تَنْطَفِ سَحْنَتُهُ مَرَّةً وَسُماً، غائر العين مطأطئ الرأس، طَرِفٌ في الحقد والطمع، وعي المنطق، وجمود الكف، معدنٌ من معادن الجهل، مثلٌ في الخيانة، تناول الأمر مزاحماً فيه بالرئيس المتوثب، وابن عم نفسه، الغادر الضخم الحرارة، بالوعث المهين، وثور النقل، وثعيان الفواكه، وصاعقة الأخوَنَة²، ووكيل الدولة المنحط عن خلّالهم بالأبوة والنشأة. فجرت أمورها أسوأ مجاريها، إلى أن كان ما أذن الله به، من مداخلة الرئيس الغادر، على قتل أميره المسكين المهين، مقلده [أنوَه الرتب]³، وتاركه وخطة الخيانة، ثم أخذه الأخذة الرابية بيد من أمدّه في الغي، وظاهره في الخزي، فجعله نكالاً

¹ تكتب - في المشهور - ((حبركي)). ويقصد بالحبركي؛ ذلك الرجل الذي له ظهر طويل ورقبة غليظة؛ بينما تكون له رجلان قصيران. ويعتبر من المعوقين.

² جمع خوان؛ أي المائدة.

³ في ج، والملكية: ((أبوه الرتب)).

لما بين يديه وما خلفه ، وموعظةً للمؤمنين¹ ، حسبما يأتي في اسمه بحول الله تعالى.

كاتبه

واستعمل في الكتابة صاحبنا الرجل الأخرق، الطوال، الأهوج البري من الخلال الحميدة، إلا ما كان من وسط الخط وسوقي السجع، والدرك الأسفل من النظم، عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي²، الآتي ذكره. وهو الذي أفرد الله جل جلاله، بالغاية البعيدة من مجال سوء العهد، وقلة الوفاء. وتولى القضاء، أبو جعفر أحمد بن أبي القاسم بن جزي³ أياماً، ثم شهر به قوم

¹ إحالة إلى آيات عديدة في الذكر الحكيم؛ مثل: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾. سورة آل عمران؛ الآية: 138. وقوله سبحانه: ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة البقرة؛ الآية: 66. وقوله سبحانه: ﴿ وَفَقَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾. سورة المائدة؛ الآية: 46. وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾. سورة النور؛ الآية: 34.

² في اللوحة البدرية: ((الفقيه أبو محمد عبد الحق بن أبي القاسم بن عطية المحاربي)). له ترجمة في الإحاطة.

³ في اللوحة البدرية: ((الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد أحمد بن محمد بن جزي)).

من الفقهاء منافسيه، ورشقوه بما أوجب صرفه، وقدم للقضاء الشيخ المسن¹، الطويل السباحة في بحر الأحكام، المفري الودجين والحلقوم بسكين القضاء، المنبوز² بالموبقات فيه، تجاوز الله عنه، سلمون بن علي بن سلمون. وشيخ الغزاة - على عهده - يحيى بن عمر بن عبد الله بن عبد الحق، شيخ الغزاة لأخيه، أصبح يوم الكائنة في قياده، ونصح له فأمر له، وضاعف بره.³

مولده

في يوم الإثنين الثامن والعشرين لربيع الأول؛ من عام أربعين وسبعمائة⁴.

¹ في المخطوطين: ((الحسن)).

² يقصد: المعروف والمشهور.

³ بعد هذا الفصل ورد عنوان: ((الملوك على عهده))؛ وهو موجود في المخطوطين والملكية؛ ولكن دون نص يتبع؛ لذا فقد اكتفينا بالإشارة إلى ذلك في الهامش.

⁴ الموافق لـ 1339 م.

وفاته

حسبما تقرر آنفاً في يوم الأربعاء [السابع
والعشرين]¹ لشعبان؛ من عام أحد وستين وسبعمائة².

¹ سقط تاريخ اليوم في النسخ الأربع.

² الموافق لـ 1359م.

أبو بكر ابن إبراهيم¹

الأخير أبو يحيى (المسوفي² الصحرراوي؛ من أمراء المرابطين؛
صهر علي بن يوسف بن تاشفين؛ زوج أخته؛ وأبو³ ولده
منها يحيى، المشهور بالكرم.

أوليته

معروفة؛ تستقرأ⁴ عند ذكر ملوكهم.

حاله

كان مثلاً في الكرم، وآيةً في الجود⁵، أنسى أجواد
الإسلام والجاهلية؛ إلى الغاية، في الحياء والشجاعة
والتبريز في ميدان الفضائل. استوزر الوزير الحكيم الشهير
أبا بكر بن الصائغ، واختصه؛ فتجملت دولته، ونبه
قدره. وأخباره معه شهيرة.

¹ وردت أخبار أبي بكر بن إبراهيم المسوفي في: البيان المغرب، والمغرب
في حلى المغرب، والحلة السيرة.

² حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((الميسوفي)). والمسوفي نسبة إلى
قبيلة مسوفة الصنهاجية؛ المنصوية في حلف صنهاجة الصحراء بقيادة
قبيلة لمتونة. وتعرف هذه القبائل الصنهاجية الصحراوية أيضاً باسم المرابطين.

³ في المخطوطين والملكية: ((فينو)).

⁴ نفسها: ((تستقر)).

⁵ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((أجود - جود)).

ولايته

ولي غرناطة سنة خمسمائة¹. ثم انتقل منها إلى سرقسطة. عند خروج المستعين بن هود [إلى] روضة². فأقام بها مراسم الملك، وانهمك في اللذات، وعكف على المعاقرة؛ وكان يجعل التاج بين ندمائه، ويتزيا بزي الملوك³، إلى أن هلك بها تحت مضايقة طاغية الروم المستولى عليها بعد.

خروجه من الصحراء

قال المؤرخ: كان أبو بكر - هذا - رئيساً على بعض قبيله في الصحراء، وكان ابن عمه منفرداً بالتدبير، فاتفق يوماً أن دخل على ابن عمه في خبائه⁴؛ وزوج ابن عمه تمتشط⁵ في موضع قريب من الخباء؛ فاشتغلت نفس أبو⁶ أبو بكر بالمرأة لحسنها وجمالها؛ فحين دخل قال لابن

¹ الموافق لـ 1106م.

² روضة حصن منيع يتخذها بنو هود ملجأ لهم بين الحين والآخر. ويسمى بالاسبانية Rueda؛ وهو بالقرب من نهر خالون المتواجد غربي سرقسطة.

³ في الملكية: ((الملك)).

⁴ في المخطوطين: ((خباء)).

⁵ في ج، والملكية: ((تمشط)).

⁶ صوبها د طويل؛ فجعلها: ((أبي)). وهو أصح.

عمه: فلانة تريد الوصول إليك؛ وإنما قصد الاستئذان
لرجل من أصحابه؛ فنطق باسم المرأة لشغل باله بها:
فقال له ابن عمه بعد طول صمت وفكرة، وقد أنكر
ذلك: عهدي بهذا الشخص لا يستأذن علينا. فرجع عقله،
وثاب لبه، وعلم قدر ما من القبيح وقع فيه¹، فخرج من
ذلك المجلس، وركب جملة، وهان عليه مفارقة وطنه من
أجل العار، واستصحب نفراً قليلاً من أصحابه على حال
استعجال، ورحل ليلاً ونهاراً، حتى وصل سجلماسة²
أولى عمالات علي بن يوسف ابن عمه، واتصل به
قدومه، فأوجب حقه، وعرف قدره، وعقد له على
أخته، وولاه على سرقسطة دار ملك بني هود بشرق
الأندلس، بعد ولاية غرناطة.

¹ في الملكية: ((صار إليه)).

² سجلماسة مدينة مغربية قديمة أسسها المكناسيون الصفرية سنة 140هـ/757م. أين شيدوا دولتهم بها المعروفة بدولة بني واسول أو دولة بني مدرار. وقد انتشرت هذه المدينة الآن؛ وأثارها متواجدة بالقرب من تافيلالت الحالية جنوب شرقي المغرب الأقصى.

نبذة من أخباره في الكرم

قالوا، لما حلّ بظاهر سجلماسة، مجهول الوفادة، خافي الأمر، نزل بظل نخلة بظاھرھا؛ لا يعرف أحداً ولا يقصده، فجاء في ذلك الموضع رجل حدادٌ فقراه بعنز¹؛ كان عنده، وتعرف له؛ وأبو بكر يستغرب أمره. فلما فرغوا من أكلهم، قال للحداد: ألا تصحبنا لموضع أملنا، وتكون أحد إخواننا، حتى تحمد لقاءنا، فأجابه، وصحبه الحداد، وخدمه. فلما قربوا من مراکش؛ استأذن أبو بكر، علي بن يوسف بن تاشفين، وأعلمه بنفسه؛ فأخرج له علي بن يوسف فرساً من عتاق خيله، وكسوة من ثيابه وألف دينار؛ فأمر أبو بكر بدفعها للحداد؛ فبهت الحداد؛ وانصرف الرسول موجهاً إلى مرسله؛ فأخبره بما عاين من كرمه وفعله، فأعاده إليه في الحين بفرسٍ أخرى، وكسي كثيرة، وآلاف من المال؛ فلما دخل مراکش، ولقي علي ابن يوسف وأنزله، أنزل الحداد مع نفسه في بيت واحد،

¹ القرى هي الضيافة والإكرام؛ أي أضافه بعنز. وحرفت كلمة (عنز) في المخطوطين؛ فكتبت: ((لعمري)).

وشاركه في الأموال التي توجه بها¹ فانصرف يجر وراءه دنيا عريضة. ولما ملك سرقسطة²، احتضن الوزير الحكيم أبا بكر بن الصائغ³، ولطف منه محله. ذكر أنه غاب يوماً عنه وعن حضور مجلسه بسرقسطة، ثم بكر من الغد؛ فلما دخل قال له: أين غبت يا حكيم عنا؟ فقال يا مولاي أصابتني سوداء واغتتمت؛ فأشار إلى الفتى الذي كان يقف على رأسه، وخاطبه بلسان عجمية⁴؛ فأحضره طبقاً مملوءاً مثاقيل مُحشمة⁵، وعليها نوادر ياسمين؛ [فدفعه]⁶ كله إليه؛ فقال ابن باجة: يا مولاي

¹ في ج: ((توجب بها)).

² تأمر على سرقسطة سنة 510هـ/1116م.

³ هو أبو بكر محمد بن يحيى بن باجة التجيبي السرقسطي المعروف بابن الصائغ؛ توفي بفاس سنة 533هـ/1139م. من مشاهير فلاسفة الأندلس وحكمائها. اشتغل بالعلوم الطبيعية والفلك والرياضيات والموسيقى والطب. وله شعر جيد؛ وأنجز مؤلفات عديدة بقي منها: مجموعة في الفلسفة والطب والطبيعيات، ورسالة الوداع، له ترجمة في: قلند العقيان، والمغرب؛ (أين سمي محمد بن الحسين بن باجة؛ وترجمته كذلك موجودة في عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ووفيات الأعيان، وخريدة القصر (قسم شعراء المغرب)، والوافي بالوفيات، ومطمح الأنفس، ومعجم الأدباء؛ ضمن ترجمة ابن خاقان.

⁴ جعلها د طويل: ((عجمي))؛ بالتذكير؛ وهو خطأ؛ لأن اللسان عندما يقصد بها اللغة تؤنث؛ ولا يجوز فيها التذكير؛ بينما يصح التذكير عندما يقصد العضو المسمى اللسان.

⁵ في ك: ((محشيمة)).

⁶ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

لم يعرف جالينوس من هذا الطب ؛ فضحك. وذكر أنه
أنشد شعراً في مدحه ؛ وقد قعد يشرب ؛ فاستفزه
الطرب ؛ وحلف أن لا يمشي إلا من فوق المال إلى منزله
في طريقه ؛ فالتمس الخدام برنسه ؛ بأن كانوا يطرحون من
المال شيئاً له خطر، على أوعيته حتى يغمرها، فيمشي
خطواً إلى أن وصل إلى منزله. وحسد الحكيم أصحابه،
ولم يقدرُوا على مطالبته. واتفق أن سار الأمير أبو بكر،
وأمر أصحابه بالتأهب والاستعداد، فاستعد ابن باجة،
واتخذ الأقيية والأخية، واستفّرهُ¹ الجياد من بغال
الحمولة ؛ فكانت له منها² سبعة صفر الألوان، حمل
عليها الثياب والفرش والمال. فلما نزل الأمير بمقره ؛ مرت
عليه البغال المذكورة في أجمل الهيئات ؛ فقال لجلسائه:
لمن هذه البغال، ومن يكون من رجالنا هذا؛ فأصابوا
العزّة ؛ فقالوا: هي للحكيم ابن الصائغ صاحب
سرقسطة ؛ وليعلم مولانا أن في وسط كل حمل منها ألف
دينار ذهباً ؛ سوى المتاع والعدة ؛ فاستحسن ذلك ؛ وقال:

¹ في المخطوطين: ((واستقر)).

² نفسه: ((منه)).

أهذا حق؟ قالوا: نعم. فدعا الخازن على المال؛ وقال له: ادفع لابن باجة خمسة آلاف دينار؛ ليكمل له ذلك اثني عشر ألفاً؛ فقد سمعته غير ما مرة يتمنى أن يكون له ذلك؛ ثم بعث عنه - في الحين - وقال له: يا حكيم؛ ما هذا الاستعداد؛ فقال: يا مولاي؛ كل ذلك من هباتكم، وأعطياتكم؛ ولما علمت أن إظهار ذلك يسركم. فسر بذلك. وأخبره رحمه الله كثيرة.

محتته

قالوا: ولما ولي غرناطة سنة خمس مائة¹. ثار بها، وانبرى على قومه لأمر رابه²؛ فانتبذ عنه قومه³، وناصبوه الحرب؛ حتى استزلوه عنوة، وقبضوا عليه، ووجهوه إلى علي بن يوسف؛ فأثر الإبقاء عليه، وعفا عنه، واستعمله⁴ بسرقسطة؛ كذا ذكره الملاحى، وأشار إليه.

¹ الموافق لـ 1106م.

² في المخطوطين: ((أربه)).

³ في ك، والملكية: ((أهله)).

⁴ في ج: ((واستعملوه)).

وعندي أن الأمر ليس¹ كذلك؛ وأن الذي جرى له ذلك، أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين؛ فَيَتَحَقَّق.

وفاته

توفي بسرقسطة في سنة عشر وخمسمائة²؛ بعد أن ضاق ذرعه بطاغية الروم؛ الذي أناخ عليه بكلكله. وعندما تُعرِّف³ خبر وفاته، واتصلت بالأمير أبي إسحاق إبراهيم بن تاشفين، وهو يومئذ والي مرسية؛ بادر إلى سرقسطة؛ فضبطها، ونظر في سائر أمورها ثم صدر إلى مرسية.

رثاؤه

ورثاه الحكيم أبو بكر بن الصائغ بمراثٍ اشتهر عنه منها قوله⁴:

¹ سقطت هذه الكلمة في ج؛ بينما وردت في ك.

² الموافق لـ 1116م.

³ في الملكية: ((تقرر)).

⁴ توجد هذه الأبيات أيضاً في المغرب، وقلاند العقيان. وهي من البحر الطويل.

سلام وإمام ووسميُّ مُزَنَّةٍ
 على الحدث¹ الثاني² الذي لا أزوره³
 أحقُّ أبو بكر تقضى فلا ترى⁴
 ترد جماهير الوفود ستوره
 لئن أنست تلك اللحود بلحده⁵
 لقد أوحشت أقصاره⁶ وقصوره
 ومن ذلك قوله⁷:
 أيها الملك المفدى لعمرى
 نعى المجد ناعيك يوم قمنا فنحننا⁸
 كما تقارعت والخطوب إلى أن
 غادرتك الخطوب في الترب وهننا⁹

¹ في المخطوطين: ((الحدث))، وفي المغرب ((الجسد)).

² في المغرب: ((النائي)).

³ جاء هذا البيت في المغرب هكذا:

((سلام وإمام وروحٌ ورحمة * على الجسد النائي الذي لا أزوره))

⁴ ورد هذا الشطر في المغرب والقلائد هكذا: ((أحقاً أبا بكر تقضى فما يرى)).

⁵ جاء هذا الشطر في القلائد هكذا: ((لئن أنست تلك القبور بلحده)).

⁶ في القلائد: ((أقطاره))، وفي المغرب: ((أمصاره)).

⁷ هذه الأبيات توجد أيضاً في قلائد العقيان، وهي من البحر الخفيف.

⁸ في ك: ((فبحنا)). وجاء هذا البيت في القلائد بشكل أفضل هكذا:

((أيها الملك قد لعمرى نعى المجد نواعيك يوم قمنا فنحننا)).

⁹ في ت: ((رهنا)). وفي القلائد: ((رهنا))؛ وهو أصوب.

غير أني إذا ذكرتكَ والدَّهْـ
ر أخال اليقين في ذاك ظَنَّا¹
وسألنا متى اللقاء فقل² الحُشـ
ر قلنا صبراً إليه وحُزْنَا

¹ في المخطوطين: ((صنَّا)).
² في القلائد: ((فقالوا)).

إدريس بن يعقوب

(ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي؛ أمير المؤمنين؛
الملقب بالمأمون؛ مأمون الموحدين)¹.

أوليته

جدّه² عبد المؤمن؛ جذع الشجرة، وينبوع الجداول،
هو ابن علي بن علوي بن يعلى بن موار بن نصر بن
علي بن عامر بن موسى بن عون الله بن يحيى بن
ورجايع بن سطفور بن نفور بن مطماط بن هزرج بن
قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
وكان طالباً بربرياً ضعيفاً؛ خرج مع عمه يؤم للشرق،
وكان رأى رؤيا هالته تدل على ملك³؛ إذ كانت صفحته
من طعام على ركبتيه، يأكل منها الناس. وكانت أمه رأت
وهي حامل، كأن ناراً خرجت منها؛ أحرقت المشرق
والمغرب، فكانت في نفسه حركة، لأجل هذه الرؤيا؛

¹ توجد ترجمة أبي العلاء إدريس المأمون الموحدي أيضاً في البيان
المغرب (قسم الموحدين)، والحلل الموشية، ورايات المبرزين، والاستقصا.

² في ك: ((جدهم)).

³ في الملكية: (الملك).

فلما حلّ بسجلماسة¹؛ سمع بها عن المهدي؛ وكان رجلاً يعرف بأبي عبد الله السوسي، ووصف له بالعلم؛ فتشوف إلى لقائه، ليرى ما عنده في تأويل رؤياه؛ فانصرف إليه مع بعض الطلبة؛ فلقي رجلاً - قد وسمه؛ على ما يزعم الناس - حدثان من أبي حامد الغزالي²، وعلقت به دعوة منه، في إذهاب ملك أهل اللثام³؛ لحرق كتابه⁴ على أيديهم؛ فهو مُغرّى بالخروج عليهم، مهياً⁵ في عالم الغيب إلى تخريب دعوتهم؛ ((فوافق شن طبقه))⁶؛ ((وما اجتمع⁷ الدآن إلا

¹ سبق التعريف بهذه المدينة.

² أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي؛ ولد بمدينة طوس بخراسان سنة 450هـ/1059م، وتوفي بطوس سنة 505هـ/1111م، يلقب ((بحجة الإسلام))؛ وتصدر المتكلمين المسلمين؛ وله كتب عديدة أهمها: إحياء علوم الدين، والمنقذ من الضلال، ومقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، ومعيار العلم، ومحك النظر. وسلك في آخر مسيرته في طريق التصوف والعزلة.

³ يقصد بأهل اللثام: المرابطين؛ من صنهاجة الصحراء.

⁴ أشار هنا إلى إحراق كتاب (إحياء علوم الدين) الذي ألفه الغزالي؛ وذلك بأمر من سلطان المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين؛ بعد أن صدرت فتوى بتكفيره. حدث هذا سنة 503هـ/1109م.

⁵ في ك: ((مهيناً)).

⁶ هذا المثل يطلق على التوافق بين اثنين؛ وله قصة طويلة يضيق المجال بذكرها.

⁷ في المخطوطين والملكية: ((أجمع))؛ فصوبها عنان.

ليقتل¹؛ ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾². فأجلسه، وسأله عن اسمه، وبلده وسنه، ونسبه، بالتعريف، وأمره أن يخفي من أمره، وعبر له رؤياه، بأنه يملك الأرض، فاهتزت الآمال وتعاضدت، ونفذت مشيئة الله، بأن دالت الدولة، وهلك محمد ابن تومرت المهدي³؛ فأفضى الأمر إلى [عبد المؤمن]⁴، واستولى على ملك اللمتونيين، فأباد خضراءهم، واستأصل شأفتهم، واستولى على ملك المغرب؛ فأقام به رسماً عظيماً، وأمرأً جسيماً، وأورثه بنيه من بعده، والله يؤتي ملكه من يشاء.

¹ معناه أن اجتماع مرضان في جسم واحد يؤديان به حتماً إلى الموت. وكتبت الكلمة الأخيرة في ك: ((ليلتقيا))؛ وهو تحريف.
² الآية كاملة هكذا: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. سورة يوسف؛ الآية: 21.

³ في المخطوطين: ((تامرت)) وبهذا يسمى أيضاً المهدي؛ وهو محمد بن بن عبد الله بن عبد الرحمن الهرغي؛ (يلقب بالإمام المعصوم المعلوم). ولد في إيكلين ببلاد السوس بالمغرب الأقصى في سنة لم تحدد بالضبط؛ وربما كانت بين سنتي: (469هـ/1076م - 474هـ/1081م) وتوفي سنة 524هـ/1130م.

⁴ في ج، والملكية: ((العبد المؤمن)). وهو أبو محمد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان الكومي؛ مؤسس الدولة الموحدية ببلاد المغرب كلها. ولد في تاجرارت القرية من تلمسان سنة 487هـ/1094م، وتوفي برباط سلا سنة 558هـ/1163م.

حاله

كان رحمه الله شهماً شجاعاً، جريئاً¹، بعيد الهمّة، نافذ العزيمة، قوي الشكيمة، لبيباً، كاتباً أديباً، فصيحاً، بليغاً، أليماً، جواداً، حازماً. وذكره ابن عسّكر المالقي، في تاريخ بلده، قال: [دخل]² مالقة من قبل أخيه؛ فوصل إليها في الحادي عشر من محرم؛ وهو شاب حدث؛ فكان منه من نباهة القدر وجلالة النفس، وأبهة الملك، ما يعجز عنه كثير من الملوك. ولحين وصوله عقد مجلس مذاكرة، استظهر³ له نبهاء الطلبة، وكان الشيخ علي بن عبد المجيد⁴ يحضره. وكان يبدو منه مع [حادثة سنة]⁵، من الذكاء والنبيل والتفطن، ما كان يبهت الحاضرين، وكانوا ينظرون منه إلى بذريّ الحُسن، وأسدّيّ الهيبة، وكَهْليّ الوقار والتؤدة، واشتغل بما يشتغل به الملوك من تفخيم

¹ في المخطوطين والملكية: ((جرياً)).

² سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

³ في ل: ((استحضر)).

⁴ في الملكية: ((عبد الحميد)).

⁵ هكذا كتبت في ج؛ بينما كتبت في الملكية: ((حادثه)).

البناء، كبنيان رياض السيد الذي على ضفة الوادي¹
بمالقة؛ المعروف باسمه، لله ورسوله، وكان عرفاء البنائين
لا يتصرفون إلا بنظره، واستمرت ولايته مفخم الأمر،
عظيم الولاية، إلى أن نقل منها إلى قرطبة، ثم نقل إلى
إشبيلية وفيها² ببيع الخلافة³.

تصير الأمر إليه، وجوازه إلى العدو

قام على أخيه العادل بين يدي مقلعة، بمالاة أخيه
السيد أبي زيد، أمير بلنسية وتحريكه إياه، فتم له ذلك،
وعقدت له البيعة بمراكش والأندلس. ثم إن الموحدين في
مراكش بدا لهم في أمره، وعدلوا عنه إلى ابن عمه أبي
زكريا بن الناصر،⁴ واتصل به خبر خلعهم؛ إياه⁴
فهاجت نفسه، ووقدت جمرته، واستعد لأخذ ثأره،
ورحل من إشبيلية، واستصحب جمعاً من فرسان الروم،

¹ يقصد نهر وادي المدينة المسمى بالإسبانية **Guadalmedina**. وهذا النهر
يشق مالقة، أما اليوم فقد أصيب بالجذب والجفاف. ويقصد برياض السيد: القصر
الذي بناه المأمون بمالقة عندما كان والياً عليها. وقد أتى ذكره في الحلل الموشية.
² في ك: ((وبها)).

³ جاء في البيان المغرب (قسم الموحدين): ((ببيع بإشبيلية يوم الخميس
ثاني شهر شوال من سنة أربع وعشرين وستمائة)).

⁴ كتبت هذه العبارة في الملكية كما يلي: ((واتصل به خبرهم بما أرادوا من إخلاعه)).

واستجاز البحر سنة ست وعشرين وستمائة¹، قاصداً **مراكش**. وبرز ابن عمه إلى مدافعته، والتقى الجمعان؛ فكانت الهزيمة على **يحيى بن الناصر**، وفر إلى الجبال، واستولى القتل على جيشه، ودخل **المأمون مراكش**؛ فأمر بتقليد شرفاتها بالرؤوس؛ فعمتها على اتساع الساحة، واستحضر الناكثين لبيعته وبيعة أخيه؛ وهم كبار الدولة، واستفتى قاضيه² بمرأى³ منهم، واستحضر خطوطهم وبيعاتهم، فأفتى بقتلهم؛ فقتل جماعتهم، وهم نحو مائة رجل⁴؛ واتصل البحث عمن أفلت منهم، وصرف عزمه إلى محو آثار **دولة الموحدين**، وتغيير رسمها؛ فأزال اسم **مهديها** عن الخطبة والسكة والمآذن، وقطع النداء عند الصلاة ((تأصليت الإسلام))، وكذلك ((منسوب رب))، و((بادري))⁵، وغير ذلك، مما جرى عليه عمل

¹ الموافق لـ 1228م.

² هو القاضي المكدي؛ كما جاء في الحلل الموشية، والبيان المغرب.

³ في ك: ((بري)).

⁴ ويقول ابن عذاري أن الذين قتلوا أمم لا تحصى. أما صاحب الحلل الموشية؛ فيقدر عددهم بأربعة عشر ألف فارس، وأكثر.

⁵ يعتقد عنان أن هذه العبارات ليست عربية؛ وقال أنها ((فيما يبدو بربرية الأصل)). وهو صحيح.

الموحدين، وأصدر¹ في ذلك رسالة حسنة، من إنشائه،
يأتي ذكرها في موضعه. وعند انصرافه من الأندلس؛ خلا
للأمير أبي عبد الله بن هود الجوّ؛ بعد وقائع خلت
بينهما؛ وانتهاز النصارى الفرصة؛ فعظمت الفتنة، وجلت
الحنة.

دخوله غرناطة

لم يصح عندي أنه دخل غرناطة، مع غلبة الظن
القريب من العلم بذلك، إلا طريقه إلى مدافعتة المتوكل
ابن هود بجهة مرسية؛ فإنه تحرك لمعالجة أمره في جيش
إشبيلية باستدعاء أخيه السيد أبي زيد والي² بلنسية؛ بعد
هزائم جرت بصقع³ الشرق لابن هود. فتحرك المأمون
إليه، واحتل غرناطة، في رمضان؛ من عام خمسة
وعشرين وستمائة⁴، وأنفذ منها كتابه إلى أخيه، يقوي
بصيرته، ويعلمه بنفوذه إليه، والتف عليه جيش غرناطة

¹ في ج: ((وأصل)).

² نفسه: ((إلى))؛ وصوبها عنان.

³ في ك: ((بصقع)).

⁴ الموافق لـ 1227م.

وما والاها، واتصل سيره إلى الشرق، فبرز ابن هود إلى لقائه، فكان اللقاء بخارج لورقة¹، فانهزم ابن هود، وفر إلى مرسية، وعساكر الموحدين في عقبه، واستقصاء مثل هذا يخرج عن الغرض. وخاطب لأول أمره، وأخذ الناس بيعته. من بأقطار الأندلس، صادعاً بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحض على الصلوات وإيتاء الزكاة، وإيتاء الصدقات، والنهي عن شرب الخمر والمسكرات² والتحريض على الرعاية فمن كتابه: ((الحمد لله الذي جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلين يتفرع منهما مصالح الدنيا والدين، وأمر بالعدل والإحسان، إرشاداً إلى الحق المبين، والصلاة [والسلام]³ على سيدنا محمد [النبي]⁴ الكريم، المبعوث بالشرعة التي طهرت الجيوب من الأدران، واستخدمت بواطن القلوب وظواهر الأبدان، طوراً بالشدة، وتارة باللين، القائل، ولا عدول

¹ لورقة بالإسبانية **Lorca**؛ وهي قاعدة قديمة في الأندلس؛ وتتواجد في الجنوب الغربي من مرسية؛ في الطريق الواصل بينها وبين غرناطة.

² في ك: ((المسكر)).

³ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين والملكية.

⁴ سقطت هذه الكلمة في ك؛ بينما وردت في ج.

عن قوله: "ومن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه" تنبيهاً على ترك الشك لليقين، وعلى آله أعلام¹ الإسلام، الملقين راية الإسلام باليمين، (الذين مكنهم الله في الأرض، فأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)²، وفاء بالواجب لذلك التمكين)). ومن فصل: ((وإذا كنا نوفي الأمة تمهيد دنياها، ونعنى بحماية أقصاها وأدناها، فالدين أهم وأولى، والتَّهْمُ، [بإقامة الشريعة وإحياء شعائرها]³، أحق أن يقدم⁴ وأحرى، وعلينا أن نأخذ بحسب ما يأمر به الشرع وندع، ونتبع السنن المشروعة ونذر البدع. ولنا أن لا ندخر عنها نصيحة، ولا نغبنها أداة⁵ من الأدوات مريجة، ولنا عليها أن تطيع وتسمع)). ومن فصل: ((وأول ما يتناول⁶

¹ في ك: ((الأعلام)).

² إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾. سورة الحج؛ الآية: 41.

³ وردت هذه العبارة المحصورة بين حاصرتين في ك؛ كما يلي: ((إحياء الشريعة وإقامة شعائرها)).

⁴ في ك: ((يقوم)).

⁵ في المخطوطين: ((إدارة)).

⁶ في ج: ((تناول)).

به الأمر النافذ، الصلاة لأوقاتها، والأداء لها على أكمل صفاتها، وشهودها إظهاراً لشرائع الإيمان في جماعتها. فقد قال عليه الصلاة¹ والسلام: "أحب الأعمال إلي² الصلاة لأوقاتها". وقال: "أول ما ينظر فيه من أعمال العيد الصلاة". وقال عمر: إن أهم أموركم عندي الصلاة؛ فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. وقال: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة وهي الركن الأعظم من أركان الإيمان، والسور الأوثق لأعمال الإنسان، والمواظبة على حضورها في المساجد، وإيثار ما لصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد، أمر لا يضيعه المفلحون، ولا يحافظ عليها إلا المؤمنون. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لقد رأينا، وما يتخلف عنها إلا المنافق³، معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى يتهادى بين الرجلين، حتى يقام⁴ في الصف. وشهود الصبح،

¹ سقطت هذه الكلمة في ك؛ بينما وردت في ج.

² هكذا. ويبدو أن كلمة ((الله)) سها عنها الناسخ.

³ في ج: ((المنافقون))؛ وصويت من الملكية.

⁴ في ك: ((يقوم)).

وعشاء¹ الآخرة شاهد بمحضر الإيمان. ولقد جاء:
حضور² الصبح في جماعة يعدل قيام ليلة، وحسبكم
بهذا الرجحان. ومن الواجب أن يعتنى بهذه القاعدة
الكبرى من قواعد الدين، ويأخذ³ بها في جميع الأمصار
الصغير والكبير من المسلمين، ونيط في إلزامها قوله عليه
الصلاة والسلام: "مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم
عليها لعشر سنين"). وهي طويلة في معاني متعددة.

نثره ونظمه

ولما غير رسوم الموحدين، وأوقع بأرباب دولتهم خبر
النكت ببيعته، وبيعتي أخيه وعمه، كتب إلى الأقطار عن
نفسه، ولم يكمل إنشاءه بكتابة رسالة بديعة، اشتملت
على فصول كثيرة تنظر في كتاب المغرب والبيان المغرب
وغير ذلك. وكتاباً بخطه إلى أهل أندوجر⁴: ((إلى الجماعة

¹ في ك: ((العشاء)).

² نفسه: ((شهود)).

³ في المخطوطين: ((ويؤخذ))؛ وصوبها عنان.

⁴ اندوجر: بلدة في الأندلس تسمى بالإسبانية **Andujar**، تتواجد شمال شرقي قرطبة؛ على ضفاف النهر الكبير. والرسالة المذكورة موجودة أيضاً في البيان المغرب (قسم الموحدين).

والكافة من أهل فلانة، وقاهم الله عثرات الألسنة،
وأرشدهم إلى محو السيئة بالحسنة، أما بعد؛ فإنه قد
وصل من قبلكم كتابكم الذي¹ جدد لكم أسهم الانتقاد،
ورماكم من السهاد²، بالدهية السّاد³، أتعتذرون⁴ من
الحال بضعف الحال، وقلة⁵ الرجال؛ إذاً نلحقكم⁶ برّيات
الحجال، كأننا لا نعرف مناحي أقوالكم، وسوء منقلبكم
وأحوالكم، لا جرم أنكم ستمتع بالعدو قصمه الله،
وقصده [إلى]⁷ ذلك الموضع عصمه الله، فطاشت قلوبكم
قلوبكم خوراً، وعاد صفوكم كدراً، وشمتم ريح الموت
ورداً وصدرًا، وظننتم أنكم أحيط بكم من كل جانب⁸،
وأن الفضاء قد غص بالتفاف القنا واصطفاف المناكب⁹،
ورأيتم غير شيء فتخيلتموه¹⁰ طلائع الكتائب،

¹ ((الذي)) سقطت في ك. وفي البيان المغرب: ((كتاب جدد)).

² في ك: ((الساد))، وفي البيان المغرب: ((من العناد)).

³ في البيان المغرب: ((بالدهية التّاد)).

⁴ في المخطوطين: ((أتعتذرون))، وصوت من البيان المغرب.

⁵ في البيان المغرب: ((وبقلة الرجال)).

⁶ في ك: ((أنلحقكم)).

⁷ كلمة: ((إلى))؛ سقطت في البيان المغرب.

⁸ في البيان المغرب: ((الجوانب)).

⁹ نفسه: ((المقانب)).

¹⁰ نفسه: ((فحسبتموه)).

تباً لهمتكم¹ المنحطة، وشيمتكم² الراضية،
 يادُون خطة، أحين³ ندبتم إلى حماية إخوانكم، [
 والذب عن كلمة إيمانكم⁴ نسقتم الأقوال وهي مكذوبة،
 ولفقتم الأعذار وهي بالباطل مشوبة. لقد آن لكم أن
 تبدلوا جِلَّ الخُرْصَان⁵، إلى مغازل النسوان، وما لكم
 ولصهوات الخيول؛ وإنما على الغانيات جر الذيول.
 أظهرون [العناد تخريصاً، بل تصريحاً وتلويحاً، ونظن أن لا
 يجمع لكم شتاً، ولا يدني⁶ منكم نزوحاً. أين المفر وأمر
 الله يدرككم، وطلبنا الحثيث [لا⁷ يترككم، فأزيلوا هذه
 النزعة النفاقية من خواطركم، [قبل أن نمحو بالسيف
 أقوالكم وأفعالكم، ونستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا

¹ في البيان المغرب: ((لهممكم.

² نفسه: ((شيمكم)).

³ في البيان المغرب: ((حين)).

⁴ وردت هذه العبارة في البيان المغرب هكذا: ((الذبّ بالكلمة عن مقتضى إيمانكم)).
 إيمانكم)).

⁵ الخرصان: هي الرماح الدقيقة والقصيرة السنان. وفي البيان المغرب:
 كتب: ((أن تمدوا ذيل الحرمان)).

⁶ ما بين الحاصرتين ورد في البيان المغرب هكذا: ((العناد تصريحاً
 وتلويحاً، وتظنون أنكم إذا تفرقتم لا نجمع لكم شتاتاً، ولا ندني...)).

⁷ سقطت كلمة (لا) في المخطوطين، والملكية؛ فأضافها عنان.

أمثالكم. ونحن نقسم بالله لو اعتسفتم كل بيداء سملق¹، واعتصمتم بأمنع معقل، وأحفل فيلق، ما ونينا عنكم زماناً، ولا ثنينا عن استيصال العزم منكم عناناً² فلا يغرنكم الإمهال، أيها الجهال)). وهي طويلة؛ وقال عند الإيقاع بالأشياخ أولي الفساد على الدول؛ وصلبهم في الأشجار والأسوار³؛ مما كلف السلمي بحفظها واستظرافها⁴:

أهلُ الحرابَةِ والفسادِ مِنَ الـوَرَى
يعزّون في التّشبيهِ بالذُّكُارِ⁵
ففسادُهُ⁶ فيه الصّلاحُ لغيره
بالقَطْعِ والتّعليقِ في الأشجارِ
ذُكَّارُهُمْ ذِكرِي إذا ما أبصِروا
فوقَ الجُذوعِ وفي ذُرَى الأسوارِ

¹ السملق: القاع الصفصف، والأرض المستوية.

² ما بين، الحاصرتين نقل من البيان المغرب.

³ في المخطوطين: ((الصور)).

⁴ هذه الأبيات موجودة أيضاً في الحلل الموشية، والبيان المغرب، وهي من البحر الكامل.

⁵ في البيان، والحلّة: ((للذكاء)).

⁶ في ل: ((ففسادة)).

لَوْ عَمَّ عَفْوُ¹ اللَّهِ سَائِرَ² خَلْقِهِ
مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ

توقيعه

قال ابن عسكر: وكانت تصدر منه توقيعات نبيلة.
فمنها أن امرأة رفعت³ رقعتها بأحد من الأجناد ممن نزل
دارها، وصدر لها أمر يُنكر؛ فوقع على رقعتها: ((يُخْرَجُ
هذا النازل، ولا يعوض بشيء من المنازل)). وغير ذلك مما
اختصرناه.

بنوه

أبو محمد عبد الواحد ولي عهده، وأمير المؤمنين بعد
وفاته، الملقب بالرشيد، وعبد العزيز، ومان، وأبو الحسن
علي، الملقب بالسعيد، الوالي بعد أخيه الرشيد.

¹ في الحلة: ((حكم))، في البيان: ((حلم)).

² في البيان: ((كافة)).

³ كلمة (رفعت) سقطت في ك؛ بينما وردت في ج.

بناته

ابنة العزيز، وصفية، ونجمة، وعائشة، وفتحونة،
وأمهات الجميع روميّات، وسريّات مغربيّات.

وزراؤه

وزر له الشيخ أبو زكريا بن أبي الغمر، وغيره.

كتابه

كتب له جملة من مشاهير الكتاب، منهم¹: أبو
زكريا الفازازي، وأبو المطرف بن عميرة. وأبا الحسن
الرعيّني، وأبو عبد الله بن عياش وأبو العباس بن
عمران، وغيرهم. وما منهم إلاّ شهير كبير.

وفاته

توفي رحمه الله بوادي أم الربيع²، وقد طوى المراحل
من ظاهر سبتة؛ مقلعاً عن حصارها، مبادراً إلى مراکش،
وقد اتصل به دخول يحيى ابن الناصر إياها؛ فأعد السير

¹ في المخطوطتين: ((من)).

² في ك: ((أم ربيع)).

وقد اشتد حنقه¹ على أهلها، وأقسم أن يبيع حماها للروم، ويذهب اسمها ومساها، فهلك عند دنوه منها فجأة، فكانت عند أهل مركش من غرر الفرج بعد الشدة. وكتمت زَوْجُهُ حبابة الرومية، أم الرشيد ولده، خبر وفاته؛ إلا عن الأفراد من قواد² النصارى، وبعض الأشياخ، واتفق القول على مبايعة ابنها المذكور، بيعة خاصة ثاني يوم وفاته، ثم جعل في هودج، وأشيع أنه مريض، وزحفت الجيوش على تعبته، وبرز يحيى بن الناصر من مراکش إلى لقائه، والتقى الجمعان فانهزم يحيى، واستولى الرشيد عليه، ودخل مراکش؛ فاستقام الأمر، وكانت وفاة المأمون أبي العلا رحمه الله، ليلة الخامس عشر لمحرم؛ عام ثلاثين وستمائة³. وجرى ذكر المأمون والمهدي؛ وأوليتهم في الرجز⁴ المتضمن ذكر المسلمة؛ من نظمي بما نصه؛ بعد ذكر الدولة اللمتونية:

¹ حرفت في ك؛ فكتبت: ((حنقه)).

² في المخطوطين: ((عواد))، وفي الملكية: ((عوايد))؛ وهو تحريف.

³ الموافق لـ 1232م. ورد في البيان المغرب (قسم الموحدين): ((توفي يوم السبت منسلخ ذي الحجة من سنة تسع وعشرين وستمائة؛ فكانت دولته خمسة أعوام وثلاثة أشهر)). ويتفق صاحب الحل الموشية مع هذا القول.

⁴ هو كتاب رقم الحل في نظم الدول الذي ألفه ابن الخطيب.

وَنَجَمَ المَهْدِي وَهُوَ الدَّاهِيَةُ
فَأَصْبَحَتْ تِلْكَ الْمَبَانِي وَاهِيَةً
وَانْحَكَمَ الْأَمْرُ لَهُ وَانْجَمَا
فِي خَبَرِ نَذَرٍ مِنْهُ لُمَعَا
لَمْ يَأَلْ فِيهَا أَنْ دَعَا لِنَفْسِهِ
وَكَانَ فِي الْحَزْمِ فَرِيدَ جَنْسِهِ
أَغْرَبَ فِي نَامُوسِهِ وَمَذْهَبِهِ
وَفِي الَّذِي سَطَرَهُ مِنْ نَسَبِهِ
وَعِنْدَهُ سِيَاسَةٌ وَعِلْمٌ
وَجَرَأَةٌ وَكِرْمٌ وَحِلْمٌ¹
وَوَافَقَتْ أَيَّامَهُ فِي النَّاسِ
لِدَوْلَةِ الْمُسْتَرْشِدِ الْعَبَّاسِيِّ
ثُمَّ انْقَضَتْ أَيَّامُهُ الْمَنِيْفَةُ
وَكَانَ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ الْخَلِيفَةِ

¹ فِي ج: ((وَحَزْم)).

فضاء لون سعدة ووضحا
ولاح مثل الشمس في وقت الضحى
ثم تِلْمَسَانِ وفاساً فتحا
وملأك أصحاب اللثام قد محا

ولما انتهى القول إلى المأمون؛ المترجم به، بعد ذكر
من يليه؛ وعبد المؤمن¹ جده، قلت:
ثم تولى أمرهم أبو العلاء
فسلّط البيّض على بيض الطّلاء
وهو الذي أركب جيش الروم
وجدّ في إزالة الرسوم

¹ في لئ: ((وعبد الرحمن))؛ وهذا سهو.

أُسْبَاطُ بْنُ جَعْفَرٍ

(ابن سليمان بن أيوب بن سحر السعري سحر بن بكر بن عفان اللبيري؛ هذا هو جرسعير بن جدوي، بن سَولوة، بن جدوي، (ابن أُسْبَاط، أمير المغرب. وقررههم بهزه الدينة شهير.

حاله

وكان من أهل العلم والفقه، والدين المتين، والورع الشديد، والصالح الشهير.

نباهته

ولاه الأمير عبد الرحمن قضاء البيرة؛ حين بلغه زهده وورعه، وأنه لم يشرك إخوته في شيء من ميراث أبيه، إذ كان لم يحضر الفتح، فبرئ به إليهم وابتاع موثلاً بوطنه؛ أنيط به ماءً، وانفرد به للعبادة والتبتل، فاستقدمه هشام؛ فركب حماره وقدم عليه في هيئة رثة بذلة؛ فتوسم فيه الخير، وقدمه ووسع له في الرزق، ووهب له ضياعاً كثيرة، تعرف اليوم باسمه، وتوفي هشام وهو

قاضي بالبيرة؛ فأقره ابنه الحكم؛ ثم ولاه شرطته، إلى أن
توفي أسباط. قلت: انظر حال الشرطة عند الخلفاء؛ من
كان يُختار لها لولايتها¹.

¹ في المخطوطين: ((لولاية)).

أُسْلَمُ بْنُ عَبْرٍ الْعَزِيزِ

(بن هشام بن خالد بن عبْر (الله بن خالد بن حسين بن جعفر بن
أُسْلَمُ بْنُ أَبَانَ؛ مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه؛
يكنى أبا الجعد).

أوليته

من أهل شرق الأندلس، أصلهم من لوشة¹ فتية
غرناطة وموضعهم بها معروف، وإلى جدهم ينسب جبل
أبي خالد المطل عليها، وكان لهم ظهور هنالك، وفيهم
أعلام وفضلاء.

حاله

كان أسلم من خيار أهل البيرة، شريف البيت،
كريم الأبوة، من كبار أهل العلم، وكانت فيه دعابة، لم
ينسب إليه قط بسببها خزية² في دين ولا زلة. قال أبو
الفضل عياض³: كان أسلم من خيار أهل البيرة، رفيع

¹ لوشة؛ **Loja**؛ هي المدينة التي ولد بها لسان ابن الخطيب؛ وقد سبقت
الإشارة إليها. وكان يسميها ((بنت غرناطة)) أو ((فتية غرناطة)).

² في ك: ((مربة)).

³ هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض
اليحصبي السبتي؛ توفي سنة 544هـ/1149م؛ له ترجمة في الإحاطة.

الدرجة في العلم، وعلو الهمة في الإدراك، والرواية
والديانة، والصحبة، وبعد الرحلة في طلب العلم،
معروف النصيحة والإخلاص للأمراء.

مشيخته

لقي بمصر، المدني، ومحمد بن عبد الحكم، ويونس،
والربيع بن سليمان المؤذن، وأحمد بن عبد الرحيم
البرقي. وسمع من علي بن عبد العزيز، وسليمان بن
عمران بالقيروان.

من روى عنه

سمع منه عثمان بن عبد الرحمن، وعبد الله بن
يونس، ومحمد بن قاسم، وغير واحد، وانصرف إلى
الأندلس من رحلته، فنال الوجاهة العظيمة.

ولايته

ولاه قضاء الجماعة¹ بغرناطة، الناصر لدين الله،
أول ولايته، وسط² سنة ثلاثمائة، إلى أن استعفى سنة
تسع وثلاثمائة³ فأعفاه، ثم أعاده. وكان في قضائه
صارماً؛ لا هوادة عنده. قال المؤرخ: كان الناصر يستخلفه
في سطح القصر؛ إذا خرج إلى مغازيه. وحكى ابن
حارث: أن ابن معاذ وابن صالح أتيا يوماً؛ فلما أخذوا
مجلسهما نظر إليهما، وقال ألقوا⁴ ما أنتم ملقون فأبهتهما.
ودخل عليه محمد بن وليد يوماً؛ فكلمه في شيء؛ فقال
أسلم: سمعنا وعصينا؛ فقال ابن وليد: ونحن قلنا
واحتسبنا. وأتاه في بعض مجالسه شهود، بعضهم من أهل
المدينة بقرطبة، وبعضهم من سُلار من الربض الشرقي،
يشهدون في ترشيد امرأة من الربض الغربي؛ فلما أخذوا
مجالسهم، فتح باب الخوخة التي في المجلس الذي يجلس

¹ قضاء الجماعة في المغرب والأندلس هي: أعلى مرتبة في خطة القضاء؛
فهي رئاسة القضاة، وتساويها في المشرق مرتبة قاضي القضاة.

² سقطت هذه الكلمة في ج؛ بينما وردت في ك.

³ الموافق لـ 921م.

⁴ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((أقوا)).

بدهليزه، ونادى من بخارجه فاجتمعوا، اسمعوا عجباً،
لله در الشاعر حيث يقول¹:

راحت مشرقة ورحت مغرباً
شتان بين مشرق ومغرب

هؤلاء من أهل المدينة، وشلار؛ يشهدون في ترشيد
امرأة² من ساكنات آخر بلاط مغيث، ثم سكت؛ فدهش
القوم وتسللوا³. وبلغه عن بعض الشهود المتهمين أنه
أرشي في شهادته ببساط، فلما أتى ليؤديها، ودخل على
أسلم؛ جعل يخلع نعليه عند المشي على بساط القاضي؛
فناداه أبا فلان البساط، الله الله؛ فتنبه بأن أمره عند
القاضي، ولم يجسر على أداء شهادته تلك. وخاصم فقيه
عند أسلم رجلاً؛ في خادم أغربها⁴ وجاء بشاهد أتى به
من إشبيلية؛ فقال: يا قاضي؛ هذا شاهدي؛ فاسمع
منه؛ فصعد أسلم في الشاهد، و صوب؛ وقال:

¹ هذا البيت من بحر الكامل.

² في المخطوطين: ((امرأتين)).

³ نفسيهما: ((وتسلا)).

⁴ نفسيهما: ((أغربها)).

أُحتسب¹، أو مكتسب² أصلحك الله؛ فقال الشاهد:
أحسن الظن أيها القاضي؛ فليس هذا إليك، هذا إلى الله
المطلع على ما في القلوب؛ ولم تقعد هذا المقعد لتسأل
عن هذا وشبهه؛ وإنما عليك الظاهر، وتكل الباطن إلى
الله، فإن شئت، فاسمع الشهادة كما يلزمني أداؤها، ثم
أقبلها أو اضرب بها الحائط. وفي رواية أخرى، وليس لك
أن تكشف الستر المنسدل بينك وبينني؛ فإن هذا التفسير
للسهود يوقف عن الشهادة عندك، ويعرض لإهانتك أهل
لا ثقة، وفي ذلك من ضياع الحقوق ما لا يخفى؛ فأخجل
أسلم كلامه؛ وقال له: لك ما قلت؛ فأد شهادتك
يرحمك الله. قال: فأين الخادم؛ تحضر حتى أشهد على
عينها؛ قال أسلم: وفقه أيضاً؟ هاتوا الخادم، فجاءت
من عند الأمين؛ فلما مثلت بين يديه، نظر منها ملياً، ثم
قال: أعرف هذه³ الخادم ملكاً لهذا الرجل؛ لا أعرف
ملكه زال عنها بوجه من الوجوه، إلى حين شهادتي

¹ أي ترك أمره لله سبحانه وتعالى.

² حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((مستكب)).

³ في المخطوطين: ((هذا)).

هذه ؛ سلامٌ على القاضي ، ثم خرج ؛ فبقي أسلم متعجباً
منه .

محتته

كفّ بصره في أخريات أيامه ؛ فطلب لأجل ذلك
الإعفاء فأعفي ، ولزم بيته صابراً محتسباً إلى حين وفاته .

مولده

سنة إحدى وثلاثين ومائتين¹ .

¹ الموافق لـ 845م .

أُسْرِبْنِ الْفَرَاتِ

(ابن بشر بن أُسر المُرِّي؛ من أهل قرية الصير مورتة¹ من إقليم
البساط؛ من قرى غرناطة.

حاله

كان عظيم القدر والشرف والشهرة، أصيل المعرفة
والدين.

مشيخته

خرج إلى المشرق، ولقي مالك بن أنس رضي الله
عنه، روى عنه سحنون بن سعيد.

¹ تتواجد قرية (الصير مورتة) بالقرب من غرناطة؛ وتسمى بالإسبانية **Sierra Murada**. أما أسد بن الفرات؛ فثمة اختلاف في التعريف به؛ إذ يخالف آخرون هذا الرأي؛ ويرون أن اسمه أبو عبد الله أسد بن الفرات ابن سنان؛ مولى بني سليم؛ ولد بحرّان أو بنجران سنة 142هـ/759م وتوفي سنة 213هـ/828م. وأصله من خراسان؛ قدم مع والده إلى إفريقية في جيش ابن الأشعث، وهو صاحب المدونة المسماة بالأسدية في الفقه؛ والتي تحولت وتطورت مع الشيخ سحنون.

تأليفه

ألف كتاب المختلطة، وولى القضاء بالقيروان أجمل
ما كانت وأكثر علماً، وولاه زيادة الله¹ غزو صقلية؛
ففتحها وأبلى بلاء حسناً.

وفاته²

توفي رحمه الله محاصراً سرقوسة³ منها سنة ثلاث
عشر ومائتين⁴. هذا ما وقع في كتاب أبي القاسم الملاحى.
وذكره عياض؛ فذكر خلافاً في اسمه وفي أوليته.

¹ أبو محمد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب؛ انتصب أميراً على إفريقية
من سنة 201هـ/816م إلى سنة 223هـ/837م.

² سقطت في المخطوطتين.

³ كتبت في النسخ الأربع ((سرقوسة))؛ ويبدو أن التباساً حدث لدى
الناسخ أو المؤلف؛ لأن وفاة أسد بن الفرات حدثت في ثغر سرقوسة
(Syracusa) المتواجد في الجنوب الشرقي من جزيرة صقلية. أما سرقوسة
فهي مدينة أندلسية؛ كانت قاعدة للثغر الأعلى؛ وتتواجد في شمال إسبانية.

⁴ 828م. وقد صوب د. طویل كتابة التاريخ؛ فجعله: ((ثلاث عشرة
ومائتين)). وهذا أصح.

أبو بكر المخزومي¹

(الأعمى المروزي) [المروزي]²

حاله

كان أعمى، شديد القُحَّة³ والشر، معروفاً بالهجاء، مسلطاً على الأعراض، سريع الجواب، ذكي الذهن، فطناً للمعاريض⁴، سابقاً في ديوان الهجاء⁵؛ فإذا مدح ضعف شعره.

دخوله غرناطة

وذكر شيء من شعره، ومهاثرته مع⁶ نزهون بنت القلاعي. قال أبو الحسن بن سعيد، في كتابه المسمى بالطالع السعيد: قدم على غرناطة أيام ولاية أبي بكر بن

¹ ترجمة الموروري المخزومي الأعمى توجد أيضاً في المغرب، ونفح الطيب، وروايات المبرزين.

² الكلمة الواقعة ما بين الحاصرتين؛ كتبت في هامش ج؛ مضافة إلى الموروري، والمروزي؛ نسبة إلى بلدة مورور التي أشرنا إليها سابقاً. أما ألمودور فهي **Almodovar** بالإسبانية؛ وتقع في الشمال الشرقي من قرطبة.

³ أي الجفاء.

⁴ أي التورية، والمِعْراض من الكلام؛ فحواه.

⁵ في نفح الطيب: ((ميدان)).

⁶ قبل أن تكتب كلمة نزهون وردت في هذا المكان كلمة: ((الأسمة)). ولما كانت غامضة ولم يعرف مدلولها؛ فقد أغفلها عنان.

سعيد عمل¹ غرناطة، ونزل قريباً منه، وكان يسمع به،
فقال صاعقةً يرسلها الله عز وجل على من يشاء من
عباده، ثم رأى أن يبدأ بالتأنيس والإحسان؛ فاستدعاه
بهذه الأبيات²:

يا ثانيًا للمعري
في حسن نظمٍ ونثر
وفرط ظرف ونبلٍ
وغوص فهم وفكر
صل ثم واصل خفيًا
بكل شكر وبر³
وليس إلا حديث
كمازها عقد در
وشادنٌ قد تغني⁴
على ربابٍ وزمر

¹ في ك: ((على))؛ والمقصود بذلك هي ولاية غرناطة، كما يقولون الآن: ((عمالة كذا)).

² هذه الأبيات من بحر المجتث.

³ في نفح الطيب: ((بكل برٍ وشكر)).

⁴ نفسه: ((وشادن يتغنى)).

وما يسامح فيه الـ
غفور من كأس خمر
وبيننا عقد حلف
لبان شركٍ وكفر¹
فقم نجدده عهداً
يطيب شكر وسكر²
والكأس مثل رضاع
ومن كمثلك يدري؟
ووجه له الوزير [أبو بكر بن سعيد]³، عبداً صغيراً
قاده. فلما استقر به المجلس، وأفعمته روائح الندِّ⁴ والعود
والأزهار، وهزت عطفه الأوتار، قال⁵:
دار السُّعَيْدِيّ ذي أم دارِ رِضْوَانٍ⁶
ما تشتهي النفس فيها حاضرٌ دان

¹ ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا: ((وبيننا عهد حلف * لياسر حلف كفر)).

² ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا: ((نعم فجده عهداً * بطيب شكر ويسر)).

³ ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين؛ بينما ورد في ت.

⁴ الندِّ: هو الطيب.

⁵ هذه الأبيات من البحر البسيط.

⁶ رضوان؛ بكسر الراء وسكون الصاد ملك من الملائكة؛ مهمته حراسة باب الجنة. والمقصود بعبارة: ((أم دار رضوان))؛ الجنة.

سقت أبارقها للند سحب ندّي
تحدو برعد لأوتار¹ والحن²
والبرق من كل دن³ ساكب مطرا
يحيي³ به ميت أفكار وأشجان
هذا النعيم الذي كنا نحدثه
ولا سبيل له إلا بآذان
فقال أبو بكر بن سعيد: ((ولا سبيل له إلا
بآذان⁴))، فقال: [حتى⁵] يبعث الله⁶ ولد زنا؛ كلما
أنشدت هذه الأبيات، قال: وإن قائلها أعمى، فقال: أما
أنا فلا أنطق بحرف في ذلك. فقال: من صمت نجا.
وكانت نزهون بنت القلاعي الآتي ذكرها⁷ حاضرة؛
فقالت: ونراك⁸ يا أستاذ قديم النعمة⁹، بند وغناء وطيب

¹ ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا: ((سقطت أباريقها للند سحب الندى * تحدو برعد لأوتار وعيدان)).

² الحن: هو الزير؛ ويسمى في المشرق الراقود

³ ((يحيي)) سقطت في ك؛ بينما وردت في ج.

⁴ يريد بهذا التعريض: أن المخاطب أعمى.

⁵ في ك: ((يحد)).

⁶ هتان الكلمتان سقطتا في المخطوطين؛ ووردتا في ت.

⁷ في المخطوطين: ((الآتية)).

⁸ في ك: ((وزيك)).

⁹ في نفح الطيب: ((النعمة)) بالعين المهملة.

وطيب شراب، تتعجب من تأتیه، وتشبهه بنعيم الجنة،
وتقول ما كان يلم إلا بالسماع، ولا يبلغ إليه إلا بالعيان،
لكن من يجيء من حصن المدوّر، وينشأ بين تيوس وبقر،
من أين له معرفةً بمجالس النغم¹. فلما استوفت كلامها
تنحى الأعمى، فقالت له: دعه²، فقال: من هذه
الفاعلة؟ فقالت: عجوز مقام أمك، فقال: كذبت ما هذا
صوت عجوز، إنما هذه نغمة (.....)³ محترقة تشم روائح
كذا منها على فرسخ⁴؛ فقال له أبو بكر: يا أستاذ هذه
نزهون بنت القلاعي الشاعرة الأدبية؛ فقال: سمعت بها؛
لا أسمعها الله خيراً، ولا أراها إلا...⁵ فقالت له: يا شيخ
شيخ سوءٍ تناقضت، وأي خير أفضل للمرأة؟⁶ ففكر
المخزومي ساعة ثم قال⁷:

¹ في نفح الطيب: ((النعيم))؛ بالعين المهملة.

² نفسه: ((ذبحه)).

³ كلمة نابية في هذا الحيز.

⁴ نفسه: ((فراسخ)).

⁵ حذف عنان هذه الكلمة؛ ووضع بدلاً منها نقاط؛ لأنها - كما قال - كلمة نابية. بينما تجاهل ما سبق، وما سيأتي.

⁶ في نفح الطيب زيادة هي: ((مما ذكرت)).

⁷ هذين البيتان من البحر الطويل.

على وجه نزهون من الحسن مسحة
وإن كان قد أمسى من الضوء عاريا
قواصد نزهون تدارك¹ غيرها
ومن قصد البحر استقل السواقيا
فأعملت فكرها وقالت²:

قل للوضيع مقالاً
يتلى إلى حين يحشر
من المدور أنشأ
تَ والخرا منه أعطر
حيث البداوة أمست
في أهلها³ تتبخر
لذلك⁴ أمسيت صبا
بكل شيء مدور⁵

¹ في نفج الطيب: ((وارك)).

² هذه الأبيات من بحر المجتث.

³ في نفج الطيب: ((مشيها))، وفي المغرب: ((جهلها)).

⁴ في المغرب والنفج: ((لذلك))؛ وهو أسلم.

⁵ ورد هذا البيت في المغرب هكذا:

((لذلك أمسيت تهوى * حلول كل مدور)).

خلقت أعمى ولكن
تهيم في كل أعور
جازيت شعراً بشعر
فقل لعمرى من أشعر¹
إن كنت في الخلق أنثى
فإن شعري مذكر
فقال لها اسمعي²:
ألا قل لنزهونة ما لها
تجر من التيه أذيالها
ولو أبصرت بشة³ شمرت
كما عودتني سربالها
فحلف أبو بكر بن سعيد ألا يزيد أحدهما على
الآخر في هجوه كلمة؛ فقال المخزومي: أكون هجاء
الأندلس، وأكف عنها دون شيء؛ فقال: أنا أشتري منك
عرضها؛ فاطلب؛ فقال: بالعبد الذي أرسلته فقادني إلى

¹ جاء هذا البيت في المغرب هكذا:
((جاوَيْتْ هَجْواً بِهِجْواً * فقلْ لِعَيْتٍ مَنْ اشْعُرْ)).

² هذان البيتان من بحر المتقارب.

³ في المغرب والنفج: ((فَيْشَة)).

منزلك ؛ [فإنه لين القدّ، رقيق الملمس]¹. فقال أبو بكر:
لولا أنه صغير؛ كنت أبلغك فيه مرادك، وأهبه لك؛
ففطن لقصده؛ وقال أصبر عليه، حتى يكبر؛ ولو كان
كبيراً ما آثرتني على نفسك؛ فضحك أبو بكر؛ وقال:
قد هجوت نثراً، وإن لم تهج نظماً، فقال: أيها الوزير؛
لا تبديل لخلق الله؛ وانفصل المخزومي بالعبد؛ بعد ما
أصلح بينه وبين نزهون. وقال يمدح القاضي بغرناطة أبا
الحسن بن أضحي² رحمهما الله³:

عجباً للزمان يطلب هضمي⁴
وملاذي منه علي بن أضحي
جاره قد سما على النطح عزاً
ليس يخشى من حادث الدهر⁵ نطحا

¹ في نفح الطيب: ((فإنه لين اليد، رقيق المشي)).
² هو الوزير أبو الحسن علي بن عمر بن أضحي؛ ثار أيام المرابطين
بغرناطة، ودعى لنفسه؛ بعد أن قتل تاشفين بن يوسف بن تاشفين سنة
539هـ/1144م، وتوفي بعدها في سنة 540هـ/1145م، وقد خصه ابن
الخطيب بترجمة في الإحاطة.
³ هذه الأبيات موجودة أيضاً في المغرب، وهي من البحر الخفيف.
⁴ في المغرب: ((ثاري)).
⁵ نفسه: ((من طالب الثار)).

فكأنني [عَلَوْتُ] قرن [فلان]¹
أي تيس مطول القرن أُلحي

فقال له ابن أضحى: هلاً اقتصرت على ما أنت
بسبيله؛ فكم تقع في الناس؛ فقال: أنا أعمى؛ وهم
حُفَرٌ؛ فلا أزال أقع فيها؛ فقال: فأعجبني كلامه على
قبحه؛ وحديث مقامه بغرناطة يقتضي طويلاً.

وفاته

قال أبو القاسم بن خلف: كان حياً بعد الأربعين
 وخمسمائة².

¹ ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين، وأضيف من المغرب.
² الموافق لـ 1145م.

أُصْبَغُ بْنُ مَحْمَرٍ

(ابن الشيخ المهري؛ يكنى أبا القاسم، عالم مشهور.

حاله

كان محققاً بعلم العدد والهندسة، مقدماً في علم
الهيئة والفلك وعلم النجوم، وكانت له مع ذلك عناية
بالطب.

تأليفه

حسان، وموضوعاته مفيدة، منها ((كتاب المدخل
إلى الهندسة))؛ في تفسير كتاب إقليدس، ومنها ((كتاب
ثمار العدد المعروف بالمعاملات)). ومنها ((كتاب الكبير في
الهندسة)) تقصّى فيه أجزاءها. ومنها ((كتاب¹ في الآلة
المعروفة بالأسطرلاب)). ومنها تاريخه الذي ألفه وهو
تاريخ كبير.

¹ في ل: ((كتابان)).

وفاته

قال ابن جماعة في تاريخه: أخبرني أبو مروان، سليمان بن عيسى الناشي المهندس: أنه توفي بمدينة غرناطة؛ قاعدة الأمير حبوس¹؛ ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب؛ سنة ست وعشرين وأربعمائة²، وهو ابن ست وخمسين سنة³ شمسية⁴. وعده من مفاخر الأندلس.

¹ هو حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي؛ سبق التعريف به؛ وتوجد في الإحاطة ترجمة له.

² الموافق لـ 1034م.

³ في الملكية: ((خمس وستين)).

⁴ كتب في المخطوطين: ((شمية))؛ فصوبها عنان.

أبو علي ابن هدية

من أهل غرناطة.

حاله

قال أبو القاسم الملاحى فيه: من أهل الدين، والفضل، والأمانة، والعدالة، والمعرفة بالتكسير والأعمال السلطانية، وولي ((المستخلص)) بغرناطة¹؛ فثقب وأجاد النظر.

قال ابن الصيرفى: ولما ولي الوزير أبو علي ابن هدية المستخلص، وباشر جلائل الأمور ودقائقها بنفسه، حمى المناصبين، ورفع المؤن والكلف²، عنهم، ووسع بسليف البذر³ عليهم، وآثرهم بالنصفة بالتزام حصة بيت المال، ولم يكن له حجاب ولا بواب، فكان القوي والضعيف، والمشروف والشريف، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، شرعاً سواءً في الوصول إليه، والتكلم في مجلسه، فلم يهتضم جانب، ولا دحضت حجة، إلا أنه ارتفعت

¹ أي الأملاك السلطانية بغرناطة.

² في المخطوطين: ((الكف)).

³ في ك: ((الزرع)).

الرقبة، وزالت الهيبة، وأُحرق نور الخطة، وخص أحباس¹
جامع غرناطة بنظره، بفضل مال كثير من غلّته²، وُئبه
باجتماعه؛ ليزيد به بلاطين في مَسقفه من شرقه وغربه؛
فأكمل الله ذلك بسعيه وعلى يديه، ورام ربع
المستخلص، وزاد به في حماماته، ورم³ حوانيته،
واستحدث منيحة⁴ سماها المستحدثة. وغرس قضبان الجوز
في مواضع المياه، وعوض بما ذهب، وشمر في جمع
المال، ووالى الحفز على العمل، ونصح بمقتضى جهده،
ومنتهى وسعه، ولم تمد يده في مصانعة، ولا مالت إلى
مداخلة، ولكنه لم يحمل في حق ولا نوقش في باطل.

¹ الأحباس هي الأوقاف.

² في لئ: ((خلته)).

³ في ج: ((رحم)).

⁴ هكذا في المخطوطين والملكية.

أُمُّ الْحَسَنِ

بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي؛ من أهل لوشة.

نبيلةٌ حسيبةٌ، تجيد قراءة القرآن، وتشارك في فنون من الطلب، من مبادئ غريبة، وخلف وإقراء مسائل الطب، وتنظم أبياتاً من الشعر. وذكرتُها [في¹] خاتمة الإكليل² بما نصه: ((ثالثة حَمْدَة وَوَلَادَة³، وفاضلة الأدب والمجادة، تقلدت المحاسن من قبل ولادة، وأولدت أبكار الأفكار قبل سن الولادة. نشأت في حجر أبيها، لا يدخر عنها تدرجاً ولا سهماً، حتى نهض إدراكها وظهر في المعرفة حراكها، ودرسها الطب ففهمت أغراضه، وعلمت أسبابه وأعراضه)).

¹ ((في)) سقطت في الإكليل.

² هو كتاب ألفه ابن الخطيب؛ عنوانه بالكامل هو ((الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر)). سبق ذكره من قبل.

³ حمدة هي: حمدة أو (حمدونة) بنت زياد بن تقيّ العوفي المؤدب؛ توفيت في حدود سنة 600هـ/1204م، شاعرة وكاتبة؛ وهي من شاعرات غرناطة في عصر ملوك الطوائف، لها ترجمة في الإحاطة. أما ولادة فهي: ولادة بنت الأمير الأموي المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن؛ توفيت بقرطبة سنة 484هـ/1091م، شاعرة وأديبة؛ ولع بها ابن زيدون الشاعر الوزير.

وفي ذكر شعرها

((ولما قدم أبوها من المغرب، وحَدَّثَ بخبرها المغرب،
توجّه بعض الصدور إلى اختبارها، ومطالعة أخبارها،
فاستنبل أغراضها واستحسنها، واستطرف¹ لسنّها، وسألها
عن الخط، وهو أكسد بضاعة جلبت، وأشح درة جلبت.
فأنشدته من نظمها²:

الخط ليس له في العلم فائدة
وإنما هو تزيينٌ بقرطاس
والدرس سؤلي لا أبغي به بدلاً
بقدر علم الفتى يسمو على الناس
وراجعها بعض المُجَّان³ يغفر الله له⁴:
إن فرطَ الدّرس [يا أمّي سحق]⁵
وهذا هو المشهور في الناس

¹ في ج: ((واستطرب)).

² هذان البيتان من البحر البسيط.

³ في ك: ((المجاز)). والمُجَّان مفردُها ماجن: وهو من غلظ وجهه وقلّ حيائه.

⁴ هذان البيتان من مجزوء البسيط.

⁵ في المخطوطين: ((يا أُملي سحقاً)).

فخذ من الدرس شيئاً تافها
خطأً وبالفهم يحيى كل الناس¹

ومن شعرها في غرض المدح²:
إن قيل من الناس³ رب فضيلةٍ
حاز العلا والمجد منه أصيل
فأقول رضوان وحيد زمانٍ
إن الزمان بمثله لبخيل

¹ هذا الشطرة مختل.

² هذان البيتان من البحر الكامل.

³ جعلها د طويل: ((للناس)).

بلكين¹ بن باويس

(بن حبّوس بن الحسن بن زيري بن تنّاف الصنهاجي؛ الأمير الملقب بسيف الدولة؛ صاحب أسروالره والمرشح للدولة بعده.

حاله

قال المؤرخ: كان زيري بن مناد، ممن ظهر في حرب ابن يزيد² بإفريقية، واتسم هو وقومه بطاعة العبيدين³ أمراء الشيعة. فكانوا حرباً لأضدادهم من زنانة المواليين لأُملاك المراونة⁴؛ لتحقيق جدهم خزر⁵ بولايته عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما صار الأمر إلى بني مناد بعد انتقال ملك الشيعة إلى المشرق، وولي الأمر باديس بن منصور بن بلكين بن زيري؛ ذهب أعمامه وأعمام أبيه إلى استضعافه؛ فلم يعطهم ذلك من نفسه، ووقعت

¹ بلكين أو بلقين؛ بالجيم المصرية. وهو أقرب إلى النطق الأمازيغي. ولي في البداية من قبل والده على مالقة؛ بعد أن تغلب عليها وضمها إلى مملكته سنة 449هـ/1057م. وبقي والياً على مالقة إلى سنة 456هـ/1063م، وهي السنة التي مات فيها مسموماً.

² هكذا. وهو تحريف قد يكون من الناسخ. واسمه هو أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي الملقب بصاحب الحمار؛ توفي سنة 336هـ/947م؛ زعيم الخوارج الثائرين على الدولة الفاطمية.

³ نسبة إلى عبيد الله مؤسس الدولة الفاطمية.

⁴ يقصد بني مروان (الأمويين)؛ ملوك الأندلس.

⁵ حرفت في ج؛ فكتبت: ((خوز)).

بينهم الحرب ؛ التي قتل فيها عم أبيه ماكسن بن زيري ؛
فرهب¹ الباكون منهم صولة باديس ، وخافوا عاديته على
أنفسهم ؛ على صغر سنه ؛ فخاطب شيخ بيته - يومئذ -
زاوي بن زيري ؛ ومعه أبناء أخيه ، المظفر بن أبي عامر²
ليجوز إليه إلى الأندلس³؛ رغبة في الجهاد ، فألفى همّه
بعيدة ، وملكاً شامخاً ، يذهب إلى استخدام الأشراف
واصطناع الملوك ، فأذن في ذلك ، فدخل منهم جماعة
الأندلس مع أميرهم زاوي بن زيري ، ومعه أبناء أخيه :
حباسة وحبوس وماكسن ؛ فأنزلهم المظفر وأكرمهم ، إلا
أنهم كابدوا مشقة من دهرهم الذي أصارهم يخدمون
بأبواب الملوك من أعدائهم غيرهم . فلما انهدمت الإمامة ،
وانشقت عصا الجماعة ، سعوا في الفتنة سعي غيرهم ،
من سائر قبائل البرابرة⁴ ، عند تشديد أهل الأندلس للبربر ،

¹ في المخطوطتين: ((فذهب))؛ وصوبها عنان.

² المظفر هو عبد الملك بن محمد المنصور بن عبد الله بن أبي عامر
أمير الأندلس؛ توفي سنة 399هـ/1008م؛ تولى السلطة العامرية بعد وفاة
والده الوصي على عرش الدولة الأموية؛ وذلك سنة 392هـ/1001م.

³ اتصلوا - كما يقول ابن خلدون - بأبيه محمد المنصور بن أبي عامر؛
وجازوا للأندلس في عهده، وقبل وفاته؛ سنة 391هـ/1000م.

⁴ كلمة بربر أو برابرة أو برابر؛ تستعمل لدى مؤرخي الأندلس بكثرة؛
ويقصد بها الأمازيغ.

وانحازوا عند ظهورهم على أهل الأندلس، بملوك بني حمود¹، إلى بلاد تضمهم؛ فانحازت صنهاجة مع شيخهم ورئيسهم زاوي بن زيري إلى مدينة غرناطة. ثم أثر زاوي العودة إلى وطنه إفريقية؛ فخرج عن الأندلس حسبما يتفسر في موضعه. والتف قومه على ابن أخيه حبوس بن ماكسن، في جماعة عظيمة تحمي حوزته، وأقام بها ملكاً، وغلب على ما اتصل بمدينته من الكور، فتملك قبرة، وجيان²، واتسع نظره، وحمى وطنه ورعيته ممن جاوره من البرابر، وكان داهية شجاعاً، فدامت رياسته، واتصل ملكه، إلى أن هلك. فولي بعده ابنه باديس. وسيأتي التعريف به، وولد له ابنه بلكين هذا المترجم به؛ فرشحه إلى ملكه، وأخذ له بيعة قومه، وأهله³ للأمر من بعده.

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بني حميد)). وبنو حمود من الأدارسة العلويين؛ تمكنوا من التربع على عرش غرناطة بعد سقوط الدولة الأموية.
² سبق التعريف بجيان Jaen، وقبرة Cabra القريبة منها.
³ في ك: ((وملكه)).

قال المؤرخ: ونشأ لباديس بن جبوس، ولد اسمه
بلكين، وكان عاقلاً نبيلاً، فرشحه للأمر من بعده،
وسماه سيف الدولة، وقال: ولي مألقة في حياة أبيه،
وكان نبيلاً جليلاً، ووقعت على كتاب بخطه نصه بعد
البسملة: ((هذا ما التزمه واعتقد العمل به، بلكين بن
باديس، للوزير القاضي أبي عبد الله بن الحسن الجذامي¹
سَلَّمه الله. أعتقد به إقراره على خطة الوزارة، والقضاء
في جميع كُورِهِ²، وأن يجري من الترفيع والإكرام له، إلى
أقصى غاية، وأن يحمل³ على الجراية في جميع أملاكه
بالكُور⁴ المذكورة، حاضرتها وباديتها، الموروثة منها،
والمكتسبة، القديمة الاكتساب والحديثة، وما ابتاع منها من
العالِي⁵ رحمة الله وغيره، لا يلزمها وظيفٌ بوجه، ولا
يكلف منها كلفة، على كل حال، وأن يجري في قرابته،

¹ حرفت في ك؛ فكتبت: ((الحراص)).

² في تاريخ قضاة الأندلس: ((جميع كور رية)).

³ نفسه: ((وأن يُجري على الجزية)).

⁴ نفسه: ((بكورة رية)).

⁵ في ك: المعالي. أما العالِي؛ فهو الخليفة إدريس بن يحيى المعتلي؛ أحد
خلفاء بني حمود؛ حكم من غرناطة وقرمونة لمدة أربع سنين؛ حيث خلع
في سنة 438هـ/1046م.

وخوله وحاشيته وعامري ضيعه، على المحافظة والبر والحرية. وأقسم على ذلك كله بلكين بن باديس بالله العظيم، والقرآن¹ الحكيم، وأشهد الله على نفسه وعلى التزامه له، وكفى بالله شهيداً. وكتب بخط يده مستهل شهر رمضان العظيم سنة ثمان² وأربعين وأربعمائة³، والله المستعان)). ولا شك أن هذا المقدار يدل على نبيل، ويعرف عن كفاية.

سبب وفاته

قال صاحب البيان المغرب⁴، وغيره: وأمضى باديس كاتب أبيه ووزيره⁵ إسماعيل بن نغالة⁶ اليهودي على وزارته وكتابته وسائر أعماله، ورفع فوق كل منزلة؛

¹ في تاريخ قضاة الأندلس: ((وبالقرآن)).

² نفسه: ((434هـ)).

³ الموافق لـ 1056م.

⁴ صاحب كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عذاري المراكشي؛ توفي في حدود 695هـ/1295م.

⁵ في البيان المغرب: ((فأمضى باديس وزيراً له وكتباً، وزير أبيه إسماعيل...)).

⁶ حرف في المخطوطين؛ فكتب: ((ابن نغالة))؛ بينما سماه صاحب الذخيرة: ((ابن النغريل)). وسماه ابن حزم مرة: ((ابن النغزال))، ومرة أخرى: ((ابن النغريلة))؛ وقال عنه صاعد الأندلسي: ((ابن الغزال))... وثمة شواهد أخرى عديدة تفيد باختلاف المؤرخين في اسم هذا الوزير اليهودي.

وكان لولده **بلكين**، خاصة من المسلمين يخدمونه، وكان مبغضاً في **اليهودي**¹، فبلغه أنه تكلم في² ذلك لأبيه، فبلغ منه كل مبلغ، فدبر³ الحيلة، فذكروا أنه دخل عليه يوماً فقبل الأرض بين يديه، فقال له الغلام: ولم ذلك، فقال: يرغب العبد⁴ أن تدخل داره مع من أحببت من عبيدك ورجالك، فدخل إليه بعد ذلك، فقدم له ولرجاله طعاماً وشراباً، ثم جعل السم في الكأس لابن باديس، فرام القيء⁵ فلم يقدر عليه، فحمل إلى قصره وقضى⁶ نحبه في يومه. وبلغ الخبر إلى أبيه ولم يعلم السبب، فقرر **اليهودي** عنده أن أصحابه وبعض جواريه سموه. فقتل باديس جوارى ولده⁷، ومن فتيانه وبني عمّه [جماعة كبيرة]⁸، وخافه⁹ سائرهم ففروا عنه.

¹ في البيان المغرب: ((مبغضاً في هذا اليهودي)).

² نفسه: ((فيه عند أبيه؛ فبلغ ذلك من اليهودي كل مبلغ)).

³ في ك: ((فدفن)). وفي البيان المغرب: ((ودبر الحيلة عليه؛ فدخل اللعين يوماً على الفتى وقبل...)).

⁴ في البيان المغرب: ((عبدك منك أن...)).

⁵ في ك: ((القبر))؛ وفي ج: الفلى أو البلى؛ وهي غير واضحة؛ وقد صوبت من البيان المغرب.

⁶ في البيان المغرب: ((فقضى نحبه في غد يومه)).

⁷ في البيان المغرب: ((من جوارى ولده)).

⁸ هذه الإضافة من البيان المغرب؛ وهي ضرورية.

⁹ في المخطوطين: ((وخافوه)).

وكانت وفاته سنة ست وخمسين وأربعمائة¹. وبعده قتل
اليهودي في سنة تسع وخمسين².

¹ الموافق لـ 1063م.
² الموافق لـ 1066م. في لث: ((ثمان))، وفي ج: والمكلىة: ((ثمانين))؛ وهذا خطأ؛ وقد صوبه عنان؛ تبعاً لما سيرد في الإحاطة لاحقاً في الفصل المعنون بـ ((ذكر مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل)).

باويس بن حبوس¹

(ابن الحسن بن زيري بن مناو الصنهاجي؛ كُنيته أبو مناو؛
ولقبه الحاجب المظفر بالله، الناصر لدين الله.

أوليته

قد تقدم الإلماع بذلك ؛ عند ذكر ابنه بلكين.

حاله

كان رئيساً ييساً، طاغيةً، جباراً، شجاعاً، داهيةً،
حازماً، جلدأً، شديد الأمر، سديد الرأي، بعيد الهمة،
مأثور الإقدام، شره السيف، واري زناد² الشر، جماعة
للمال، ضخمت به الدولة، ونبّهت الألقاب، وأمنت
لحمايته³ الرعايا، وطم تحت جناح سيفه العمران، واتسع
بطاعته المرهبة الجوانب ببأسه النظر، وانفسخ الملك، وكان
ميمون الطائر، مُطعمَ الظفر⁴، مصنوعاً له في الأعداء،

¹ توجد ترجمة باديس أيضاً في المغرب، وفي البيان المغرب، واللمحة
البدرية، وكتاب العبر، وإعمال الأعلام (القسم الثاني). وقد تربع على
عرش غرناطة من سنة 429هـ/1037م إلى سنة 467هـ/1074م.

² في المخطوطين: بزناد).

³ في ك: ((لحميته)).

⁴ أي كثير الظفر.

يقنع أقتاله¹ بسلمه، ولا يطمع أعداؤه في حربه. قال ابن
عسكر²: يكنى أبا مسعود، وكان من أهل الحزم وحماية
الجانب، وكان يخطب ويدعو للعلويين بمالقة³؛ فلما توفي
إدريس بن يحيى العالي⁴، ملك مالقة سنة ثمان وأربعين
وأربعمئة⁵.

وقال الفتح في قلائده⁶: كان باديس بن حبوس
بغرناطة⁷ عاثياً في فريقه، عادلاً عن سنن العدل وطريقه،
وطريقه، يجترئ على الله غير مراقب، ويسري⁸ إلى ما
شاء [غير ملتفت]⁹ للعواقب، قد حجب سنانة لسانه،
وسبقت إساءته إحسانه، [ناهيك]¹⁰ من رجل لم يت

¹ في ك: ((أمثاله)).

² راجع هذا النص في تاريخ قضاة الأندلس.

³ يقصد الحموديين ملوك مالقة والجزيرة الخضراء آنذاك.

⁴ ثمة من يقول أن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود الملقب بـ (العالي) بويغ ملكاً على مالقة سنة 434هـ/1042م؛ بينما يقول آخرون أنه بويغ سنة 439هـ/1057م.

⁵ الموافق لـ 1056م.

⁶ أي الفتح بن خاقان في كتابه قلاند العقيان.

⁷ في المخطوطين: ((غرناطة))؛ وصوبت من القلائد

⁸ في قلاند العقيان: ((يجري)).

⁹ في المخطوطين والملكية: ((لا ملتفتاً))؛ وصوبت من القلائد

¹⁰ سقطت هذه الكلمة في المخطوطين والملكية؛ بينما وردت في القلائد.

من ذنبٍ على ندم، ولم يشرب¹ الماء إلا من قليب²
دم، أحزم³ من كاد ومكر، وأجرم⁴ من راح وابتكر؛ وما
وما زال متقدماً⁵ في مناحيه، متفقداً لنواحيه، لا يرام
بريث⁶ ولا عجل، ولا يبيت له جار إلا على وجل.

أخباره في وقائعه

ينظر إيقاعه بزهير⁷ العامري ومن معه في اسم
زهير. [فقد ثبت منه هنالك⁸ نبذة، وإيقاعه بجيش ابن
عباد بمالقة عندما طرق مالقة وتملكها، واستصرخ من
استمسك بقصبتها من أساودتها، وغير ذلك مما هو
معلوم، وشهرته مغنية عن الإطالة. ومن أخباره في الجبرية
والقسوة،

¹ في قلاند العقيان: ((ولا شرب)).

² القليب؛ جمعها: قَلَب وأقلبية؛ البئر القديمة؛ سميت بذلك لأن ترابها قلب.

³ في المخطوطين والملكية: ((أجرم))، وصوبت من القلائد

⁴ نفسه: ((أفجر))؛ وصوبت من القلائد

⁵ نفسه: ((ممتداً))؛ وصوبت من القلائد

⁶ أي ببطء.

⁷ حرفت في ك؛ فكتبت: ((ابن مقيم)).

⁸ وردت هذه العبارة في ك هكذا: ((وثبت في ذلك منه)).

قال ابن حيان: عندما استوعب الفتكة بأبي نصر بن أبي نور اليفرني¹؛ أمير رندة؛ المنتزي² بها وقتله، ورجوعها إلى ابن عباد، حكى أبو بكر الوسنشاني³ الفقيه الفقيه عن ثقة عنده من أصادقة التجار، أنه حضر مدينة غرناطة، حضرة باديس بن حبوس الجبار، أيام حدث على أبي نصر صاحب تآكرنا ما حدث، وأن أميرها باديس قام للحادثة⁴، وقعد، وهاج من داء عصبته ما قد سكن، وشق أثوابه، وأعلن أحواله، وهجر شرابه الذي لا صبر له عنه، وجفا ملاذه، وأوهمته نفسه الخبيثة تمالؤ رعيته من أهل الأندلس، على الذي دهى أبا نصر؛ فسولت له نفسه حمل السيف على أهل حضرته جميعاً، مستحضراً⁵ لهم، وكيما ينبرهم⁶، ويخلص برابرتهم وعبيده وعبيده فيريح نفسه. ودبر أن يأتي ذلك إليهم عند اجتماعهم بمسجدهم الجامع الأقرب أيام الجمعة، من قوة

¹ في ج، والملكية: ((السفري))، وفي ك: ((الأسفري))؛ وكله تحريف.

² في ك: ((المشتري)).

³ في ك: ((الرسنلشاني))، والملكية: ((الوساشي)).

⁴ في المخطوطين، والملكية: ((بالحادثة))؛ فصوبها عنان.

⁵ في ك: ((مستعرضاً)).

⁶ في ج، والملكية: ((ينفدهم)).

همومه، وشاور وزيره اليهودي يوسف بن إسماعيل،
مدبر دولته الذي لا يقطع أمراً دونه، مستخلياً مستكتماً
بسرّه، مصمماً في عزمه، إن هو لم يوافقّه عليه، فنهاء
عن ذلك وخطأ رأيّه فيه، وسأله الأناة ومحض الروية،
وقال له هبك وصلت إلى إرادتك ممن بحضرتك، على ما
في استباحثهم من الخطر، فأنى تقدر على الإحاطة
بجميعهم من أهل حضرتك، وبسائط أعمالك؟ أتراهم
يطمئنون إلى الدهول عن مصائبهم، والاستقرار في
موضعهم؟ ما أراهم إلا سيوفاً ينتظمون عليك في جموع،
يغرقونك في لججها أنت وجندك، فرد نصيحته، وأخذ
الكتمان عليه، وتقدم إلى عارضه باعتراض الجند في
السلاح، والتعبية لركوبه يوم الفتكة، يوم تلك الجمعة،
فارتج البلد. وذكر أن اليهودي دس نسواناً إلى معارف لهن
من زعماء المسلمين بغرناطة، ينهاهم عن حضور المسجد
يومهم، ويأمرهم بإخفاء أنفسهم، وفشا الخبر فتخلف
الناس عن شهود الجمعة، ولم يأت إلا نفر من عامتهم،

اقتدوا بمن أتاه¹ من مشيخة البربر وأغفال القادمين، وجاء إلى باديس الخبر، والجيش في السلاح حوالي قصره، فسأه وفتّ في عضده، ولم يشك في فشو سره، وأحضر وزيره وقلّده البوح بسرّه فأنكر ما قرّفه² به، وقال ومن أين ينكر على الناس الحذر، وأنت قد استركبت جندك وجميع جيشك في التعبئة، لا لسفرٍ ذكرته، ولا لعدو وثب إليك، فمن هناك حدس القوم على أنك تريد هم، وقد أجمل³ الله لك الصنع في نفارهم، وقادك إصارهم، فأعد نظرك يا سيدي، فسوف تحمد عاقبة رأيي وغبطة نصحي. فنصح وزيره شيخٌ من موالى صنهاجه، فانعطف لذلك بعد لأي، وشرح الله صدره. ويجري⁴ التعريف بشيء من أمور وزيره.

قال ابن عذاري المراكشي في كتابه المسمى بالبيان المغرب: أمضى باديس كاتب أبيه ووزيره ابن نغالة اليهودي، وعمالاً متصرفين من أهل ملته، فاكسبوا الجاه

¹ في ج: ((أناهم)).

² في ك: ((قربه)).

³ في المخطوطين والملكية: ((أجمع))؛ وصوبها عنان.

⁴ في ك: ((ويجي)).

في أيامه واستطالوا على المسلمين. قال ابن حيان: وكان هذا اللعين في ذاته، على ما زوى الله عنه من هدايته، من أكمل الرجال علماً وحلماً وفهماً، وذكاءً، ودماثةً، وركانةً، ودهاءً، ومكرًا، وملكا لنفسه، وبسطاً من خلقه، ومعرفةً بزمانه، ومدارةً لعدوه، واستسلالاً لحقودهم بحلمه، [ناهيك¹ من رجل كتب بالقلمين، واعتنى بالعلمين، وشغف باللسان العربي، ونظر فيه، وقرأ كتبه، وطالع أصوله، فانطلقت يده ولسانه، وصار يكتب عنه وعن صاحبه بالعربي، فيما احتاج إليه من فصول التحميد لله تعالى، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، والتزكية لدين الإسلام، وذكر فضائله، ما يريده، ولا يقصر فيما ينشئه عن أوسط كتاب الإسلام. فجمع لذلك، السجيج² في علوم الأوائل الرياضية وتقدم منتجليها³ بالتدقيق⁴ للمعرفة النجومية، ويشارك في الهندسة والمنطق، ويفوق في الجدل كل مستول منه على

¹ هذه الكلمة أضافها عنان.

² أي الكثير.

³ في المخطوطين: ((منتجليها)).

⁴ في ج: ((بالتدين)).

غاية، قليل الكلام مع ذكائه، ماقثاً للسباب¹، دائم التفكير، جماعة للكتب؛ هلك في العشر الثاني لمحرم؛ سنة تسع وخمسين وأربعمائة². فجلل اليهود نعشه، ونكسوا لها أعناقهم خاضعين، وتعاقدوه جازعين، وبكوه معلنين، وكان قد حمل ولده يوسف المكنى بأبي حسين على مطالعة الكتب، وجمع إليه المعلمين والأدباء من كل ناحية، يعلمونه ويدارسونه، وأعلقه بصناعة الكتابة، ورشحه لأول حركته، لكتابة ابن مخدومه بلكين برتبة³ المترشح لمكانه، تمهيداً لقواعد خدمته. فلما هلك إسماعيل في هذا الوقت، أدناه باديس إليه، وأظهر الاغتيال به، والاستعاضة بخدمته عن أبيه.

¹ في ك: ((لأسباب)).

² الموافق لـ 1166م. يسير هنا در طيل إلى خلط وقع فيه ابن الخطيب؛ حين التيس عليه الأمر بين إسماعيل بن النغالة وابنه يوسف بن إسماعيل؛ إذ جعل وفاة الأول سنة 459هـ/ بينما هي سنة وفاة ابنه يوسف. ثم ذكر أن هذا الخلط والوهم وقع فيه أيضاً النباهي في تاريخ المراقبة العليا، وابن خلدون في كتاب العبر. غير أن د. طویل لم يذكر المصدر الذي استند إليه في رأيه.

³ في المخطوطين: ((بريه)).

مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل

ابن نغالة¹ الإسرائيلي

قال صاحب البيان: وترك² ابناً له يسمى³ يوسف لم يعرف [دُلَّ⁴ الذِّمَّة، ولا قدر اليهودية⁵]. وكان جميل الوجه، حادّ الذّهن⁶، فأخذ في الاجتهاد⁷ في الأحوال، [وجمع المال⁸، واستخراج الأموال، واستعمال اليهود⁹ على الأعمال، فزادت منزلته عند أميره¹⁰، وكانت له عليه¹¹ عيون في قصره من نساء وفتيان، يشملهم¹² بالإحسان، فلا يكاد باديس يتنفس،

¹ هكذا جاءت هذه المرة في كـ.

² في المخطوطين: ((وتحرك)).

³ في البيان المغرب: ((اسمه)).

⁴ نفسه: ((دُلَّة)).

⁵ في المخطوطين: ((ذل اليهودية ولا قدر الذمة))؛ وصوبت من البيان المغرب.

⁶ في ج: ((الزهد)).

⁷ في البيان المغرب: ((فأخذ نفسه بالاجتهاد)).

⁸ العبارة الواردة ما بين الحاصرتين سقطت من البيان المغرب.

⁹ في البيان المغرب: ((واستعمل اليهود إخوانه على...)).

¹⁰ نفسه: ((أميره باديس)).

¹¹ نفسه: ((له عيون عليه)).

¹² في المخطوطين: ((يشغلهم))، وفي البيان المغرب: ((شغلهم الملعون...))؛

فصوبها عنان.

إلا وهو يعلم ذلك¹. ووقع ما تقدم ذكره، في ذكر بلكين بلكين من اتهامه بسمه²، وتولى التهمة به عند أبيه، للكثير من جواريه وخدامه، وفَتَكَ هذا بقريب له - تَلُو له في الخدمة والوجاهة - يدعى بالقائد؛ شعر منه بمزاحمته إياه فَتَكَ شهيرة، واستَهْدَف للناس فَشَغَلت به ألسنتهم، وملئت غيظاً عليه صدورهم؛ وذاعت قصيدة الزاهد أبي إسحاق الإلبيري، في الإغراء بهم. واتفق أن أغارت على غرناطة بعوثٌ صُمادحية³؛ تقول: إنها باستدعائه، ليصير الأمر الصنهاجيّ إلى مجهزها⁴ الأمير بمدينة المريّة. وباديس في هذه الحال منغمسٌ في بطالته، عاكفٌ على شرابه. ونمي هذا الأمر إلى رهطه من صنهاجة؛ فراحوا⁵ إلى دار دار اليهودي مع العامة، فدخلوا عليه، فاخْتَفَى - زعموا في بيت فحم، وسَوَّد وجهه؛ يروم التنكير - فقتلوه لما عرفوه، وصلبوه على باب مدينة غرناطة؛ وقتل من

¹ هنا ينتهي النص في البيان المغرب.

² حُرِفَت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بنسمه)).

³ يقصد بصمداحية؛ أنها تنتمي للمعتصم بن صمادح أمير المريّة في ذلك الوقت.

⁴ في المخطوطين: ((مجهدها)).

⁵ في ك: ((فوجوا)).

اليهود في يومه، مقتلةً عظيمة، ونهبت دورهم، وذلك سنة تسع وخمسين وأربعمائة¹.

وقبره اليوم، وقبر أبيه يعرف أصلاً من اليهود ينقلونه بتواترٍ عندهم، أمام باب البيرة، على غلوة، يعترض الطريق، على لحده² حجارة كدان جافية الجرم، ومكانه من الترفه والترف والظرف والأدب معروفٌ، وإنما أتينا ببعض أخباره لكونه ممن لا يمنع ذكره في أعلام الأدباء والأفراد إلا نخلته³.

مكان باديس من الذكاء وتولعه

بالقضايا الآتية

قال ابن الصّيرفي: حدثني أبو الفضل جعفر الفتى؛ وكان له صدقٌ. وفي نفسه عزة وشهامة وكرم، وأثنى عليه، وعرف به، حسبما يأتي في اسم جعفر المذكور.

¹ الموافق لـ 1066م، في إعمال الأعلام لابن الخطيب: ((قتلوه وصلبوه سنة

469هـ، وقيل سنة 465هـ)).

² في المخطوطين: ((الحدة)).

³ في المخطوطة: ((محلة)).

قال، خاض باديس مع أصحابه في المجلس العلي، من دار الشراب بقصره، واصطفت الصقاليب¹ والعبيد بالبرطل² المتصل به لتخدم إرادته، فورد عليه نبأ؛ قام لتعرفه عن مجلسه، ثم عاد إلى موضعه؛ وقد تجهم وجهه، وخبث نفسه، فحذر ندماءه على أنفسهم، وتحيلوا وقوع الشر بهم؛ ثم قال: أعلمتم ما حدث؛ قالوا: لا والله يطلع على خير. قال: دخل الم رابط³ الدمنة، فسُري عن القوم، وانطلقت ألسنتهم بالدعاء بنصره، وفُسحة عمره، ودوام دولته؛ ثم وجموا لوجومه. فلما رأى تكدر صفوهم؛ قال: أقبلوا على شأنكم؛ ما نحن وذاك؛ ((اليوم خمر وغداً أمر⁴))؛ بيننا وبينه أمداد الفجؤ، والنشور الجبال وأمواج البحار؛ ولكن لا بد له أن يملك بلدي، ويقعد

¹ يقصد بالصقاليب: الصقالبة؛ وهم الفتيان المماليك من الصرب أو من جنسيات أوروبية مختلفة.

² البرطل: هي البهو الميني بالأعمدة والشرفات؛ وقد استمدت من اللغة القشتالية **Portal**. ومازالت هذه الكلمة مستعملة في بعض مناطق الجزائر؛ حيث يسمى البهو: ((برطال)).

³ أي عبر أمير المرابطين يوسف بن تاشفين إلى الأندلس.

⁴ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت كلمة (أمر): ((آخر)). وهذا القول المأثور قاله الشاعر الجاهلي امرؤ القيس؛ عندما وصله خبر مقتل أبيه؛ بينما كان يلهو بشرب الخمر.

منه مقعدي، وهذا أمر لا يلحقه أحد منا، وإنما يشقى
أحفادنا.

قال جعفر: فلما دخل الأمير القصر، عند خلعه
حفيد باديس برجة مؤمل¹؛ طاف بكل ركن ومكان منه،
وأنا في جملة حتى انتهى إلى ذلك المجلس؛ فبسط له ما
قعد عليه؛ فتذكرت قول باديس، وتعجبت منه تعجباً
ظهر علي؛ فالتفت إليّ أمير المسلمين منكراً، وسألني ما
بي؛ فأخبرته وصدقته، وقصصت عليه قول باديس؛
فتعجب، وقام إلى المسجد بمن معه، فصلّى فيه ركعات،
وأقبل يترحم على قبره.

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((برجة مؤمل)). أما رجة مؤمل؛ فهي
ساحة جميلة ومنتزه رائجاً بغرناطة؛ تقع جنوب غربي الحمراء. وسميت
هذه الساحة أو الرجة بذلك؛ نسبة إلى أحد خدام باديس بن باديس سلطان
غرناطة؛ وكان يسمى ((مؤمل)).

وفاته

قال أبو القاسم بن خلف: توفي باديس ليلة الأحد الموفي عشرين من شوال؛ سنة خمسة وستين وأربعمائة¹، ودفن بمسجد القصر. قلت: وقد ذهب أثر المسجد، وبقي القبر؛ يحف به حلق له باب، كل ذلك على سبيل من الخمول. وجدت القبر رخام، إلى جانب قبر الأمير المجاهد أبي زكريا يحيى بن غانية²؛ المدفون في دولة³ الموحدين به. وقد أдал اعتقاد الخليفة في باديس بعد وفاته، قدم العهد بتعرف أخبار جبروته وعتوه على الله سبحانه، لما جبلهم عليه من الانقياد للأوهام [والانصياع للأضاليل]⁴، فعلى حفرته اليوم من الازدحام بطلاب الحوائج والمستشفين من

¹ الموافق لـ 1072م. ذكر هذا التاريخ أيضاً في اللوحة البدرية؛ غير أن ابن خلدون يرى - في كتاب العبر - أن باديس توفي سنة 467هـ؛ بينما يضطرب القلقشندي في صبح الأعشى؛ إذ يقول - مرة - أن باديس توفي سنة 467هـ، ومرة أخرى يقول أنه مات سنة 477هـ.

² سبق الإشارة إليه.

³ في ك: ((بدولة)).

⁴ حرفت هذه العبارة في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((وانقطاع الأصاليل)).

الأسقام، حتى أولو الدواب الوجيعة، ما ليس على قبر
معروف الكرخي، وأبي يزيد البسطامي¹.

ومن أغرب ما وقفت عليه رقعة؛ رفعها إلى
السلطان على يدي، رجل من أهل الخبر مَكْتَب² يَوْمُ في
مسجد القصبة القُدَمَى من دار باديس، يعرف بابن باق،
وهو يتوسل إلى السلطان، ويسأل منه الإذن في
دفنه [مجاوراً لقبره]³. وعفو الله أوسع من أن يضيق على
مثله، ممن أسرف على نفسه، وضع حق ربه. ودائره
اليوم طول؛ قد تغيرت أشكالها، وقسم التملك جناتها؛
ومع ذلك فمعاهدها إليه منسوبة، وأخباره متداولة.

وقد ألمعت في بعض مشاهدته بقولي من قصيدة،
غريبة الأغراض، تشتمل على فنون⁴ أثبتتها إحماساً

¹ هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي (نسبة إلى الكرخ وهي القسم الغربي من بغداد)؛ توفي ببغداد سنة 200هـ/815م. أما البسطامي فهو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، من مدينة بسطام بفارس؛ توفي سنة 264هـ/877م. وهو أيضاً كمن أقطاب الصوفية.

² أي الذي يعلم الكتابة.

³ وردت هذه العبارة في ك؛ هكذا: ((وجوار القبر)).

⁴ في المخطوطين: ((فتوق)).

وفكاهة، لمن يطالع هذا الكتاب، وإن لم يكن جلبها
ضرورياً فيه فمنها¹:

عسى خـطرة² بالركب يا حادي العيس
على الهضبة الشـمـاء من قصر باديس

¹ ورد هذا البيت مطلعاً لقصيدة في 36 بيتاً؛ وذلك في كتاب نثير فرائد
الجمان))، وهي من البحر الطويل.
² في نثير الجمان: ((خطوة)).

بكر بن أبي بكر

(ابن الأشقر الحضرمي؛ يكنى أبا يحيى)

حاله

كان من ذوي الأصالة ومشايخ الجند، فارساً نجداً
حازماً سديد الرأي، مسموع القول، شديد العضلة¹
أيّداً²، فحلاً وسيماً، قائداً عند الجند الأندلسي، في أيام
السلطان ثاني ملوك بني نصر، من³ أحفل ما كان الأمر،
يجر وراءه دنيا عريضة، وجبى الجيش على عهده مغانم
كثيرة.

¹ أي الدهاء.

² أي القوي.

³ في لغة ((بين)).

قال شيخنا ابن شبرين¹ في تذكرة ألفتها بخطه: كان له في الخدمة مكانٌ كبير، وجاءَ عريض، ثم صرفه الأمر عن رسمه، وأنزله الدهر عن حكمه، تغمدنا الله وإياه برحمته.

وفاته

في عام أربعة عشر وسبعمائة²، ودفن بمقبرة قومه بباب البيرة.

¹ وفي ج: ((ابن شبرين))؛ وهو تحريف.
² الموافق لـ 1314م.

بر

سولى عبد الرحمن بن معاوية؛ (الراخل؛ يكنى أبا النصر؛
رومي الأصل).

حاله

كان شجاعاً داهية، حازماً فاضلاً، مصمماً تقياً،
علماً¹ من أعلام الوفاء. لازم مولاه في أعقاب النكبة،
وصحبه إلى المغرب الأقصى، مختصاً به ذاباً عنه، مشتملاً
عليه، وخطب له الأمر بالأندلس، فتم له بما هو مذكور.
قال أبو مروان² في المقتبس: إن عبد الرحمن لما
شرده الخوف إلى قاصية المغرب، وتنقل بين قبائل البربر،
ودنا من ساحل الأندلس وكان بها همه يستخير من
قرب، فعرف أن بلادها مفترقة بفرقتي المضرية واليمانية،
فزاد ذلك في أطماعه، فأدخل إليهم بداراً مولاه يحسس³
عن خبرهم، فأتى القوم ويلى ما عندهم، فداخل
اليمانيين منهم، وقد عصفت ريح المضريين بظهور بني

¹ في المخطوطتين والملكية: ((عالماً))؛ وهو تحريف.

² هو ابن حيان؛ مؤرخ الأندلس. سبقت الإشارة إليه.

³ في ك: ((يجسس)).

العباس بالمشرق ؛ فقال لهم : ما رأيكم في رجل من أهل
الخلافة يطلب الدولة بكم ، فيقيم أودكم ويدرككم
آمالكم . فقالوا : ومن لنا به في هذه الديار ، فقال بدرٌ : ما
أدناه منكم ، وأنا الكفيل لكم به ، هذا فلان بمكان كذا
وكذا يقدمن نفسه [فقالوا : فجئ به أهلاً¹ ؛ إنا سراعٌ إلى
طاعته ، وأرسلوا بدرًا بكتبهم² يستدعونهم ، فدخل إليه
بأيمن طائر ، واستجمع إليه خلق كثير³ من أنصاره قاتل
بهم يوسف الفهري ، فقهره لأول وقائعه ، وأخذ الأندلس
منه وأورثها عقبه .

محتته

قال الراوي : وكان من أكبر من أمضى عليه عبد
الرحمن بن معاوية حكم سياسته وقومه معدلته⁴ ، مولاه
بدر المعتق منه بكل ذمة محفوظة ، الخائض معه لكل غمرة
مرهوبة ، وكل ذلك لم يغن عنه نقيراً لما أسلف في إدلاله

¹ في ك: ((فقال يجي أهلاً به)).

² في المخطوطين: ((بكتبكم)).

³ أضيفت هذه الكلمة من الملكية.

⁴ في ك: ((معدلة)).

عليه، وكثير من الانبساط لحرمة [فجمع مركب تحامله¹]
حتى أورده أماً يضيق² الصدر عنه، وآسف أميره ومولاه،
حتى كبح عنانه عن نفسه بعد ذلك كبحة أقعى بها أو
شارف حمامه، لولا أن أبقي الأمير على نفسه التي لم
يزل مسرفاً عليها. قال: فانتهى في عقابه³ لما سخط عليه
أن سلب نعمته، وانتزع دوره وأملاكه وأغرمة على ذلك
كله أربعين ألفاً من صامته، ونفاه إلى الثغر، فأقصاه عن
قربه، ولم يقله العثرة⁴ إلى أن هلك، فرفع طمع الهوادة
عن جميع ثقله وخدمته، وصير خبره مثلاً في الناس
بعده.

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فجمع به مركب بحامله))؛ فصوبها عنان.

² في ك: ((يطيق)).

³ في ك: ((اعقابه)).

⁴ في ك: ((العترة)).

تاشفين بن علي¹

(بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعمرة؛

صالي² حروب الموحدين)

أوليته

فيما يختص به التعريف بأولية قومه، ينظر في اسم أبيه وجده إن شاء الله. قال ابن الوراق في كتاب المقياس وغيره: وفي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة³، ولي الأمير⁴ علي بن يوسف أمير لمتونة، الشهير بالمرابط⁵ ولده الأمير المسمى بسير عهده من بعده، وجعل له الأمر في بقية حياته، ورأى أن يولي ابنه تاشفين الأندلس، فولاه مدينة غرناطة⁶، وألمرية ثم قرطبة مضافة إلى ما بيده، قلت، وفي قولهم: رأي أن يولي الأندلس فولاه مدينة غرناطة، شاهد كبير على ما وصفناه⁷ من شرف هذه

¹ ترجمة تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين موجودة أيضاً في الحلل الموشية، والبيان المغرب، والذخيرة.

² في ك: ((طالي))، أو ((كالي)).

³ الموافق لـ 1128م.

⁴ هذه الإضافة من الملكية.

⁵ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((المرابطين)).

⁶ في البيان المغرب: ((فولاه إمارة أغرناطة)).

⁷ في المخطوطين: ((أوصلنا))؛ وصوبت من مخطوط رواق المغاربة.

المدينة، فنظر في مصالحها، وظهر له بركة¹ في النصر على العدو، وخدمه الجَدُّ الذي أسلمه، وتبرأ منه في حروبه مع الموحدين حسبما يتقرر في موضعه، فكانت له على النصارى وقائع عظيمة بعد لها الصيت، وشاع الذكر حسبما يأتي في موضعه.

قال: فكبر ذلك على أخيه سير ولي عهد أبيه، وفاوض أباه في ذلك وقال له: إن الأمر الذي أهلتني إليه لا يحسن لي مع تاشفين، فإنه قد حمل الذكر والثناء دوني، وغطى على اسمي، وأمال إليه جميع أهل² المملكة، فليس لي معه اسم ولا ذكر. فأرضاه بأن عزله عن الأندلس وأمره بالوصول إلى حضرته، فرحل عن الأندلس في أواسط سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة³؛ ووصل مراکش، وصار من جملة⁴ من يتصرف بأمر أخيه أخيه سير ويقف ببابه كأحد حجابيه، فقضى الله وفاة الأمير سير على الصورة القبيحة؛ حسبما يذكر في اسمه،

¹ وفي (ر.م): ((بارقة)).

² ((أهل)) سقطت في البيان المغرب.

³ الموافق لـ 1136م.

⁴ في ك والملكية: ((الجملة)).

وثكله أبوه واشتد جزعه عليه، وكان عظيم الإيثار والإرضاء لأمه قمر، وهي التي تسببت في عزل تاشفين، وإخماله؛ نظراً إلى ابنها، ففقط لمقدار بها عن أملها بهلاكه. ولما توفي الأمير¹ سير، أشارت الأم المذكورة على أبيه بتقديم ولده إسحاق؛ وكان رؤوماً لها؛ قد تولت تربيته عند هلاك أمه وتبنته؛ فقال لها، هو صغير السن لم يبلغ الحلم، ولكن حتى² أجمع الناس في المسجد خاصة وعامة، وأخبرهم فإن صرفوا الخيار إليّ فعلت ما أشرت به. فجمع الناس وعرض عليهم الأمر؛ فقالوا كلهم في صوت واحد: تاشفين؛ فلم توسعه السياسة مخالفتهم؛ فعقد له الولاية بعده، ونقش اسمه في الدنانير والدراهم مع اسمه، وقلده النظر في الأمور السلطانية؛ فاستقر بذلك. وكتب إلى العدو والأندلس وبلاد المغرب بيعته³، فوصلت البيعات من كل جهة. ثم رمى به جيوش

¹ وردت في الملكية، و (ر.م)؛ بينما سقطت في المخطوطين.

² سقطت في المخطوطين والملكية؛ ووردت في (ر.م).

³ في المخطوطين والملكية: ((في بيعته)).

الموحدين الخارجين عليه، فنبأ جده ومرضت أيامه، وكان الأمر عليه؛ لا له بخلاف ما صنع الله له بالأندلس.
قال أبو مروان الوراق: [1] وكان¹ أمير المسلمين²، علي بن يوسف بن تاشفين قد أمّل في ابنه تاشفين ما لم تكن الأقدار تساعد به؛ فتشاءم به وعزم على خلعه، وصرف عهده³، إلى إسحاق⁴ ولده الأصغر؛ ووجه إلى عامله على إشبيلية أغمار⁵، أن يصل إليه ليجعله شيخ ابنه، إلى أن وافاه خبر أمّضه وأقلقه ولم يمهل، فأزعج تاشفين إلى عدوه على غير أهبة بتفويضه إياه، وصرف المدد في إثره، وتوفي لسبع خلون من رجب؛ سنة سبع وثلاثين⁶؛ لفعله ذلك⁷.

¹ في البيان المغرب: ((وكان)).

² في المخطوطين والملكية: ((الأمير)).

³ في المخطوطين والملكية: وصرفه وعده).

⁴ كلمة (إسحاق) سقطت في البيان المغرب.

⁵ في البيان المغرب: ((عمر)).

⁶ سنة 537هـ/1142م.

⁷ في الملكية وفي ك: ((تفعله ذلك)). بينما أغفلت في (ر. م).

ملكه ووصف حاله

فأفضى إليه ملك أبيه، بتفويضه إياه في حياته،
لسبع خلون من رجب؛ سنة سبع وثلاثين وخمسمائة¹،
وكان بطلاً شجاعاً حسن الركبة والهيئة. سالكاً ناموس
الشريعة، مائلاً إلى طريقة المستقيمين، وكتب المريدين،
قليل إنه لم يشرب قط مسكراً ولا استمع إلى قينة²، ولا
اشتغل بلذة³ مما يلهو به الملوك.

الثناء عليه

قال ابن الصيرفي: وكان بطلاً شجاعاً، أحبه الناس،
خواصهم وعوامهم، وحسنت سياسته فيهم، وسد
الثغور، [أذكى على العدو العيون]⁴، وآثر الجند، ولم
يكن منه إلا الجد، ولم تنل عنده الحظوة⁵ إلا بالعناء
والنجدة. وبذلك حمل على الخيل، وقلد الأسلحة،

¹ الموافق لـ 1142م.

² حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((غنية. عينة)).

³ في ج: ((بمرة)).

⁴ في الحلل الموشية: ((وأذكى العيون على العدو)).

⁵ في المخطوطين: ((حظوة))، وفي الحلل الموشية: ((الخطوة)).

وأوسع الأرزاق، واستكثر من الرماة¹، وأركبهم، وأقام
همّتهم² [للاعتناء بالثغور ومباشرة الحرب، ففتح الحصون
وهزم الجيوش وهابه العدو]³، ولم ينهض إلا ظاهراً⁴ ولا
صدر إلا ظافراً⁵، وملك الملك ومهد بالحزم وتملك⁶ نفوس
نفوس الرعية بالعدل⁷. وقلوب الجند بالنصفة. ثم قال:
ولولا الاختصار الذي اشترطناه لأوردنا من سنى⁸ خلاله
ما يضيق عنه الرحب، ولا يسعه الكتب.

دينه

قال المؤرخ: عكف على زيارة قبر أبي وهب الزاهد
بقرطبة، وصاحب أهل الإرادة، وكان وطيء الأكناف⁹،
سهل الحجاب. يجالس الأعيان ويذاكرهم. قال ابن
الصيرفي، ولما قدم غرناطة أقبل على صيام النهار، وقيام

¹ في الحلل الموشية: ((الرمات)).

² في الحلل الموشية: ((همهم)).

³ ما جاء بين حاصرتين؛ وارد في (ر. م) فقط.

⁴ في الملكية، (ر. م): ((ظهر)).

⁵ نفسه، وفي (ر. م): ((ظفر)).

⁶ في الحلل الموشية: ((وملك)).

⁷ نفسه: ((بالمعدلة)).

⁸ في ك: ((من سنن خلاله)).

⁹ يقصد بالأكناف: النواحي.

الليل، وتلاوة القرآن، وإخفاء الصدقة، [وإنشاء العدل]¹،
العدل]¹، وإيثار الحق.

دعابته

قالوا: مرَّ يوماً بمرج القرون، من أحواز قلعة
يحصب²؛ فقال لزمال من عبيده كان يمازحه هذا مرجك،
مرجك، فقال الزمال ما هو إلا مرجك ومرج أبيك، وأما
أنا فمن أنا؟ فضحك وأعرض عنه.

دخوله غرناطة

قالوا: وفي عام ثلاثة وعشرين وخمسمائة³، ولي
الأمير أبو محمد تاشفين بن أمير المسلمين علي بن أمير
المسلمين يوسف، ووافاه في السابع عشر⁴ لذي حجة،
فقوى الحصون وسد الثغور وأذكى العيون⁵، وعمد إلى
رحبة القصر، فأقام بها السقائف والبيوت، واتخذها خزن

¹ ما بين الحاصرتين؛ وارد فقط في: (ر.م).

² حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((يحصب)). وقلعة يحصب سبقت الإشارة إليها.

³ الموافق لـ 1128م.

⁴ في البيان المغرب: ((في السابع والعشرين)).

⁵ نفسه: ((العيون على العدو)).

السلاح ومقاعد الرجال، وضرب السهام¹، وأنشأ السقي،
وعمل التراس، ونسج الدروع، وصقل البيضات
والسيوف، وارتبط الخيل، وأقام المساجد في الثغور،
وبنى لنفسه مسجداً بالقصر، وواصل الجلوس للنظر في
الظلمات²، وقراءة الرقاع، ورد الجواب، وكتب
التوقيعات، وأكرم الفقهاء والطلبة، وكان له يوم في كل
جمعة، يتفرغ فيه للمناظرة.

وزراؤه

قال أبو بكر: وقرن الله به ممن ورد معه، الزبير بن
عمر اللمتوني، ندره³ الزمان كرمًا وبسالة، وحزمًا
وأصالة. فكان كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم: (من ولي شيئاً من أمور المسلمين فأراد
الله به خيراً، جعل الله له بطانة خيراً، وجعل له وزيراً
صالحاً، إن نسي شيئاً ذكره، وإن ذكره أعانه).

¹ في المخطوطين: ((الهام)).

² نفسه: ((الظلمات))؛ وصوبت من (ر.م).

³ في ج: ((نورة)).

عماله

الوزير أبو محمد الحسين بن زيد بن أيوب بن حامد
ابن منحل¹ [بن يزيد]².

كتابه

الرئيس العالم أبو عبد الله بن أبي الخصال،
والكاتب المؤرخ أبو بكر الصيرفي، وغيرهم³.

من أخبار [جهاده]⁴

خرج الأمير تاشفين في رمضان؛ عام أربعة
وعشرين وخمسمائة⁵ بجيش غرناطة ومطوعتها، واتصل
به جيش قرطبة إلى حصن السكة من عمل طليطلة، وقد
اتخذ العدو ركاباً لإضراره بالمسلمين، وشحنه وجم به
شوكة حادة بقومس⁶ مشهور، فأحرق به، ونشر الحرب

¹ في ك: ((محمد)).

² ما بين، حاصرتين موجود فقط في: (ر. م.).

³ هذه الكلمة واردة فقط في: (ر. م.). وجعلها د. طويل: ((غيرهما))؛ وهو أصح.

⁴ ما بين حاصرتين واردة فقط في (ر. م.). وفي المخطوطين والملكية:
((ومن أخباره)).

⁵ الموافق لـ 1129م.

⁶ القومس هنا من ألقاب الشرف؛ وهو باللاتينية: Comes؛ ا، الكونت.

عليه، فافتتحه عنوة وقتل من كان به، وأحيا¹ قائده
فرند²؛ ومن معه من الفرسان، وصدر إلى غرناطة، فبرز
له الناس بروزاً لم يعهد مثله.

وفي شهر صفر؛ من عام خمسة وعشرين³ أوقع
بالعدو المضيق على أوليته. وفي ربيع الأول؛ من عام ستة
وعشرين⁴، تعرف خروج عدو طليطلة إلى قرطبة؛ فبادر
الأمير تاشفين إلى قرطبة، ثم نهّد⁵ إلى العدو في خَفٍّ،
وترك السيقّة والثقل بأرجونة. وقد اكتسح [العدو]⁶ بشت
بشت إشطين⁷ والوادي الأحمر. وأسرى الليل، وواصل
الركض، وتلاحق بالعدو بقرية براشة. فترأى الجمعان
صبحاً، وافتضح الجيش، ونشرت الرماح والرايات،
وهدرت الطبول، وضافت المسافة، وانتبذ العدو عن

¹ في (ر.م): ((واستحي)).

² في الملكية: ((فرنك)). وفرناندو Fernando.

³ الموافق لـ 1130م.

⁴ الموافق لـ 1131م.

⁵ أي وبرز إليه.

⁶ وردت هذه الكلمة في (ر.م) فقط.

⁷ هكذا في (ر.م) وهو الصواب لهذا الاسم. وفي المخطوطتين: ((بشط
أشطن)) وهو تحريف. وشت إشطين، أو (شت إشطين) هو حصن
حصين يقع في أعمال جيان؛ يسمى بالإسبانية San Esteban.

الغنيمة، والتف الجمع، فتقصرت الرماح، ووقعت
المسابقة، ودارت الحرب على العدو، وأخذ السيف
مأخذه، فأتى القتل على آخرهم، وصدر إلى غرناطة
ظافراً¹.

وفي آخر هذا العام خرج العدو للنمط وقد احتفل
في جيشه إلى بلاد الإسلام، فصبح إشبيلية يوم النصف
من رجب، وبرز إليه الأمير أبو حفص عمر بن علي بن
الحاج²، فكانت به الدبرة³ في نفر من المسلمين استشهد
جميعهم، ونزل العدو على فرسخين من المدينة فجعلها⁴
نهباً وغارة، فقتل عظيماً، وسبى عظيماً، وبلغ الخبر
الأمير تاشفين، فطوى المراحل، ودخل إشبيلية، وقد
أسرها، واستوصلت باديتها، وكثر بها التأديب والتنكيل⁵
فأخذ أعقاب العدو، وقد قصد ناحية بطليوس وباجة

¹ في المخطوطين: ((ظاهرأ)).

² في الملكية: ((أبو جعفر محمد بن الحاج)).

³ أي الهزيمة.

⁴ في ج: ((فحللها)).

⁵ في المخطوطين: ((التأكّل)).

ويابرة¹؛ في ألف² عديدة من أنجاد الرجال، ومشهور الأبطال، [فراش جَوْلاً عَهْداً بِالرَّوْعِ³؛ فظفر بما لا يحصيه أحد، ولا يقع عليه عدد، وانشئ على رسل انتقل⁴ السيقة، وثقته ببعد الصارخ⁵، وتجشمت بالأمير تاشفين الأدلاء كل ذروة وثنية، وأفضى به الإعداد⁶ إلى فلاة بقرب الزلاقة، وهو المهيع الذي يضطر العدو إليه، ولم يكن إلا كلا ولا، حتى أقبلت الطلائع منذرةً بإقبال العدو، والغنيمة في يده قد ملأت الأرض. فلما تراءى الجمعان، واضطربت⁷ المحلات، ورتبت المراكب، فأخذت فأخذت مصافها، ولزمت الرجال مراكبها⁸، فكان القلب مع الأمير ووجوه المرابطين وأصحاب الطاعات، وعليه

¹ باجة: سبق التعريف بها. أما بطليوس **Badajoz** : فهي من القواعد الهامة في الأندلس؛ تقع في الحدود مع البرتغال؛ في الجنوب الغربي من إسبانيا. أما يابرة **Evora**: فتقع شمال باجة؛ بالبرتغال.

² في الحلل الموشية: ((ألف)).

³ في المخطوطتين والملكية: ((فراس حوالاً عهد بالروع))؛ فصوبها عنان.

⁴ في البيان المغرب: ((لثقل)).

⁵ نفسه: ((وثقتهم ببعد الصارخ منهم ...)).

⁶ نفسه: ((الإغذاء به إلى فدان بقرب)).

⁷ نفسه: ((واضطربت المحلات وترتبت المراكب...)).

⁸ في البيان: ((مراكزها فكان في قلب...)).

البنود الباسقات، مكتبة¹ بالآيات، وفي المجتين² كبار الدولة من أبطال الأندلس، عليهم حمر الرايات بالصور الهائلة³، وفي الجناحين أهل الثغر والأوشاب من أهل الجلادة، عليهم الرايات المرقعات⁴، بالعذبات المجزعات⁵. وفي المقدمة مشاهير زناتة⁶ ولفيف الحشم بالرايات المصبغات المنبقات⁷. والتقى الجمعان، ونزل الصبر، وحميت النفوس، واشتد الضرب والضراب وكثرت الحملات، فهزم الله الكافرين، وأعطوا رقابهم مديرين، فوقع القتل، واستلحم العدو السيف، واستأصله الهلاك والأسار، وكان فتحاً جليلاً لا كفاء له، وصدر الأمير تاشفين ظافراً إلى بلده⁸ في جمادى من هذا العام. ولو

¹ في الحلل الموشية: ((مكتوبة)).

² في ج: ((المجنتين)) بينما بقي في مكانها بياض في ك؛ فصول من المكية. وفي وفي البيان والحلل: ((وفي الجانبين كفاة الدولة وحماة الدعوة من أبطال...)).

³ في البيان والحلل: ((الهائلات)).

⁴ أي حرق الألوية.

⁵ في الملكية: ((بالمعذبات المشرعات)).

⁶ زناته من أكبر وأشه القبائل البترية الأمازيغة. وقد سبقت الإشارة إليها.

⁷ أي المزركشة. وفي البيان المغرب: ((بالرايات المصنفة)).

⁸ في الحلل الموشية: ((إلى قرطبة عزيزاً ظافراً؛ وكان ذلك سنة ثمان وعشرين وخمسمائة. وفي البيان المغرب: ((إلى قرطبة ثم إلى أغرناطة؛ وذلك في جمادى الأولى من سنة ثمان وعشرين...)).

ذهبنا لاستقصاء حركات الأمير تاشفين وظهوره لاستدعى
ذلك طولا كثيراً.

بعض ما مدح به

فمن ذلك¹:

أما وبيض الهند عنك خصوم
فالروم تبذل ما ظباك تروم
تمضي سيوفك في العدا ويردها²
عن نفسه حيث الكلام وخيم³

وهذه القصائد قد اشتملت على أغراضها الحماسية.
والملك سوقٌ يجلب إليها ما ينفق عندها.

¹ هذان البيتان في البيان المغرب، وهما من البحر الكامل.

² في المخطوطين: ((ويردها)).

³ في البيان المغرب: ((رحيم)).

وفاته

قد تقدم انصرافه عن الأندلس سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة¹، وقيل سنة اثنين²، واستقراره بمراكش مرؤوساً لأخيه سير، إلى أن أفضى إليه الأمر بعد أبيه. قال: واستقبل تاشفين مدافعة جيش [أمير]³ الموحدين، أبي محمد عبد المؤمن بن علي خليفة مهديهم، ومقاومة أمر قضى الله ظهوره، والدفاع عن ملك بلغ مداه، وتمت أيامه. كتب⁴ الله عليه، فالتأت سعدة، وفل جده، ولم تقم له قائمة إلى أن هزم، وتبدد عسكره، ولجأ إلى وهران، فأحاط به الجيش، وأخذ الحصار، قالوا فكان من تديره أن يلحق ببعض السواحل، وقد تقدم به وصول ابن ميمون قائد أسطوله، ليرفعه إلى الأندلس، فخرج ليلاً في نفر من خاصته فرقهم الليل، وأضلهم الروع، وبددتهم الأوعار، فمنهم من قتل، ومنهم من لحق

¹ الموافق لـ 1136م.

² صوبها د طویل؛ فجعلها: ((اثنين)).

³ هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين.

⁴ في ج: ((كتاب)).

بالقطائع البحرية، وتردى بتاشفين فرسه من بعض
الحافات، ووجد ميتاً في الغد، وذلك ليلة سبع¹ وعشرين
لرمضان؛ سنة تسع وثلاثين وخمسمائة²، وصلبه
الموحدون، واستولوا على الأمر من بعده، والبقاء لله
تعالى³.

¹ في ت: ((تسع)) وهو تحريف.

² الموافق لـ 1144م.

³ راجع عنان هذه الترجمة بالكامل من مخطوط رواق المغاربة بالأزهر.

ثابت بن محمد

(الرجاني¹؛ ثم (الإستر)باؤي²؛ يكنى أبا (الفتوح

حاله

قال ابن بسام³: كان الغالب على أدواته علم اللسان، وحفظ الغريب، والشعر الجاهلي والإسلامي، إلى المشاركة في أنواع التعاليم، والتصرف في حمل السلاح، والحذق بأنواع⁴ الجندية، والنفاز في أنواع⁵ الفروسية، فكان الكامل في خلال جملة. قال أبو مروان: ولم يدخل الأندلس أكمل من أبي الفتوح في علمه وأدبه. قال ابن زيدون لقيته بغرناطة: فأخذت عنه أخبار المشاركة، وحكايات كثيرة، وكان غزير الأدب، قوي الحفظ في اللغة، نازغا إلى علم الأوائل من المنطق والنجوم والحكمة، له بذلك قوة ظاهرة.

¹ وتوجد أيضاً ترجمة ثابت بن محمد الجرجاني في بغية الوعاة، وجذوة المقتبس، والذخيرة، وبغية الملتبس، والصلة، ومعجم الأدباء.

² في النسخ الثلاث: ((الإستريادي))؛ وهو تحريف، وصوابه الإستريادي نسبة إلى استراباد الفارسية؛ من أعمال طبرستان.

³ في كتاب الذخيرة.

⁴ في الذخيرة: ((باللات)).

⁵ نفسه: ((معاني)).

طروؤه على الأندلس

قال صاحب الذخيرة: طراً على الحاجب¹ منذ صدر
الفتنة للذائع من كرمه فأكرمه² ورفع شأنه، وأصحابه
ابنه³، المرشح لمكانه⁴، فلم يزل له بهما المكان المكين، إلى
أن تغير عليه يحيى؛ لتغير الزمان، وتقلب الليالي والأيام
بالإنسان⁵، ولحق⁶ بغرناطة بعسكر البرابرة، فحلت به من
من أميرهم باديس الفاقرة⁷.

من روى عنه

قال أبو الوليد: قرأت عليه بالحضرة⁸، الحماسة في
اختيار أشعار العرب، يحملها عن أحمد بن عبد السلام
ابن الحسين البصري، ولقيه ببغداد سنة ثمان وسبعين

¹ في الذخيرة: ((الجانب))، في الحقيقة لم يكن علي بن حمود حاجباً عندما
طراً عليه الجرجاني؛ بل كان خليفة في قرطبة.
² في الذخيرة: ((فأكرم نزله ورفع من شأنه)).
³ هو ابنه يحيى بن علي بن حمود
⁴ في الذخيرة: ((المرشح - كان - لسلطانه)).
⁵ في ك: ((بالأسن)).
⁶ في الذخيرة: ((ففارقه ولحق في غرناطة...)).
⁷ الفاقرة: هي الداهية.
⁸ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بحضرتي - بحضرة)). والحضرة هنا
هي العاصمة غرناطة.

وثلاثمائة¹، عن أبي رياش أحمد بن أبي هشام بن شبل العبسي بالبصرة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة²، وله في الفضائل أخبار كثيرة.

محتته ووفاته

لحقه عند باديس مع عمه يدير بن حباسه تهمة في التديير عليه، والتسور على سلطانه، دعتهما إلى الفرار عن غرناطة، واللاحق بإشبيلية. قال أبو يحيى الوراق: واشتد شوق أبي الفتوح إلى أهله عند هربه مع يدير إلى إشبيلية لما بلغه أن باديس قبض على زوجته وبنيه وحبسهم بالمنكب عند العبد قداح صاحب عذابه، وكان لها من نفسه موقعٌ عظيم³، وكانت أندلسية جميلة جداً لها طفلان ذكرٌ وأنثى، لم يطق عنهما صبراً وعمل على الرجوع إلى باديس طمعاً في أن يصفح عنه، كما عمل مع عمه أبي ريش، فاستأمن إلى باديس يوم نزوله على باب إستجه إثر انهزام عسكر ابن عباد، وفارق صاحبه

¹ الموافق لـ 988م.

² الموافق لـ 959م.

³ في المخطوطين: ((عظيمة))، وصوبت من الملكية.

يدير، ورمى هو¹ بنفسه إلى باديس من غير توثق بأمان أو مراسلة. فلما أدخل² عليه وسلم، قال له ابتدي، بأي وجه جئتني يا نمام³ ما أجراك على خلقك، وأشد اغترارك⁴ بسحرك، فرقت بين بني ماكسن، ثم جئت تخدعني كأنك لم تصنع شيئاً، فلاطفه، وقال اتق الله يا سيدي، وارع ذمامي، وارحم غربتي وسوء مقامي، ولا تلزمني ذنب ابن عمك، فما لي سبب فيه، وما حملني على الفرار معه إلا الخوف على نفسي لسابق خلطته، ولقد لفظتني البلاد إليك مقراً بما لم أجنه رغبة في صفحك، فافعل أفعال الملوك الذين يجلون عن الحق على مثلي من الصعاليك، قال بل أفعل ما تستحقه إن شاء الله، أن تنطلق إلى غرناطة، فدم على⁵ حالك، والحق أهلك إلى [أن]⁶ أقبل، فأصلح من شأنك. فاطمأن إلى قوله، وخرج إلى غرناطة وقد وكل به فارسان، وقد

¹ أثبتت في ج، وأغفلت في ك.

² في ج: ((دخل)).

³ في المخطوطين: ((إنمام)).

⁴ نفسه: ((اعتراك))؛ وهو تحريف.

⁵ سقطت في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

⁶ كلمة ((أن)) أضافها عنان.

كتب إلى قداح بحبسه، فلما شارف إلى غرناطة قبض عليه، وحلق رأسه، وأركب على بعير، وجعل خلفه أسود فظاً ضخماً يوالي صفعه، فأدخل البلد مشهراً، ثم أودع حبساً ضيقاً، ومعه رجل من أصحاب يدير أسراً في الوقعة من صنهاجة، فأقاما في الحبس معاً إلى أن قفل باديس.

مقتله

قال أبو مروان في الكتاب المسمى بالمتين¹: واستراح [باديس]² أياماً في غرناطة؛ يهيم³ بذكر الجرجاني، ويعض أنامله، فيعارضه فيه أخوه بلكين، ويكذب الظنون وسعى في تخليصه، فارتبك باديس في أمره أياماً، ثم غافض⁴ أخاه بلكين⁵ فقتله وقتاً أمن فيه

¹ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بالتين)). وكتاب المتين؛ مثل كتاب المقتبس؛ من أشهر مؤلفات أبي مروان ابن حيان. لم يصل إلينا من المتين شيء يذكر.

² وردت في ت؛ بينما سقطت في المخطوطين.

³ في ج: ((يهم)).

⁴ في ك: و((عافضة)). وعافضة أخاه؛ تعني: فاجأه، وأخذته على غرة.

⁵ أي فاجأه.

أمر معارضته، لاشتغاله بشرابٍ وآلة¹، وكانت من عاداته، فأحضر باديس الجرجاني إلى مجلسه، وأقبل يشتمه ويسبه ويبكته، ويطلق الشماتة ويقول، لم تغن عنك نجومك يا كذاب، ألم يعد أميرك الجاهل، يعني يدير، أنه سوف يظفر بي ويملك بلدي ثلاثين سنة، لم لم تدقق² النظر لنفسك وتحذر ورطتك، قد أباح الله لي دمك. فأيقن³ أبو الفتوح بالموت، وأطرق ينظر إلى الأرض، لا يكلمه ولا ينظر إليه، فزاد ذلك في غيظ باديس، فوثب من مجلسه والسيف في يده، فخبط به الجرجاني حتى جدله، وأمر بحز رأسه.

قال: وقدم الصنهاجي الذي كان محبوساً معه إلى السيف؛ فاشتد جزعه، وجعل يعتذر من خطيئته، ويلح في ضراوته⁴، فقال له باديس أما تستحي يا ابن الفاعلة، يصبر المعلم الضعيف القلب على الموت مثل هذا الصبر، ويملك نفسه عن كلامه لي واستعطافي، وأنت تجزع مثل

¹ في ك: ((والآلة))، وفي ج: ((ولاه)).

² حرفت في ج؛ فكتبت: ((تدقن))، وفي ك، والملكية: ((تقن)).

³ حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فايق)).

⁴ في المخطوطين: ((غراصته)).

هذا الجزع، وطال ما أعددت نفسك في أشداء الرجال،
لا أقال الله مقيلك، فضرب عنقه، وانقضى المجلس.
ومن تمام الحكاية مما جلبه ابن حيان. قال: وكلم
الصنهاجيون باديس في جثة صنهاجهم¹ المقتول مع أبي
الفتوح، فأمرني بإسلامها إليهم، فخرجوا بها من فورهم
إلى المقبرة على نعش، فأصابوا قبرا قد احتفر لميت من
أهل البلد، فصبوا صاحبهم الصنهاجي فيهن ووراوه من
غير غسل ولا كفن ولا صلاة، فعجب الناس من
تسحيهم² في الاغتصاب حتى الموتى في قبورهم.

¹ في ك: ((صنهاهم)).

² في ك، والملكية: تسحيهم)).

مولده

سنة خمسين وثلاثمائة¹.

وفاته

كما ذكر ليلة السبت لاثنتين بقيتا من محرم؛ سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة². قال برهون: من خدام باديس: أمرني بموارة أبي الفتوح؛ إلى جانب قبر³ أحمد ابن عباس وزير زهير العامري؛ فقبراهما في تلك البقعة، متجاوران. وقال اجعل قبر عدو إلى جانب عدو؛ إلى يوم القصاص، فيا لهما قبران أجما⁴ أدبا؛ لا كفاء له، والبقاء لله سبحانه.

¹ الموافق لـ 961م، يبدو أنه وقع تحريف في هذا التاريخ؛ لأن ابن الخطيب ذكر - من قبل - أنه أخذ عن أبي رياش أحمد بن أبي هشام بن شبل العيسي - بالبصرة - سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة؛ الذي يوافق لـ 959م، فكيف يتفق هذا؟

² الموافق لـ 1039م.

³ هذه الكلمة سقطت في ك.

⁴ في ج: ((أحما))، وفي ك: ((أحبا)).

جعفر بن أحمـر

(بن علي (الحنـزلي؛ من أهل غرناطة؛ ويعسوب¹ (الثاغية والراغية²
من أهل ربض البيازين³؛ يكنى أبا أحمـر

الشهير ذكره بشرق الأندلس، المعروف بكرامة
الناس، المقصود الحفرة، المحترم التربة حتى من العدو،
والرائق بغير هذه الملة. خرج قومه من وطنهم عند تغلب
العدو على الشرق، فنزلوا ربض البيازين جوفي⁴ المدينة،
وارتاشوا، وتلثموا⁵، وبنوا المسجد العتيق، وأقاموا رسم
الإرادة، يرون أنهم تمسكوا من طريق الشيخ أبي أحمد
بآثاره، فلا يغبون بيته، ولا يقطعون اجتماعاً، على
حالمهم المعروفة من تلاوة حسنة، وإيثار ركعات، ثم
ذكر، ثم ترجيع أبيات في طريق التصوف، مما ينسب

¹ اليعسوب: أمير النحل؛ والرئيس الكبير..

² يقولون: ((ليس له ثاغية ولا راغية))؛ أي لا يملك شاة ولا ناقة؛ لأن كلمة (ثاغية) تطلق على صوت الشاة، أما كلمة (راغية) فتطلق على صوت البعير. والمقصود في هذا النص أنجعفر هذا؛ هو رئيس الجمع في حي البيازين، وكبير كل من رُفِع له صوت من المشايخين فيه.

³ ربض البيازين. وسبق التعريف بهذا الربض.

⁴ الجوف لدى أهل المغرب والأندلس هو الشمال، والقبّة: هي الجنوب.

⁵ أي أنهم اختاروا وضع اللثام على وجوههم؛ واتبعوا طريقة أهل اللثام من المرابطين.

للحسين بن منصور الحلاج¹ وأمثاله، يعرفونها منهم
 مشيخة، قوالون هم [فحول² الأجمة وضرائك³ تلك
 القطيعة، يهيجون بلابلهم، فلا ينشبون أن يحمي
 وطيسهم، ويخلط مريعهم بالهمل⁴، فيرقصون رقصا غير
 مساوق للإيقاع الموزون، دون العجال⁵ الغالبة منهم،
 بإفراد كلمات من بعض القول، ويكر بعضهم على
 بعض، وقد خلعوا خشن ثيابهم، ومرقوعات قباطيمهم
 ودرانيكهم⁶، فيدوم حالهم حتى يتصببوا عرقاً، وقوالهم
 يحركون فتورهم، ويزمرون روحهم، يخرجون بهم من

¹ الحلاج هو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج؛ أصله من بياض فارس؛ ولكنه نشأ في واسط بالعراق. تاريخ ولادته مجهول؛ أما وفاته فقد حدثت في سنة 309هـ/922م؛ إذ قتل في بغداد بطريقة بشعة؛ بقيت مثلاً في التاريخ. اتبع طريق التصوف؛ ولكنه غالى في آرائه وما يدعيه. اتهم بالاعتقاد في مذهب الحلول؛ ولذلك أمر الخليفة المقتدر العباسي بالقبض عليه؛ فأودع السجن وعذب عذاباً شنيعاً؛ ولكنه لم يظهر أي تأثير أو تألم؛ ولم يستجر أو يتأوه؛ فصاعف جلادوه أساليب العذاب؛ حتى أنهم قطعوا أطرافه الأربعة؛ ثم حزوا رأسه، وأحرقوا جثته حتى غدت رماداً، ورميت في نهر دجلة.

² في المخطوطين والملكية: ((فحل))؛ فصولها عنان.

³ في المخطوطين: ((صرايك))؛ والضرائك مفردتها ضريك؛ وهو: النسر الذكر.

⁴ مريعهم: تعني أكابرههم. أما الهمل: فهم الأصاغر والرعاع.

⁵ في ج: ((الجمال)).

⁶ القباطي مفردتها قبطية؛ وهي لباس علوي رقيق يوضع على الكتف، وكذلك الدرانيك؛ فمفردتها: درنوق، ودرنيك؛ وهي لباس خشن يشيع الطنافس يستتر الجزء العلوي من جسم الإنسان.

قول إلى آخر، ويصلون الشيء بمثله، وربما أخذت نوبة رقصهم بطرفي الليل التمام، ولا تزال المشيعة لهم يدعونهم، ويحاجونهم¹ إلى منازلهم. وربما استدعاهم السلطان إلى قصره محمضاً في لطايف نعيمه باخشيشانهم، مبدياً التبرك بألويتهم²، ولهم في الشيخ أبي أحمد والد نخلتهم، وشحنة قلوبهم، عصبية له وتقليد بإيثاره، أنفجت³ لعقده أيمانهم، وشرطاً في صحة دينهم، وارتكبوا في النفور عن سماع المزمар القصبي المسمى بالشبابة الذي أرخص في حضور الولائم، مع نفخ برّعه العدد⁴ الكثير من الجلة الصلحاء القدوة مرتكباً، حتى ألحقوه بالكبائر المربقة، وتعدوا اجتنابه جبلة وكراهة طباعية، فتزوى عند ذكره الوجوه، وتقتحم عند الاتهام به الدور، وتسقط فيما بينهم بفلته سماعه أخوة الطريق، وهم أهل سذاجة وسلامة، أولو اقتصاد في ملبس وطعمة

¹ في ك: ((ويحاجون بهم)).

² حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بالوميهم - بالوليهم))؛ بينما سقطت في الملكية.

³ أي أثارت وأخرجت.

⁴ في ج: ((العود)).

واقتيات بأدنى بلغة، ولهم في التعصب نزعة خارجية¹،
وأعظمهم ما بين مكتسب² متسبب، وبين معالج مدرة،
ومريع حياكة، وبين أظهرهم من الذعرة³ والصعاليك
كثير، والطرق إلى الله عدد أنفاس الخلايق جعلنا الله ممن
قبل سعيه، وارتضى ما عنده، ويسره ليسرى.

حاله

قام هذا الرجل مقام الشيخ أبي تمام قريه على هيئة
مهلكه، فسد مسده، على حال فتور وغرارة⁴ حتى لان
متن الخطه، وخف عليه بالمران ثقل الوظيفة، فأم
وخطب، وقاد الجماعة من أهل الإرادة. وقضى في الأمور
الشرعية بالربض، تحت ضين⁵ قاضي الجماعة وهو الآن
بعده على حاله، حسن السجية، دمث الأخلاق، لين
العريكة، سهل الجانب، مقترن الصدق والعفة، ظاهر
الجدة، محمود الطريقة، تطأه أقدام الكلف، وتطرح به

¹ أي نزعة تنسب إلى مذهب الخوارج.

² حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((مكسب)).

³ في ج: ((الزرعة)).

⁴ في المخطوطين والملكية: ((وعرارة))؛ فصوبها عنان.

⁵ أي تحت كنف ورعاية...

المطارح القاصية، حوا على الشفاعات، مستور الكفاية في
لفق الضعف، متوالي شعلة الإدراك في حجر الغفلة،
وجه من وجوه الحضرة في الجمهورية، مرعي الجانب،
مخفف الوظائف، مقصوداً من مُتنامي¹ أهل طريقه
بالهدايا، مستدعي إلى من بالجهات منهم في كثير من
الفصول، ظاهر الجدوى في نفير الجهاد، رحمه الله،
ونفع بأهل الخير.

مولده

عام تسعة وسبعمائة².

وفاته

[يوم الإثنين التاسع والعشرين لرمضان خمسة
وستين وسبعمائة³].

¹ في: ((منتافي))؛ والمقصود هم أنصار الطريقة.

² الموافق لـ 1309م.

³ الموافق لـ 1363م. ما بين الحاصرتين سقط في ك، والملكية؛ بينما وردت
- في ج - الوفاة قبل المولد

جعفر بن عابر الله

(ابن محمربن سيربونة الخزاعي¹؛ من أهل شرق الأندلس؛
من نظر² وانية؛ يكنى أبا أسمر؛ الولي الشهير.

حاله

كان أحد الأعلام المنقطعي³ القرين في [طريق⁴]
كتاب الله، وأولي الهداية الحقّة، فذ، شهير، شائع
الخلّة، كثير الأتباع، بعيد الصيت، توجب حقه حتى
الأمم الدائنة بغير دين الإسلام، عند التغلب على قرية⁵
مدفنه بما يقضى منه بالعجب. قال الأستاذ أبو جعفر بن
الزبير؛ عند ذكره في الصلة⁶: أحد أعلام المشاهير⁷ فضلاً
فضلاً وصلاً، قرأ ببلنسية، وكان يحفظ نصف
(المدونة)⁸ وأقرأها، ويؤثر الحديث والتفسير والفقه،
على غير ذلك من العلوم.

¹ ترجمة سيد بونة الخزاعي توجد أيضاً في التكملة، والوافي في الوفيات، ونفح الطيب.

² في ك: ((سفر)). ومعنى ((نظر)) هو أنها من تحت إشراف ونظر عامل أو والي دانية.

³ في نفح الطيب: ((المنقطعين المقرّبين)).

⁴ هذه الكلمة سقطت في ج، والملكية؛ بينما وردت في ك.

⁵ في المخطوطين: ((قراءة))؛ فصوبها عنان.

⁶ كتاب ابن الزبير يسمى (صلة الصلة)، أما كتاب (الصلة)؛ فهو لابن بشكوال.

⁷ في ج: ((الشهيرة)).

⁸ أي كتاب المدونة، وقد سبق التعريف به.

مشيخته¹

أخذ القراءات السبع عن المقرئ أبي الحسن ابن هذيل، وأبي الحسن بن النعمة، ورحل إلى المشرق، فلقي في رحلته جلة، أشهرهم وأكبرهم في باب الزهد وأنواع سنى الأحوال، ورفيع المقامات، الشيخ الجليل، الولي لله² تعالى، العارف³، أبو مدين شعيب شعيب ابن الحسين⁴ المقيم ببجاية، صحبه وانتفع به، ورجع من عنده بعجايب دينية، ورفيع أحوال إيمانية، وغلبت عليه العبادة، فشهري بها حتى رحل إليه الناس

¹ هذه الكلمة سقطت في المخطوطين؛ بينما وردت في الملكية.

² في المخطوطين: الوالي.

³ هذه الكلمة وردت في ك فقط.

⁴ هو الشيخ الولي شعيب بن الحسين الأندلسي التلمساني، ويعتبر من مشاهير الصوفية؛ إذ يعد الرجل الثاني - بعد عبد القادر الجيلاني - في تسلسل الطريقة القادرية، ولد بالأندلس سنة 520هـ/1126م؛ في حصن يتواجد في الشمال الشرقي من إشبيلية يسمى قطنيانة Cantillana؛ ثم تنقل بين بعض البلدان؛ حيث أقام بعض الوقت في فاس، وبعدها سكن في بجاية شرق الجزائر؛ أين كثر أتباعه؛ الأمر الذي أخاف السلطان الموحد؛ يعقوب المنصور؛ فطلب بإحضاره إلى المغرب الأقصى ليتبرك به، ولما وصل إلى تلمسان قال: ما لنا للسلطان، الليلة نزور الإخوان، ثم ذهب إلى المسجد الجامع، واستقبل القبلية وتشهد، وقال: ها قد جئت، ها قد جئت، وعجلت إليك رب لترضى، ثم قال: الله الحي؛ وبعدها فاضت روحه إلى بارئها؛ قبل أن يرى السلطان. وتوفي بتلمسان بعد أن ناهز سنه الثمانين؛ وذلك عام 594هـ/1297م.

للتبرك بدعائه، والتمن برؤيته ولقائه، فظهرت بركته على القليل والكثير [منهم]¹، وارتورا زلالا من ذلك العذب النмир، وحظه من العلم مع عمله الجليل موفور، وعلمه نوراً على نور². لقيت قريبه الشيخ أبا تمام³ غالب بن حسين ابن سيد بونة حين ورد غرناطة، فكان يحدث عنه بعجائب.

دخوله غرناطة

وذكر المعتنون بأخباره بالحضرة إلى طريقه، أنه دخل الحضرة وصلى في رابطة الربط من باب.....⁴ وأقام بها أياماً، فلذلك المسجد المزية عندهم إلى اليوم. وانتقل الكثير من أهله وأذياه عند تغلب العدو على الشرق على بلدهم، إلى هذه الحضرة، فسكنوا منها ريبض البيازين،

¹ ذكرت هذه الكلمة - في المخطوطين - بعد كلمة (بركته).

² إحالة إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْقَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. سورة النور؛ الآية: 35.

³ في المخطوطين: ((أبو تمام))؛ فصولها عنان.

⁴ بياض موجود هنا في النسخ الأربع.

على دين وانقباض وصلاح ، فيحجون بكنوز من أسرارهِ ،
ومبشراتهُ مضمونٌ¹ بها على الناس ، وبالْحُضرة اليوم منهم
بقية تقدم الإلماع بذكرهم.

وفاته

توفي رحمه الله بالموضع المعروف بـ **زناتة** ؛ في شوال ؛
سنة أربع وعشرين وستمائة² ، وقد نيف على الثمانين³.

¹ في المخطوطين والملكية: (((مظنون))).

² الموافق لـ 1226م.

³ في التكملة: ((وتوفي عن سن عالية تقارب المائة)).

الحسين بن عبد العزيز

(ابن محمربن أبي الأحوص القرشي الفهري؛ نشأ بغرناطة؛
يكنى أبا علي؛ ويعرف بابن الناظر¹).

حاله

كان متفنناً في جملة معارف، أخذ من كل علم
سنى بحظ وافر، [حافظاً² للحديث والتفسير، ذاكراً
للأدب واللغة والتواريخ، شديد العناية بالعلم، مكباً على
استفادته وإفادته، حسن اللقاء لطلبة العلم، حريصاً على
نفعهم، جميل المشاركة لهم.

وقال الأستاذ³: كان من بقايا أهل الضبط والإتقان
لما رواه، وآخر مقرئي القرآن، ممن يعتبر⁴ في الأسانيد
ومعرفة الطرق والروايات، متقدماً في ذلك على أهل
وقته، وهو أوفر من كان بالأندلس في ذلك، [أقرأ⁵
القرآن والعربية بغرناطة مدة، ثم انتقل إلى مالقة فأقرأ بها

¹ ترجمة الحسين بن عبد العزيز بن الناظر موجودة أيضاً في تاريخ قضاة الأندلس.

² وردت هذه الكلمة في ك، والملكية.

³ يقصد بالأستاذ أبا جعفر أحمد بن الزبير صاحب صلة الصلة.

⁴ في المخطوطين: ((يعبد))؛ وصوبها عنان.

⁵ هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين والملكية؛ وأضافها عنان.

يسيراً¹، ثم انقبض عن الإقراء، وبقي خطيباً بقصبة مالقة
نحواً من خمسة² وعشرين سنة، ثم كرّ منتقلاً إلى
غرناطة³، فولي قضاء ألمرية، ثم قضاء بسطة، ثم قضاء
مالقة.

وصيته

قال الأستاذ: إلّا أنه كان فيه خُلُقٌ⁴ أخلت به،
وحملته على إعداد ما ليس من شأنه، عفا الله عنه،
فكان ذلك مما يُزهد فيه.

مشيخته

روي عن الأستاذ المقرئ أبي محمد عبد الله بن
حسين الكواب، أخذ عنه قراءة السبع وغير ذلك، وعن
أبي علي، وأبي الحسن بن سهل بن مالك الأزدي، وأبي
عبد الله محمد بن يحيى المعروف بالحلبي، وجماعة غير

¹ جاء في كتاب تاريخ قضاة الأندلس أن ابن الناظر هذا: ((ارتحل عن
غرناطة؛ لغرض عنّ له بها؛ فلم يُقَصَّ؛ فأنف من ذلك؛ فاستقر بمالقة)).

² صوبها د طويل فجعلها: ((خمس)).

³ قال النباهي مؤلف كتاب تاريخ قضاة الأندلس: ((أنّ ابن الناظر فرّ من
مالقة إلى غرناطو؛ لتغيير كان سببه فتنة الخلاف بها)).

⁴ في ت: ((خلّة)).

هؤلاء، ورحل إلى إشبيلية فروى بها عن الشيخ الأستاذ أبي علي¹ أكثر كتاب سيويه تفقهاً، وغير ذلك. وأخذ عن جماعة كثيرة من أهلها، وقدم عليها إذ ذاك القاضي أبو القاسم بن بقي فلقية بها وأخذ عنه، ورحل إلى بلنسية، فأخذ بها عن الحاج [أبي الحسن]² بن خيرة، وأبي الربيع بن سالم، وسمع عليه جملةً صالحة: كأبي عامر بن يزيد بن أبي العطاء بن يزيد، وغيرهم؛ وبجزيرة شقر عن أبي بكر بن وضاح، وبمرسية عن جماعة من أهلها، وبأوريولة عن أبي الحسن بن بقي، وبمالقة عن آخرين، وتحصل له جماعة نفوا على الستين.

تصانيفه

منها: ((المسلسلات))، و((الأربعون حديثاً))، و((الترشيد في صناعة التجويد))، و((برنامج رواياته))؛ وهو نبيل.

¹ سماه صاحب كتاب تاريخ قضاة الأندلس أبا علي الشلوبيني.

² ما بين حاصرتين هنا سقط في ك.

شعره

كان يقرض شعراً لا يُرضى لمثله ؛ ممن برّز تبريزه في
المعارف.

مولده

يوم الخميس لإثني [عشر¹] ليلة بقيت من شوال ؛
سنة خمسين وستمائة².

وفاته

توفي بغرناطة ؛ لأربع عشر³ ليلة خلت من جمادى
الآخرة⁴؛ سنة [تسع وتسعين⁵] وستمائة⁶.

¹ هذه الكلمة سقطت في النسخ الثلاث؛ ووضعها عنان؛ ولكن د طويل
صححها فجعلها: ((عشرة))، وهو الأصح.

² الموافق لـ 1252م.

³ صوبها د طويل فجعلها: ((عشرة)).

⁴ في كتاب تاريخ قضاة الأندلس: ((جمادى الأولى)).

⁵ في المخطوطين: ثمانين))؛ وصوبت من كتاب تاريخ قضاة الأندلس.

⁶ الموافق لـ 1296م.

فهرس الموضوعات والتراجم

(القسم الأول)

3	– تقديم: بقلم بوزياتي الدراجي:.....
9	– محتوى هذا العمل:.....
12	– ابن الخطيب:.....
38	– مكانة ابن الخطيب العلمية والأدبية:.....
46	– مؤلفات ابن الخطيب:.....
91	– منهج العمل:.....
109	– حول بعض الاختصارات ورسم الكلمات:.....
112	– نهج الإحاطة في مجمله:.....
123	– كتاب الإحاطة أمام ناقيده:.....
139	– مقدمة ابن الخطيب لكتاب الإحاطة:.....
	– القسم الأول: في حُلي المعاهد الأماكن
168	والمنازل والمساكن:.....
	– فصل في اسم هذه المدينة وَوَضْعُهَا
169	على إجمال واختصار:.....
	– فصل في فتح هذه المدينة ونزول العرب الشاميين من
	جند الشام بها، وما كانت علي أحوالهم، وما تعلق
185	بذلك من لتاريخ:.....
	– ذكر ما آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكورة
198	من النصارى المعاهدين على الإيجاز والاختصار:.....

- ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم التي نزلتها
- 212العرب بخارج غرناطة وما يتصل بها من العمالة:.....
- فصل فيما اشتمل عليه خارج المدينة
- 213من القرى والجنات والجهات:.....
- 221فصل في وصف مدينة غرناطة ومحيطها:.....
- فصل آخر في وصف غرناطة، وذكر
- 231القرى التابعة لها:.....
- فصل في سير أهل قطر غرناطة
- 242وأخلاقهم وأحوالهم:.....
- 245أنسابهم:.....
- فصل فيمن تداول هذه المدينة من لدن
- 266أصبحت دار إمارة باختصار واقتصار:.....
- القسم الثاني من حلي الزائر والقاطن
- 276والمتحرك والساكن:.....
- أحمد بن خلف بن عبد الملك الغساني
- 277القلبي يُكنى أبا جعفر:.....
- 284أحمد بن محمد بن يزيد الهمداني اللخمي:.....
- أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن
- 285غريب بن يزيد بن الشمر بن عبد شمس:.....
- أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي
- 293يُكنى أبا جعفر، ويُعرف بابن فرُّكون:.....
- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن
- يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد
- 301ابن جُزَي الكلبى؛ يعرف بابن جُزَي:.....

- 313 - أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي
ابن محمد بن سعدة؛ يكنى أبا جعفر:.....
- 320 - أحمد بن محمد بن أحمد بن قُعب الأزدي؛
يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن قُعب:.....
- 325 - أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقي:.....
- 327 - أحمد بن أبي سهل بن سعيد بن
أبي سهل الخزرجي؛ يكنى أبا جعفر:.....
- 328 - أحمد بن عمر بن يوسف بن وَرد التميمي؛
يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن وَرد:.....
- 332 - أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن علي الأموي؛
يكنى أبا جعفر؛ ويعرف بابن بَرْطَال:.....
- 336 - أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي؛
يكنى أبا مطرف:.....
- 350 - أحمد بن عبد الحق بن محمد الجذلي؛ يكنى
أبا جعفر، ويعرف بابن عبد الحق:.....
- 355 - أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر
الأنصاري الخزرجي؛ يكنى أبا العباس:.....
- 364 - أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن؛
يعرف بابن القَبَّاب؛ يكنى أبا العباس:.....
- 367 - أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير النَّقَفي؛ يكنى أبا جعفر:.....
- 376 - أحمد بن عبد الوالي بن أحمد الرعيني
يكنى أبا جعفر؛ ويعرف بالعواد:.....
- 378 - أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري؛ يكنى أبا جعفر
ويعرف بابن الباذش:.....

- 382 — أحمد بن عبد النور بن راشد؛ يكنى أبا جعفر:.....
— أحمد بن محمد بن علي بن مصادف؛ يكنى أبا جعفر؛
393 ويعرف بابن مصادف:.....
396 — أحمد بن حسن بن باصة الأسلمي؛ يكنى أبا جعفر:.....
— أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري؛
398 يكنى أبا جعفر، ويعرف بالحبيالي:.....
401 — أحمد بن محمد الكرني:.....
— أحمد بن محمد بن أبي الخليل مفرج الأموي؛ يكنى أبا العباس
404 أو أبا جعفر؛ يعرف بالعشاب، وابن الرومية:.....
— أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن عمار
418 ابن ياسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم:.....
— أحمد بن سليمان بن أحمد القرشي؛ المعروف بابن فركون؛
430 يكنى أبا جعفر:.....
— أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان؛
432 يكنى أبا جعفر؛ ويعرف بابن صفوان:.....
458 — أحمد بن أيوب اللمائي؛ يكنى أبا جعفر:.....
— أحمد بن محمد بن طلحة يكنى أبا جعفر؛
465 ويعرف بابن جده طلحة:.....
— أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري؛
474 يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن خاتمة:.....
519 — أحمد بن عباس بن أبي زكريا؛ يكنى أبا جعفر:.....
— أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية
526 القضاعي؛ يكنى أبا جعفر:.....

- محمد بن شعيب الكرياني؛ يكنى أبا العباس؛
544 ويعرف بابن شعيب:.....
- أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عرفة اللخمي؛
557 يكنى أبا العباس:.....
- أحمد بن علي الملياتي؛ يكنى أبا عبد
572 الله، وأبا العباس:.....
- أحمد بن محمد بن عيسى الأموي؛
577 يكنى أبا جعفر؛ ويعرف بالزيّات:.....
- أحمد بن الحسن بن علي بن الزيّات الكلاعي؛
579 يكنى أبا جعفر؛ ويعرف بالزيّات الخطيب:.....
- إبراهيم بن محمد بن مقرّج بن همّشك الرومي:.....
597 — إبراهيم بن أبي الحسن بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف
- يعقوب بن عبد الحق؛ يكنى أبا سالم:.....
608 — إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر
- ابن يحيى الهنتاتي؛ أبو إسحاق:.....
619 — إبراهيم بن محمد بن سهل بن مالك الأزدي؛
- يكنى أبا إسحاق:.....
636 — إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولاني
- يكنى أبا إسحاق؛ ويعرف بابن حرة:.....
640 — إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهّاق
- الأوسي؛ يكنى أبا إسحاق؛ ويعرف بابن المرأة:.....
645 — إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله الأنصاري التلمساني
- القرشي؛ يكنى أبا إسحاق؛ ويعرف بالتلمساني:.....
648

- 654 - إبراهيم بن محمد الأنصاري الساحلي؛ المشهور بالطَّوِينِ:..
 - إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن قاسم النُميري؛
- 677 يكنى أبا إسحاق؛ ويعرف بابن الحاج:.....
 - إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله
- 718 ابن عمر بن فَرْقَد القُرشي العامري:.....
 - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس
- 725 ابن محمود النفزي؛ يكنى أبا إسحاق:.....
 - إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي؛
- 734 يكنى أبا سالم؛ ويعرف بابن أبي يحيى:.....
 - إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد
- 739 ابن أبي العاصي التنوخي:.....
 - إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف
- ابن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن
 746 ابن قيس الأنصاري الخزرجي؛ :.....
 - إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج
- 788 ابن نصر؛ يكنى أبا الوليد:.....
 - أبو بكر بن إبراهيم؛ الأمير أبو يحيى
- 800 المسوفي الصخراوي:.....
 - إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي؛
- 810 الملقب بالمأمون؛ مأمون الموحدين:.....
 - أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب
- 829 ابن سعد السعدي الإلبيري:.....
 - أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن جعفر
- 831 ابن أسلم بن أبان:.....

- 837 - أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرِّي:
- 839 - أبو بكر المخزومي الأعمى الموروري:
- 848 - أصْبَغ بن محمد بن الشيخ المهدي:
- 850 - أبو علي بن هدية:
- 852 - أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي:
- - بلكين بن باديس بن حبُّوس بن ماكسن
- 855 - ابن زيري بن مَنَاد الصَّنْهَاجي:
- - باديس بن حبوس بن ماكسن بن
- 862 - زيري بن مناد الصنهاجي:
- 878 - بكرون بن أبي بكر بن الأشقر الحضرمي:
- 880 - بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية؛ الداخل:
- 883 - تاشفين بن علي بن يوسف:
- 899 - ثابت بن محمد الجرجاني؛ ثم الإستراباذي:
- 907 - جعفر بن أحمد بن علي الخزاعي:
- - جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد
- 912 - بُوْنَة الخزاعي:
- - الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي
- 916 - الأحوص القرشي الفهري:
- 920 - فهرس الموضوعات والتراجم:

تذكير

هذا ختام المجلد الأول من كتاب الإحاطة في
أخبار غرناطة للكاتب المعجزة والشاعر
المبدع ذي الوزارتين لسان الدين ابن
الخطيب. يلي هذا المجلد الأول؛
المجلد الثاني الذي يبدأ بترجمة
الحسين بن محمد بن الحسين
ابن النباهي
الجدامي